منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الثالث عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۳

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

و من كلام له عليه السّلام عند دفن

اشاره

الزهراء سلام اللّه عليها و هو

المأتان و الواحد من المختار

فى باب الخطب

و هو مروى فى الكـافى و فى كشف الغمه و فى البحار من أمالى الشـيخ و مجالس المفيـد باختلاف و زياده تطلع عليه انشاء اللّه ألسّـلام عليك يا رسول اللّه عنّى و عن ابنتك النّازله فى جوارك، و السّـريعه اللّحاق بك، قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، و رقّ عنهـا تجلّدى، إلاّـ أنّ لى فى التّأسّـى بعظيم فرقتـك، و فادح مصـيبتك، موضع تعزّ، فلقـد وسّـدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك. إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعه، و أخذت الرّهينه، أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسّهد، إلى أن يختار اللّه لى

دارك الّتى أنت بها مقيم، و ستنبّئك ابنتك بتظافر أمّتك على هضمها، فأحفها السّؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد، و لم يخل منك الذّكر، و السّلام عليكما سلام مودّع، لا قال و لا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصّابرين.

اللغه

(التجلّد)تكلّف الجلاده، و هى القوّه و الشدّه كما فى القاموس و الكنز قال الشاعر:

بتجلّدى للشامتين اريهم إنّى لريب الدّهر لا أتضعضع

أو تكلّف الجلد، و هو الصبر قال الشاعر:

ما الاصطبار لسلمى أم لها جلد إذا الاقى الّذى لاقاه أمثالى

و أصل الجلد كما فى القاموس جلد البوء تحشى تماما و يخيّل للنّاقه فتعطف بذلك على ولد غيرها أو جلد حوار يلبس حوارا آخر لترامه امّ المسلوخه، و على ذلك فاطلاقه على الصّبر مجاز لعلاقه السّببيّه.

و (الفرقه) بالضّم اسم من الافتراق و (عزّيته) تعزيه قلت له: أحسن اللّه عزاك أى رزقك الصّبر الحسن، و العزاء اسم من ذلك مثل سلّم سلاما و كلّم كلاما، و تعزّى هو تصبّر و شعاره أن يقول: إنا للّه و إنّا إليه راجعون.

و (استرجعت) و (اخذت) بالبناء على المجهول و (السهد) بالضّم الأرق و قد سهد سهدا من باب فرح، و السّهد بضمّتين القليل النّوم، و سهّدته فهو مسهّد أى مورق و هو ذو سهده يقظه و (هضمه) هضما من باب ضرب دفعه عن موضعه فانهضم، و قيل: هضمه كسره و هضمه حقّه نقصه هكذا فى المصباح، و قال فى القاموس: هضم فلانا ظلمه و غصبه كاهتضمه و تهضّمه فهو هضيم.

و (الاحفاء) فى السؤال المبالغه فيه و الاستقصاء و (قليت) الرّجل أقليه من باب

رمى قلّى بالكسر و القصر و مقليه ابغضه فأنا قال و (سئم) الشىء ساما و سأما و سامه ملّ منه فهو سؤم و سئم و (أقام) بالبلد إقامه اتّخذه وطنا فهو مقيم.

الاعراب

قوله: إلاّـ أنّ لى استثناء منقطع، و موضع تعزّ بالنصب اسم أنّ و قدّم خبرها للتوسّع، و قوله، فى ملحوده قبرك، إضافه الملحوده إلى القبر من إضافه الصّفه إلى الموصوف لاـ بيانيّه كما توهّم، و التّأنيث باعتبار الخطّه و الحفره،و قوله:و أمّا ليلى فمسهّد، من المجاز العقلى من باب الاسناد إلى الزّمان كما فى قول الشاعر رحمه اللّه:

و بات و باتت له ليله كليله ذى العائر الأرمد

و قوله: إلى أن يختار، ظرف لغو متعلّق بقوله مسهّد، و قوله: استخبرها الحال، قال الشّارح المعتزلى: أى عن الحال فحذف الجار، اه، و الأظهر أن يجعل الحال مفعولا به و الجار مخذوفا قبل الضّمير أى استخبر عنها الحال، و قوله: هذا و لم يطل العهد، خبر هذا محذوف على أنّه مبتدأ أو فاعل لفعل محذوف، و جمله و لم يطل فى محلّ النّصب على الحال، و قوله: لا قال و لا سئم، صفه لمودّع.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام كما قال السيّد «ره» قد روى عنه عليه السّلام أنّه قاله عند دفن سيّده النساء فاطمه الزهراء عليها السلام إظهارا للتّفجّع بمصابها و التّوجع من ألم فراقها كالمناجى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عند قبره، و ينبغى قبل الشروع فى شرح كلامه أن نذكر طرفا من الأخبار الوارده فى تسميتها سلام اللّه عليها بفاطمه و فى تلقّبها بسيّده النساء و بالزّهراء.

أما تسميتها بفاطمه.

ففى البحار من العيون بالاسناد إلى دارم قال: حدّثنا علىّ بن موسى الرّضا و محمّد بن علىّ عليهما السّلام قالا: سمعنا المأمون يحدّث عن الرّشيد عن المهدى عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عبّاس لمعاويه: أ تدرى لم سمّيت فاطمه فاطمه؟ قال: لا، قال: لأنّها فطمت هى و شيعتها من النّار، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقوله.

و من العيون بالأسانيد الثلاثه عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّى سمّيت ابنتى فاطمه لأنّ اللّه عزّ و جلّ فطمها و فطم من أحبّها من النّار.

و من علل الشرائع بسنده عن يزيد بن عبد الملک عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لمّا ولدت فاطمه سلام اللّه عليها أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى ملک فانطق به لسان محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسمّاها فاطمه ثمّ قال: إنّى فطمتک بالعلم و فطمتک عن الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: و اللّه لقد فطمها اللّه تبارک و تعالى بالعلم و عن الطّمث فى الميثاق.

قال المحدّث العلامه المجلسى «قد» بعد نقله: فطمتک بالعلم أى أرضعتک بالعلم حتّى استغنيت و فطمت، أو قطعتک عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامک من اللبن مقرونا بالعلم كنايه عن كونها فى بدء فطرتها عالمه بالعلوم الرّبانيّه، و على التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالدّافق بمعنى المدفوق، و يقرأ على بناء التفعيل أى جعلتک قاطعه النّاس من الجهل، أو المعنى لما فطمها من الجهل فهى تفطم النّاس منه، و الوجهان الأخيران يشكل إجراؤهما فى قوله فطمتک عن الطمث إلّا بتكلف بأن يجعل الطمث كنايه عن الاخلاق و الأفعال الذّميمه.

و فى البحار من المناقب عن الصادق عليه السّلام قال: تدرى أىّ شىء تفسير فاطمه؟ قال: فطمت من الشرّ، و يقال إنّما سمّيت فاطمه لأنّها فطمت عن الطّمث.

و أما تلقّبها بسيّده النساء.

فقد روى فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن حذيفه أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أتانى ملک فبشّرنى أنّ فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه أو نساء امّتى.

و عن جابر بن سمره عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى خبر أما أنها سيده النساء يوم القيامه.

و من الامالى بسنده عن الحسن بن زيد العطار قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فاطمه سيده نساء أهل الجنه أسيّده نساء عالمها، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تاک مريم و فاطمه سيّده نساء الجنّه من الأوّلين و الاخرين فقلت: فقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه؟ قال: و اللّه هما سيدا شباب أهل الجنه من الأولين

و الاخرين.

و من معانى الأخبار باسناده عن المفضل قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى عن قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى فاطمه: انها سيّده نساء العالمين أهى سيّده نساء عالمها؟ فقال: ذاک لمريم كانت سيّده نساء عالمها و فاطمه سيّده نساء العالمين من الأوّلين و الاخرين.

و من الأمالى بسنده عن سعيد بن المسيّب عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان جالسا ذات يوم و عنده علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: اللّهم إنک تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتى و أكرم النّاس علىّ فاحبب من أحبّهم، و ابغض من أبغضهم، و وال من والاهم، و عاد من عاداهم، و أعن من أعانهم، و اجعلهم مطهّرين من كلّ دنس، معصومين من كلّ ذنب، و أيّدهم بروح القدس منک.

ثمّ قال: يا على أنت امام امّتى و خليفتى عليها بعدى، و أنت قائد المؤمنين إلى الجنّه، و كأنّى أنظر إلى ابنتى فاطمه قد أقبلت يوم القيامه على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملک، و بين يديها سبعون ألف ملک، و عن يسارها سبعون ألف ملک، و خلفها سبعون ألف ملک، تقود مؤمنات امّتى إلى الجنّه فأيما امرأه صلّت فى اليوم و اللّيله خمس صلاه، و صامت شهر رمضان، و حجّت بيت اللّه الحرام، و زكت مالها، و أطاعت زوجها، و والت عليّا بعدى دخلت الجنّه بشفاعه ابنتى فاطمه، و انّها لسيّده نساء العالمين من الأوّلين و الاخرين، و أنّها لتقوم فى محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملک من الملائكه المقرّبين، و ينادونها بما نادت به الملائكه مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ اللّه اصطفيک و طهّرک و اصطفيک على نساء العالمين.

ثمّ التفت إلى علىّ عليه السّلام و قال: يا على إنّ فاطمه بضعه منّى و هى نور عينى و ثمره فؤادى يسوؤنى من «ما» ساءها و يسرّنى من «ما» يسرّها، و أنّها أوّل من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى، و أما الحسن و الحسين فهما ابناى و ريحانتاى و هما سيّدا شباب أهل الجنّه فليكونا عليک كسمعک و بصرک.

ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: اللّهمّ إنّى اشهدک أنّى محبّ لمن أحبّهم،

ص:۶

و مبغض لمن أبغضهم، و سلم لمن سالمهم، و حرب لمن حاربهم، و عدوّ لمن عاداهم و وليّ لمن والاهم.

و أما تلقّبها بالزّهراء.

فقد روى فى البحار من معانى الأخبار، و علل الشرائع عن الطالقانى عن الجلودى عن الجوهرى عن ابن عماره عن أبيه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن فاطمه لم سمّيت زهراء؟ قال: لأنها كانت إذا قامت فى محرابها ظهر نورها لأهل السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض.

و من العلل بسنده عن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمه الزهراء زهراء؟ فقال: لأنّ اللّه عزّ و جلّ خلقها من نور عظمته، فلّما أشرقت أضاءت السّماوات و الأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكه و خرّت الملائكه ساجدين للّه و قالوا: إلهنا و سيّدنا ما هذا النّور؟ فأوحى اللّه إليهم: هذا نور من نورى أسكنته فى سمائى خلقته من عظمتى اخرجه من صلب نبيّ من أنبيائى أفضّله على جميع الأنبياء و اخرج من ذلك النّور أئمّه يقومون بأمرى يهدون إلى حقّى «خلقى» و أجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحيى.

و من المناقب عن أبى هاشم العسكر قال: سألت صاحب العسكر لم سمّيت فاطمه الزّهراء؟ فقال: كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السّلام من أوّل النّهار كالشمس الضّاحيه، و عند الزّوال كالقمر المنير، و عند غروب الشّمس كالكوكب الدّرّى.

و من العلل بسنده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم سمّيت الزّهراء زهراء؟ قال: لأنّها تزهر لأمير المؤمنين فى النهار ثلاث مرّات بالنّور:

كان يزهر نور وجهها صلاه الغداه و النّاس فى فراشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينه فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه عمّار أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيأتون منزلها فيرونها قاعده فى محرابها تصلّى

و النّور يسطع من محرابها و من وجهها فيعلمون أن الّذى رأوه كان من نور فاطمه فاذا انتصف النّهار و ترتّبت(۱) للصلاه زهر نور وجها بالصّفره فتدخل الصّفره فى حجرات الناس فتصفر ثيابهم و ألوانهم فيأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه عمّار أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه عليها السلام فيرونها قائمه فى محرابها و ظهر نور وجهها صلوات اللّه عليها و على أبيها و بعلها و بنيها بالصّفره، فيعلمون أنّ الّذى رأوا كان من نور وجهها.

فاذا كان آخر النّهار و غربت الشمس احمرّ وجه فاطمه عليها السّلام و أشرق وجهها بالحمره فرحا و شكرا للّه عزّ و جلّ فكان تدخل حمره وجهها حجرات القوم و تحمرّ حيطانهم فيعجبون ذلک و يأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسألونه عن ذلک فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيرونها جالسه تسبّح اللّه و تمجّده و تحمده و نور وجهها يزهر بالحمره فيعلمون أنّ الّذى رأوا كان من نور وجه فاطمه.

فلم يزل ذلک النّور فى وجهها حتّى ولد الحسين فهو يتقلّب فى وجوهنا إلى يوم القيامه فى الأئمّه منّا أهل البيت إمام بعد إمام.

إذا عرفت ذلک فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام فأقول:

بدء عليه السّلام بالسلام قبل الكلام رعايه لرسم الأدب و مواظبه على النّدب فقال:

(السلام عليک يا رسول اللّه عنّى و عن ابنتک النازله فى جوارک) أى فى البقيع كما روى عن ابن عباس فى حديث وفاتها قال: فلما أرادوا أن يدفنوها نودوا من بقعه من البقيع إلىّ إلىّ فقد رفع تربتها منّى، فنظر فاذا هى بقبر محفور، فحملوا السرير إليها فدفنوها، أو فى بيتها و هو المشهور.

روى فى البحار من المناقب قال: قال أبو جعفر الطوسى: الأصوب أنّها مدفونه فى دارها أو فى الرّوضه يؤيّد قوله قول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنّه، و فى البخارى بين بيتى و منبرى، قالوا: حدّ الروضه

۱- (۱) - اى ثبتت فى محرابها كما فى اللغه أو تهيأت من الترتيب العرفى بمعنى جعل كلّ شىء فى مرتبته، و يحتمل أن يكون تصحيف تزينت، بحار.

ما بین القبر إلی المنبر إلی الاساطین الّتی تلی صحن المسجد.

و عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر قال: سألت أبا الحسن الرّضا علیه السّلام عن قبر فاطمه، فقال: دفنت فی بیتها فلمّا زادت بنو امیّه فی المسجد صارت فی المسجد و رواه أیضا فی الکافی عن علیّ بن محمّد و غیره عن سری بن زیاد عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر عن الرّضا علیه السّلام مثله.

(و السریعه اللحاق بک) وارده فی مقام التفجّع و التشکیّ من تواتر المحن و المصائب الموجبه لقصر عمرها و المعدّه لسرعه لحاقها به سلام اللّه علیها و علی أبیها.

و روی فی البحار من المناقب عن البخاری و مسلم و الحلیه و مسند أحمد بن حنبل عن عایشه أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دعا فاطمه فی شکواه الّذی قبض فیه فسارّها بشیء فبکت، ثم دعاها «سارّها ظ» فضحکت، فسألت عن ذلک فقالت: أخبرنی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله سلّم أنّه مقبوض فبکیت، ثمّ أخبرنی أنّی أول أهله لحوقا به فضحکت.

و من المناقب من کتاب ابن شاهین قالت امّ سلمه و عایشه: إنّها لمّا سئلت عن بکائها و ضحکها فقالت أخبرنی النّبی صلّی اللّه علیه و آله سلّم أنّه مقبوض فبکیت، ثمّ أخبر أنّ بنیه سیصیبهم بعدی شدّه فبکیت، ثمّ أخبرنی أنّی أوّل أهله لحوقا به.

و قد اختلف الأخبار جدّا فی مدّه بقائها بعد أبیها.

قال أبو الفرج فی مقاتل الطالبیّین: کانت وفاه فاطمه بعد وفاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله سلّم بمدّه یختلف فی مبلغها، فالمکثر یقول: ثمانیه أشهر، و المقلّل یقول: أربعین یوما إلاّ أنّ الثبت فی ذلک ما روی عن أبی جعفر محمّد بن علیّ علیهما السّلام أنّها توفّیت بعده بثلاثه أشهر، حدّثنی بذلک الحسن بن علیّ عن الحرث عن ابن سعد عن الواقدی عن عمرو بن دینار عن أبی جعفر محمّد بن علیّ.

و فی کشف الغمّه و نقلت من کتاب الذّریّه الطاهره للدّولابی فی وفاتها ما نقله عن رجاله قال: لبثت فاطمه علیها السلام بعد النّبی صلّی اللّه علیه و آله سلّم ثلاثه أشهر.

و قال ابن شهاب ستّه أشهر و قال الزّهری ستّه أشهر و مثله عن عایشه و مثله عن عروه بن الزّبیر.

و عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام خمسا و تسعين ليله فى سنه إحدى عشره و قال ابن قتيبه فى معارفه مأئه يوم و قيل ماتت فى سنه إحدى عشره ليله الثلثا لثلاث ليال من شهر رمضان المبارك و هى بنت تسع و عشرين سنه أو نحوها.

و فى البحار عن الكفعمى فى الثالث من جمادى الاخره.

و فى الكافى بسنده عن أبى عبيده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ فاطمه مكثت بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سلّم خمسه و سبعين يوما و كان دخلها حزن شديد على أبيها و كان يأتيها جبرئيل فيحسن عزاها على أبيها و يطيب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانه و يخبرها بما يكون بعدها فى ذرّيتها، و كان علىّ عليه السّلام يكتب ذلك.

كانت وفاه الصّديقه سنه إحدى عشره.

قال فى البحار بعد نقله الأخبار على كثره اختلافها:

أقول: لا يمكن التطبيق بين أكثر تواريخ الولاده و الوفاه و مدّه عمرها الشّريف، و لا بين تواريخ الوفاه و بين ما مرّ فى الخبر الصحيح أنّها عاشت بعد أبيها خمسه و سبعين يوما، إذ لو كان وفاه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله سلّم فى الثامن و العشرين من صفر كان على هذا وفاتها فى أواسط جمادى الاولى، و لو كان فى ثانى عشر ربيع الأوّل كما ترويه العامه كان وفاتها فى أواخر جمادى الاولى، و ما رواه أبو الفرج عن الباقر عليه السّلام من كون مكثها بعده ثلاثه أشهر يمكن تطبيقه على ما هو المشهور من كون وفاتها فى ثالث جمادى الاخره هذا.

و أما مدّه عمرها فالأخبار فيه أيضا مختلفه.

ففى الكافى ولدت فاطمه بعد مبعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخمس سنين، و توفّيت و لها ثمان عشره سنه و خمسه و سبعون يوما، و بقيت بعد أبيها خمسه و سبعين يوما.

و نحوه فى البحار من عيون المعجزات للسيد المرتضى قال: روى أنّ فاطمه عليها السّلام توفّت و لها ثمان عشره سنه و شهران و أقامت بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خمسه و سبعين يوما و روى أربعين يوما.

و فى البحار من بعض كتب المناقب القديمه عن سيّد الحفاظ أبى منصور الديلمى

باسناده انّ عبد اللّه بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك و عنده الكلبى فقال هشام لعبد اللّه بن الحسن: يا أبا محمّد كم بلغت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من السّن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبى: ما تقول؟ قال: بلغت خمسا و ثلاثين، فقال هشام لعبد اللّه: ألا تسمع ما يقول الكلبى؟ فقال عبد اللّه: يا أمير المؤمنين سلنى عن امّى فأنا أعلم بها و سل الكلبى عن امّها فهو أعلم بها.

و عن العاصمى باسناده عن محمّد بن عمر قال: توفّيت فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لثلاث ليال خلون من شهر رمضان و هى بنت تسع و عشرين أو نحوها و قال محمّد بن اسحاق توفّيت و لها ثمان و عشرون سنه و قيل: سبع و عشرون سنه.

و فى روايه أنّها ولدت على رأس سنه إحدى و أربعين من مولد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيكون سنّها على هذا ثلاثا و عشرين، و الأكثر على أنّها كانت بنت تسع و عشرين أو ثلاثين، و اللّه العالم بحقايق الوقايع.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد السلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شرع فى اظهار التفجّع و الأسف فقال:

(قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى) قال الشّارح المعتزلى اجلّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن أن يقول عن ابنتك فقال عن صفيّتك و هذا من لطايف عبارته و محاسن كنايته عليه السّلام أقول: و فيه مضافا إلى ذلك الاشاره إلى كونها صفيّه له مختاره عنده كما أنّها كانت صفيّه للّه حسبما عرفت فى روايه الامالى المتقدّمه فى وجه تسميتها بسيّده النّساء من أنّ الملائكه يسلّمون عليها و ينادونها بما نادت به الملائكه مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ اللّه اصطفيك و طهّرك و اصطفيك على نساء العالمين.

و فى البحار من الخصال فيما أوصى به النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى علىّ عليه السّلام يا علىّ إنّ اللّه عزّ و جلّ أشرف على الدّنيا فاختارنى منها على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانيه فاختارك على رجال العالمين بعدى، ثمّ اطلع الثالثه فاختار الأئمه من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطلع الرّابعه فاختار فاطمه على نساء العالمين و فيه الاشاره أيضا إلى ما كان له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّها من التبجيل و المحبّه

و الاعظام ما لم يكن فى حقّ غيره حتّى روى عن القرطبى فى كتاب إكمال الاكمال أنّ فاطمه «رض» أحبّ بناته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أكرمهنّ عنده و سيّده نساء الجنّه و كان إذا قدم من سفره بدء بالمسجد فيصلّى ركعتين ثمّ ببيت فاطمه «رض» فيسأل عنها ثمّ يدور على نسائه إكراما لفاطمه و اعتناء بها.

و فى البحار من الامالى بسنده عن عايشه بنت طلحه عن عايشه قالت:

ما رأيت أحدا من النّاس أشبه كلاما و حديثا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من فاطمه كانت إذا دخلت عليه رحّب بها و قبّل يديها و أجلسها فى مجلسه، فاذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به و قبّلت يديه، الخبر.

و من المناقب من جامع الترمدى و ابانه العكبرى و اخبار فاطمه عن أبى علىّ الصّولى و تاريخ خراسان عن السّلامى مسندا أنّ جميعا التميمى قال: دخلت مع عمّتى على عايشه فقالت لها عمّتى: ما حملك على الخروج على علىّ؟ فقالت عايشه:

دعينا فو اللّه ما كان أحد من الرّجال أحبّ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من علىّ، و لا من النساء أحبّ إليه من فاطمه و قوله (و رقّ عنها تجلّدى) أى ضعف عن فراقها تحملى للجلد و الصبر من عظم الرّزيه و شدّه المصيبه.

(إلّا أنّ لى فى التأسّى) و الاقتداء (بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعزّ) و هو وارد مورد التسليه لنفسه القدسيّه، فانّه لمّا ذكر عظم وجده فى افتقاد الصديقه سلام اللّه عليها و شدّه تأثيره فيه استدرك ذلك بأنّى قد اصبت قبل ذلك بعظيم فراقك و ثقيل مصابك فصبرت عليه مع كونه أعظم رزء و أشدّ تأثيرا فينبغى لى أن أقتدى فى الصّبر على تلك المصيبه الحادثه بالصبر على هذه المصيبه الماضيه لكونها سهلا عندها.

و بعباره أوضح فكأنّه يقول: إنّ صفيّتك و ان عظم بفراقها المصاب و قلّ عنها الصبر و التحمل إلّا أنّ فراقك قد كان أعظم و أجلّ، و مصابك أشدّ و أثقل فكما صبرت فى تلك الرّزيّه العظمى فلئن أصبر فى هذه المصيبه كان أولى و أحرى

ثمّ أكّد شدّه تأثّره بفراقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بشرح بعض حالاته معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين موته المفيده لمزيد اختصاصه به فانّ الاختصاص كلّما كان أزيد كان تأثير الفراق أشدّ فقال (فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك)أى اتّخذت لك وساده فيقبر كالمعموله فيها اللّحد و هو كنايه عن دفنه له فيها بيده.

(و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك) و قد مضى تحقيق معنى هذه الفقره و تفصيل الكلام فيها و فى سابقتها فى شرح الخطبه المأه و السادسه و التّسعين فليراجع هناك.

و المراد بهاتين الفقرتين حسبما أشرنا إليه إظهار مزيد تفجّعه بمصيبته به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجرّعه بغصص الفراق، فانّ أعظم المصائب و أشدّ الالام أن يخرج روح أحبّ الخلق إلى الرّجل و رأسه فى صدره و أن يدفنه بيده فى قبره.

ثمّ لمّا كان الاسترجاع موجبا للسّلوه و لجبران المصيبه مضافا إلى ما فيه من عظيم الأجر و الاستبشار بالنعمه الدّائمه استرجع و قال:

(إنّا للّه و إنّا إليه راجعون) أمّا الاستبشار فلقوله تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » و أمّا السّلوه و الأجر العظيم:

فلما رواه فى الصّافى من مجمع البيان عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من استرجع عند المصيبه جبر اللّه مصيبته و أحسن عقباه، و جعل له خلفا صالحا يرضيه قال: و قال:

من اصيب بمصيبه فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدها كتب اللّه له من الأجر مثله يوم أصيب.

و فيه من الكافى عن الباقر عليه السّلام ما من عبد يصاب بمصيبه فيسترجع عند ذكر المصيبه إلاّ غفر اللّه له كلّ ذنب فيما بينهما.

و عن الصّادق عليه السّلام من ذكر مصيبه و لو بعد حين فقال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و الحمد للّه ربّ العالمين اللّهمّ أجرنى على مصيبتى و اخلف علىّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان له عند أوّل صدمته.

و قوله عليه السّلام(فلقد استرجعت الوديعه و أخذت الرّهينه)استعار عليه السّلام لفظ الوديعه و الرّهينه لتلك النفس الكريمه لأنّ الأرواح كالوديعه و الرّهن فى الأبدان أو لأنّ النّساء كالودايع و الرّهاين عند الأزواج يجب عليهم مراقبتهنّ و محافظتهنّ كما يجب على المستودع و المرتهن حفظ الودايع و الرّهاين.

ثمّ ذكر ما ناله من تلك المصيبه فقال:(أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهّد إلى أن يختار اللّه لى دارك الّتى أنت بها مقيم)يريد أنّ حزنه دائم و أنّه يسهر ليله إلى انتقاله إلى الدّار الاخره و التحاقه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مجلس القدس و محفل الانس.

و هذا كما قال الشّارح المعتزلى من باب المبالغه الّتى يستعملها الفصحاء و الشّعراء فى كلامهم و هو من محاسن البلاغه قال الشاعر:

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم و حزن طويل

و إنما قلنا: إنه من باب المبالغه لأنه ما سهر منذ ماتت فاطمه عليها السّلام إلى أن قتل و انما أسهر ليله أو شهرا أو سنه نعم دوام الحزن فهو على حقيقته فانه لم يزل حزينا اذا ذكرت فاطمه عليها السلام عنده.

ثمّ ساق الكلام مساق التشكّى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من سوء فعل الامه بعده فقال(و ستنبئک ابنتک بتظافر امّتک على هضمها)لا يخفى ما فى هذه العباره من حسن البيان مع بديع الايجاز فانّ التظافر بمادّته التى هى الظفر و هو الفوز على المطلوب يدلّ على أنّ هضمها كان مطلوبا لهم لكنهم لم يكونوا متمكّنين من الفوز به ما دام كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيا بين أظهرهم، فلما وجدوا العرصه خاليه من وجوده الشريف فازوا به.

و ان كان مأخوذا من أظفر الصقر الطائر من باب افتعل و تظافر أى أعلق عليه ظفره و أخذه برأسه فيدلّ على أنهم علقوا أظفارهم على هضمها قاصدين بذلک قتلها و إهلاكها.

ثمّ إنّ المعانى الخمسه المذكوره للهضم كلّها مناسبه للمقام.

أما المعنى الأوّل فلأنهم قد تظافروا على رفعها عن محلّها و مقامها الذى كان لها و حطّوها عن مرتبتها المقرّره و لم يراعوا فى حقّها ما كان لازما عليهم من التبجيل و الاعظام و التعظيم و الاكرام، بل عاملوا معها معامله الرّعيه و السوقه حتى ألجئوها إلى الخروج إلى مجامع الرّجال فى أمر فدك و غيره مثل ساير النسوه البرزه.

و على المعنى الثانى فيكون إشاره إلى ما صدر عنهم من كسر ضلعها و اسقاط جنينها يوم اخراجه عليه السّلام من البيت ملببا للبيعه.

و على الثالث فيكون إشاره إلى اجتماعهم على نقص حقّها المقرّر لها بقوله تعالى: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ».

و مثله المعنى الخامس فيكون إشاره إلى غصب فدك.

و أما المعنى الرّابع فهو أولى بالاراده لشموله جميع مظالمها و ما وقع فى حقّها من الظلم و الجور، فالى اللّه المشتكى من سوء عمل الامه و شنيع فعلهم بالعتره و ما أدرى

ما ذا يقولون إذ قال النبيّ لهمما ذا فعلتم و أنتم آخر الامم

بعترتى و بأهلى بعد مفتقديمنهم اسارى و منهم ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكمأن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

(فاحفها السّؤال) أى بالغ فى سؤالها و استقص فى مسألتها (و استخبرها الحال) أى حالها و حالى بعد ارتحالك و افتقادك.

(هذا) أى تظافر الامّه على الهضم كائن (و) الحال انّه (لم يطل العهد) أى عهدهم بك أو ما عاهدتهم عليه من المودّه فى القربى و المواظبه بالثّقلين (و لم يخل منك الذّكر) أى لم يرتفع ذكرك الجميل عن أفواههم.

و محصّله انه لم يطل المدّه من موتك حتى ينسوا وصاياك المتأكده فى حقّ العتره أو يغفلوا من صنايعك العظيمه فى حقّهم فيقابلوها بهذا الكفران العظيم.

و لما أراد الوداع ختم كلامه بالسلام كما بدء به جريا على مجارى عاده

ص:۱۵

الأحباب عند وداع بعضهم لبعض فقال (و السلام عليكما سلام مودّع) محبّ مشتاق مشفق (لا قال و لا سئم) أي لا مبغض لكما و لا ـ ملول من طول صحبتكما و أوضح ذلك بقوله (فان أنصرف) عن زيارتكما (فلا ـ عن ملاله و ان اقم) أي أقمت عند ضريحكما (فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين) بقوله: «أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ».

تذنيب

ينبغي لنا أن نذكر شطرا من الأخبار فيما وقع عليها من الظلم و بكائها و حزنها و شكايتها في مرضها و كيفيّه وفاتها و دفنها صلوات اللّه عليها و لعنه اللّه على غاصبي حقّها و ظالميها فأقول:

روى في كشف الغمه عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: البكّاؤون خمسه: آدم، و يعقوب و يوسف، و فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و عليّ بن الحسين عليهم السّلام.

فأما آدم فبكى على الجنه حتى صار في خدّيه مثل الأوديه.

و أما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره و حتى قيل له: تاللّه تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.

و أما يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السّجن فقالوا: إمّا أن تبكي بالنهار و تسكت باللّيل، و إمّا أن تبكي اللّيل و تسكت النّهار فصالحهم على واحد منهما.

و أمّا فاطمه فبكت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى تأذى بها أهل المدينه فقالوا لها قد آذيتنا بكثره بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضي حاجتها و تنصرف.

و أمّا عليّ بن الحسين فبكى على الحسين عليه السّلام عشرين سنه أو أربعين و ما وضع بين يديه طعام قطّ إلّا بكى حتّى قال له عليه السّلام مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول اللّه إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال: انّما أشكو بثّي و حزني إلى اللّه و أعلم من اللّه ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمه إلّا خنقتني

لذلک العبره.

و فی البحار من الأمالی عن الـدّقاق عن الأسدی عن النخعی عن النوفلی عن البطائی عن أبیه عن ابن جبیر عن ابن عباس فی خبر طویل أخبر فیه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بظلم أهل البیت قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

و أما ابنتی فاطمه فانها سیّده نساء العالمین من الأوّلین و الاخرین، و هی بضعه منی، و هی نور عینی، و هی ثمره فؤادی، و هی روحی التی بین جنبی، و هی الحوراء الانسیه متی ما قامت فی محرابها بین یدی ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائکه السماء کما یزهر نور الکواکب لأهل الأرض و یقول اللّه عزّ و جلّ لملائکته: یا ملائکتی انظروا إلی أمتی فاطمه سیده إمائی قائمه بین یدی ترتعد فرائصها من خیفتی و قد أقبلت بقلبها علی عبادتی اشهدکم أنی قد امنت شیعتها من النار.

و انی لما رأیتها ذکرت ما یصنع بها بعدی کأنّی بها و قد دخل الذّلّ بیتها و انتهکت حرمتها و غصبت حقها و منعت ارثها و کسر جنبها و اسقطت جنینها و هی تنادی یا محمّداه فلا تجاب و تستغیث فلا تغاث، فلا تزال بعدی محزونه مکروبه باکیه تتذکّر انقطاع الوحی عن بیتها مرّه و تتذکّر فراقی اخری و تستوحش إذا جنّها اللّیل لفقد صوتی الذی کانت تستمع إلیه إذا تهجّدت بالقرآن، ثمّ تری نفسها ذلیله بعد أن کانت أیام أبیها عزیزه، فعند ذلک یونسها اللّه تعالی ذکره بالملائکه فنادتها بما نادت به مریم بنت عمران فتقول یا فاطمه إنّ اللّه اصطفیک و طهّرک و اصطفیک علی نساء العالمین یا فاطمه اقنتی لربک و اسجدی و ارکعی مع الراکعین.

ثمّ یبتدء بها الوجع فتمرض فیبعث اللّه عزّ و جلّ إلیها مریم بنت عمران تمرّضها و تونسها فی علّتها فتقول عند ذلک: یا ربّ إنّی قد سئمت الحیاه و تبرّمت بأهل الدّنیا فألحقنی بأبی فتکون أوّل من یلحقنی من أهل بیتی، فتقدم علیّ محزونه مکروبه مغمومه مغصوبه مقتوله فأقول عند ذلک: اللهمّ العن من ظلمها و عاقب من غصبها و ذلّل من أذلّها، و خلّد فی نارک من ضرب جنبیها حتّی ألقت ولدها فتقول الملائکه عند ذلک: آمین.

و من كتاب دلائل الامامه للطبرى بالاسناد عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قبضت فاطمه فى جمادى الاخره يوم الثلثاء لثلاث خلون منه سنه إحدى عشر من الهجره، و كان سبب وفاتها أنّ قنفذ مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسنا و مرضت من ذلك مرضا شديدا و لم تدع أحدا ممّن أذاها يدخل عليها.

و كان الرّجلان من أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سألا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها فسألها أمير المؤمنين عليه السّلام فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قالت: بخير بحمد اللّه، ثمّ قالت لهما: ما سمعتما النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: فاطمه بضعه منّى من آذاها فقد آذانى و من آذانى فقد آذى اللّه، قالا: بلى، قالت: فو اللّه لقد آذيتمانى، قال: فخرجا من عندها و هى ساخطه عليهما أقول: و قد تقدّم فى المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه بروايه سليم بن قيس الهلالى تفصيل كيفيه دخول قنفذ اللعين بيت فاطمه و إحراق بابها و بعض مظالمها، و اورد هنا بعض ما تقدّم من روايه سليم ملخصا و نضيف إليه ما لم يتقدّم هناك بحسب اقتضاء المقام و ما اورده هنا أنقله من المجلد العاشر من البحار على ما لخصّه أيضا فأقول:

قال المحدّث العلامه المجلسىّ: وجدت فى كتاب سليم بن قيس الهلالى بروايه أبان بن أبى عياش عنه عن سلمان و عبد اللّه بن العبّاس قالا: توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم توفّى فلم يوضع فى حفرته حتّى نكث النّاس و ارتدّوا و أجمعوا على الخلاف و اشتغل علىّ عليه السّلام برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى فرغ من غسله و تكفينه و تحنيطه و وضعه فى حفرته، ثمّ أقبل على تأليف القرآن و شغل عنهم بوصيّه رسول اللّه فقال عمر لأبى بكر: يا هذا إنّ النّاس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرّجل و أهل بيته فابعث إليه، فبعث إليه ابن عمّ لعمر يقال له: قنفذ، فقال: يا قنفذ انطلق إلى علىّ فقل له أجب خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فبعثا مرارا و أبى علىّ عليه السّلام أن يأتيهم فوثب عمر غضبانا و نادى خالد بن الوليد و قنفذا فأمرهم أن يحملا حطبا و نارا

ثم أقبل حتّى انتهى إلى باب علىّ عليه السّلام و فاطمه عليها السلام قاعده خلف الباب قد عصبت رأسها و نحل جسمها فى وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل عمر حتّى ضرب الباب ثمّ نادى يا ابن أبى طالب افتح الباب. فقالت فاطمه عليها السلام خلف الباب: يا عمر ما لنا و لك لا تدعنا و ما نحن فيه، قال: افتحى الباب و إلّا أحرقنا عليكم، فقالت يا عمر، أما تتّقى اللّه تدخل على بيتى و تهجم على دارى بغير اذنى فأبى أن ينصرف.

ثمّ دعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب فأحرق الباب ثمّ دفعه عمر فدخل فاستقبلته فاطمه و صاحت يا أبتاه يا رسول اللّه، فرفع عمر السّيف و هو فى غمده فوجى به جنبها فصرخت يا أبتاه، فرفع السّوط فضرب به ذراعها و نادت يا رسول اللّه بئس ما خلفك أبو بكر و عمر.

فوثب علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فأخذ بتلابيب عمر فصرعه و وجى أنفه و رقبته و همّ بقتله فذكر قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما أوصاه به من الصبر و الطّاعه فقال: و الذى أكرم محمّدا بالنّبوه يا ابن صحاك لو لا كتاب من اللّه سبق لعلمت أنّك لا تدخل بيتى فأرسل عمر يستغيث فأقبل النّاس حتّى دخلوا الدّار فكاثروه و ألقوا فى عنقه حبلا فحالت بينهم و بينه فاطمه عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت و أن فى عضدها كمثل الدّملج من ضربته لعنه اللّه، فألجأها إلى عضاده بيتها و دفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينا من بطنها، فلم تزل صاحبه فراش حتى ماتت صلّى اللّه عليها من ذلك شهيده - و ساق الحديث إلى أن قال - قال ابن عباس: ثمّ إنّ فاطمه بلغها أنّ أبا بكر قبض فدكا فخرجت فى نساء بنى هاشم حتى دخلت على أبى بكر فقال: يا أبا بكر أ تريد أن تأخذ منى أرضا جعلها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فدعا أبو بكر بدواه ليكتب به لها فدخل عمر لعنه اللّه فقال:

يا خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تكتب لها حتى تقيم البينه بما تدّعى، فقالت فاطمه:

علىّ و امّ أيمن يشهدان بذلك فقال عمر: لا نقبل شهاده امرأه أعجميّه لا تفصح و أما علىّ فيجرّ النار إلى قرصته، فرجعت فاطمه عليها السّلام مغتاظه فمرضت و كان علىّ عليه السّلام يصلّى فى المسجد الصلوات الخمس، فلمّا صلّى قال له أبو بكر و عمر

كيف بنت رسول اللّه إلى أن ثقلت فسألا ـ عنها و قالا و قد كان بيننا و بينها ما قد علمت فان رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما، فقام فجلسا فى الباب.

فدخل عليّ على فاطمه فقال: أيّتها الحرّه فلان و فلان فى الباب يريدان أن يسلّما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك و الحرّه زوجتك و افعل ما تشاء، فقال: سدّى قناعك فسدّت قنّاعها و حوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا و سلّما و قالا ارضى عنا رضى اللّه عنك، فقالت: ما دعا إلى هذا فقالا اعترفنا بالاساءه و رجونا أن تعفى عنا، فقالت إن كنتما صادقين فأخبرانى عما أسألكما عنه فانى لا ـ أسألكما عن أمر إلاّ ـ و أنا عارفه بأنكما تعلمانه، فان صدقتما علمت أنكما صادقان فى مجيئكما قالا: سل عما بدا لك، قالت: نشدتكما باللّه هل سمعتما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

فاطمه بضعه منى فمن آذاها فقد آذاني؟ قالا: نعم، قال: فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إنهما قد اذيانى فأنا أشكوهما إليك و إلى رسولك لا و اللّه لا أرضى عنكما أبدا حتى ألقى أبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما قال: فعند ذلك دعى أبو بكر بالويل و الثبور و جزع جزعا شديدا فقال عمر له:

تجزع يا خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قول امرأه؟!.

قال: فبقيت فاطمه بعد وفاه أبيها أربعين ليله فلما اشتدّ بها الأمر دعت عليها السّلام عليا و قالت: يا ابن عمّ ما أرانى إلاّ لما بى و إنى اوصيك أن تتزوّج بامامه بنت اختى زينب يكون لولدى مثلى، و اتّخذ لى نعشا فانّى رأيت الملائكه يصفونه لى، و أن لا يشهد أحد من أعداء اللّه جنازتى و لا دفنى و لا الصلاه عليّ.

قال ابن عباس: فقبضت فاطمه عليها السلام من يومها، فارتجّت المدينه بالبكاء من الرّجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل أبو بكر و عمر يعزّيان عليا عليه السّلام و يقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فلما كان الليل دعا عليّ عليه السّلام العباس و الفضل و المقداد و سلمان و أبا ذر و عمارا

فقدّم العباس و صلّى عليها و دفنوها ليلا.

فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر و عمر و الناس يريدون الصلاه على فاطمه عليها السّلام فقال المقداد: قد دفنّا فاطمه البارحه، فالتفت عمر إلى أبى بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون فقال العباس: إنها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بنى هاشم حسدكم القديم لنا أبدا إن هذه الضغائن الذى فى صدوركم لن تذهب و اللّه لقد هممت أن انبشها فأصلّى عليها، فقال علىّ عليه السّلام: و اللّه لو رمت ذلك يا ابن صهاك لا رجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفى لاغمدته دون إزهاق نفسك، فانكسر عمر و سكت و علم أنّ عليا عليه السّلام إذا حلف صدق.

ثمّ قال علىّ عليه السّلام يا عمر أ لست الذى همّ بك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أرسل إلىّ فجئت متقلّدا سيفى ثمّ أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل اللّه عزّ و جلّ «فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ».

و فى كشف الغمه روى أنها عليها السلام أوصت عليا و أسماء بنت عميس أن يغسلاها.

و عن ابن عباس قال: مرضت فاطمه مرضا شديدا فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت(۱) فلا تحملينى على سرير ظاهر فقالت: لا لعمرى و لكن أصنع نعشا كما رأيت يصنع بالحبشه قالت: فأرنيها، فأرسلت إلى جرايد رطبه فقطعت من الأسواق ثمّ جعلت على السرير نعشا و هو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت و ما رأيت متبسّمه إلّا يومئذ ثمّ حملناها و دفناها ليلا و صلّى عليها العباس بن عبد المطلب و نزل فى حفرتها هو و علىّ و الفضل بن العباس.

و عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمه عليها السلام بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قالت انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأه الثوب فيصفها لمن رأى فقالت أسماء: يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنى أريك شيئا رأيته بأرض الحبشه قال:

فدعت بجريده رطبه فحسنتها ثمّ طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأه من الرجل، قال: قالت فاطمه: فاذا متّ فاغسلينى أنت و لا يدخلنّ

۱- (۱) - اى من نحول الجسم و الضعف كما صرّح به فى روايه اخرى، منه.

علیّ أحـد، فلما توفیت فاطمه جاءت عایشه تدخل علیها فقالت أسـماء: لا تدخل فکلّمت عایشه أبا بکر فقالت: إن هذه الخثعمیّه تحول بیننـا و بین ابنه رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و قـد جعلت لهـا مثـل هودج العروس، فقالت أسـماء: أمرتنی أن لا یدخل علیها أحد و أریتها هذا الذی صـنعت و هی حیّه فأمرتنی أن أصـنع لها ذلک فقال أبو بکر: اصنعی ما أمرتک، فانصرف و غسلها علیّ و أسماء.

و قیل: قالت فاطمه لأسـماء حین توضأت وضوءها للصـلاه: هاتی طیبی الذی أ تطیّب به، و هاتی ثیابی الّتی اصـلّی فیها، فتوضأت ثمّ وضعت رأسها فقالت لها:

اجلسـی عند رأسـی فاذا جاء وقت الصـلاه فأقیمینی فان قمت و إلاّ فأرسـلی إلی علیّ فلما جاء وقت الصـلاه قالت: الصلاه یا بنت رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، فاذا هی قد قبضت فجاء علیّ علیه السّـلام فقالت له: قد قبضت ابنه رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قال علیّ: متی؟ قالت: حین أرسـلت إلیک، قال: فأمر أسـماء فغسـلتها و أمر الحسن و الحسین یدخلان الماء، و دفنها لیلا و سوّی قبرها فعوتب علی ذلک فقال: بذلک أمرتنی.

و فی البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن ابن جبیر عن ابن عباس قال:

أوصت فاطمه علیها السلام أن لا یعلم إذا ماتت أبو بکر و لا عمر، و لا یصلّیا علیها قال: فدفنها علیّ لیلا و لم یعلمهما بذلک.

و عن الأصبغ بن نباته أنّه سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن دفنها لیلا، فقال:

إنّها کانت ساخطه علی قوم کرهت حضورهم جنازتها و حرام علی من یتولاّهم أن یصلّی علی أحد من ولدها.

و روی أنّه علیه السّلام سوّی قبرها مع الأرض مستویا و قالوا سوّی حوالیها قبورا مزوره مقدار سبعه حتّی لا یعرف قبر لها.

و روی انّه رشّ أربعین قبرا حتی لا یبین قبرها من غیره من القبور، فیصلّوا علیها.

و فی البحار وجدت فی بعض الکتب خبرا فی وفاتها علیها السلام فأحببت ایراده و إن لم آخذه من أصل یعوّل علیه.

روی ورقه بن عبد اللّه الازدی قال: خرجت حاجّا إلی بیت اللّه الحرام راجیا لثواب اللّه ربّ العالمین فبینما أنا أطوف و إذا أنا بجاریه سمراء ملیحه الوجه عذبه الکلام و هی تنادی بفصاحه منطقها و تقول:

اللهمّ ربّ الکعبه الحرام و الحفظه الکرام و زمزم و المقام و المشاعر العظام و ربّ محمّد خیر الأنام البرره الکرام أن تحشرنی مع ساداتی الطّاهرین و أبنائهم الغرّ المحجلین المیامین، ألا فاشهدوا یا جماعه الحجّاج و المعتمرین إنّ موالیّ خیره الأخیار و صفوه الأبرار الذین علا قدرهم علی الأقدار و ارتفع ذکرهم فی سایر الأمصار المرتدین بالفخار.

قال ورقه بن عبد اللّه فقلت: یا جاریه إنی لأظنک من موالی أهل البیت، فقالت أجل قلت: و من أنت من موالیهم؟ قالت: أنا فضّه أمه فاطمه الزّهراء ابنه محمّد المصطفی صلّی اللّه علیها و علی أبیها و بعلها و بنیها، فقلت لها: مرحبا بک و أهلا و سهلا فلقد کنت مشتاقا إلی کلامک و منطقک فارید منک الساعه أن تجیبنی من مسأله أسألک فاذا أنت فرغت من الطواف قفی لی عند سوق الطعام حتی آتیک و أنت مثابه مأجوره فافترقنا فی الطواف.

فلما فرغت من الطواف و أردت الرجوع إلی منزلی جعلت طریقی علی سوق الطعام و إذا بها جالسه فی معزل عن الناس، فأقبلت إلیها و اعتزلت بها و أهدیت إلیها هدیه و لم أعتقد أنها صدقه ثمّ قلت لها: یا فضّه أخبرینی عن مولاتک فاطمه الزّهراء علیها السلام و ما الذی رأیت منها عند وفاتها بعد موت أبیها محمّد صلّی اللّه علیه و آله سلّم.

قال ورقه: فلما سمعت کلامی تغرغرت عیناه بالدّموع ثمّ انتحبت نادبه و قالت: یا ورقه بن عبد اللّه هیّجت علیّ حزنا ساکنا و أشجانا فی فؤادی کانت کامنه فاسمع الان ما شاهدت منها.

اعلم أنه لما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم افتجع له الصغیر و الکبیر و کثر علیه البکاء و قلّ العزاء و عظم رزؤه علی الأقرباء و الأصحاب و الأولیاء و الأحباب و الغرباء و الأنساب، و لم تلق إلّا کلّ باک و باکیه و نادب و نادبه، و لم یکن فی أهل الأرض

و الأصحاب و الأقرباء أشدّ حزنا و أعظم بكاء و انتحابا من مولاتی فاطمه الزهراء، و کان حزنها یتجدّد و یزید، و بکاؤها یشتدّ فجلست سبعه أیام لا یهدی لها أنین و لا یسکن منها حنین، و کلّ یوم جاء کان بکاؤها أکثر من الیوم الأول.

فلما کان فی الیوم الثامن أبدت ما کتمت من الحزن فلم تطق صبرا إذ خرجت و صرخت فکأنها من فم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تنطق، فتبادرت النسوان و خرجت الولایید و الولدان، و ضجّ الناس بالبکاء و النحیب، و جاء الناس من کلّ مکان، و اطفیت المصابیح لکیلا تتبیّن صفحات النساء، و خیّل إلی النسوان أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد قام من قبره، و صار الناس فی دهشه و حیره لما قد رهقهم، و هی تنادی و تندب أباه وا أبتاه وا صفیّاه وا محمّداه وا أبا القاسماه و اربیع الأرامل و الیتامی اه من للقبله و المصلّی، و من لابنتک الوالهه الثکلی.

ثمّ أقبلت تعثر فی أذیالها و هی لا تبصر شیئا من عبرتها و من تواتر دمعتها حتی دنت من قبر أبیها محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلمّا نظرت إلی الحجره وقع طرفها علی المأذنه فقصر خطاها و دام نحیبها و بکاها إلی أن اغمی علیها، فتبادرت النسوان إلیها فنضحن الماء علیها و علی صدرها و جبینها حتّی أفاقت و هی تقول:

رفعت قوّتی، و خاننی جلدی، و شمت بی عدوّی، و الکمد قاتلی، یا أبتاه بقیت و الهه وحیده و حیرانه فریده فقد انخمد صوتی، و انقطع ظهری، و تنغّص عیشی، و تکدّر دهری، فما أجد یا أبتاه بعدک أنیسا لوحشتی، و لا رادا لدمعتی و لا معینا لضعفی، فقد فنی بعدک محکم التنزیل، و مهبط جبرئیل، و محلّ میکائیل انقلبت بعدک یا أبتاه الأسباب، و تغلّقت دونی الأبواب، فأنا للدّنیا بعدک قالیه، و علیک ما ترددت أنفاسی باکیه، لا ینفد شوقی إلیک، و لا حزنی علیک.

ثمّ نادت: یا أبتاه و الّباه ثمّ قالت:

إنّ حزنی علیک حزن جدید و فؤادی و اللّه صبّ عنید

کلّ یوم یزید فیه شجونی وا کتئا بی علیک لیس یبید

جلّ خطبی فبان عنّی عزائی فبکائی کلّ وقت جدید

إنّ قلبا عليك يألف صبرا أو عزاء فانّه لجليد

ثمّ نادت: يا أبتاه انقطعت بک الدّنيا بأنوارها، و زوت زهرتها و كانت ببهجتك زاهره فقد اسودّ نهارها، فكان يحكى حنادسها رطبها و يابسها، يا أبتاه لا زالت آسفه عليك إلى التّلاق، يا أبتاه زال غمصى منذ حقّ الفراق، يا أبتاه من للأرامل و المساكين، و من للأمّه إلى يوم الدّين، يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت النّاس عنّا معرضين، و لقد كنّا بک معظّمين فى النّاس غير مستضعفين فأىّ دمعه لفراقك لا تنهمل، و أىّ حزن بعدك عليك لا يتّصل، و أىّ جفن بعدك بالنّوم يكتحل، و أنت ربيع الدين، و نور النبيين، فكيف للجبال لا ـ تمور، و للبحار بعدك لا تغور، و الأرض كيف لم تتزلزل، رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، و لم يكن الرزيّه بالقليل، و طرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم، و بالفادح المهول، بكتک يا أبتاه الأملاـك، و وقفت الأفلاـك فمنبرك بعدك مستوحش، و محرابک خال من مناجاتک، و قبرك فرح بمواراتک، و الجنّه مشتاقه إليك و إلى دعائك و صلاتك، يا أبتاه ما أعظم ظلمه مجالسک، فوا أسفا عليك إلى أن أقدم عاجلا عليك و اثكل أبو الحسن المؤتمن أبو ولديك الحسن و الحسين و أخوك و وليك و حبيبك و من ربّيته صغيرا و آخيته كبيرا و أحلى أحبابك و أصحابك من كان منهم سابقا و مهاجرا و ناصرا، و الثكل شاملنا، و البكاء قاتلنا، و الأسى لازمنا.

ثمّ زفرت زفره و أنّت أنّه كادت روحها أن تخرج ثمّ قالت:

قلّ صبرى و بان عنّى عزائى بعد فقدى لخاتم الأنبياء

عين يا عين اسكبى الدّمع سحّا ويك لا تبخلى بفيض الدّماء

يا رسول الا له يا خيره اللّه و كهف الأيتام و الضّعفاء

قد بكتك الجبال و الوحش جمعا و الطير و الأرض بعد بكى السماء

و بكاك الحجون و الركن و المشعر يا سيدى مع البطحاء

و بكاك المحراب و الدّرس للقرآن فى الصّبح معلنا و المساء

و بكاك الاسلام اذ صار فى النّاس غريبا من ساير الغرباء

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه علاه الظلام بعد الضّياء

يا إلهى عجّل وفاتى سريعا قد نغصت الحياه يا مولائى

قالت: ثمّ رجعت إلى منزلها و أخذت بالبكاء و العويل ليلها و نهارها و هى لا ترقى دمعتها، و لا تهدى زفرتها.

و اجتمع شيوخ أهل المدينه و اقبلوا إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فقالوا له يا أبا الحسن إنّ فاطمه تبكى اللّيل و النّهار فلا أحد منّا يتهنأ بالنّوم فى اللّيل على فراشنا و لا بالنّهار قرار على أشغالنا و طلب معايشنا، و إنّا نخيّرك أن تسألها إمّا أن تبكى ليلا أو نهارا، فقال حبّا و كرامه.

فأقبل أمير المؤمنين حتّى دخل على فاطمه عليها السّلام و هى لا تفيق من البكاء، و لا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكتت هيمنه له فقال لها: يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ شيوخ المدينه يسألونى أن أسألك إمّا أن تبكين أباك ليلا و إمّا نهارا فقالت يا أبا الحسن ما أقلّ مكثى بينهم و ما أقرب مغيبتى من بين أظهرهم، فو اللّه لا أسكت ليلا و لا نهارا أو ألحق بأبى رسول اللّه، فقال لها علىّ: افعلى يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما بدا لك ثمّ إنّه عليه السّلام بنى لها بيتا فى البقيع نازحا من المدينه يسمّى بيت الأحزان و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين أمامها و خرجت إلى البقيع باكيه فلا تزال بين القبور باكيه، فاذا جاء اللّيل أقبل أمير المؤمنين إليها و ساقها بين يديه إلى منزلها.

و لم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعه و عشرون يوما و اعتلّت العلّه الّتى توفّيت فيها فبقيت إلى يوم الأربعين و قد صلّى أمير المؤمنين صلاه الظهر و أقبل يريد المنزل إذ استقبلته الجوارى باكيات حزينات فقال لهنّ: ما الخبر و ما لى أراكنّ متغيّرات الوجوه و الصّور، فقلن: يا أمير المؤمنين أدرك ابنه عمك الزّهراء و ما نظنّك تدركها.

فأقبل أمير المؤمنين مسرعا حتّى دخل عليها و إذا بها ملقاه على فراشها و هو

من قباطی مصر و هی تقبض یمینا و تمدّ شمالا، فألقی الرّداء عن عاتقه و العمامه عن رأسه و حل أزراره.

و أقبل حتّی أخذ رأسها و ترکه فی حجره و ناداها: یا زهراء، فلم تکلّمه، فنادها: یا بنت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلم تکلّمه، فناداها: یا بنت من حمل الزّکاه فی أطراف ردائه و بذلها علی الفقراء، فلم تکلّمه، فناداها: یا ابنه من صلّی بالملائکه فی السّماء مثنی مثنی، فلم تکلّمه فناداها: یا فاطمه کلّمینی فأنا ابن عمّک علیّ ابن أبی طالب.

قالت: ففتحت عینیها فی وجهه و نظرت إلیه و بکت و بکی، و قال: ما الّذی تجدینه فأنا ابن عمّک علیّ بن أبی طالب، فقالت: یا ابن العمّ إنّی أجد الموت الذی لا بدّ منه و لا محیص عنه و أنا أعلم أنّک بعدی لا تصبر علی قلّه التزویج، فان أنت تزوّجت امرأه اجعل لها یوما و لیله و اجعل لأولادی یوما و لیله، و لا تصح فی وجوههما فیصبحان یتیمین غریبین منکسرین فانّهما بالأمس فقد اجدّهما: و الیوم یفقدان امّهما، فالویل لامه تقتلهما و تبغضهما ثمّ أنشأت تقول:

ابکنی إن بکیت یا خیر هادی و اسبل الدّمع فهو یوم الفراق

یا قرین البتول اوصیک بالنّسل فقد أصبحا حلیف الاشتیاق

ابکنی و ابک للیتامی و لا تنس قتیل العدی بطفّ العراق

فارقوا فاصبحوا یتامی حیاری یخلف اللّه فهو یوم الفراق

قالت فقال علیّ: من أین لک یا بنت رسول اللّه هذا الخبر و الوحی قد انقطع عنّا؟ فقالت: یا أبا الحسن رقدت السّاعه فرأیت حبیبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی قصر من الدّرّ الأبیض فلمّا رآنی قال: هلمّی إلیّ یا بنیّه فانّی إلیک مشتاق، فقلت:

و اللّه إنّی لأشدّ شوقا منک إلی لقائک، فقال: أنت اللّیله عندی و هو الصّادق لما وعد و الموفی لما عاهد فاذا أنت قرأت یس فاعلم أنّی قد قضیت نحبی، فغسّلنی و لا تکشف عنّی فانّی طاهره مطهّره، و لیصلّ علیّ معک من أهلی الأدنی فالأدنی و من رزق اجری و ادفنّی لیلا فی قبری، بهذا أخبرنی حبیبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

فقال علیّ علیه السّلام و اللّه لقد أخذت فی أمرها و غسلتها فی قمیصها و لم اکشفه عنها فو اللّه لقد کانت میمونه طاهره مطهّره، ثمّ حنّطتها من فضله حنوط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کفنتها و أدرجتها فی أکفانها.

فلمّا هممت أن أعقد الرّداء نادیت یا امّ کلثوم یا زینب یا سکینه یا فضّه یا حسن یا حسین هلمّوا تزوّدوا من امّکم فهذا الفراق و اللّقاء فی الجنّه، فأقبل الحسن و الحسین و هما ینادیان وا حسرتاه لا ننطفی أبدا من فقد جدّنا محمّد المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و امّنا فاطمه الزّهراء، یا امّ الحسن یا امّ الحسین إذا لقیت جدّنا محمّد المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاقرئیه منّا السّلام و قولی له: إنّا قد بقینا بعدک یتیمین فی دار الدّنیا.

فقال أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام: إنی اشهد اللّه أنّها قد حنّت و أنّت و مدّت یدیها و ضمّتهما إلی صدرها ملیا و إذا بهاتف من السماء ینادی یا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبکیا و اللّه ملائکه السماوات، فقد اشتاق الحبیب إلی المحبوب.

قال: فرفعتهما من صدرها و جعلت أعقد الرداء و أنا انشد بهذه الأبیات:

فراقک أعظم الأشیاء عندی و فقدک فاطم أدهی الثکول

سأبکی حسره و أنوح شجوا علی خلّ مضی أسنا سبیل

ثمّ حملها علی یده و أقبل بها إلی قبر أبیها و نادی:

السلام علیک یا رسول اللّه، السلام علیک یا حبیب اللّه، السلام علیک یا نور اللّه السلام علیک یا صفوه اللّه منّی السلام علیک و التحیه منّی واصله إلیک و لدیک، و من ابنتک النازله علیک بفنائک، و إنّ الودیعه قد استردّت، و الرهینه قد اخذت، فوا حزناه علی الرّسول، ثمّ من بعده علی البتول، و لقد اسودّت علیّ الغبراء، و بعدت عنّی الخضراء، فوا حزناه ثمّ وا أسفاه.

ثمّ عدل بها علی الرّوضه فصلّی علیها فی أهله و أصحابه و موالیه و أحبّائه و طائفه من المهاجرین و الأنصار، فلما واراها و ألحدها فی لحدها أنشأ بهذه الأبیات یقوله:

أری علل الدّنیا علیّ کثیره و صاحبها حتی الممات علیل

لکل اجتماع من خلیلین فرقه و إنّ بقائی عندکم لقلیل

و انّ افتقادی فاطما بعد أحمد دلیل علی أن لا یدوم خلیل

أقول: و فی الدّیوان المنسوب إلیه علیه الصلاه و السلام أنه أنشد عند وفاه فاطمه صلوات اللّه و سلامه علیها بهذه الأبیات:

ألا هل إلی طول الحیات سبیل و أنّی و هذا الموت لیس یحول

و إنّی و إن أصبحت بالموت موقنا فلا أمل من دون ذاک طویل

و للدّهر ألوان تروح و تغتدی و إنّ نفوسا بینهنّ تسیل

و منزل حقّ لا معرّج دونه لکلّ امرء منها إلیه سبیل

قطعت بأیّام التعزّز ذکره و کلّ عزیز ما هناک ذلیل

أری علل الدّنیا علیّ کثیره و صاحبها حتّی الممات علیل

و انّی لمشتاق إلی من أحبّه فهل لی إلی من قد هویت سبیل

و انّی و إن شطت بی الدّهر نازحا و قد مات قبلی بالفراق جمیل

فقد قال فی الأمثال فی البین قائل أضرّ به یوم الفراق رحیل

لکلّ اجتماع من خلیلین فرقه و کلّ الذی دون الفراق قلیل

و انّ افتقادی فاطما بعد أحمد دلیل علی أن لا یدوم خلیل

و کیف هناک العیش من بعد فقدهم لعمرک شیء ما إلیه سبیل

سیعرض عن ذکری و تنسی مودّتی و یظهر بعدی للخلیل عدیل

و لیس خلیلی بالملول و لا الذی إذا غبت یرضاه سوای بدیل

و لکن خلیلی من یدوم وصاله و یحفظ سرّی قلبه و دخیل

إذا انقطعت یوما من العیش مدّتی فانّ بکاء الباکیات قلیل

يريد الفتى أن لا يموت حبيبه و ليس إلى ما يبتغيه سبيل

و ليس جليلا رزء مال و فقده و لكنّ رزء الأكرمين جليل

ص:۲۹

لذلک جنبی لا یواتیه مضجع و فی القلب من حرّ الفراق غلیل(۱)

خاتمه

نذکر فیها بعض الأخبار الوارده فی کیفیّه مجیئها سلام اللّه علیها إلی المحشر و تظلّمها یوم القیامه و عقاب ظالمیها.

و إنّما أوردت هذه الأخبار لأنّ الأخبار السّالفه المتضمّنه لما جری علیها بعد وفاه أبیها سلام اللّه علیه و علیها من البغی و العدوان و الظلم و الطغیان لا سیّما ما تضـمّنت أنینها و حنینها و بکائها و مظلومیّتها و وحدتها و غربتها حاله وفاتها، قد ملأت قلبی قیحا و شحنت صدری قرحه، و جرّعتنی نعب التّهمام أنفاسا، فسرت عند روایتها لا أضبط دمعتی، و لا أملک کمدی و لوعتی، و کانت الدّمعات من عظم مصیبتها جاریه، و حرقات القلب مشتعله.

فأحببت ایراد هـذه الأخبـار تسـلیه لبعض همومی و هموم سـایر الموالین، لعن اللّه ظالمیها و ظالمی بعلها و بنیها فلقـد أوغلوا فی العـداوه و الطغیان، و بالغوا فی التعـدیه و العدوان، و شـمّروا فی استیصال أهل البیت الشّـریف بالفعل و اللّسان، و أبانوا عن دناءه أصلهم بقبح فعلهم و فعل الأعوان، و رکبوا مرکبا وعرا أجابوا فیه دعوه ولیّهم الشّیطان.

فلیتهم أخزاهم اللّه إذ لم یکفّوا عن غصب فـدک و الخلافه، کفّوا عن إحراق بـاب بیت العصـمه و الطهاره، و لیتهم قنعوا بتلبیب سیّد الأولیاء، و أمسکوا عن ضرب السّوط و اسقاط جنین سیّده النساء.

نعم نسبهم الخبیث و أصلهم الدنیّ قد نفی عنهم الغیره و المروّه و أقامهم علی

۱- (۱) - قوله (علیه السلام): و أنی، اسم استفهام خبره محـذوف أی کیف سبیـل إلی طول الحیاه و منزل عطف علی ألوان، و المعرج محـل الاقامه، و شـطت الـدار و نزحت بعـدت و الباء للتعـدیه و التضـریب مبالغه فی الضـرب، و البین الفراق أی أضـرب المثل الـذی قاله القائل فی یوم الفراق الذی هو رحیل، و المثل قوله: لکلّ اجتماع، و فاطم مرخم فاطمه، و البدیل البدل، و دخیل الرجل الذی یداخل فی اموره و یختصّ به، لا یواتیه ای لا یوافقه و الغلیل العطش منه «منه».

دعوی الجاهلیّه لأنّ الاناء ینضح بما فیه، و الولد سرّ أبیه.

روی فی البحار من تفسیر العیّاشی عن أبی بصیر قال: یؤتی بجهنم لها سبعه أبواب: الأوّل للظالم و هو زریق، و بابها الثّانی لحبتر، و البـاب الثالث للثالث و الباب الرّابع لمعاویه، و الباب الخامس لعبـد الملک، و الباب السّادس لعسکر بن هوسر، و الباب السابع لأبی سلامه، فهم أبواب لمن اتّبعهم.

قال المحدّث العلامه المجلسی: عسکر اسم جمل عایشه فیکون کنایه عن عایشه و صاحبیها، و یحتمل کنایه عن بعض ولاه بنی امیّه کأبی سلامه، و یحتمل أن یکون أبو سلامه کنایه عن أبی مسلم إشاره إلی من سلّطهم من بنی العبّاس.

و من العیّاشی عن أبی بصیر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه إذا کان یوم القیامه یؤتی بابلیس فی سبعین غلا و سبعین کبلا(۱) ، فینظر الأوّل إلی زفر فی عشرین و مأئه کبل و عشرین و مأئه غلّ فینظر إبلیس فیقول: من هـذا الـذی أضـعفه اللّه العـذاب و أنا أغویت هذا و الخلق جمیعا؟ فیقال: هذا زفر، فیقول: بما جدّد له هذا العذب؟ فیقال: ببغیه علی علیّ علیه السّلام فیقول له إبلیس: ویل لک و ثبور لک أما علمت أنّ اللّه أمرنی بالسجود لادم فعصیته و سألته أن یجعل لی سلطانا علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام و شیعته فلم یجبنی إلی ذلک، و قال «إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِینَ » و ما عرفتهم حین استثناهم إذ قلت «وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ » فمنیت به نفسک غرورا.

فیوقف بین یدی الخلایق فیقال له: ما الذی کان منک إلی علیّ و إلی الخلق الذین اتّبعوک علی الخلاف؟ فیقول الشّیطان و هو زفر لابلیس: أنت أمرتنی بـذلک فیقول له إبلیس: فلم عصیت ربّک و أطعتنی؟ فیردّ علیه زفر ما قال اللّه «إِنَّ اللّهَ وَعَدَکُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُکُمْ فَأَخْلَفْتُکُمْ وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطانٍ » إلی آخر الایه.

قال العلاّمه المجلسیّ «قد»: قوله علیه السّلام: فیردّ زفر علیه ظاهر السیاق أن یکون قوله: انّ اللّه وعدکم، کلام إبلیس فیکون کلام زفر ما ذکر

۱- (۱) - الکبل القید الضخم یقال کبلت الاسیر و کبلته اذا قیدته فهو مکبول و مکبل، الصحاح

قبل تلك الايه من قوله «إِنّا كُنّا لَكَمْ تَبَعاً » و ترک اختصارا.

و من کتاب سلیم بن قیس الهلالی عن أبان بن أبی عیّاش عن سلیم قال:

سمعت سلمان الفارسی یقول: إذا کان یوم القیامه یؤتی إبلیس مزموما بزمام من نار و یؤتی بزفر مزموما بزمامین من نار، فینطلق إلیه إبلیس فیصرخ و یقول: ثکلتک امّک من أنت أنا الذی فتنت الأوّلین و الاخرین و أنا مزموم بزمام واحد و أنت مزموم بزمامین، فیقول: أنا الذی امرت فاطعت و أمر اللّه فعصی.

و فی عقاب الأعمال عن حنان بن سدیر قال: حدثنی رجل من أصحاب أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: إنّ أشدّ النّاس عذابا یوم القیامه لسبعه نفر:

أوّلهم ابن آدم الذی قتل أخاه، و نمرود الذی حاجّ إبراهیم فی ربّه، و اثنان فی بنی إسرائیل هوّدا قومهما و نصّراهما، و فرعون الذی قال: أنا ربّکم الأعلی، و اثنان من هذه الامّه أحدهما شرّهما فی تابوت من قواریر تحت الفلق فی بحار من نار.

و فیه عن أبی الجارود قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام «أخبرنی ظ» بأوّل من یدخل النّار قال: إبلیس، و رجل عن یمینه، و رجل عن یساره.

و فیه عن إسحاق بن عمّار الصّیرفی عن أبی الحسن الماضی علیه السّلام قال: قلت جعلت فداک حدّثنی فیهما بحدیث فقد سمعت عن أبیک فیهما أحادیث عدّه، قال فقال لی: یا إسحاق الأوّل بمنزله العجل، و الثّانی بمنزله السّامری.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال: هما و اللّه هوّدا و نصّرا و مجّسا فلا غفر اللّه ذلک لهما.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال، ثلاثه لا ینظر اللّه إلیهم و لا یزکّیهم و لهم عذاب ألیم، قال: قلت: جعلت فداک فمن هم؟ قال رجل ادّعی إماما من غیر اللّه، و آخر طغی فی إمام من اللّه، و آخر زعم أنّ لهما نصیبا فی الاسلام.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال: ما ابالی یا إسحاق محوت المحکم من کتاب، أو جحدت محمّدا النّبوه، أو زعمت أن لیس فی السّماء إلها، أو

ص:۳۲

تقدّمت على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال: قلت: جعلت فداک زدنى، قال عليه السّلام: إنّ فى النّار لواديا يقال له:

محيط لو طلع منها شراره لأحرق من على وجه الأرض و إنّ أهل النّار يتعوّذون أهل ذلک الوادى من حرّ ذلک الجبل و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلک الجبل لشعبا يتعوّذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک الشّعب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و إنّ فى ذلک الشّعب لقليبا يتعوّذ «أهل ظ» ذلک الشّعب من حرّ ذلک القليب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و إنّ فى ذلک القليب لحيّه يتعوّذ جميع أهل ذلک القليب من خبث تلک الحيّه و نتنها و قذرها و ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ فى أنيابها من السمّ لأهلها، و إنّ فى جوف تلک الحيّه لسبع صناديق فيها خمسه من الامم السّالفه و اثنان من هذه الامّه.

قال: قلت: جعلت فداک و من الخمسه؟ و من الاثنان؟ قال: أمّا الخمسه فقابيل الّذى قتل هابيل، و نمرود الّذى حاجّ إبراهيم فى ربّه قال أنا احيى و اميت و فرعون الذى قال أنا ربّكم الأعلى، و يهود الذى هوّد اليهود، و يولس الّذى نصّر النّصارى، و من هذه الامه الأعرابيان.

أقول: الأعرابيان أبو بكر و عمر عبّر عنهما بذلک إشاره إلى كفرهما كما قال تعالى: «اَلْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً».

و فيه عن أبى خديجه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يؤتى يوم القيامه بابليس مع مضلّ هذه الامّه فى زمامين غلظهما مثل جبل أحد، فيسحبان على وجوههما فيسدّ بهما باب من أبواب النّار.

و فيه عن شريک يرفعه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إذا كان يوم القيامه جاءت فاطمه فى لمه(۱) من نسائها فيقال لها: ادخلى الجنّه، فتقول: لا أدخل حتّى أعلم ما صنع بولدى من بعدى، فيقال لها: انظرى فى قلب القيامه، فتنظر إلى الحسين عليه السّلام قائما و ليس عليه رأس فتصرخ صرخه و أصرخ لصراخها و تصرخ الملائكه

۱- (۱) - لمه بضم اللام و فتح الميم المخففه الجماعه (منه)

لصراخنا، فيغضب اللّه لنا عند ذلك فيأمر نارا يقال لها هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت لا يدخلها روح أبدا و لا يخرج منها غمّ أبدا، فيقال لها: التقطى قتله الحسين و حمله القرآن(۱) ، فتلقطهم فاذا صاروا فى حوصلتها صهلت و صهلوا بها و شهقت و شهقوا بها و زفرت و زفروا بها، فينطقون بألسنه زلقه طلقه: يا ربّنا بما أوجبت النّار لنا قبل عبده الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن اللّه عزّ و جلّ إنّ من علم ليس كمن لا يعلم.

و فيه عن محمّد بن سنان عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا كان يوم القيامه نصب لفاطمه قبّه من نور و أقبل الحسين عليه السّلام رأسه على يده، فاذا رأته شهقت شهقه لا يبقى فى الجمع ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا عبد مؤمن إلاّ بكى لها، فيمثل اللّه عزّ و جلّ رجلا لها فى أحسن صوره و هو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع اللّه قتلته و المجهّزين عليه و من شرك فى قتله فيقتلهم حتّى اتى على آخرهم، ثمّ ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السّلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السّلام، ثمّ ينشرون فلا يبقى من ذرّيتنا أحد إلاّ فيقتلهم قتله، فعند ذلك يكشف اللّه الغيظ و ينسى الحزن، ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام رحم اللّه شيعتنا، شيعتنا و اللّه هم المؤمنون فقد و اللّه شركونا فى المصيبه بطول الحزن و الحسره.

و فى البحار من مجالس الشيخ عن أبان بن عثمان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إذا كان يوم القيامه جمع اللّه الأوّلين و الاخرين فى صعيد واحد فينادى مناد:

غضّوا أبصاركم و نكسّوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصّراط.

قال: فتغضّ الخلايق أبصارهم فتأتى فاطمه سلام اللّه عليها على نجيب من نجب الجنّه يشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفا شريفا من مواقف القيامه، ثمّ تنزل من نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علىّ عليهما الصّلاه و السّلام بيدها مضمخا بدمه، و تقول: يا ربّ هذا قميص ولدى الحسين و قد علمت ما صنع به، فيأتيها النّداء من قبل اللّه عزّ و جلّ: يا فاطمه لک عندى الرّضا، فتقول: يا ربّ انتصر لى

۱- (۱) – المراد بحمله القرآن الذين ضيّعوه و حرقوه (منه) أقول تفسير حمله القرآن على الذين ضيوه و حرقوه عجيب بل الظاهر أن المراد: التقطى قتله الحسين و قتله حمله القرآن. المصحح.

عن قاتله، فيأمر اللّه تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنّم، فتلتقط قتله الحسين بن علىّ صلوات اللّه و سلامه عليهما كما يلتقط الطّير الحبّ، ثمّ يعود العنق بهم إلى النّار، فيعذّبون فيها بأنواع العذاب.

ثمّ تركب فاطمه سلام اللّه عليها نجيبها حتّى تدخل الجنّه و معها الملائكه المشيّعون لها و ذرّيتها بين يديها و أولياؤهم من النّاس عن يمينها و شمالها.

أقول: و لقد أجاد من قال مضمنا لمضمون هذه الأخبار:

كأنّنى بالبتول الطّهر واقفه فى الحشر تشكو إلى الرّحمن باريها

تأتى و قد ضمخت ثوب الحسين دما فيض النحور البحارى ويل مجريها

تدعو ألا أين مسمومى و يا أسفا على ذبيحى و اسرى من ذراريها

تقول و احزنى بل آه وا حسنى هذا حسينى قتيل فى فيا فيها

هذا حسينى رضيض الجسم منجدلا تسفى على جسمه العارى سوا فيها

آه على جثث بالطف قد قطعت رؤوسها و هجير السّيف يصليها

آه على جثث فيها القنى لعبت و اركضت ماضيات فى تراقيها

يا فتيه ذبحت فى كربلا و ثوت على الوجوه عرايا فى صحاريها

بنتم فبان لكم سلوان فاطمه و لا عج الوجد بالوجدان يشجيها

ألا لعنه اللّه على القوم الظالمين، و سيعلم الذين ظلموا آل محمّد صلى اللّه عليه و عليهم حقّهم أىّ منقلب ينقلبون.

تكمله

قد أشرنا إلى أنّ هذا الكلام مروىّ فى عدّه من اصول معتمده على اختلاف و زياده أحببت روايه ما فيها على مجرى عادتنا فأقول:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينى عن أحمد بن مهران و عن أحمد بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار الشّيبانى قال: حدّثنى القاسم بن محمّد الرّازى قال:

حدّثنى علىّ بن محمّد الهرمزانى عن أبى عبد اللّه الحسين بن علىّ عليهما السّلام قال:

لمّا قبضت فاطمه سلام اللّه عليها دفنها أمير المؤمنين عليه السّلام سرّا و عفى على موضع

ص:۳۵

قبر ها ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

السّلام عليك يا رسول اللّه عنّى و السلام عليك عن ابنتك و زائرتك و البائته فى الثّرى ببقعتك، و المختار اللّه لها سرعه اللّحاق بك، قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، و عفى عن سيّده نساء العالمين تجلّدى، إلّا أنّ فى التّأسّي لى بسنّتك فى فرقتك موضع تعزّ فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت نفسك بين نحرى و صدرى، بلى و فى كتاب اللّه لى انعم القبول إنّا للّه و إنّا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعه و اخذت الرّهينه، و اخلست «اختلست» الزّهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول اللّه أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهّد، و همّ لا يبرح من قلبى أو يختار اللّه لى دارك الّتى أنت فيها مقيم، كمد مقيّح، و همّ مهيّج، سرعان ما فرق بيننا، و الى اللّه أشكو، و ستنبئك ابنتك بتظافر امّتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا و ستقول و يحكم اللّه و هو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال و لا سئم فان أنصرف فلا عن ملاله، و ان اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين واه واها و الصبر أيمن و أجمل، و لو لا غلبه المستولين لجعلت المقام و اللّبث لزاما معكوفا، و لأعولت إعوال الثكلى على جليل الرّزيه، فبعين اللّه تدفن ابنتك سرّا و تهضم حقّها و تمنع إرثها، و لم يتباعد العهد و لم يخلق منك الذكر، و إلى اللّه يا رسول اللّه المشتكى، و فيك يا رسول اللّه أحسن العزاء، صلّى اللّه عليك، و عليها السلام و الرّضوان.

بيان

«العفو» المحو و الانمحاء و «المختار اللّه» من إضافه الصفه إلى فاعلها و «سرعه اللّحاق» مفعوله أى التى اختار اللّه لها سرعه لحاقها بك.

قوله «و فى كتاب اللّه لى أنعم القبول» أى فيه ما يصير سببا لقبول المصائب أحسن القبول و أطيبه و «أخلسته» و اختلسته استلبته، و الخلسه ما يؤخذ سلبا و مكابره.

قوله «و كمد مقيّح» الكمد محرّكه و بالفتح الحزن الشّديد و مرض القلب

و المقيّح بتشديد الياء من القيح أى حزنى حزن شديد يورث فى القلب قيحا و «سرعان» اسم فعل مبنىّ على الفتح بمعنى سرع و قرب مع تعجّب أى ما أسرع ما فرق و «ما» كنايه عن الموت و «ستنبئك» من باب الافعال و التّفعيل من النبأ و هو الخبر و «الغليل» حراره الجوف و «اعتلجت» الأمواج التطمت.

و قوله «سلام مودّع» منصوب على المصدر محذوف العامل مطردا و قوله «واه واها» و فى بعض النّسخ واها واها يقال: واها لك و يترك تنوينه كلمه تعجّب من طيب شيء و كلمه ملهف و التكرير للتّأكيد كما قال الشّاعر:

واها لريّا ثمّ واها واها هى المنا لو أنّنا نلناها

و «معكوفا» أى محبوسا و «العويل» رفع الصّوت بالبكاء و الصّياح و قوله «فبعين اللّه» آه أى تدفن ابنتك سرّا بحفظ اللّه أو بحضوره و شهوده «و لم يخلق» من الخلق و هو البالى أى لم يبل و لم يندرس ذكرك و قوله «و فيك» أى فى اطاعه أمرك «أحسن العزاء» و فى البحار من المجالس و أمالى المفيد عن الصّدوق عن أبيه عن أحمد ابن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار عن القاسم بن محمّد الرّازى عن علىّ بن محمّد الهروى عن علىّ بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السّلام قال:

لمّا مرضت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصّت إلى علىّ بن أبى طالب أن يكتم أمرها و يخفى خبرها و لا يؤذن أحدا بمرضها، ففعل ذلك و كان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصّت به.

فلمّا حضرتها الوفاه وصّت أمير المؤمنين عليه السّلام أن يتولّى أمرها و يدفنها ليلا و يعفى قبرها. فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام و دفنها و عفى موضع قبرها، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خدّيه و حوّل وجهه إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

السلام عليك يا رسول اللّه، السلام عليك من ابنتك و حبيبتك و قرّه عينك و زائرتك و البائته فى الثرى ببقيعك، المختار اللّه لها سرعه اللحاق بك، قلّ يا

رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، و ضعف عن سيده النساء تجلّدى، إلاّ أنّ فى التأسّى لى بسنتك و الحزن الذى حلّ بى لفراقك موضع التعزّى، و لقد وسّدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدرى، و غمضتك بيدى، و تولّيت أمرك بنفسى نعم و فى كتاب اللّه أنعم القبول إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، و أخذت الرّهينه، و اختلست الزّهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول اللّه أما حزنى فسرمد، و أما ليلى فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبى أو يختار اللّه لى دارك التى فيها أنت مقيم، كمد مقيّح، و حزن مهيّج، سرعان ما فرّق اللّه بيننا، و إلى اللّه أشكو، و ستنبئك ابنتك بتظاهر امتك علىّ و على هضمها حقّها فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا، و ستقول و يحكم اللّه و هو خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول اللّه سلام مودّع، لا سام و لا قال، فان أنصرف فلا عن ملاله و إن اقم فلا عن سوء ظنى بما وعد اللّه الصابرين، الصبر أيمن و أجمل و لو لا غلبه المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاما، و التلبّث عنده معكوفا و لأعولت إعوال الثكلى على جليل الرّزيه، فبعين اللّه تدفن بنتك سرّا، و يهتضم حقها قهرا و يمنع إرثها جهرا و لم يطل العهد و لم يخلق منك الذكر، فالى اللّه يا رسول اللّه المشتكى، و فيك أجمل العزاء فصلوات اللّه عليها و عليك و رحمه اللّه و بركاته.

و رواه فى كشف الغمه مثل ما رواه السيّد فى المتن إلى قوله: بما وعد اللّه الصابرين، ثمّ قال: و فى روايه اخرى زياده على قول علىّ عليه السّلام عند موتها:

أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسهّد، و لا نبرح أو يختار اللّه لى دارك التى أنت فيها مقيم، سرعان ما فرّق بيننا، و إلى اللّه أشكو، و ستنبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها حقّها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا، فستقول و يحكم اللّه و هو خير الحاكمين، و السلام عليكما سلام مودّع، لا قال و لا سئم، فان أنصرف فلا عن ملاله، و إن اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين، فالصبر أيمن و أجمل، فبعين اللّه تدفن ابنتك صبرا، و تهتضم

حقّها، و تمنع إرثها، و لم يبعد العهد، فالى اللّه المشتكى يا رسول اللّه و فيك يا رسول اللّه أحسن العزاء صلوات اللّه عليك و عليها معك.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن امام است که روایت کرده اند از او که گفته این کلام را در وقت دفن کردن حضرت سیّدهٔ زنان فاطمهٔ زهرا سلام اللّه علیها گویا مناجات می نمود با این کلام با حضرت رسالتماب صلوات اللّه علیه و آله و عرض می نمود:

السّلام علیك یا رسول اللّه سلام باد بر تو أی پیغمبر خدا أز طرف من و از طرف دخترت که نازل شد در همسایگی تو، و زود لاحق شد بتو، کم شد یا رسول اللّه از دختر پسندیدهٔ تو صبر من، و ضعیف شد از فراق او تحمّل و قوّت من، لکن مراست در پیروی نمودن جدائی بزرگ تو و مصیبت سنگین تو محلّ تسلی، پس بتحقیق خواباندم ترا در قبر لحد دار تو، و سیلان نمود میان گلو و سینه من روح تو.

و إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، پس بتحقیق که باز یافت شد أمانت، و پس گرفته شد گرو - کنایه است از حضرت فاطمه که بمنزله أمانت و رهن بود در نزد شوهرش -.

أمّا حزن و اندوه من پس همیشگی است، و أمّا شب من پس بی خوابیست تا آنکه اختیار نماید خدای تعالی از برای من خانهٔ را که تو در آنجا اقامت کردهٔ و بزودی خبر می دهد ترا دختر تو باجتماع امّت ستمکار تو بر ظلم و ستم آن مظلومه پس درست سؤال کن از آن، و بپرس از آن حال من و او را.

بود این ظلم ظالمان در حالتی که عهد ایشان با تو طول نیافته بود، و ذکر خیر تو از زبان خلق نرفته بود، و سلام باد بر تو یا رسول اللّه و بر دختر تو، مانند سلام وداع کنندهٔ مهربان که صاحب خشم و ملال نباشد أز صحبت شما، پس اگر مراجعت نمایم از نزد شما نه از جهت ملالست، و اگر اقامت کنم در نزد قبر شمانه از جهت سوء ظنّ و بدگمانیست به آن چه که وعده فرموده است خداوند تبارك و تعالی در حق صبر کنندگان.

و من كلام له عليه السّلام و هو

اشاره

المأتان و الثانى من المختار

فى باب الخطب

و رواه فى الارشاد و فى البحار من أمالى الصّدوق بتفاوت يسير مع زياده حسبما تعرفه فى التكمله الاتيه إنشاء اللّه.

أيّها النّاس إنّما الدّنيا دار مجاز، و الاخره دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و لغيرها خلقتم، إنّ المرء إذا هلك قال النّاس ما ترك، و قالت الملائكه ما قدّم، للّه آباءكم فقدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلاّ فيكون عليكم.

اللغه

(المجاز) مصدر ميميّ من جاز المكان يجوزه جوزا و جوازا إذا سار فيه و عبره و (القرار) اسم من قرّ الشيء قرّا من باب ضرب استقرّ بالمكان و (لا تخلّفوا كلاّ) مضارع خلّف الرّجل الشيء بالتّشديد تركه بعده.

الاعراب

من فى قوله: من ممرّكم نشويه و قوله: للّه آباءكم، جمله اسميّه تستعمل فى مقام التعجّب و الاستعظام كقولهم: للّه أبوك و للّه درّك و تسمّى هذه اللاّم بلام التّعجب.

ص:۴۰

قال نجم الأئمّه: أمّا معنى قولهم: للّه درّك، فالدّر فى الأصل ما يدرّ أى ينزل من الضّرع من اللبن و من الغيم من المطر، و هو ههنا كنايه عن فعل الممدوح الصّادر عنه، و إنّما نسب فعله إليه تعالى قصدا للتّعجب، لأنّ اللّه منشىء العجائب، فكلّ شىء عظيم يريدون التعجّب منه ينسبون إليه تعالى و يضيفونه نحو قولهم: للّه أبوك و للّه أنت فمعنى للّه درّه ما أعجب فعله، و قد تقدّم مزيد تفصيل فيه فى شرح المختار المأه و التّاسع و السبعين

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام التّنفير من الدّنيا و الترغيب فى الاخره و الأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد و بالاستعداد للموت قبل حلول الفوت، و صدّر الكلام بحرف النّداء و التنبيه ايقاظا للمخاطبين من نوم الغفله فقال:

(أيّها النّاس إنّما الدّنيا دار مجاز و الاخره دار قرار) يعنى أنّ الاولى دار عبور و الاخرى دار استقرار، و الاتيان بكلمه إنّما المفيده للحصر تأكيدا للغرض المسوق له الكلام، و تنبيها على أنّ وجود الدّنيا نفس حدوثها و بقاءها عين زوالها، فلا صلاحيّه لها إلاّ لأن تكون مجازا و معبرا بمنزله قنطره يتجاوز منها إلى المقرّ و المأوى، فمن نوى البقاء فيها و القرار فقد جهل و ضلّ و خبط خبطا عظيما و خسر خسرانا مبينا، و إذا كان شأنها ذلك:

(فخذوا من ممرّكم لمقرّكم) أى خذوا فى الدّنيا من الخيرات و الحسنات و الباقيات الصّالحات الّتى هى زاد الاخره، لتنالوا بها حسن الثواب فيها و تحصّلوا النّعمه الدّائمه.

(و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم) أى لا تجاهروا بالمعصيه و العدوان عند من لا يخفى عليه شىء من السّرّ و الاعلان، بل يعلم ما أنتم مقترفون فى ليلكم و نهاركم، لطف به خبرا و أحاط به علما، أعضاؤكم شهوده، و الحفظه جنوده، و ضمائركم عيونه، و خلواتكم عيانه كما قال عزّ من قائل «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ».

(و اخرجوا من الـدّنيا قلوبكم من قبـل أن يخرج منها أبـدانكم) و هو أمر بالزهـد فى الـدّنيا و الاعراض عنها و حـذف محبّتها عن ساحه القلب و الاستعداد للموت قبل حلوله، لأنّ من كانت الدّنيا همّته و أشرب محبّتها قلبه اشتدّت عند مفارقتها حسرته.

روى فى البحـار من الأمـالى قـال: قيـل لأمير المؤمنين عليه السّـلام ما الاسـتعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض و اجتناب المحارم و الاشـتمال على المكـارم ثمّ لاـ يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، و اللّه ما يبالى ابن أبى طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

و فيه من الخصال و معانى الأخبار بسنده عن عبد اللّه بن بكر المرادى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن علىّ بن الحسين عليهم السّـلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّـلام ذات يوم جالس مع أصـحابه يعبيهم للحرب إذ أتاه شيخ عليه شجّه السّفر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل: هو ذا، فسـلّم ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إنّى أتيتك من ناحيه الشّام و أنا شـيخ كبير قد سـمعت فيك من الفضل ما لا احصى، و أنّى أظنّك ستقتال فعلّمنى ممّا علّمك اللّه.

قال: نعم يا شـيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون، و من كانت الدّنيا همّته اشـتدّت حسرته عند فراقها، و من كانت غده شرّ يوميه فهو محروم، و ساق الرّوايه إلى أن قال:

فقـال: يا شـيخ إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق خلقا ضـيّق الـدّنيا عليهم نظرا لهم فزهـدهم فيها و فى حطامها، فرغبوا فى دار السـلام الـذى دعـاهم إليه و صـبروا على ضـيق المعيشه و صـبروا على المكروه و اشـتاقوا إلى مـا عنـد اللّه من الكرامه، و بـذلوا أنفسـهم ابتغـاء رضـوان اللّه و كـانت خـاتمه أعمـالهم الشّـهاده، فلقـوا اللّه و هو عنهم راض و علموا أنّ الموت سبيـل من مضـى و بقى فـتزوّدوا لاـخرتهم غير الـذّهب و الفضّه و لبسوا الخشن و صبروا على القوت، و قـدّموا الفضـل و أحبّوا فى اللّه و أبغضوا فى اللّه عزّ و جلّ اولئك المصابيح و أهل النّعيم فى الاخره و السّلام.

ص:۴۲

(ففيها اختبرتم و لغيرها خلقتم) يعنى أنّه سبحانه خلقكم فى الـدّنيا لا لأجل الدّنيا و البقاء فيها و الرّكون إليها، بل لأجل الاخره و تحصيل النّعمه الدّائمه، و إنّما خلقكم فى الدّنيا لمحض الابتلاء و الامتحان كما قال تعالى:

«وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ ».

و قد مضـى تحقيق معنى الابتلاء فى شـرح الخطبه الثّانيه و السّتين، و بيّنا هناك أنّ اللاّزم على الانسان قصـر همّته فى محصّلات السّعاده الاخرويه ليخلص من قالب الامتحان، و ليستحقّ القرار فى غرفات الجنان، و يدرك مرتبه الرّضوان الـذى هو أعظم السّعادات و أشرف اللذات و أكبر البهجات.

(انّ المرء إذا هلك قال النّاس ما ترك و قالت الملائكه ما قدّم) و هو تأكيد لما سبق فانّه عليه السّلام لمّا أمر بالأخذ من الممرّ للمقرّ و بالزّهد فى الدّنيا و الاعراض عن قنياتها و زخارفها، و نبّه على أنّ الغرض الأصلى من الخلقه هو العباده و الطاعه و تحصيل السّعاده الاخرويه.

أكّده بأنّ المرء إذا مات قال أبناء الدّنيا من عشاير الميّت و الأقرباء و الاخوان و القرناء المصروف هممهم بها و المشغولين بها عن التّوجّه إلى الاخرى:

ما ترك، أى يسأل بعضهم بعضا عمّا خلّفه الميّت من متاع الدّنيا و ما تركه من الأولاد و الأموال.

و قالت الملائكه الّذين نظرهم إلى محصلات القرب و الزّلفى لديه تعالى فقط:

ما قدّم الميّت لنفسه و ادّخره ليوم فاقته و مقام حاجته، فينبغى على ذلك ترجيح مسئول الملائكه على مسئول النّاس، و تقديم محصّلات الزّلفى على قنيات الدّنيا قال الشّارح البحرانى: و فى لفظ ما ترك و ما قدّم لطف تنبيه على أنّ متاع الدّنيا مفارق متروک و الأعمال الصّالحه مقدّمه باقيه نافعه للمرء فى معاده، فينبغى أن تكون العنايه بها دون المفارق المتروک.

(للّه آبائكم) استعظمهم بنسبه آبائهم إلى اللّه حيث ولدوا مثل هؤلاء الأولاد و قوله:(فقدّموا بعضا يكن لكم و لا تخلّفوا كلاّ فيكون عليكم)تفريع على

ما تقدّم، فانه لما صدّر الكلام بالأمر بالأخذ من الممرّ للمقرّ و أكّده بأنّ سؤال الملائكه و فحصهم عن المقدّم دون المؤخّر، رتب عليه هذه الجمله تنبيها على مقدار ما يؤخذ و يقدّم.

و لا يخفى ما فى هاتين القرينتين من حسن المقابله، و هو مقابله الأربعه بالأربعه حيث جعل القرينه الأولى موجبه و الثانيه سالبه، ثمّ قابل بين التقديم و التخليف و بين البعض و الكلّ و بين لكم و عليكم.

و فى بعض النسخ فقدّموا بعضا يكن لكم قرضا، و لا تخلّفوا كلاّ فيكون عليكم كلاّ فتكون من مقابله الخمسه بالخمسه.

أى خذوا من ممرّكم لمقرّكم بعض أموالكم، و قدّموه و أنفقوه فى سبيل اللّه يكن لكم قرضا على اللّه تستحقّون بأخذ مثله من اللّه فى مقام الحاجه و موطن الفاقه بل يضاعفه لكم أضعافا مضاعفه كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » «و قد مرّ معناه فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و الثمانين و قال أيضا: «وَ آتُوا الزَّكاهَ وَ أَقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً ».

و لا تتركوا جميع أموالكم فيكون عليكم كلاّ أى ثقيلا لا خير فيه أو وزرا و ثقلا أى يكون عبؤه لكم و مهناؤه لغيركم روى فى الوسائل عن الصدوق فى قول اللّه عزّ و جل «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ » قال: هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعه اللّه عزّ و جلّ بخلا ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعه اللّه أو بمعصيه اللّه، فان عمل فيه بطاعه اللّه رآه فى ميزان غيره فرآه حسره و قد كان المال له، و ان كان عمل به فى معصيه اللّه قويه بذلك المال حتى عمل به فى معصيه اللّه عزّ و جلّ.

قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما محق الاسلام محق الشحّ شىء، ثمّ قال:

إنّ لهذا الشحّ دبيبا كدبيب النمل و شعبا كشعب الشرك.

و فى الكافى باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ليس يتبع

الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقه أجراها فی حیاته فهی تجری بعد موته، و سنه هدی سنّها فهی یعمل بها بعد موته، و ولد صالح یدعو له.

و فیه عن أبی کهمس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سته یلحق المؤمن بعد وفاته:

ولد یستغفر له، و مصحف یخلفه، و غرس یغرسه، و قلیب یحفره، و صدقه یجریها، و سنّه یؤخذ من بعده.

ثمّ إنّ قوله علیه السّلام: فقدّموا بعضا آه یدلّ بمنطوقه علی مطلوبیّه تقدیم البعض و بمفهومه علی عدم مطلوبیه تقدیم الکلّ کما أنّ قوله: و لا تخلّفوا کلاّ آه یدلّ بمنطوقه علی مبغوضیّه تخلیف الکلّ و بمفهومه علی عدم مبغوضیّه تخلیف البعض، فیکون محصّل مفاد القضیتین تقدیم البعض و تخلیف البعض و علی ذلک:

فان ارید بالأمر أعنی قوله: قدّموا معناه الحقیقی الذی هو الوجوب، فالمراد بالبعض الذی یجب تقدیمه هو الحقوق المالیه الواجبه من الخمس و الزکاه و مصارف الحجّ و نفقه من یجب نفقته علیه و نحوها.

و إن ارید به الأعمّ من معنی الحقیقی أی الرّجحان المطلق فیعمّ البعض حینئذ للحقوق الواجبه و المندوبه من وجوه البرّ و صنایع المعروف و الحقّ المعلوم للسّائل و المحروم و نحوها، و هذا هو الأظهر.

فینبغی علی الانسان أن یقدّم البعض لنفسه و یخلّف البعض لوارثه و لا یجوز أن یخلّف الکلّ فیحرم و لا أن یقدّم الکلّ فیحرم الوارث و یظلم.

و یدلّ علی ذلک ما رواه فی الکافی مرسلا قال: و قد روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لرجل من الانصار اعتق ممالک له لم یکن له غیرهم فعابه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:

ترک صبیه صغارا یتکفّفون النّاس، و رواه فی الوسایل عن الصدوق باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام.

و یدلّ علیه أیضا الأخبار الداله علی عدم جواز الجور فی الوصیّه و الحیف فیها بتجاوز الثلث و وجوب ردّها إلی العدل و المعروف.

مثل ما رواه فی الوسائل عن الشیخ باسناده عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی نجران عن عاصم بن حمید عن محمّد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قضی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی رجل توفّی و أوصی بماله کلّه أو أکثره فقال: إنّ الوصیّه تردّ إلی المعروف و یترک لأهل المیراث میراثهم.

و فی الوسائل عن الشیخ باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام قال: من عدل فی وصیّته کان کمن تصدّق بها فی حیاته و من جار فی وصیّته لقی اللّه عزّ و جلّ یوم القیامه و هو عنه معرض.

و فیه عن الشّیخ باسناده عن علیّ بن یقطین قال: سألت أبا الحسن علیه السّلام ما للرّجل من ماله عند موته؟ قال: الثلث و الثلث کثیر.

و فیه من مجمع البیان قال: جاء فی الحدیث إنّ الضرار فی الوصیّه من الکبایر و فیه عن الصدوق باسناده عن السّکونی عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال علیّ علیه السّلام: الوصیّه بالخمس لأنّ اللّه عزّ و جلّ قد رضی لنفسه بالخمس و قال: الخمس اقتصاد، و الرّبع جهد، و الثلث حیف.

و فیه من قرب الاسناد عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبی جعفر عن أبیه عن علیّ علیهم السّلام قال: لئن اوصی بالخمس أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و لئن اوصی بالرّبع أحبّ إلیّ من أن اوصی بالثّلث، و من اوصی بالثلث فلم یترک شیئا.

و رواه فی الکافی باسناده عن محمّد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: لئن اوصی بخمس مالی أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و لئن اوصی بالرّبع أحبّ إلیّ من أن اوصی بالثلث، و من اوصی بالثلث فلم یترک و قد بالغ الغایه إلی أن قال: و یترک لأهل المیراث میراثهم، و قال: من اوصی بثلث ماله فلم یترک و قد بلغ المدی، ثمّ قال: لئن اوصی بخمس مالی أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و الأخبار فی هذا المعنی کثیره و لا حاجه إلی الاطاله، و لنختم بما هو أحری بأن یختم به المقام.

و هو ما رواه فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن جابر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام

قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ختم له بلا إله إلاّ اللّه دخل الجنّه، و من ختم له بصيام يوم دخل الجنّه، و من ختم له بصدقه يريد بها وجه اللّه دخل الجنّه.

و من اللّه أسأل أن يجعل خاتمه امورنا خيرا بجاه محمّد و آله و سلّم الأبرار، سلام اللّه عليهم ما تعاقب اللّيل و النّهار.

تكمله

روى في البحار من الأمالى للصّدوق قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه:

أيّها النّاس إنّ الدّنيا دار فناء، و الاخره دار بقاء، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففى الدّنيا حييتم، و للاخره خلقتم، إنّما الدّنيا كالسّم يأكله من لا يعرفه، إنّ العبد إذا مات قالت الملائكه ما قدّم، و قال النّاس ما أخّر، فقدّموا فضلا لكم يكن لكم، و لا تؤخّروا كلاّ يكن عليكم فانّ المحروم من حرم خير ماله، و المغبوط من ثقل بالصّدقات و الخيرات موازينه، و أحسن في الجنّه بها مهاده، و طيب على الصّراط بها مسلكه و في الارشاد من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في الحكمه و الموعظه:

خذوا رحمكم اللّه من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم قبل أن يخرج منها أبدانكم فللاخره خلقتم، و في الدّنيا حبستم إنّ المرء إذا هلك قالت الملائكه ما قدّم، و قال النّاس ما خلّف، فللّه آباؤكم قدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلاّ فيكون عليكم، فانّما مثل الدّنيا مثل السّمّ يأكله من لا يعرفه.

الترجمه

از جملۀ كلام حكمت نظام آن امام است در تنفير از دنياى فانى مى فرمايد:

ص:۴۷

أی مردمان بدرستی که دنیا خانهٔ تجاوز و عبور است و آخرت خانهٔ برقراری پس أخذ نمائید از گذرگاه خودتان برای قرارگاه خودتان، و بر ندرید پردهای خودتان را در نزد خداوندی که می داند سرّهای شما را، و بیرون کنید از دنیا قلبهای خود پیش از این که خارج شود از آن بدنهای شما، پس در دنیا امتحان شده اید، و از برای غیر دنیا یعنی آخرت خلق شده اید، بدرستی که مرد هر گاه هلاک شود و بمیرد گویند مردمان که ترکهٔ آن مرده چه بوده است، و گویند ملائکه که او از برای خود چه پیش فرستاده است، از برای خداست پدران شما یعنی خدا رحمت کند پدران شما را، پس پیش بفرستید بعض مال خود را تا آنکه دریابید منفعت آنرا، و باقی نگذارید همه را پس برسد بشما ضرر آن.

و من كلام له عليه السّلام كان كثيرا ما ينادى به

اشاره

أصحابه و هو المأتان و الثالث من

المختار فی باب الخطب

و هو مرویّ فی البحار من أمالی الصّدوق باختلاف كثير تطلع عليه تجهّزوا رحمكم اللّه فقد نودی فيكم بالرّحيل، و أقلّوا العرجه على الدّنيا، و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد، فإنّ أمامكم عقبه كئودا، و منازل مخوفه مهوله، لا بدّ من الورود عليها، و الوقوف عندها، و اعلموا أنّ ملاحظ المنيّه نحوكم دائبه، و كأنّكم بمخالبها و قد نشبت فيكم، و قد دهمتكم منها مفظعات الأمور، و معضلات المحذور، فقطّعوا علايق الدّنيا، و استظهروا بزاد التّقوى

ص:۴۸

قال السّيّد «ره»: و قد مضى شىء من هذا الكلام فيما تقدّم بخلاف هذه الرّوايه أقول: الأشبه أن يكون مراده به ما تقدّم فى الخطبه الرّابعه و الثّمانين.

اللغه

(جهاز) المسافر ما يحتاج إليه فى قطع المسافه و هو بالفتح و به قرء السّبعه فى قوله تعالى «فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ » و الكسر لغه قليله، و جهاز العروس و الميّت باللغتين أيضا ما يحتاجان إليه و جهّزته تجهيزا هيّأت جهازه فتجهّزو (العرجه) بالضمّ الاقامه من عرّج تعريجا و تعرّج تعرّجا أى أقام و حبس المطيّه على المنزل و (عقبه كئود) ككفور و كأداء أى صعبه شاقّه من تكأدّنى الأمر شقّ علىّ و (هاله) الأمر هولا ـ أفزعه، و الهول المخافه و الجمع أهوال و هول هائل و مهول كمصون تاكيد و (الملاحظ) جمع الملحظ مصدر ميمىّ بمعنى اللحظ يقال لحظه و إليه لحظا من باب منع و لحظانا بالتّحريك نظر بمؤخّر عينيه قال الشّاعر:

و أسرار الملاحظ أين تخفى و قد يقرأ بذى اللّحظ الظّنون

قال الفيروزآبادى: اللّحظ أشدّ التفاتا من الشّرز و (دئب) فى الأمر دئبا جدّ و تعب، و فى بعض النسخ دانيه بدل دائبه من الدنوّ بمعنى القرب و (المخلب) من السّباع كالظّفر من غيرها و (نشب) نشبا من باب تعب علق و (المعضلات) الشّدايد من أعضل به الأمر اشتدّ.

و فى نسخه الشارح المعتزلى مضلعات المحذور و فسّرها بالخطوب التى تضلع أى تجعل الانسان ضلعا أى معوجا.

أقول: لعلّه أخذه من ضلع السيف ضلعا من باب فرح اعوجّ، و لا قيمنّ ضلعك بالتحريك و بالسكون أيضا و هو الاعوجاج خلقه و لكن الأظهر أن يكون مأخوذا من أضلعه الدّين أثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء و حمل مضلع وزان محسن أى ثقيل و ان كان مرجعه أيضا إلى الأول.

و روى مظلعات المحذور بالظاء المشاله، قال الشارح المعتزلى: أراد الامور التى تجعل الانسان ظالعا أى يغمر فى مشيه لثقلها عليه و الماضى ظلع بالفتح يظلع

ظلعا فهو ظالع، و فی القاموس ظلع البعیر کمنع غمز فی مشیه، و الظالع المائل و الظلاع کغراب داء فی قوائم الدابه لا من سیر و لا تعب

الاعراب

قول السید: کثیرا ما ینادی، کثیرا منصوب علی الظرفیه المجازیه مفعول لقوله ینادی قدّم علیه لتضمّنه معنی الظرف أی ینادی حینا کثیرا أی فی کثیر من الأوقات، و نحوکم منصوب بنزع الخافض متعلّق بقوله دائبه،و قوله:و کأنکم بمخالبها،کأنّ للتشبیه و الظرف متعلق بفعل محذوف بقرینه المقام أی کأنکم تبصرون بمخالبها علی حدّ قوله تعالی «فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ » و الجمله خبر کأنّ و جمله و قد نشبت فی محلّ النّصب حال من مخالبها لکونه مفعولا بالواسطه و قوله و قد دهمتکم جمله مستأنفه، و الفاء فی قوله: فقطعوا فصیحه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام حسبما أشار إلیه السیّد کان علیه السّلام کثیرا ما ینادی به أصحابه بعد صلاه العشاء الاخره کما صرح به فی روایه الامالی الاتیه ایقاظا لهم عن نوم الغفله و إزعاجا من الاغترار بالدّنیا ینادیهم بحیث یسمع من فی المسجد.

(تجهّزوا رحمکم اللّه) أی خذوا جهاز الموت و هیئوا ما تحتاجون إلیه فی طیّ منازل الاخره و الوصول إلی حضرت ربّ العزّه.

(فقد نودی فیکم بالرّحیل) أی بالارتحال و المسافره إلی العقبی، و المراد بالمنادی إما توارد الالام و الأسقام و تراکم الأسباب المعدّه للمزاج للفساد، أو الملک المأمور من اللّه تبارک و تعالی بالنداء یقول: لدوا للموت و ابنوا للخراب أو طروّ المشیب و الهرم کما قال علیه السّلام فی الدّیوان المنسوب إلیه:

الشیب عنوان المنیّه و هو تاریخ الکبر

و بیاض شعرک موت شعرک ثم أنت علی الاثر

و إذا رأیت الشیب عمّ الرأس فالحذر الحذر

و یحتمل أن یکون المراد بالرّحیل الازعاج من الدّنیا و التوجّه إلی الاخره

و السفر إلى اللّه بالرّياضيات الكامله، فالمراد بالنداء حينئذ ما نطق به الكتاب العزيز و جرى على ألسنه الأنبياء و الرّسل و الأئمه من الأوامر الوارده بالزّهد كما قال عليه السّلام موتوا قبل أن تموتوا، أو أنّ المراد به اخبارهم بأنهم يرتحلون و لا يبقون كما قال تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » و «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ » و نحو ذلك، و قد مرّ نظير هذه الفقره فى الخطبه الثالثه و السّتين و هو قوله: ترحّلوا فقد جدّ بكم، فليراجع ثمّه.

(و أقلّوا العرجه على الدّنيا) أى الاقامه عليها و حبّ البقاء فيها، و المراد به الأمر بقصر الأمل و عدم تطويله، لأنّ طول الأمل ينسى الاخره.

كما قال عليه السّلام فى المختار الثانى و الأربعين: إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتّباع الهوى و طول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أما طول الأمل فينسى الاخره، و مضى فى شرحه مطالب نافعه و أخبار نفيسه.

و قال عليه السّلام فى المختار الثامن و العشرين: ألا و إنكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى و طول الأمل، و مضى فى شرحه أيضا مطالب و أخبار شريفه و روينا هناك عن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لا يفنى، و أمل لا يدرك، و رجاء لا تنال.

و محصّل المراد من إقلال الاقامه على الدّنيا الزّهد فيها و القناعه على القدر الضرورى من العيش و ارتقاب الموت و لنعم ما قال عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه

إنما الدّنيا فناء ليس للدّنيا ثبوتإنما الدّنيا كبيت نسجته العنكبوت

و لقد يكفيك منها أيها الطالب قوتو لعمرى عن قليل كلّ من فيها يموت

و قال أيضا:

أ لم تر أنّ الدّهر يوم و ليله يكرّان من سبت جديد إلى سبت

فقل لجديد الثوب لابدّ من بلى و قل لاجتماع الشمل لا بدّ من شتّ

و قال أيضا:

بيت و يوم و قوت يوم يكفى لمن فى غد يموت

ص:51

و ربما مات نصف يوم و النصف من قوته يفوت

و فيه أيضا

بيت يوارى الفتى و ثوبيستر من عوره و قوت

هذا بلاغ لمن تحسيو ذا كثير لمن يموت

(و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد) أى انصرفوا إلى وطنكم الأصلى الّذى منه خرجتم و هو الدّار الاخره و الجنّه و ذلك باعتبار كونهم ذرّا فى صلب أبيهم آدم منه خرج و إليه عاد أو المراد انصرافهم إلى الحقّ الأوّل عزّ و جلّ فانّه تعالى منه البداء و إليه الانتهاء، و هو غايه مراد المريدين، و منتهى سير السّايرين، و مرجع الرّاجعين كما قال تعالى «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و قال «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ».

و على أىّ تقدير فلا يخفى ما فى التعبير بلفظ الانقلاب من حسن التّقرير و بديع الصّناعه، و محصّل المراد الأمر بتحصيل صالح الزاد ليوم المعاد و أراد به التقوى كما قال عزّ و علا «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى ».

و علّل شدّه الحاجه إلى أخذ الزاد بقوله (فانّ أمامكم عقبه كئودا) أى صعبه شاقّه المصاعد.

(و منازل مخوفه مهوله لابدّ من الورود عليها و الوقوف عندها) أشار بها إلى شدايد الموت و مشاق البرزخ و منازل الاخره و مواقف القيامه و أهاويلها و أخاويفها و أفزاعها «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ ».

روى فى البحار من أمالى المفيد عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد اللّه جعفر ابن محمّد عليهما السّلام: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانّ فى القيامه خمسين موقفا كلّ موقف كألف سنه ممّا تعدّون ثمّ تلا هذه الايه «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ ».

و من تفسير علىّ بن إبراهيم فى هذه الايه قال عليه السّلام: إنّ فى القيامه خمسين

موقفا لكلّ موقف ألف سنه.

و قال الصّدوق فی عقایده، اعتقادنا فی العقبات التی علی طریق المحشر أنّ کلّ عقبه منها اسم فرض و أمر و نهی، فمتی انتهی الانسان إلی عقبه اسمها فرض و کان قد قصر فی ذلک الفرض حبس عندها و طولب بحقّ اللّه فیها.

فان خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمه تدارکه نجی منها إلی عقبه اخری فلا یزال من عقبه إلی عقبه و یحبس عند کلّ عقبه فیسأل عمّا قصر فیه من معنی اسمها فان سلم من جمیعها انتهی إلی دار البقاء فیحیی حیاه لا موت فیها أبدا و سعد سعاده لا شقاوه معها أبدا و سکن فی جوار اللّه مع أنبیائه و حججه و الصّدیقین و الشهداء و الصالحین من عباده.

و إن حبس علی عقبه فطولب بحقّ قصّر فیه و لم ینجه عمل صالح قدّمه و لا أدرکته من اللّه عزّ و جلّ رحمه زلّت به قدمه عن العقبه فهوی فی جهنّم، نعوذ باللّه منها.

و هذه العقبات کلّها علی الصّراط اسم عقبه منها الولایه یوقف جمیع الخلایق عندها فیسألون عن ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه من بعده فمن أتی بها نجا و جاز و من لم یأت بها بقی فهوی و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ».

و أهمّ عقبه منها المرصاد و هو قول اللّه عزّ و جلّ «إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ » و یقول اللّه عزّ و جلّ: و عزّتی و جلالی لا یجوزنی ظلم ظالم، و اسم عقبه منها الرّحم، و اسم عقبه منها الأمانه، و اسم عقبه منها الصّلاه و باسم کلّ فرض و أمر و نهی عقبه و یحبس عندها العبد فیسأل.

و قال الشّیخ المفید فی شرحه: العقبات عباره عن الأعمال الواجبه و المسائله عنها و المواقفه علیها، و لیس المراد بها جبال فی الأرض یقطع، و إنّما هی الأعمال شبّهت بالعقبات، و جعل الوصف لما یلحق الانسان فی تخلّصه من تقصیره فی طاعه اللّه تعالی، کالعقبه الّتی یجهده صعودها و قطعها قال اللّه تعالی «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ »

ص:۵۳

. «وَ ما أَدْراکَ مَا الْعَقَبَهُ فَکُّ رَقَبَهٍ » فسمّی اللّه سبحانه الأعمال التی کلّفها العبد عقبات تشبیها بالعقبات و الجبال لما یلحق الانسان فی أدائها من المشاق کما یلحقه فی صعود العقبات و قطعها.

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام انّ أمامکم عقبه کئودا و منازل مهوله لا بدّ من الممرّ بها و الوقوف علیها، فاما برحمه اللّه نجوتم و إما بهلکه لیس بعدها انجبار.

أراد علیه السّلام بالعقبه تخلص الانسان من العقبات التی علیه، و لیس کما ظنّه الحشویه من أنّ فی الاخره جبالا و عقبات یحتاج الانسان إلی قطعها ماشیا و راکبا و ذلک لا معنی له فیما توجبه الحکمه من الجزاء و لا وجه لخلق عقبات تسمّی بالصلاه و الزکاه و الصیام و الحجّ و غیرها من الفرائض یلزم الانسان أن یصعدها فان کان مقصّرا فی طاعه اللّه حال ذلک بینه و بین صعودها.

إذ کان الغرض فی القیامه المواقفه علی الأعمال و الجزاء علیها بالثواب و العقاب و ذلک غیر مفتقر إلی تسمیته عقبات و خلق جبال و تکلیف قطع ذلک و تصعیبه و تسهیله مع أنه لم یرد خبر صحیح بذلک علی التفصیل فیعتمد علیه و تخرج له الوجوه، و إذا لم یثبت بذلک خبر کان الأمر فیه ما ذکرناه، انتهی کلامه رفع مقامه.

و اعترض علیه المحدّث العلامه المجلسیّ فی البحار بعد نقله له بقوله: إن تأویل ظواهر الاخبار بمحض الاستبعاد بعید عن الرّشاد، و للّه الخیره فی معاقبه العاصین من عباده بأیّ وجه أراد، و قد مضی الأخبار فی ذلک و سیأتی بعضها و اللّه الموفّق للخیر و السّداد، هذا.

و لمّا حذّر من عقبات الاخره و مواقفها المهوله المقتضیه لأخذ الزّاد لها، عقّبه بالاشاره إلی قرب الموت المعقّب لهذه الأهاویل و العقبات و کونه بالرّصد و التّرقّب و الاخترام تنبیها به علی وجوب المبادره بأخذ الزّاد لقرب الحاجه إلیه و علی عدم التّوانی و التّسویف فیه بتوهّم بعد زمان الاحتیاج فقال:

(و اعلموا أنّ ملاحظ المنیّه نحوکم دائبه) أی مجدّه یعنی أنّها تنظر الیکم باللّحظ و الشّرز أی بمؤخّر عینها نظر الغضبان مجدّه فیه قصدا لاخترامکم.

ص:۵۴

(و كأنّكم بمخالبها و قد نشبت فيكم) شبّهها بالسّبع الفتاك الضّارى على طريق الاستعاره المكنيّه و أثبت لها المخالب و النّشوب تخييلا و ترشيحا، يريد قرب أخذها لهم و انتشاب مخالبها فيهم و الى هذا ينظر قوله عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

يا مؤثر الدّنيا على دينه و التائه الحيران عن قصده

أصبحت ترجو الخلد فيها و قد أبرز ناب الموت عن حدّه

هيهات إنّ الموت ذو أسهم من يرمه يوما بها يرده

(و قدد همتكم منها مفظعات الامور) أى غشيتكم من المتيّه الامور الشّنيعه البالغه فى الشّناعه الغايه (و معضلات المحذور) أى الافزاع و الدّواهى الشّديده الّتى تحذر منها و تحترز، و على روايه مضلعات المحذور فالمراد المحاذير الّتى توجب انحناء ظهر الانسان لثقلها و شدّتها من سكره ملهثه و غمره كارثه و جذبه متعبه و سوقه مكربه و نحوها من أفزاع الموت.

(فقطّعوا علايق الدّنيا) و أميطوا محبّتها عن قلوبكم (و استظهروا ب) خير الزّاد (زاد التقوى) لتقووا به إلى قطع منازل الاخره و الوصول إلى حضرت الرّب الأعلى.

نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا من المستظهرين به، و الواصلين إلى مقام القرب و الزّلفى لديه بمحمّد و آله سلام اللّه عليه و عليهم.

تكمله

روى فى البحار من الأمالى عن أبيه عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبى نجران عن ابن حميد عن محمّد بن قيس عن أبى جعفر قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه إذا صلّى العشاء الاخره ينادى النّاس ثلاث مرّات حتّى يسمع أهل المسجد:

أيّها الناس تجهّزوا رحمكم اللّه فقد نودى فيكم بالرّحيل فما التّعرّج على الدّنيا بعد النّداء فيها بالرّحيل، تجهّزوا رحمكم اللّه و انتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد و هو التقوى، و اعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد، و ممرّكم على الصراط

ص:۵۵

و الهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبه كئوده، و منازل مهوله مخوفه، لا بدّ لكم من الممرّ عليها، و الوقوف بها فإمّا برحمه من اللّه فنجاه من هولها و عظم خطرها و فظاعه منظرها و شدّه مختبرها، و إمّا بهلكه ليس بعدها انجبار.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام است كه اكثر أوقات ندا ميكرد بان اصحاب خود را مى فرمود:

ضروريات سفر آخرت را مهيا نمائيد خدا رحمت كند بشما، پس بتحقيق ندا كرده شد در ميان شما به كوچ كردن، و كم نمائيد اقامت در دنيا را، و رجوع نمائيد بسوى آخرت با بهترين چيزى كه نزد شماست از توشۀ آخرت، پس بدرستى كه پيش شماست عقبۀ سخت و منزلهاى خوفناك و خطرناك لابد هستيد از آمدن آن منزلها و از توقف نمودن در نزد آنها، و بدانيد كه نظرهاى تند و غضبناك مرگ بسوى شما متوجه است، و گويا مى بينيد كه چنگال هاى آن سبع قتال بشما بند شده، و بتحقيق كه احاطه كرده شما را از آن مرگ امورات قبيحۀ بى نهايت، و محذورات شديده بغايت شدت، پس ببرّيد علايق دنيا را، و طلب اعانت نمائيد با توشۀ تقوى و پرهيزكارى.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الرابع من المختار فى باب الخطب

و رواه الشارح المعتزلى فى شرح المختار الحادى و التّسعين من كتاب نقض كتاب العثمانيه لأبى جعفر الاسكافى باختلاف كثير تعرفه إن شاء اللّه.

قال السيد: كلّم به طلحه و الزّبير بعد بيعته بالخلافه و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما و الاستعانه فى الامور بهما.

لقد نقمتما يسيرا، و أرجأتما كثيرا، أ لا تخبرانى أىّ شىء لكما

فيه حقّ دفعتكما عنه، و أىّ قسم استأثرت عليكما به، أم أىّ حقّ رفعه إلىّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أمّ جهلته أم أخطأت بابه، و اللّه ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا فى الولايه إربه، و لكنّكم دعوتمونى إليها، و حملتمونى عليها، فلمّا أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع لنا و أمرنا بالحكم به فاتّبعته، و ما استسنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاقتديته، فلم أحتج فى ذلك إلى رأيكما، و لا رأى غيركما، و لا وقع حكم جهلته فأستشيركما و إخوانى من المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما. و أمّا ما ذكرتما من أمر الاسوه فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيى، و لا ولّيته هوى منّى، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ اللّه من قسمه، و أمضى فيه حكمه، فليس لكما و اللّه عندى و لا لغيركما فى هذا عتبى، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ، و ألهمنا و إيّاكم الصّبر. ثمّ قال عليه السّلام: رحم اللّه رجلا رأى حقّا فأعان عليه، أو رأى جورا فردّه، و كان عونا بالحقّ على صاحبه.

اللغه

(نقمت) عليه أمره و نقمت منه نقما من باب ضرب و نقمت أنقم من باب

ص:٥٧

تعب لغه إذا عبته و كرهته أشدّ الكراهه بسوء فعله و اللغه الأولى هى الفصيحه و بهما قرء قوله تعالى «وَ ما تَنْقِمُ مِنّا » أى و ما تطعن فينا و تقدح، و قيل: ليس لنا عندك ذنب و لا ركبنا مكروها و (أرجأته) بالهمزه أخّرته (و قسمته) قسما من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم و القسم بالكسر اسم منه، ثمّ اطلق على الحصّه و النّصيب فيقال: هذا قسمى و الجمع أقسام مثل حمل و أحمال.

و (استأثر) بالشىء استبدّ به أى انفرد به من غير مشارك له فيه و (حمله) على الأمر يحمله فانحمل أغراه به و (الاسوه) بالضمّ و الكسر القدوه (و لا ولّيته هوى منّى) فى أكثر النسخ بتشديد اللاّم يقال ولّيته توليه أى جعلته واليا، و فى بعضها بالتّخفيف و هو الأظهر من وليه إذا قام به و منه ولىّ الصغير أى القائم بأمره و (عتب) عليه عتبا من باب ضرب و قتل لامه فى تسخّط، و أعتبنى الهمزه للسلب أى أزال الشكوى و العتاب، و العتبى وزان فعلى اسم من الاعتاب.

الاعراب

قوله: بعد بيعته بالخلافه من إضافه المصدر إلى المفعول، و يسيرا و كثيرا منصوبان على المفعول به، و قوله: ألا تخبرانى أىّ شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه أىّ اسم استفهام مرفوع على الابتداء و جمله دفعتكما عنه خبره، و جمله لكما فيه حقّ صفه لشىء، و لكما ظرف لغو متعلّق بحقّ، و فيه ظرف مستقرّ متعلّق بمقدّر خبر مقدّم، و حقّ مبتدأ و يحتمل أن يجعل الأوّل ظرف مستقرّ و الثانى ظرف لغو، و جمله أىّ شىء اه منصوبه المحلّ مفعول لتخبرانى اه.

و قوله: أم أىّ قسم فى بعض النسخ أو بدل أم و كذلك فى قوله أم جهلته و قوله: و لاولّيته هوى منّى، على روايه ولّيته بالتشديد يكون هوى مفعولا به أى لم أجعل هواى واليا فى هذا الأمر. و على روايه التخفيف فهو مفعول له أى ما قمت به لأجل هوى نفسى، و جمله قد فرغ منه بالبناء على الفاعل حال من رسول اللّه، و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول فتكون حالا من ما جاء به، و الفاء فى قوله:

فليس فصيحه، و جمله رحم اللّه رجلا اه، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب.

ص:٥٨

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هـذا الکلام حسـبما أشار إلیه الرّضـیّ رضـی اللّه عنه:(کلّم به طلحه و الزّبیر بعـد بیعتهما له بالخلافه و قـد عتبا من ترک مشورتهما و الاستعانه فی الامور بهما) و من ترک تفضیلهما فی العطاء علی غیرهما.

قـال الشّـارح المعتزلی إنّهمـا قالاـ: ما نراه یستشـیرنا فی أمر و لا یفاوضـنا فی رأی و یقطع الأمر دوننا و کانا یرجوان غیر ذلک، و أراد طلحه أن یولیّه البصره و أراد الزّبیر أن یولیّه الکوفه.

فلمّـا شاهـدا صـلابته فی الـدّین و قـوّته فی العزم، و هجره الادهـان و المراقبه و رفضه المـدالسه و المـواریه، و سـلوکه فی جمیع مسالکه منهـج الکتاب و السّـنّه، و قد کانا یعلمان ذلک قدیما من طبعه و سـجیّته، و کان عمر قال لهما و لغیرهما: إنّ الأجلح أی الأنزع إن ولیها لیحملنّکم علی المحجّه البیضاء و الصـراط المسـتقیم، و کان النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم قال من قبل: و إن تولّوها علیّا تجـدوه هادیا مهـدّیا، إلّا انّه لیس الخبر کالعیان، و لا القول کالفعل، و لا الوعـد کالانجاز حالا(۱) عنـه و تنکّرا له، و وقعا فیه، و عاباه تطلّبا له العلل و التأویلات، و تنقما علیه الاسـتبداد و ترک المشاوره، و انتقلا من ذلک إلی الوقیعه فیه بمساوات الناس فی قسـمه الأموال، و أثنیا علی عمر و حمدا سیرته و صوّبا رأیه، و قالا: إنّه کان یفضّل أهل السوابق، و ضلّلا علیّا فیما رآه و قالا: إنّه أخطاء، و إنّه خالف سیره عمر، و استنجدا علیه بالرّؤساء من المسلمین کان عمر یفضّلهم فی القسم علی غیرهم.

و الناس أبناء الدّنیا و یحبّون المال حبّا جمّا فتنکّرت علی أمیر المؤمنین بتنکّرهما قلوب کثیره.

و کـان عمر منع قریشـا و المهـاجرین و ذوی السوابق مـن الخروج من المـدینه و نهـاهم عن مخـالطه النـاس، و نهی النـاس عن مخالطتهم و رأی أنّ ذلک اسّ

۱- (۱) - حالا عنه أی تغیّرا من الاستواء الی العوج، منه.

الفساد فی الأرض، و أنّ الفتوح و الغنایم قد أبطرت المسلمین، و متی بعد الرءوس و الکبراء منهم عن دار الهجره و انفردوا بأنفسهم و خالطهم الناس فی البلاد البعیده لم یؤمن أن یحسنوا لهم الوثوب و طلب الاماره و مفارقه الجماعه و حلّ نظام الالفه و لکنّه نقض هذا الرّای السّدید بما فعله بعد طعن أبی لؤلؤه له من الشّوری فانّ ذلک کان سبب کلّ فتنه وقع و یقع إلی أن تنقضی الدّنیا.

قال: و قد قدّمنا ذکّر ذلک و شرحنا ما أدّی إلیه أمر الشوری من الفساد بما حصل فی نفس کلّ من السته من ترشیحه للخلافه إلی أن قال: إنّ طلحه و الزبیر لما آیسا من جهه علیّ علیه السّلام و من حصول الدّنیا من قبله قلبا له ظهر المجنّ، فکاشفاه و عاتباه قبل المفارقه عتابا لاذعا(۱) قال: روی أبو عثمان الجاحظ قال:

أرسل طلحه و الزّبیر إلی علیّ علیه السّلام قبل خروجهما إلی مکّه محمّد بن طلحه و قالا:

لا تقل له یا أمیر المؤمنین و لکن قل له: یا أبا الحسن لقد فال «أی اخطأ» فیک رأینا و خاب ظننا أصلحنا لک الأمر و وطدنا لک الامره و أجلبنا علی عثمان حتّی قتل فلما طلبک الناس لأمرهم أسرعنا إلیک و بایعناک و قدنا إلیک أعناق العرب و وطأ المهاجرون و الأنصار أعقابنا فی بیعتک حتّی إذا ملکت عنانک استبددت برأیک عنّا و رفضتنا رفض التّریکه(۲) و أذلتنا إذاله الاماء(۳) و ملکت أمرک الاشتر و حکیم بن جبله و غیرهما من الأعراب فلما جاء محمّد بن طلحه أبلغه ذاک فقال: اذهب إلیهما فقل لهما فما الذی یرضیکما؟ فذهب و جاء و قال: إنّهما یقولان ولّ أحدنا البصره و آخرنا الکوفه.

فقال: لا هاء اللّه إذا یحلم(۴) الأدیم، و یستشری الفساد، و تنتقض علیّ

۱- (۱) - لذع النار الشیء لفحه، منه.

۲- (۲) - التریکه کسفینه امرأه تترک لا تتزوّج، منه.

۳- (۳) - ای أهنتنا إهانه الاماء یقال أذلته أهنته و لم أحسن القیام علیه، منه.

۴- (۴) - حلم الجلد من باب فرح وقع منه الحلم و هی دوده تقع فی الجلد فتأکله منه،

البلاد من أقطارها، و اللّه انّى لا آمنهما و هما عندى بالمدينه فكيف آمنهما و قد ولّيتهما العراقين اذهب إليهما فقل أيّها الشيخان احذرا من اللّه و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على امّته و لا تبغى(١) المسلمين غايله و كيدا و قد سمعتما قول اللّه تعالى «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ».

فقام محمّد بن طلحه فأتا إليهما و لم يعدا له و تأخّرا عنه أيّاما ثمّ جاءاه فاستأذنا فى الخروج إلى مكّه للعمره فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا ينقضا بيعته و لا يغدرا به و لا يشقّا عصا المسلمين و لا يوقعا الفرقه بينهم و أن يعودا بعد العمره إلى بيوتهما بالمدينه، فحلفا على ذلك كلّه ثمّ خرجا ففعلا ما فعلا قال: و روى الطبرى فى التاريخ قال: لمّا بايع الناس عليّا و تمّ الأمر له قال طلحه للزّبير: ما أرى أنّ لنا من هذا الأمر إلاّ ككشحه أنف الكلب فقد ظهر لك من ذلك و يظهر أيضا ممّا نرويه من الاسكافى أنّ علّه نقم طلحه و الزّبير منه عليه السّلام إنّما كانت ترك استشارتهما و مداخلتهما فى أمر الخلافه و عدم بذل مأمولهما فى توليه العراقين و التسويه بينهما و بين غيرهما فى القسم و لمّا نقما عليه بذلك أجاب لهما بقوله:

(لقد نقمتما يسيرا و أرجأتما كثيرا) أى طعنتما و عتبتما علىّ شيئا يسيرا و هو ترك الاستشاره و أمر التسويه حسبما عرفت مع عدم كونهما مورد طعن و عيب فى الحقيقه و أخرتما شيئا كثيرا من رعايه حقوقى الواجبه و السعى فيما يعود إلى صلاح حال المسلمين و انتظام أمر الدّين و اتّساق حبل الالفه و الجماعه.

و قال الشّارح المعتزلى: أى نقمتما من أحوالى اليسير، و تركتما الكثير الّذى ليس لكما و لا لغيركما فيه طعن فلم تذكراه فهلا اغتفرتما اليسير الكثير.

و قال الشّارح البحرانى: يحتمل أن يريدان الّذى أبدياه و نقماه بعض ممّا فى أنفسهما و قد دلّ ذلك على أنّ فى أنفسهما أشياء كثيره وراء ما ذكراه.

أقول: يعنى قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر،

١- (١) - هكذا فى النسخه و الظاهر أنها تصحيف و الصحيح لا تبغيا بصيغه التثنيه، منه.

و الأظهر ما قلناه.

ثمّ استخبر عمّا نقماه و استفهم عن وجوه النّقم المتصوّره فى المقام استفهاما انكاريا إبطاليّا تنبيها به على بطلان تلك الوجوه جميعا و على كذب مدّعيها فقال:

(ألا تخبرانى أيّ شيء لكما فيه حقّ) مالىّ أو غير مالىّ (دفعتكما عنه) و ظلمتكما فيه.

و بطلان هذا الوجه مع كونه معصوما واضح، و يزيده وضوحا قوله الاتى فى الكلام المأتين و العشرين: و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها و يطول فى الثرى حلولها، و قوله فيه أيضا. و اللّه لو اعطيت الأقاليم السّبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى اللّه فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته، و من هذا حاله كيف يتصوّر فى حقّه الظلم؟!.

(و أيّ قسم استأثرت عليكما به) أى أيّ سهم و نصيب أخذت من بيت المال و تفرّدت به و لم اشارككم.

و بطلانه أيضا واضح ممّا مر و يزيده توضيحا ما مرّ فى الكلام المأه و السادس و العشرين من قوله: لو كان المال لى لسوّيت بينهم فكيف و المال مال اللّه، و ما يأتى فى باب المختار من كتبه فى كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصارى من قوله: و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه، و من هذا شأنه كيف يحيف الغير و يذهب بحقّه و غيره؟! و بما ذكرته علم الفرق بين هذا الوجه و الوجه الأوّل، فانّ الأوّل أعم من الحقّ المالى و غيره، و هذا مخصوص بالمالى، و أيضا دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن يصير إليه أو إلى غيره أو لم يصر إلى أحد بل يبقى فى بيت المال و الاستيثار عليهما به هو أن يأخذ حقّهما لنفسه.

(أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه) و كنت محتاجا فيه إلى المعاون و المعين.

و بطلان هذا الوجه أيضا لا ريب فيه لما قد عرف من بأسه و شجاعته و أنه لو لا سيفه لما قام للاسلام عمود و لا اخضرّ للدّين عود، و قد قال فى الكلام السّابع و الثلاثين و استبددت برهانها كالجبل لا تحرّكه القواصف و لا تزيله العواصف لم يكن لأحد فىّ مهمز و لا لقائل فىّ مغمز الذّليل عندى عزيز حتى آخذ الحقّ له، و القوّى عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه، و قال فى الكلام المأه و السّادسه و الثلاثين: و ايم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها (أم جهلته أم أخطأت بابه) و كنت محتاجا إلى التعليم و التنبيه و الفرق بين الجهل و الخطاء فى الباب الأوّل أن يكون اللّه سبحانه قد حكم بحرمه شىء مثلا فأحلّه الامام و الثّانى أن يصيب فى الحكم و يخطىء فى طريقه و الاستدلال عليه، أو أنّ الأوّل أن يجهل الحكم و يتحيّر فيه و لا يدرى كيف يحكم، و الثانى أن يحكم بخلاف الواقع و على أىّ تقدير فتوهّم أحد الأمرين فى حقّه عليه السّلام، مع علمه بما كان و ما يكون و ما هو كائن و كونه أعلم بطرق السّماء من طرق الأرض و كونه باب مدينه العلم و الحكمه و كونه أقضى الامه على ما صدر عن صدر النّبوه و عرفته فى تضاعيف الشّرح غير مرّه أوضح البطلان و فساده غنّى عن البرهان، هذا و لما أشار عليه السّلام إلى بطلان وجوه النّقم المتصوّره إجمالا أراد إبطال ما نقما به عليه تصريحا و هو ترك الاستشاره و أمر الاسوه و أجاب عن النّقم بهما تفصيلا.

و قبل الشروع فى الجواب مهّد مقدّمه لطيفه دفعا بها توهّم كون نهوضه بالخلافه من حبّ الملك و الرّياسه و محبّه السلطنه و الولايه المقتضيه للمماشاه و المشاوره مع الحاشيه و البطانه كما كان فى المتخلّفين الثلاثه و رفعا بها منّتهما عنه عليه السّلام حيث منّا عليه بأنّا أصلحنا الأمر و وطدنا لك الامره و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب على ما مرّ فى روايه أبى عثمان الجاحظ.

و تلك المقدّمه قوله عليه السّلام (و اللّه ما كانت لى فى الخلافه رغبه و لا فى

الولایه اربه) و حاجه أمّا عدم احتیاجه إلیها فواضح، و أمّا عدم رغبته فیها فلکراهته لها طبعا و إن کان یحبّها شرعا أو کراهته لها من حیث الملک و السلطنه فلا تنافی رغبته من حیث التّمکن من إعلاء لواء الشرع و إقامه المعروف و إزاحه المنکر أو أنّ عدم الرّغبه حین عدم تحقّق الشرائط.

کما یشعر بذلک قوله علیه السّلام فی الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقیّه: أما و الذی فلق الحبّه و برء النّسمه لو لا حضور الحاضر و قیام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه علی العلماء ألاّ یقارّوا علی کظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقیت حبلها علی غاربها و لألقیتم دنیاکم هذه أزهد عندی من عفطه عنز.

و یشعر به أیضا قوله علیه السّلام فی الکلام الحادی و التّسعین: دعونی و التمسوا غیری، و مضی هناک أخبار مناسبه للمقام.

(و لکنکم دعوتمونی إلیها) علی رغبه منکم (و حملتمونی علیها) علی کراهه منّی کما أوضحه علیه السّلام فی المختار المأتین و الخامسه و العشرین حیث قال هناک: و بسطتم یدی فکففتها و مددتموها فقبضتها ثمّ تداککتم علیّ تداکّ الابل الهیم علی حیاضها یوم ورودها حتّی انقطعت النّعل و سقطت الرّداء و وطیء الضّعیف و بلغ من سرور الناس ببیعتهم إیّای أن ابتهج بها الصغیر و هدج إلیها الکبیر.

و لمّا مهّد المقدّمه الشریفه المنبئه عن عدم رغبته فی الولایه و الخلافه و رفع بها منّتهما علیه فی المبایعه رتّب علیها الجواب عن نقمهما الأوّل أعنی مسأله المشاوره و قال:

(فلمّا أفضت) أی وصلت الخلافه (إلیّ نظرت إلی کتاب اللّه) عزّ و جلّ (و) إلی (ما وضع لنا) أی ما وظفه لنا و ألزمه علینا معاشر الأئمه من الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و الحکم بین الناس بالعدل حیث قال «کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ».

روی فی البحار عن العیاشی عن حماد بن عیسی عن بعض أصحابه عن أبی

عبد اللّه عليه السّلام قال: فى قراءه علىّ عليه السّلام «كنتم خير أئمّه أخرجت للناس» قال: هم آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عن العياشى عن أبى بصير عنه عليه السّلام، قال: إنما انزلت هذه الايه على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه و فى الأوصياء خاصّه فقال «أنتم خير أئمه «امه خ» اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر» هكذا و اللّه نزل بها جبرئيل و ما عنى بها إلّا محمّدا و أوصياءه صلوات اللّه عليهم.

و قال تعالى أيضا «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً » فانّ هذه الايه أيضا خطاب لخصوص ولاه الامر، و على كونها خطابا للعموم فيدخل فيه ولاه الأمر، و على أىّ تقدير فقد بيّن اللّه وظيفتهم فيها.

قال فى مجمع البيان: قيل فى معنى هذه الايه أقوال:

أحدها أنّها فى كلّ من اؤتمن أمانه من الأمانات و أمانات اللّه أوامره و نواهيه و أمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال و غيره، و هو المروىّ عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام.

و ثانيها أنّ المراد به ولاه الأمر أمرهم اللّه أن يقوموا برعايه الرّعيه و حملهم على موجب الدّين و الشّريعه و رواه أصحابنا عن أبى جعفر الباقر و أبى عبد اللّه الصّادق عليهما السّلام قالا: أمر اللّه كلّ واحد من الأئمه أن يسلم الأمر إلى من بعده، و يعضده أنّه أمر الرّعيه بعد هذا بطاعه ولاه الأمر.

و روى عنهم عليهم السّلام انّهم قالوا: آيتان إحداهما لنا و الاخرى لكم قال اللّه «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها » الايه و قال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الايه.

و هذا القول داخل فى القول الأوّل لأنّه من جمله ما ائتمن اللّه عليه الأئمه الصّادقين عليهم السّلام و لذلك قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ الصّلاه و الزكاه و الصّوم و الحجّ من الأمانه و يكون من جملتها الأمر لولاه الأمر بقسم الصدقات و الغنايم و غير ذلك

ممّا يتعلّق به حقّ الرعيه، و قد عظم اللّه أمر الامانه بقوله «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ » و قوله «لا تَخُونُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ » و قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ».

(و) إلى ما (أمرنا بالحكم به فاتبعته) أراد به الحكم بما أنزل اللّه فى كتابه دون غيره من أحكام الجاهليّه و الأحكام الصّادره عن الاستحسانات العقليّه كما صدرت عن المتخلّفين الثلاثه و قد قال تعالى «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ » «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ » و قال «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّهِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ».

فانّ هذه الايات كما ترى صريحه فى وجوب الأخذ بحكم الكتاب، و الايه الأخيره و إن كانت خاصه بالنبىّ إلاّ أنّها تعمّ الائمه القائمين مقامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل تعمّ ساير أحكام الشرع بمقتضى أدله الشركه فى التكاليف.

و غير خفىّ على الفطن العارف حسن انطباق مفاد الايه الأخيره بالمقام فانّ اللّه سبحانه أمر نبيّه فيها فى الحكم بين أهل الكتاب بما أنزل اللّه و نهاه عن اتّباع هواهم و حذّره من تفتينهم و أشار إلى توليهم عن حكم اللّه و إلى ابتغائهم حكم الجاهليه، و كذلك كان حال أمير المؤمنين عليه السّلام مع طلحه و الزّبير اللذين هما تاليا أهل الكتاب فقد كان مراده أن يحكم بحكم اللّه و بالأخذ بسيره الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان مرادهما أن يداخلهما فى الأمر و يشاورهما و يتابع هواهما و يسير فيهما و فى غيرهما بسيره عمر، و كان غرضهما تفتينه و تغييره حكم اللّه إلى حكم الجاهليه، إذ حكم الجاهليه لم يكن منحصرا فى أحكام أيام الفتره بل كلّ حكم خالف الكتاب و السنه كما روى فى الكافى عن الصادق عن أمير المؤمنين عليه السّلام الحكم حكمان: حكم اللّه و حكم الجاهليه فمن أخطأ حكم اللّه حكم بحكم الجاهليّه.

و قال الطبرسى فى قوله «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّهِ يَبْغُونَ » قيل: المراد به كلّ من

طلب غير حكم اللّه فانه يخرج منه إلى حكم الجاهليّه و كفى بذلك أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم.

فقد علم بذلك أنّ تكليف الأئمه عليهم السّلام اتّباع أمر اللّه و الأخذ بحكم اللّه لا الحكم بالرأى و الأهواء كما فى أئمّه الجور.

روى فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم عن حميد بن زياد عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن يحيى عن طلحه بن زيد عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: الأئمه فى كتاب اللّه إمامان قال اللّه «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا » لا بأمر الناس يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، قال «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ » يقدّمون أمرهم قبل أمر اللّه و حكمهم قبل حكم اللّه و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه.

و كيف كان فمحصّل مفاد قوله عليه السّلام إنّى نظرت إلى كتاب اللّه جلّ شأنه و إلى ما عيّن لنا فيه من التكاليف و الأحكام فاتّبعته.

(و) نظرت إلى (ما استنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و شرعه (فاقتديته) و تابعته (فلم) يبق الكتاب و السنه شيئا من الأحكام الشرعيه (احتج فى ذلك إلى رأيكما و لا رأى غيركما) من الاراء الباطله و الاستحسانات الفاسده.

(و لا وقع حكم جهلته) و هذا أحد الوجوه المتقدّمه التى أنكرها سابقا على سبيل الاستفهام و نفاه هنا صريحا أى لم يقع حكم شرعى لا أعلم به فأحتاج إلى التعلّم و المشاوره (فأستشير كما و اخوانى من المسلمين) فيه و أتعلّمه منكم (و لو كان ذلك) أى لو وقع حكم كذلك (لم أرغب عنكما و لا عن غيركما).

و لما أجاب عن نقمهما الأوّل شرع فى الجواب عن نقمهما الثانى فقال:

(و أما ما ذكرتما من أمر الاسوه) أى القدوه و اقتدائكما بغيركما فى النصيب و القسمه (فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيى) و من تلقاء نفسى (و لا وليته هوى منى) أى ما جعلت هواى واليا أوما باشرته بهواى (بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من القسم بالسويه و العدل فى الرّعيه و الحال أنه (قد فرغ منه)

و أكمل و لم يبق مجال للكلام (فلم احتج إليكما) و لا إلى غيركما (فيما قد فرغ اللّه من قسمه و أمضى فيه حكمه) نسبه الفراغ أولا إلى الرّسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ثانيا إلى اللّه تنبيها على اتّحاد حكمهما لعدم كونه ناطقا عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى و المراد أنه لا حاجه لى إلى الغير فى مال قد فرغ اللّه من تقسيمه و حكم فيه بالحكم النافذ الالزامى بأن يقسم بالسويه لا بالتفاوت.

(فليس لكما و اللّه عندى و لا لغيركما فى هذا) القسم بالسويه (عتبى) أى ليس لكما و لا لغيركما علىّ أن ارضيكم و ازيل شكواكم عنى.

ثمّ دعا لنفسه و لهما بقوله (أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ) أى صرفها إليه (و ألهمنا و اياكم الصبر) أى ألهمنى الصبر على مشاق الخلافه و مقاساه المكاره و المساوى من الرعيه و ألهمكم الصبر على ما تكرهه نفوسكم الاماره من القسم بالسويه و نحوه ممّا مر.

(ثمّ قال عليه السّلام رحم اللّه رجلا رأى حقا) و عدلا (فأعان عليه) و على العمل به (أو رأى جورا) و ظلما (فردّه) و دفعه (و كان عونا بالحقّ على صاحبه) أى على صاحب الجور.

و المراد به الجذب إلى طاعته و إعانته و الصرف عن مخالفته و اعانه ظالميه، لأنه عليه الصلاه و السلام مع الحقّ و الحقّ معه عليه السلام و الصّلاه يدور معه حيثما دار هو عليه التحيه و الثناء، فالمعين له عليه الصلاه و السلام معين للحقّ، و المعاند له عليه السّلام معاند للحقّ و معين للجور و الباطل.

تكمله و تبصره

روى فى البحار من الامالى أمالى الشيخ عن أحمد بن محمّد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن عقده قال: حدّثنا الحسن بن صالح من كتابه فى ربيع الأول سنه ثمان و سبعين و أحمد بن يحيى عن محمّد بن عمرو عن عبد الكريم عن القاسم بن أحمد عن أبى الصّلت الهروى و قال ابن عقده و حدثناه القاسم بن الحسن الحسينى عن أبى الصلت عن علىّ بن عبد اللّه بن النّعجه عن أبى سهيل بن مالك عن مالك بن اوس بن

الحدثان قال:

لمّـا ولی علیّ بن أبی طـالب أسـرع النّـاس إلی بیعه المهـاجرین و الأنصار و جماعه الناس لم یتخلّف عنه من أهل الفضل إلاّ نفر یسیر خذلوا و بایع الناس، و کان عثمان قد عود قریشا و الصـحابه کلّهم، و صـبّت علیهم الدّنیا صـبا، و آثر بعضهم علی بعض، و خصّ أهـل بیته من بنی امیه و جعـل لهم البلاد و خوّلهم العباد فأظهروا فی الأرض الفساد و حمل أهل الجاهلیه و المؤلفه قلوبهم علی رقـاب النـاس حتی غلبوه علی أمره فـأنکر النـاس ما رأوا من ذلک فعاتبوه فلم یعتبهم، و راجعوه فلم یسـمع منهم، و حملهم علی رقاب النّاس حتّی انتهی إلی أن ضرب بعضا و نفی بعضا و حرّم بعضا.

فرأی أصـحاب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أن یـدفعوه و قـالوا: إنّمـا بایعناه علی کتاب اللّه و سـنّه نبیّه و العمل بهما، فحیث لم یفعل ذلک لم تکن له علیهم طاعه فافترق النّاس فی أمره علی خاذل و قاتل.

فأمّا من قاتل فرأی أنّه حیث خالف الکتاب و السّنّه و استأثر بالفیء و استعمل من لا یستأهل رأوا أنّ جهاده جهاد.

و أمّا من خذله فانّه رأی أنّه یستحقّ الخذلان و لم یستوجب النصره بترک أمر اللّه حتّی قتل.

و اجتمعوا علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فبایعوه فقام و حمد اللّه و اثنی علیه بما هو أهله و صـلّی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و آله ثمّ قال:

أما بعـد فانی قـد کنت کارها لهـذه الولایه یعلم اللّه فی سـماواته و فوق عرشه علی امّه محمّـد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم حتّی اجتمعتم علی ذلـک فـدخلت فیه، و ذلک أنی سـمعت رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم یقول: أیّما وال ولی أمر امتی من بعدی اقیم یوم القیامه علی الصـراط و نشـرت الملائکه صـحیفته، فان نجی فبعدله، و إن جار انتفض به الصـراط انتفاضه تزیل ما بین مفاصله حتی یکون بین کلّ عضو و عضو من أعضائه مسیره مأئه عام یحرق به الصراط (۱) ، فأوّل ما یلقی به النار أنفه و حرّ وجهه، و لکنی لما اجتمعتم

۱- (۱) - من الاعوام التی یحرق بها الصراط ای یقطع، بحار.

علیّ نظرت فلم یسعنی ردّکم حیث اجتمعتم أقول ما سمعتم و أستغفر اللّه لی و لکم.

فقام إلیه الناس فبایعوه فأوّل من قام فبایعه طلحه و الزّبیر، ثمّ قام المهاجرون و الأنصار و سائر الناس حتی بایعه الناس و کان الذی یأخذ علیهم البیعه عمار بن یاسر و أبو الهیثم بن التیهان و هما یقولان: نبایعکم علی طاعه اللّه و سنه رسوله و إن لم نف لکم فلا طاعه لنا علیکم و لا بیعه فی أعناقکم و القرآن أمامنا و أمامکم ثمّ التفت علیّ علیه السّلام عن یمینه و عن شماله و هو علی المنبر و هو یقول:

ألا لا یقولنّ رجال منکم غدا قد غمرتهم الدّنیا فاتخذوا العقار، و فجّروا الأنهار، و رکبوا الخیول الفارهه، و اتّخذوا الوصائف الرّدقه، فصار ذلک علیهم عارا و شنارا ان لم یغفر لهم الغفّار إذا منعوا ما کانوا فیه، و صیروا إلی حقوقهم التی یعلمون یقولون حرمنا علیّ بن أبی طالب و ظلمنا حقوقنا و نستعین باللّه و نستغفره، و أما من کان له فضل و سابقه منکم فانما أجره فیه علی اللّه، فمن استجاب للّه و لرسوله و دخل فی دیننا و استقبل قبلتنا و أکل ذبیحتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم أیها الناس عباد اللّه المسلمون و المال مال اللّه یقسم بینکم بالسویه و لیس لأحد علی أحد فضل إلاّ بالتقوی، و للمتقین عند اللّه خیر الجزاء و أفضل الثواب، لم یجعل اللّه الدّنیا للمتقین جزاء و ما عند اللّه خیر للأبرار، إذا کان غدا فاغدوا فانّ عندنا مالا اجتمع فلا یتخلّفن أحد کان فی عطاء أو لم یکن إذا کان مسلما حرّا، احضروا رحمکم اللّه.

فاجتمعوا من الغد و لم یتخلّف عنه أحد، فقسم بینهم ثلاثه دنانیر لکلّ إنسان الشریف و الوضیع و الأحمر و الأسود و لم یفضّل أحدا و لم یتخلّف عنه أحد إلاّ هؤلاء الرّهط طلحه و الزبیر و عبد اللّه بن عمر و سعید بن العاص و مروان بن الحکم و ناس معهم، فسمع عبید اللّه بن أبی رافع و هو کاتب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عبد اللّه بن الزبیر و هو یقول للزبیر و طلحه و سعید بن العاص لقد التفت إلی زید بن ثابت فقلت له: ایاک اعنی و اسمعی یا جاره فقال عبید اللّه یا سعید بن العاص و عبد اللّه بن الزّبیر إنّ اللّه یقول فی کتابه «وَ أَکْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ کارِهُونَ » قال عبید اللّه فأخبرت علیا علیه السّلام فقال

عليه السّلام لان سلمت لهم لأحملنهم على الطريق قاتل اللّه ابن العاص لقد علم فى كلامى أنى اريده و أصحابه بكلامى و اللّه المستعان.

قال مالک بن الأوس: و كان علىّ بن أبى طالب اكثر ما يسكن القناه، فبينا نحن فى المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن علىّ، ثمّ طلع مروان و سعيد و عبد اللّه بن الزّبير و المسور بن محزمه، فجلسوا و كان علىّ عليه السّلام جعل عمار بن ياسر على الخيل، فقال لأبى الهيثم بن التيهان و الخالد بن زيد أبى أيّوب و لأبى حيه و لرفاعه بن رافع فى رجال من اصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوموا إلى هؤلاء القوم فانه بلغنا عنهم ما نكره من خلاف أمير المؤمنين امامهم و الطعن عليه و قد دخل معهم قوم من أهل الجفاء و العداوه فانّهم سيحملونهم على ما ليس من رأيهم فقال، فقاموا و قمنا معهم حتّى جلسوا إليهم.

فتكلّم أبو الهيثم بن التيهان فقال: إنّ لكم لقدما فى الاسلام و سابقه و قرابه من أمير المؤمنين عليه السّلام و قد بلغنا عنكم طعن و سخط لأمير المؤمنين فان يكن أمر لكما خاصّه فكاتبا ابن عمّتكما و امامكما، و إن كان نصيحه للمسلمين فلا تؤخّراه عنه و نحن عون لكما فقد علمتما أنّ بنى اميّه لن تنصحكما و قد عرفتما و قال أحمد عرفتم عداوتهم لكما و قد شركتما فى دم عثمان و مالأتما.

فسكت الزبير و تكلّم طلحه فقال:

افرغوا جميعا ممّا تقولون، فانّى قد عرفت أنّ فى كلّ واحد منكم خطبه فتكلّم عمّار بن ياسر رحمه اللّه فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال:

أنتما صاحبا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد اعطيتما إمامكم الطاعه و المناصحه و الميثاق على العمل بطاعه اللّه و طاعه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أن يجعل كتاب اللّه اماما.

قال أحمد و جعل كتاب اللّه اماما ففيم السخط و الغضب على علىّ بن أبى طالب فغضب الرّجال للحق انصرا نصركما اللّه.

فتكلّم عبد اللّه بن الزبير، فقال: لقد تهدّدت يا أبا اليقظان.

ص:۷۱

فقال عمار: ما لک تتعلق فی مثل هذا یا أعبس ثمّ أمر به فاخرج.

فقام الزّبیر فقال: أعجلت یا أبا الیقظان علی ابن أخیک رحمک اللّه.

فقال عمار: یا أبا عبد اللّه انشدک اللّه أن تسمع قول من رأیت فانکم معشر المهاجرین لم یهلک من هلک منکم حتی استدخل فی أمره المؤلفه قلوبهم.

فقال الزبیر: معاذ اللّه أن نسمع منهم.

فقال عمار: و اللّه یا أبا عبد اللّه لو لم یبق أحد إلاّ خالف علیّ بن أبی طالب لما خالفته و لا زالت یدی مع یده، و ذلک لأنّ علیا لم یزل مع الحقّ منذ بعث اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فانی أشهد أنه لا ینبغی لأحد أن یفضل علیه أحدا.

فاجتمع عمار بن یاسر و أبو الهیثم و رفاعه و أبو أیوب و سهل بن حنیف فتشاوروا أن یرکبوا إلی علیّ علیه السّلام بالقناه فتخبروه بخبر القوم، فرکبوا إلیه فأخبروه باجتماع القوم و ما هم فیه من إظهار الشکوی و التعظیم لقتل عثمان، و قال له أبو الهیثم: یا أمیر المؤمنین انظر فی هذا الأمر.

فرکب بغله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دخل المدینه و صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و اجتمع أهل الخیر و الفضل من الصحابه و المهاجرین فقالوا لعلیّ: إنهم قد کرهوا الاسوه و طلبوا الاثره و سخطوا لذلک، فقال علیّ علیه السّلام: لیس لأحد فضل فی هذا المال، و هذا کتاب اللّه بیننا و بینکم و نبیکم محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سیرته.

ثمّ صاح بأعلی صوته: یا معشر الأنصار أتمنّون علیّ باسلامکم أنا أبو الحسن القرم(۱) و نزل عن المنبر و جلس ناحیه المسجد و بعث إلی طلحه و الزبیر فدعاهما ثمّ قال لهما: ألم یأتیانی و تبایعانی طائعین غیر مکرهین فما أنکرتم أجور فی حکم أو استیثار فی فیء؟ قالا: لا.

۱- (۱) - القرم أی المقدم فی الرأی، و القرم فحل الابل، أی أنا فیهم بمنزله الفحل فی الابل، بحار

قال: أو فى أمر دعوتمانى إليه فى أمر المسلمين فقصرت عنه؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فما الذى كرهتما فى أمرى حتى رأيتما خلافى؟ قالا: خلافك لعمر بن الخطاب فى القسم و انتقاصنا حقنا من الفىء، جعلت حظنا فى الاسلام كحظّ غيرنا مما أفاء اللّه علينا بسيوفنا ممّن هو لنا فىء، فسوّيت بيننا و بينهم.

فقال علىّ: اللّه أكبر اللّهمّ إنى اشهدك و اشهد من حضر عليهما أما ما ذكرتما من الاستيثار فو اللّه ما كانت لى فى الولايه رغبه و لا لى فيها محبّه، و لكنكم دعوتمونى إليها و حملتمونى عليها فكرهت خلافكم، فلما أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع و امر فيه بالحكم و قسّم و سنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأمضيته و لم احتج فيه إلى رأيكما و دخولكما معى و لا غيركما و لم يقع أمر جهلته فأتقوّى فيه برأيكما و مشورتكما، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما إذا لم يكن فى كتاب اللّه و لا فى سنّه نبيّنا، فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد.

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوه فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه و وجدت أنا و أنتما ما قد جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كتاب اللّه فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه كتاب اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و أما قولكما جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيافنا و أفاء اللّه علينا و قد سبق رجال رجالا فلم يضرّهم و لم يستأثر عليهم من سبقهم لم يضرّهم حتّى استجابوا لرّبهم، و اللّه ما لكم و لا لغيركم إلاّ ذلك ألهمنا اللّه و إيّاكم الصبر عليه.

فذهب عبد اللّه بن الزّبير يتكلّم فامر به فوجئت عنقه و اخرج من المسجد و هو يصيح و يقول: ردّوا إليه بيعته.

فقال علىّ عليه السّلام: لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه و لا مدخلكما فى أمر خرجتما منه.

فقاما عنه فقالا: أما انّه ليس عندنا أمر إلاّ الوفاء، قال:

فقال علیه السّلام: رحم اللّه عبدا رأی حقّا فأعان علیه أو رأی جورا فردّه و کان عونا للحقّ علی من خالفه.

و روی الشّارح المعتزلی فی شرح الخطبه الحادی و التسعین عن أبی جعفر الاسکافی من کتابه الـذی نقض به کتاب العثمانیه للجاحظ قال:

قال أبو جعفر: لما اجتمعت الصّحابه فی مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد قتل عثمان للنظر فی أمر الامامه أشار أبو الهیثم بن التیهان و رفاعه بن رافع و مالک بن العجلان و أبو أیّوب الأنصاری و عمّار بن یاسر بعلیّ علیه السّلام و ذکروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته، فأجابهم النّاس إلیه فقام کلّ واحد منهم خطیبا بذکر فضل علیّ علیه السّلام، فمنهم من فضّله علی أهل عصره خاصّه، و منهم من فضّله علی المسلمین کلّهم کافه، ثمّ بویع فصعد المنبر فی الیوم الثانی من یوم البیعه و هو یوم السّبت لاحدی عشر لیله بقین من ذی الحجه، فحمد اللّه و أثنی علیه و ذکر محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فصلّی علیه، ثمّ ذکر نعمه اللّه علی أهل الاسلام، ثمّ ذکر الدّنیا فزهّدهم فیها و ذکر الاخره فرغّبهم إلیها ثمّ قال:

أما بعد فانّه لمّا قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم استخلف النّاس أبا بکر، ثمّ استخلف أبو بکر عمر، فعمل بطریقه ثمّ جعلها شوری بین ستّه فأفضی الأمر منهم إلی عثمان فعمل ما أنکرتم و عرفتم ثمّ حصر و قتل، ثمّ جئتمونی فطلبتم إلیّ و إنّما أنا رجل منکم لی ما لکم و علیّ ما علیکم، و قد فتح اللّه الباب بینکم و بین أهل القبله، و أقبلت الفتن کقطع اللّیل المظلم و لا یحمل هذا الأمر إلاّ أهل الصّبر و النصر و العلم بمواقع الأمر، و إنی حاملکم علی منهج نبیّکم، و منفذ فیکم ما أمرت به، إن استقمتم لی و باللّه المستعان ألا إنّ موضعی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد وفاته کموضعی منه أیام حیاته، فامضوا لما تؤمرون و قفوا عند ما تنهون عنه، و لا تعجلوا فی أمر حتّی نبیّنه لکم، فانّ لنا عن کلّ أمر تنکرونه عذرا، ألا و إنّ اللّه عالم من فوق سمائه و عرشه أنی کنت کارها للولایه علی امه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی اجتمع رأیکم علی ذلک لأنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أیّما وال ولی الامر من بعدی

اقيم على حدّ الصراط و نشرت الملائكه صحيفته، فان كان عادلا أنجاه اللّه بعدله و إن كان جائرا انتقض به الصراط حتى تتزايل مفاصله ثمّ يهوى إلى النار، فيكون أوّل ما يتّقيها به أنفه و حرّ وجهه، و لكنى لما اجتمع رأيكم لم يسعنى تركّكم.

ثمّ التفت يمينا و شمالا فقال:

ألا ـ لا ـ يقولنّ رجال منكم غدا قد غمرتهم الدّنيا فاتّخذوا العقار و فجّروا الأنهار و ركبوا الخيول الفارهه و اتّخذوا الوصايف الرّدقه، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه و اصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون: حرّمنا ابن أبى طالب حقوقنا، ألا و أيّما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فانّ له الفضل النّير غدا عند اللّه و ثوابه و أجره على اللّه، و أيما رجل استجاب للّه و للرسول فصدّق ملّتنا و دخل فى ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم عباد اللّه و المال مال اللّه يقسم بينكم بالسويه لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتّقين غدا عند اللّه أحسن الجزاء و أفضل الثواب، لم يجعل اللّه الدّنيا للمتقين أجرا و لا ثوابا، و ما عند اللّه خير للأبرار، و إذا كان غدا إنشاء اللّه فاغدوا علينا فانّ عندنا مالا نقسمه فيكم و لا يتخلّفنّ أحد منكم عربىّ و لا ـ عجمىّ كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرّا، أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم، ثمّ نزل.

قال أبو جعفر: و كان هذا أوّل ما أنكروه من كلامه عليه السّلام و أورثهم الضّغن عليه و كرهوا اعطاءه و قسمه بالسّويه فلمّا كان من الغد غدا و غدا النّاس لقبض المال، فقال لعبيد اللّه بن أبى رافع كاتبه: ابدء بالمهاجرين فنادهم و أعط كلّ رجل ممّن حضر ثلاثه دنانير ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، و من يحضر من الناس كلّهم الأحمر و الأسود فافعل به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامى و قد اعتقته اليوم.

فقال: نعطيه كما نعطيك فأعطى كلّ واحد منهم ثلاثه دنانير، و لم يفضّل أحدا على أحد، و تخلّف عن هذا القسم يومئذ طلحه و الزبير و عبد اللّه بن عمر و سعيد ابن العاص و مروان بن الحكم و رجال من قريش و غيرها.

ص:٧٥

قال: و سـمع عبيـد اللّه بن أبى رافع عبد اللّه بن الزبير يقول لأبيه و طلحه و مروان و سـعيد ما خفى علينا أمس من كلام علىّ عليه السّلام ما يريد، فقال سعيد بن العاص و التفت إلى زيد بن ثابت: إيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

فقال عبيد اللّه بن أبى رافع لسعيد و عبد اللّه بن الزبير: إنّ اللّه يقول فى كتابه «وَ لكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ ».

ثمّ إنّ عبيد اللّه بن أبى رافع أخبر عليا عليه السّـلام بذلك فقال عليه السّلام إن بقيت و سلمت لهم لاقيمنّهم على المحجّه البيضاء و الطريق الواضح، قاتل اللّه بنى العاص لقد عرف من كلامى و نظرى إليه امس أنّى اريده و أصحابه ممّن هلك فيمن هلك.

قال: فبينا الناس فى المسـجد بعد الصّـبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن علىّ عليه السّلام ثمّ طلع مروان و سعيد و عبد اللّه بن الزبير فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجيا ساعه.

ثمّ قـام الوليـد بن عقبه بن أبى معـط فجـاء إلى علىّ عليه السّـلام فقال: يا أبا الحسن قـد و ترتنا جميعا أمّا أنا فقتلت أبى يوم بـدر صبرا و خـذلت أخى يوم الدار بالأمس، و أمّا سـعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب و كان ثور قريش، و أما مروان فسـخفت أباه عنـد عثمـان إذ ضـمّه إليه و نحن اخوتـك و نظراؤك من بنى عبـد منـاف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصـبناه من المال فى أيّام عثمان، و أن تقتل قتلته و أنا إن خفناك تركنا و التحقنا بالشام.

فقال عليه السّـلام: أما ما ذكرتم من وترى إياكم فالحقّ وتركم، و أما وضـعى عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضع حقّ اللّه عنكم و لاـ عن غيركم، و أمـا قتلى قتله عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس و لكن لكم علىّ إن خفتمونى أن اؤمنكم و إن خفتكم أن اسيركم فقام الوليـد إلى أصـحابه فحدّثهم و افترقوا على إظهار العداوه و إشاعه الخلاف فلمّا ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسـر لأصـحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فانه قد بلغنا عنهم و رأينا منهم ما نكره من خلاف و طعن على إمامهم و قد دخل أهل الجفا بينهم و بين الزّبير، و الاعسر العاق يعنى طلحه.

فقام أبو الهيثم و عمّار و أبو أيّوب و سهل بن حنيف و جماعه معهم على علىّ

فقالوا يا أمير المؤمنين انظر فى أمرك و عاتب قومك هذا الحىّ من قريش فانّهم قد نقضوا عهدك و أخلفوا وعدك و قد دعونا فى السرّ إلى رفضك هداك اللّه لرشدك، و ذاك لأنهم كرهوا الاسوه و فقدوا الاثره و لمّا آسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا و استأثروا عدوّك و أعظموه و أظهروا الطلب بدم عثمان فرقه للجماعه و تألّفا لأهل الضلاله فرأيك.

فخرج علىّ عليه السّلام فدخل المسجد و صعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزرا ببرد قطرى(۱) متقلّدا سيفا متوكّئا على قوس فقال:

أمّا بعد فانّا نحمد اللّه ربّنا و إلهنا و وليّنا و ولىّ النعم علينا الذى أصبحت نعمه علينا ظاهره و باطنه امتنانا منه بغير حول منّا و لا قوّه ليبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذّبه، فأفضل النّاس عند اللّه منزله و أقربهم من اللّه وسيله أطوعهم لأمره و أحملهم «أعملهم خ» بطاعته و أتبعهم لسنّه رسوله و أحياهم لكتابه، ليس لأحد عندنا فضل إلاّ بطاعه اللّه و طاعه الرّسول، هذا كتاب اللّه بين أظهرنا و عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سيرته فينا لا يجهل ذلك إلاّ جاهل عاند عن الحقّ منكر قال اللّه تعالى «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ » ثمّ صاح بأعلى صوته: أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول فان تولّيتم فانّ اللّه لا يحبّ الكافرين، ثمّ قال: يا معشر المهاجرين و الأنصار أتمنّون على اللّه و رسوله باسلامكم بل اللّه يمنّ عليكم أن هديكم للايمان إن كنتم صادقين ثمّ قال: أنا أبو الحسن - و كان يقولها إذا غضب -.

ثمّ قال: ألا إنّ هذه الدّنيا الّتى أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ليست بداركم و لا منزلكم الّذى خلقتم له، فلا تغرّنّكم فقد حذّرتموها و استتمّوا نعم اللّه عليكم بالصّبر لأنفسكم على طاعه اللّه و الذّلّ لحكمه جلّ ثناؤه، فأمّا هذا الفى، فليس لأحد على أحد فيه اثره، فقد فرغ اللّه من قسمته فهو

۱- (۱) - الطاق ضرب من الثياب و القطر ضرب من البرد و يقال لها القطريه، منه

مال اللّه و أنتم عباد اللّه المسلمون، و هذا كتاب اللّه به أقررنا و إليه أسلمنا و عهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتولّ كيف شاء، فانّ العامل بطاعه اللّه و الحاكم بحكم اللّه لا وحشه عليه.

ثمّ نزل عن المنبر فصلّى ركعتين ثمّ بعث بعمّار بن ياسر و عبد اللّه بن خلّ القرشى إلى طلحه و الزبير و هما فى ناحيه المسجد، فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه فقال لهما:

نشدتكما اللّه هل جئتما طائعين للبيعه و دعوتمانى إليها و أنا كاره لها؟ قالا: نعم.

فقال: غير مجبرين و لا مقسورين فأسلمتما لى بيعتكما و أعطيتمانى عهدكما قالا: نعم.

قال: فما دعاكما إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضى الامور و لا تقطعها دوننا، و أن تستشيرنا فى كلّ أمر و لا تستبدّ بذلك علينا و لنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم و تقطع الأمر و تمضى الحكم بغير مشاورتنا و لا علمنا.

فقال عليه السّلام: لقد نقمتما يسيرا و أرجاتما كثيرا فاستغفرا اللّه يغفر كما ألا تخبراننى أدفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشى؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا:

معاذ اللّه.

قال: فما الذى كرهتما من أمرى حتّى رأيتما خلافى؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب فى القسم إنّك جعلت حقنا فى القسم كحقّ غيرنا و سوّيت بيننا و بين من لا يماثلنا فيما أفاءه اللّه تعالى علينا بأسيافنا و رماحنا و أو جفنا عليه بخيلنا و ظهرت عليه دعوتنا و أخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الاسلام إلّا كرها فقال: أما ما ذكرتماه من أمر الاستشاره فو اللّه ما كانت لى فى الولايه رغبه،

و لكنّكم دعوتمونى إليهـا و جعلتمونى عليها فخفت أن أردّكم فتختلف الامّه فلمّا افضت إلىّ نظرت فى كتاب اللّه و سنّه رسوله فأمضيت مـا ولاّنى عليه و اتّبعته و لم احتـج إلى رأيكمـا فيه و لا رأى غيركما، و لو وقع حكم ليس فى كتاب اللّه بيانه و لا فى السنه برهانه و احتيج إلى المشاوره فيه لشاورتكما فيه.

و أمّا القسم و الاسوه فانّ ذلک أمر لم أحكم فيه بادىء بدء، قد وجدت أنا و أنتما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحكم بذلک و كتاب اللّه ناطق به و هو الكتاب الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و أمّا قولكمـا جعلت فيئنـا و ما أفاءه سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا فقـديما سبق إلى الاسـلام قوم و نصروه بسيوفهم و رماحهم فلا فضّلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى القسم و لا آثرهم بالسّبق و اللّه سبحانه موفّ السّابق و المجاهد يوم القيامه أعمالهم و ليس لكما و اللّه عندى و لا لغيركما إلاّ هذا، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا و ايّاكم الصّبر - ثمّ قال - رحم اللّه امرء رأى حقّا فأعان عليه و رأى جورا فردّه و كان عونا للحقّ على من خالفه.

قال أبو جعفر: و قد روى أنّهما قالا له عليه السّلام وقت البيعه: نبايعک على أنّا شركاؤک فى هذا الأمر.

فقال: و لكنّكما شريكاى فى الفيء لا أستأثر عليكما و لا على عبد حبشى مجدّع بدرهم فما دونه، لا أنا و لا ولداى هذان، فان أبيتم إلاّ لفظ الشّركه فأنتما عونان لى عند العجز و الفاقه لا عند القوّه و الاستقامه.

قال أبو جعفر: فاشترطا ما لا يجوز فى عقد الامامه و شرط عليه السّلام لهما ما يجب فى الدّين و الشريعه.

قال الشّارح المعتزلى بعد نقله هذا الكلام من الاسكافى:

فـان قلت: فـانّ أبـا بكر قسّم بـالسويّه كمـا قسّمه أمير المؤمنين و لم ينكروا ذلـک كمـا أنكروه أيام أمير المؤمنين فما الفرق بين الحالتين؟ قلت: إنّ أبا بكر قسّم محتذيا لقسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلمّا ولى عمر الخلافه

و فضّل قوما علی قوم ألفوا ذلک و نسوا تلک القسمه الاولی و طالت أیّام عمر و اشربت قلوبهم کثره العطاء و حبّ المال، و أمّا الذین اهتضموا فقنعوا و مرّنوا علی القناعه و لم یخطر لأحد من الفریقین أنّ هذه الحال تنتقض أو تتغیّر بوجه ما.

فلمّا ولی عثمان أجری الأمر علی ما کان عمر یجریه، فازداد وثوق القوم بذلک و من ألف أمرا شقّ علیه فراقه و ترک العاده فیه.

فلمّا ولی أمیر المؤمنین أراد أن یردّ الأمر إلی ما کان فی أیّام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أبی بکر و قد نسی ذلک و رفض و تخلل بین الزّمانین اثنتان و عشرون سنه فشقّ ذلک علیهم و أکبروه حتّی حدث ما حدث من نقض البیعه و مفارقه الطّاعه، و للّه أمر هو بالغه.

الترجمه

از جملهٔ کلام نصیحت انجام آن امام است که خطاب فرموده طلحه و زبیر را بعد از آنکه بیعت کردند با او بخلافت او و عتاب کردند مر او را بجهت ترک نمودن آن بزرگوار مشاورهٔ ایشان را و نخواستن اعانت از ایشان را در امور خلافت می فرماید:

بتحقیق ایراد نمودید چیز مختصری را و تأخیر انداختید چیز زیاد را، چرا خبر نمی دهید بمن کدام چیزی که شما را در آن حق بوده است من مانع از حقّ شما شده ام؟ و کدام سهم و حصّه از بیت المال من علاوه از شما برداشته و بشما نداده ام یا کدام حقّی که یک نفر مسلمان نزد من آورده از اجراء آن ضعیف بوده ام یا بحکم آن جاهل شده یا در دلیل آن خطا نموده؟ قسم بخدای تعالی نبود مرا در خلافت هیچ رغبت و نه در ولایت هیچ حاجتی و لیکن شما خواندید مرا بسوی آن و الزام نمودید مرا بر آن، پس هنگامی که رسید بمن نظر نمودم در کتاب عزیز خداوند و بچیزی که واجب فرموده بما و أمر نموده ما را بحکم کردن آن، پس تبعیت نمودم بان و نظر نمودم بچیزی

ص:۸۰

که پیغمبر خدا صلوات اللّه و سلامه علیه و آله سنّت خود قرار داده، پس متابعت کردم آن را پس محتاج نبودم در این خصوص برأی و تدبیر شما، و نه برأی و تدبیر غیر شما، و اتفاق نیفتاده حکمی که جاهل باشم بان تا مشاوره نمایم با شما، یا با سایر برادران خود از مسلمانان، و اگر همچنین حکمی اتفاق می افتاد إعراض نمی کردم از شما و نه از غیر شما.

و أمّا آن چیزی که اظهار نمودید آن را از أمر اسوه یعنی برابری شما با سایرین در قسمت، پس بدرستی که این چیزیست من خود سر با رأی خود در آن حکم ننموده و با هوای نفس خود مباشر آن نبوده، بلکه یافتم من و شما چیزی را که آورد آن را حضرت رسالت ماب صلوات اللّه و سلامه علیه و آله از قسمت بالسّویّه در حالتی که فارغ شده بود از آن، پس احتیاج نداشتم من بشما در چیزی که خدا از قسمت آن فارغ بوده و امضای حکم خود را در آن فرموده، پس نیست شما را بحق خدا در نزد من و نه غیر شما را این که ترضیهٔ خواطر و ازالهٔ شکایت شما را نمایم، بر گرداند خداوند قلبهای ما و قلبهای شما را بسوی حق، و الهام فرماید بما و شما صبر را.

پس از آن فرمود: رحمت کند خدا مردی را که بیند حق را پس اعانت نماید بان، یا بیند ظلم و ستم را پس رفع نماید آن را، و باشد معین بحق بر ضرر صاحب جور و ظلم.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الخامس من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی من کتاب نصر بن مزاحم فی شرح المختار السادس و الأربعین باختلاف تطلع علیه إنشاء اللّه و قد سمع قوما من أصحابه یسبّون أهل الشّام أیّام حربهم بصفّین -

ص:۸۱

إنّى أكره لكم أن تكونوا سبّابين، و لكنّكم لو وصفتم أعمالهم، و ذكرتم حالهم، كان أصوب فى القول، و أبلغ فى العذر، و قلتم مكان سبّكم إيّاهم: أللّهمّ احقن دمائنا و دمائهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله، و يرعوى عن الغىّ و العدوان من لهج به.

اللغه

(السب) الشتم كالسّباب بكسر السّين و تخفيف الباء من سبّه يسبّه من باب نصر، و رجل مسبّ بكسر الميم و سبّ و سبّاب كثير السبّ، و التسابّ التشاتم و رجل سبّه بالضمّ أى يكثر النّاس سبّه و سببه كهمزه أى كثير السّب للنّاس و السبّابه الأصبع التى تلى الابهام لأنّها يشار بها عند السبّ.

و (حقنت) الماء فى السّقاء حقنا من باب نصر جمعته فيه و حقنت دمه خلاف هدرته أى منعته أن يسفك.

و (البين) بالفتح من الأضداد يطلق على الفرقه و الوصل قال تعالى «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ » أى وصلكم و يكون اسما و ظرفا متمكنّا قال الفيومى: البين يطلق على الوصل و على الفرقه و منه ذات البين للعداوه و البغضاء و قولهم لاصلاح ذات البين أى لاصلاح الفساد بين القوم، و المراد إسكان النائره و بين ظرف مبهم لا يتبيّن معناه إلاّ بالاضافه إلى اثنين فصاعدا أو ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى «عَوانٌ بَيْنَ ذلِکَ ».

و (ارعوى) عن القبيح ارتدع عنه و رجع و (الغىّ) الضلال و روى العمى بدله و (لهج) بالشىء لهجا من باب تعب أولع به.

الاعراب

قوله: و قلتم عطف على قوله: وصفتم فتدخل عليه لو و حذف جوابها بدلاله الجواب السّابق عليه أى و لو قلتم مكان سبّكم هذا الدّعاء لكان أحسن و أصوب.

ص:٨٢

و قوله:ذات بيننا و بينهمباضافه ذات إلى بين، و بينهم على ما رأيناه فى عدّه من النّسخ بالنصب عطف على ذات، و الأصوب أن يكون بالجرّ عطفا على بيننا.

و ذات إمّا بمعنى صاحبه كما فى قوله تعالى«وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها » فتكون كنايه عن نائره العداوه و البغضاء، و بيننا و بينهم على هذا ظرف مكان أى اصلح ما بيننا و بينهم من البغضاء و العداوه، و لمّا كانت العداوه مصاحبه البين و ملابسه له اضيفت إليه كما أنّ الضمائر لمّا كانت ملابسه للصدور قيل: ذات الصّدور.

و إمّا بمعنى نفس الشيء و حقيقته كما فى قولهم: ذات يوم و ذات ليله، و قد فسّر بهما قوله تعالى «وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » أى عليم بما فى الصّدور من الضّماير أو عليم بنفس الصّدور و بواطنها، و بين على هذا المعنى الثانى يجوز أن يكون ظرفا، و أن يكون اسما بمعنى الفرقه و الوصل حسبما تعرف فى بيان المعنى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام كما قاله الرّضيّ و يأتى فى روايه الطبرسيّ أيضا خاطب به أصحابه (و) ذلك أنّه (قد سمع قوما من أصحابه يسبّون أهل الشّام أيّام حربهم بصفين) فمنعهم بهذا الكلام من باب التأديب و الارشاد إلى القول الصّواب و كرايم الأخلاق المطلوبه فى كلّ باب.

و قبل الشروع فى شرح كلامه ينبغى أن نمهّد مقدّمه فقهيّه فى جواز السبّ و عدم جوازه مطلقا أو فى الجمله تحقيقا للمقام و توضيحا لمرام الامام عليه السّلام.

فأقول و باللّه التوفيق:

السبّ لغه هو الشّتم كقولك يا شارب الخمر، يا آكل الرّبا، يا ملعون، يا خائن، يا فاجر، يا فاسق، يا حمار، يا كلب، يا ابن الكلب و نحو ذلك، أو يا أعور يا أعمى يا أجذم، يا أبرص، و نحوها، و يشمل القذف أيضا مثل يا ابن الزانيه، يا ابن الحرام، و يا ديّوث، و يا قوّاد، و مثل ذلك.

و هو إما فى حقّ المؤمن، أو فى حقّ غيره من المنافق و الكافر و النّاصب.

ص:٨٣

أمّا المؤمن فسبّه حرام مطلقا، سواء كان متضمّنا للقذف أم لا و يدلّ عليه الأخبار المستفيضه المتقدّمه جمله منها فى شرح المختار المأه و الثّانى و التسعين خصوصا و عموم الأخبار الكثيره الدّالّه على حرمه اهانه المؤمن و استحقاره و استذلاله.

مثل ما رواه فى الكافى بسنده عن معاويه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه لى: يا محمّد من أذلّ لى وليّا فقد أرصدنى بالمحاربه و من حاربنى حاربته، فقلت: يا ربّ و من وليّك هذا فقد علمت أنّ من حاربك حاربته، قال: ذاك من أخذت ميثاقه لك و لوصيّك و لذرّيتكما بالولايه.

و فيه عن المعلّى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه عزّ و جلّ: قد نابذنى من أذلّ عبدى المؤمن.

و عن المعلّى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال اللّه عزّ و جلّ:

من استذلّ عبدى فقد بارزنى بالمحاربه، و نحوها أخبار اخر.

و كما يحرم سبّه يحرم لعنه أيضا، و معناه الطّرد و الابعاد من رحمه اللّه بل هو نوع من السّب فيدلّ على حرمته ما دلّ على حرمه السّب مضافا إلى خصوص الأخبار النّاهيه عنه.

مثل ما رواه فى الكافى عن علىّ بن أبى حمزه عن أحدهما عليهما السّلام قال: سمعته يقول: إنّ اللّعنه إذا خرجت عن فىّ صاحبها تردّدت فان وجدت مساغا و إلاّ رجعت على صاحبها.

و فيه عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ اللّعنه إذا خرجت من فىّ صاحبها تردّدت بينهما فان وجدت مساغا و إلاّ رجعت على صاحبها.

و عن معلّى عن أحمد بن غسّال عن سماعه قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال لى مبتدأ: يا سماعه ما هذا الّذى بينك و بين جمّالك إيّاك أن تكون فحّاشا أو سخّابا أو لعّانا، فقلت: و اللّه لقد كان ذلك إنّه ظلمنى، فقال: إن كان ظلمك لقد

أربيت عليه إنّ هذا ليس من فعالى و لا آمر به شيعتى استغفر ربّك و لا تعد، قلت:

أستغفر اللّه و لا أعود.

ثمّ المراد بالمؤمن الـذى قلنا بعدم جواز سبّه و لعنه هل هو مطلق المؤمن أو خصوص من لم يستحق الاستخفاف، ظاهر الأخبار الاطلاق لكنّ المستفاد من بعض الأخبار و كلمات علمائنا الأبرار هو الاختصاص فيجوز سبّ المستحق إذا لم يكن متضمّنا للقذف.

قال فى البحار بعد ما روى من الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قال: سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصيه، و حرمه ماله كحرمه دمه: ما عبارته:

السّباب هنا بالكسر مصدر باب المفاعله، و هو إمّا بمعنى السّب أو المبالغه فى السبّ أو على بابه من الطرفين و الاضافه إلى المفعول أو الفاعل، و الأوّل أظهر فيدلّ على أنّه لا بأس بسبّ غير المؤمن إذا لم يكن قذفا.

بل يمكن أن يكون المراد بالمؤمن من لا يتظاهر بارتكاب الكبائر و لا يكون مبتدعا مستحقّا للاستخفاف.

قال المحقّق فى الشّرايع: كلّ تعريض بما يكرهه المواجه و لم يوضع للقذف لغه و لا عرفا يثبت به التعزير إلى قوله: و لو كان المقول له مستحقّا للاستخفاف فلا حدّ و لا تعزير، و كذا كلّ ما يوجب أذى كقوله: يا أجذم أو يا أبرص.

و قال الشّهيد الثّانى فى شرحه: لمّا كان أذى المؤمن الغير المستحقّ للاستخفاف محرّما فكلّ كلمه تقال له و يحصل له بها الأذى و لم تكن موضوعه للقذف بالزّنا و ما فى حكمه لغه و لا عرفا يجب بها التّعزير بفعل المحرم كغيره من المحرّمات و منه التّعبير بالأمراض.

و فى صحيحه عبد الرّحمن بن أبى عبد اللّه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن رجل سبّ رجلا بغير قذف يعرّض به هل يجلّد؟ قال: عليه التعزير.

و المراد بكون المقول له مستحقّا للاستخفاف أن يكون فاسقا متظاهرا بفسقه

ص:٨٥

فانّه لا حرمه له حينئذ.

لما روى عن الصّادق عليه السّلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمه له، و لا غيبه قال: و فى بعض الأخبار: من تمام العباده الوقيعه فى أهل الرّيب.

و فى الصّحيح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا رأيتم أهل البدع و الرّيب من بعدى فأظهروا البراءه منهم و أكثروا من سبّهم و القول فيهم و الوقيعه و باهتوهم لئلا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام و يحذّرهم النّاس و لا يتعلّمون من بدعهم يكتب اللّه لكم بذلك الحسنات، و يرفع لكم به الدّرجات «فى الاخره» انتهى.

و أمّا غير المؤمن من الكافر و المنافق و المبغض لآل محمّد صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم، فلا ريب فى جواز لعنهم و وجوب معاداتهم و البراءه منهم، و آيات الكتاب و روايات الأئمّه الأطياب مشحونه به، قال تعالى «إِنَّ اللّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً » و قال «أُولئِکَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ ».

و فى البحار من العيون باسناد التميمى عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من تولّى غير مواليه فعليه لعنه اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين قال الصّدوق فى عقايده: اعتقادنا فى الظالمين انّهم ملعونون و البراءه منهم واجبه قال اللّه عزّ و جلّ «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُولئِکَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ كافِرُونَ ».

و قال ابن عباس فى تفسير هذه الايه: سبيل اللّه عزّ و جلّ فى هذا الموضع علىّ بن أبى طالب، و الأئمه فى كتاب اللّه عزّ و جلّ: إمامان: إمام هدى، و إمام ضلاله قال اللّه جلّ ثناؤه: «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا » و قال عزّ و جلّ فى أئمه الضلال «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ لا يُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ».

و لمّا نزلت هذه الايه «وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّهً » قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ظلم عليّا مقعدى هذا بعد وفاتى فكأنّما جحد نبوّتى

و نبوّه الأنبياء من قبلى، و من تولّى ظالما فهو ظالم قال اللّه عزّ و جلّ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » و قال اللّه عزّ و جلّ «لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ » و قال عزّ و جلّ «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » و قال عزّ و جلّ «وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ » و الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، فمن ادّعى الامامه و ليس بامام فهو الظالم الملعون، و من وضع الامامه فى غير أهلها فهو ظالم ملعون، انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما سبّ هؤلاء و شتمهم فالظاهر جوازه أيضا كما ظهر من المحدّث العلامه المجلسى، بل هو ظاهر عباره الشهيد الثانى أيضا لعدم الرّيب فى فسقهم الموجب للاستخفاف بأىّ نحو كان.

و يدل على ذلك صريحا ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسير سوره الأحزاب فى اقتصاص غزوه بنى قريظه قال: فجاء أمير المؤمنين عليه السّلام فأحاط بحصنهم فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم و يشتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: بأبى و امّى يا رسول اللّه لا تدن من الحصن، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا علىّ لعلّهم شتمونى انهم لو رأونى لأذلّهم اللّه، ثمّ دنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حصنهم فقال: يا اخوه القرده و الخنازير و عبده الطاغوت أ تشتمونى إنا إذا نزلنا بساحه قوم فساء صباحهم، فأشرف عليهم كعب بن اسيد من الحصن فقال: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فاستحى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى سقط الرّداء من ظهره حياء مما قاله الحديث.

و يدل عليه أيضا ما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار التاسع عشر للاشعث ابن قيس: عليك لعنه اللّه و لعنه اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر، و ما قاله فى المختار المأه و الخامس و الثلاثين للمغيره بن الأخنس يا ابن اللّعين الأبتر و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره كما هو غير خفىّ

على المتتبّع الخبير.

هذا كله إذا لم يتضمّن سبّهم للقذف، و أمّا إن تضمّن ذلک فلا كالمؤمن.

و يدل على ذلک ما رواه فی الكافی باسناده عن عمرو بن النعمان الجعفی قال:

كان لأبی عبد اللّه عليه السّلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكانا فبينما هو يمشی معه فی الحذائين(۱) و معه غلام سندی له يمشی خلفهما إذا التفت الرّجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلما نظر فی الرابعه قال: يا ابن الفاعله أين كنت؟ قال:

فرفع أبو عبد اللّه عليه السّلام يده فصكّ بها جبهه نفسه ثمّ قال عليه السّلام: سبحان اللّه تقذف امّه قد كنت أرى أنّ لک ورعا فاذا ليس لک ورع، فقال: جعلت فداک إنّ امّه سنديّه مشركه فقال عليه السّلام: أما علمت أنّ لكلّ امه نكاحا تنحّ عنی، قال: فما رأيته يمشی معه حتی فرّق الموت بينهما، قال: و فی روايه اخرى انّ لكلّ امه نكاحا يحتجزون به عن الزّنا.

و فی الوسائل من الكافی عن علیّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبی عمير عن أبی الحسن الحذا قال: كنت عند أبی عبد اللّه عليه السّلام فسألنی رجل ما فعل غريمک قلت:

ذاک ابن الفاعله، فنظر إلیّ أبو عبد اللّه عليه السّلام نظرا شديدا قال: فقلت: جعلت فداک إنه مجوسیّ امه اخته، فقال عليه السّلام: أ و ليس ذلک فی دينهم نكاحا.

و إذا تمهّد لک هذه المقدّمه الشريفه و عرفت جواز سبّ غير المؤمن و لعنه و طعنه و الوقيعه فيه فلنرجع إلى شرح المتن و نبيّن وجه منعه عليه السّلام لأصحابه عن سبّ أهل الشام كما يستفاد من قوله عليه السّلام:

(إنی أكره لكم أن تكونوا سبّابين) و لعلّ النكته فی ذلک أنه عليه السّلام لما كان غرضه الأصلی و مقصوده بالذّات فی جميع حروبه هدايه الانام و إعلاء كلمه الاسلام و انقاذهم من ورطات الجهاله و الضلاله لا القتل و الغاره و الملک و السلطنه بالاصاله كما أشار إلى ذلک فی المختار الرّابع و الخمسين بقوله عليه السّلام حين استبطاء أصحابه اذنه لهم فی القتال بصفين: و أما قولكم شكا فی أهل الشام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما

۱- (۱) - الحذّاء وزان شدّاد صانع الحذاء و هو النعل، منه.

إلاّ ـ و أنا أطمع أن تلحق بی طائفه فتهتـدی بی و تعشو إلی ضوئی، و ذلک أحبّ إلیّ من أن اقتلها علی ضـلالها و إن کانت تبوء باثامها، و کان حصول هـذا الغرض بالرّفق و المـداراه و الحلم و کظم الغیظ لا بالغلظه و الخشونه و السّبّ و اللّعنه، لا جرم منعهم من السبّ لئلاّ یبعث علی شدّه العناد و مزید العداوه.

و الی ذلک یومی ما رواه فی الکافی عن أبی بصیر عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

إنّ رجلا من بنی تمیم أتی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: اوصنی، فکان فیما أوصاه أن قال:

لا تسبّوا الناس فتکسبوا العداوه بینهم.

و یـدل علی ذلـک صـریحا قوله تعـالی فی سوره بنی إسـرائیل «وَ قُـلْ لِعِبـادِی یَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّیْطـانَ یَنْزَغُ بَیْنَهُمْ إِنَّ الشَّیْطانَ کانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِیناً » أی انّ الشیطان یفسد بینهم و یغری بعضهم ببعض و یلقی بینهم العداوه.

قال فی الصافی فی تفسیر الایه: قل لعبادی یعنی المؤمنین یقولوا للمشرکین الکلمه التی هی أحسن و لا یخاطبوهم بما یغیظهم و یغضبهم إنّ الشیطان یهیج بینهم المراء و الشرّ، فلعلّ المخاشنه بهم یفضی إلی العناد و ازدیاد الفساد.

و قال تعالی أیضا فی سوره السـجده «لا تَسْـتَوِی الْحَسَـنَهُ وَ لَا السَّیِّئَهُ ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ وَ مـا یُلَقّاهـا إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَ ما یُلَقّاها إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِیم » قال فی مجمع البیان: لا تستوی الخصـله الحسـنه و السـیئه، فلا یسـتوی الصبر و الغضب و الحلم و المـداراه و الغلظه و العفو و الاسـائه، ثمّ بیّن سـبحانه مـا یلزم علی الـدّاعی من الرّفق بالمـدعوّ فقـال: ادفع بـالتی هی أحسن، خـاطب النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فقال: ادفع بحقک باطلهم و بحلمک جهلهم و بعفوک اسائتهم، فانـک إذا دفعت خصومک بلین و رفق و مـداراه صار عـدوّک الـذی یعادیک فی الـدّین بصوره ولیّک القریب فکأنه ولیّک فی الـدّین و حمیمک فی النسب، و ما یلقّیها أی ما یلقّی هـذه الفعله و هذه الحاله التی هی دفع السیئه بالحسـنه إلاّ الذین صبروا علی کظم الغیظ و احتمال المکروه، و ما یلقّیها أی هذه الخصله الاّ ذو نصیب وافر من العقل و الرّأی.

و قال تعالی أیضا فی سوره الشوری «وَ الَّذِینَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْیُ هُمْ یَنْتَصِرُونَ »

«وَ جَزاءُ سَيِّئَهٍ سَيِّئَهٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأولئِکَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: الذين إذا أصابهم البغى من غيرهم هم ينتصرون ممّن بغى عليهم، فمن انتصر و أخذ بحقّه و لم يجاوز فى ذلک ما حدّ اللّه فهو مطيع للّه و من أطاع اللّه فهو محمود.

ثمّ ذكر حدّ الانتصار فقال: و جزاء سيئه سيئه مثلها، قيل: هو جواب القبيح إذا قال أخزاك اللّه قال أخزاك اللّه، و سمّى الثانيه سيئه للمشاكله و كونها فى مقابله الأولى.

ثمّ ذكر سبحانه العفو فقال: فمن عفى و أصلح فأجره على اللّه أى فمن عفى عمّاله المؤاخذه به و أصلح أمره بينه و بين ربّه فثوابه على اللّه إنه لا يحبّ الظالمين بيّن سبحانه انّه لم يرغب المظلوم فى العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لحبّه إيّاه و لكنّه ليعرّضه بذلک لجزيل الثواب و لحبّه الاحسان و الفضل.

ثمّ ذكر سبحانه المنتصر فقال: و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئک ما عليهم من سبيل معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أى بعد أن ظلم و تعدّى عليه فالمنتصرون ما عليهم من اثم و عقوبه و ذّم إنّما السّبيل أى الاثم و العقاب على الذين يظلمون النّاس ابتداء و يبغون فى الأرض بغير الحقّ اولئک لهم عذاب أليم و لمن صبر و تحمّل المشقّه فى رضاء اللّه و غفر فلم ينتصر فانّ ذلک الصّبر و التجاوز لمن عزم الامور.

فقد علم بما ذكرنا كلّه أنّ استكراهه عليه السّلام لسبّ أهل الشّام لم يكن لتحريمه كما توهّمه الشّارح البحرانى، بل لا يراثه ازدياد الفساد و مزيد العداوه و العناد المنافى لغرضه عليه السّلام، مع أنّ فى الرّفق و المداراه و العفو و الصّفح من المصالح الدّنيويه و الاخرويّه ما لا تحصى حسبما اشيرت اليها فى الايات الشريفه و الأخبار

ص:۹۰

التى لا تستقصى.

و لكون هذه الخصال من مكارم الأخلاق و مزايا الخصال واظب عليها فى نفسه كما حثّ عليها أصحابه.

فقد روى فى البحار من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم عن رجل عن منازل الجهنى عن زيد بن وهب أنّ عليا مرّ على جماعه من أهل الشّام فيهم الوليد بن عقبه و هم يشتمونه فأخبروه بذلك فوقف فى ناس من إخوانه فقال:

انهدوا(١) إليهم و عليكم بالسّكينه و سيماء السّالكين و وقار السلام و اللّه لاقرب قوم من الجهل باللّه عزّ و جلّ قوم قائدهم و مؤدّبهم معاويه و ابن النابغه و ابن الأعور السّلمى و ابن أبى معيط شارب الحرام و المجلود حدا فى الاسلام، و هم اولى يقومون فيقصبونى(٢) و يشتمونى و قبل اليوم ما قاتلونى و شتمونى و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الاسلام و هم يدعونى إلى عباده الأصنام، الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و قديما ما عادنى الفاسقون إنّ هذا هو الخطب الجليل إنّ فسّاقا كانوا عندنا غير مرضيّين، و على الاسلام و أهله متخوّفين، حتّى خدعوا شطر هذه الامّه و اشربوا قلوبهم حبّ الفتنه و استمالوا أهواءهم بالافك و البهتان، و قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا فى اطفاء نور اللّه، و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون، اللّهمّ إنّهم قد ردّوا الحقّ فافضض جمعهم، و شتّت كلمتهم، و ابسلهم بخطاياهم، فانّه لا يذلّ من واليت، و لا يعزّ من عاديت.

فانظر إلى كريم خلقه و شرفه و سودده و حلمه، فانّه مع سماعه لشتمهم لعنهم اللّه كيف كفّ و حلم و صفح و أمر أصحابه بالنهد إليهم و أوصاهم بالسّكينه و الوقار و لزوم سيماء الصّالحين، و لعمرى إنّه عليه السّلام المصداق الحقّ لقوله تعالى «وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » هذا.

و يحتمل أن يكون السرّ فى المنع من سبّ أهل الشّام التحرّز من سبّهم له،

١- (١) - نهد لعدوّه صمد اليه، ق

٢- (٢) - قصبه عابه، ق

فیکون السّبّ لهم و الحال ذلک حراما، و یراد بالکراهه الحرمه لا معناها المعروف فی مصطلح المتشرّعه.

فیکون مساقه مساق قوله تعالی «وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَیَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ » قال قتاده: کان المسلمون یسبّون أصنام الکفار فنهاهم عن ذلک لئلا یسبّوا اللّه فانّهم قوم جهله.

و فی مجمع البیان نهی اللّه المؤمنین أن یسبّوا الأصنام، لما فی ذلک من المفسده فقال: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »، أی لا تخرجوا من دعوه الکفّار و محاجّتهم إلی أن تسبّوا ما یعبدون، فانّ ذلک لیس من الحجاج فی شیء فیسبّوا اللّه عدوا أی ظلما بغیر علم و أنتم الیوم غیر قادرین علی معاقبتهم بما یستحقّون، فیدلّ علی وجوب کفّ اللّسان عن المخالفین و عن أئمتهم فی مقام عدم التمکن.

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم قال: حدّثنی أبی عن مسعده بن صدقه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سئل عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ الشّرک أخفی من دبیب النّمل علی صفاء سوداء فی لیله ظلماء، قال علیه السّلام: کان المؤمنون یسبّون ما یعبد المشرکون من دون اللّه، فکان المشرکون یسبّون ما یعبد المؤمنون، فنهی اللّه المؤمنین عن سبّ آلهتهم لکیلا یسبّوا الکفّار إله المؤمنین فیکون المؤمنون قد أشرکوا باللّه من حیث لا یعلمون فقال: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ » الایه.

و فی الصّافی من الکافی عن الصّادق علیه السّلام فی حدیث: إیّاکم و سبّ أعداء اللّه حیث یسمعونکم فیسبّوا اللّه عدوا بغیر علم.

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ المقصود بالایه النّهی عن سبّهم لئلا یسبّوا ولیّ اللّه فیکون المراد بالایه و المراد بکلام الامام شیئا واحدا.

فقد روی فی الصّافی عن العیاشی عن الصّادق علیه السّلام انّه سئل عن هذه الایه فقال علیه السّلام: أرایت أحدا یسبّ اللّه؟ فقیل: لا و کیف؟ قال: من سبّ ولیّ اللّه فقد سبّ اللّه.

قال فی الصّافی: و فی الاعتقادات عنه علیه السّلام إنه قیل له: إنا نری فی المسجد رجلا یطعن بسبّ أعدائکم و یسبّهم، فقال: ما له لعنه اللّه تعرّض بنا قال اللّه «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ » الایه.

قال و قال الصّادق علیه السّلام فی تفسیر هذه الایه: لا تسبّوهم فانهم یسبّون علیّکم، قال: و من سبّ ولیّ اللّه فقد سبّ اللّه قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ علیه السّلام: من سبّک فقد سبّنی و من سبّنی فقد سبّ اللّه و من سبّ اللّه فقد کبّه اللّه فی منخریه فی نار جهنم فقد تحصّل مما ذکرنا أنّ سبّ أعداء اللّه و لعنهم و طعنهم مندوب مرغوب شرعا عند التمکن و القدره، و الکفّ عنهم و الصفح و الاعراض واجب عند عدم الاستطاعه کما قال تعالی «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّی یَأْتِیَ اللّهُ بِأَمْرِهِ » و قال «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِینَ » هذا.

و لما منعهم من السب رغّبهم بأحسن القول و أصوبه الذی لا یهیج الفساد فقال (و لکنکم لو وصفتم أعمالهم و ذکرتم حالهم) بدل السباب لهم و شرحتم ما هم علیه من البغی و الظلم و العدوان و اتباع الهوی و الانحراف عن قصد السبیل من باب النصح و الارشاد و التنبیه علی الخطاء (کان أصوب فی القول) لأنه من باب الدفع و الجدال بالتی هی أحسن المأمور بهما فی قوله تعالی «اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما یَصِفُونَ » أی أدفع باطلهم ببیان الحجج علی ألطف الوجوه و أوضحها و أقربها إلی الاجابه و القبول نحن أعلم بما یکذبون و یقولون و نجازیهم بما یستحقّون و فی قوله تعالی «اُدْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ » قال الطبرسی: أی ادع إلی دینه لأنه الطریق إلی مرضاته بالحکمه و الموعظه الحسن و هو الصرف عن القبیح علی وجه الترغیب فی ترکه و التزهید فی فعله، و فی ذلک تلیین القلوب بما توجب الخشوع، و جادلهم بالکلمه التی هی أحسن و المعنی اقتلوا المشرکین و اصرفهم عماهم علیه بالرّفق و السکینه و لین الجانب فی النصیحه لیکونوا أقرب إلی الاجابه فانّ الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطریق الحجاج (و) کان (أبلغ فی العذر) إن مسّت الحاجه إلی الاعتذار مثل أن لو اعترض علیکم معترض منهم فی قتلهم و قتالهم کان لکم أن تجیبوهم و تعتذروا إلیهم بأنا قد ذکّرناکم فلم تتذکروا، و نصحناکم فلم تنتصحوا، و وعظناکم فلم تقبلوا، فلیس لکم

عندنا عتبی (و) لو (قلتم مکان سبّکم إیاهم اللّهمّ احقن دمائنا و دمائهم) أی احفظها و أمسکها من السفک (و اصلح ذات بیننا و بینهم) أی العداوه التی بیننا و بینهم أو أصلح حقیقه فرقتنا و بینونتنا و بدّلها بالایتلاف و الاجتماع (و اهدهم من ضلالتهم حتی یعرف الحق) و یفیء إلیه (من جهله و یرعوی) أی یرتدع (عن الغیّ) و الضلال (و العدوان من لهج) و أولع (به) لکان أحسن القول و أجمله.

تکمله

هذا کلام رواه الشارح المعتزلی فی شرح المختار السادس و الأربعین من کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف و زیاده احببت نقله.

قال: قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن الحرث بن حصین عن عبد اللّه ابن شریک قال:

خرج حجر بن عدی و عمرو بن الحمق یظهر ان البراءه من أهل الشام، فأرسل علیّ علیه السّلام إلیهما أن کفّا عمّا لا ینبغی عنکما، فأتیاه فقالا: یا أمیر المؤمنین ألسنا محقّین؟ قال: بلی، قالا: أو لیسوا مبطلین؟ قال: بلی، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال:

کرهت لکم أن تکونوا شتامین لعانین تشتمون و تبرون و لکن لو وصفتم مساوی أعمالهم فقلتم من سیرتهم کذا و کذا و من أعمالهم کذا و کذا کان أصوب فی القول و أبلغ فی العذر، و قلتم مکان لعنکم إیاهم و براءتکم منهم: اللهمّ احقن دماءهم و دماءنا و أصلح ذات بینهم و بیننا و اهدهم من ضلالتهم حتی یعرف الحقّ منهم من جهله و یرعوی عن الغیّ و العدوان منهم من لهج به، لکان أحبّ إلیّ و خیرا لکم، فقالا یا أمیر المؤمنین نقبل عظتک و نتأدّب بأدبک.

و یظهر من هذه الروایه انه علیه السّلام کما کان یکره منهم الشتم کذلک یکره اللعن و البراءه للنکته التی قدّمناها، فما قاله الشارح المعتزلی فی شرح المقام:

من أنّ الذی کرهه علیه السّلام منهم أنهم کانوا یشتمون أهل الشام و لم یکن یکره منهم لعنهم إیاهم و البراءه منهم لیس بوجیه.

الترجمه

از جملهٔ کلام نصیحت انجام آن بزرگوار است در حالتی که شنید جماعتی را از اصحاب خود که فحش می دادند شامیان را در ایام جنگ صفین:

بدرستی که من ناخوش دارم برای شما این که فحاش بشوید، و لیکن اگر تعریف نمائید عملهای ایشان را و ذکر نمائید حالهای ایشان را مقرون بصواب باشد در گفتار، و مقرون بکمال باشد در مقام اعتذار، و اگر بگوئید بجای فحش دادن شما ایشان را: بار پروردگارا نگه بدار خونهای ما و خونهای ایشان را از ریخته شدن، و اصلاح بفرما عداوت و دشمنی میان ما و میان ایشان را، و هدایت کن ایشان را از گمراهی خودشان تا این که بشناسد حق را کسی که جاهل بوده است بان و برگردد از گمراهی و تعدی کسی که حریص و مهیج باشد بان هر آینه این بهتر خواهد شد، اللهمّ وفقنا للطاعه.

و من كلام له عليه السّلام فى بعض ايام صفين و هو

اشاره

المأتان و السادس من المختار فى باب الخطب

و قد رأى الحسن عليه السّلام ابنه يتسرّع إلى الحرب:

أملكوا عنّى هذا الغلام لا يهدّنى، فإنّى أنفس بهذين - يعنى الحسن و الحسين عليهما السّلام - على الموت، لئلّا ينقطع بهما نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال الرضى أبو الحسن «ره»: قوله: املكوا عنى هذا الغلام من أعلى الكلام و أفصحه.

اللغه

(ملكه) يملكه من باب ضرب ملكا بتثليث الميم احتواه قادرا على الاستبداد به، فهو مالك و ذاك مملوك و عبد مملكه مثلّثه اللام إذا سبى و ملك و لم يملك أبواه

و ملک على النّاس أمرهم إذا تولى السلطنه فهو ملک بکسر اللام، و أملکه الشيء و ملّکه من باب الافعال و التفعيل بمعنى واحد، و ملکت العجين ملکا من باب ضرب شددته و قوّيته و أنعمت عجنه، و ملک نفسه منعها من السّقوط في شهواتها و ما تمالک أن فعل أي لم يقدر على حبس نفسه.

و لفظ أملکوا في أکثر النّسخ حسبما صرّح به العلامه المجلسي أيضا بفتح الألف من باب الافعال.

و ضبطه الشّارح المعتزلي بصيغه الثلاثي مجردا قال: الألف في املکوا وصل لأنّ الماضي ثلاثي من ملکت الفرس و الدّار و العبد أملک بالکسر أي احجروا عليه کما يحجر المالک على مملوکه، قال: و عن متعلّقه بمحذوف تقديره استولوا عليه و أبعدوه،و لمّا کان الملک سبب الهجر على مملوکه عبّر بالسّبب عن المسبّب، انتهى.

و على النسخ المشهوره فلا بدّ من جعل المزيد بمعنى المجرّد کما يستعمل المتعدّى مورد اللازم في نحو کبّه فأکبّ.

و قال الرّاوندي في محکي کلامه: املکوا أي أمسکوه لأجلي يقال ما تمالک أن قال، أي ما تماسک و قيل: إنّه من ملکت العجين أي خذوه بالشدّه.

و قال البحراني: أملکوه شدّوه و اضبطوه و (الهدّ) الهدم بشدّه و الکسر و (نفس) به من باب فرح ضنّ و بخل و (انسل) الولد و نسل نسلا من باب ضرب کثر نسله و تناسلوا توالدوا أي ولد بعضهم من بعض.

الاعراب

حرف عن في قوله أملکوا عنّي على قول الشّارح المعتزلي و البحراني بمعناها الأصلي أعني المجاوزه، أو بمعنى من کما في قوله «هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ » و على قول الرّاوندي فهي بمعنى اللام للتّعليل کما في قوله تعالى: «وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلّا عَنْ مَوْعِدَةٍ » و الأظهر عندي أنّها بمعنى البدل و العوض

كما فى قوله تعالى «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ».

و قوله لا يهدّنى فى بعض النّسخ بالنّصب على اضمار أن أى لئلّا يهدّنى، و فى بعضها بالرّفع على الغاء ان المضمره عن العمل كما فى قولهم: و تسمع بالمعيدى خير من أن تراه على روايه الرّفع، و قد روى بالوجهين أيضا قول طرفه:

ألا ايّهذا الزّاجرى احضر الوغى و ان اشهد اللذات هل أنت مخلد

قال علماء الأدب: و انتصاب المضارع فى هذا الشّعر بأن شاذّ لعدم وقوعه فى جواب أحد الأشياء الستّه.

و يحتمل أن يكون انتصاب يهدّنى بلفظه كى مضمره إن جوّزنا إضمارها كما نصبت مظهره فى قوله تعالى «لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ » و قوله «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » و قوله «كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ » و «لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً » و نحوها.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرّضى قد خاطب به أصحابه فى بعض أيّام صفين و قد رأى الامام الهمام أبا محمّد الحسن عليه السّلام ابنه يتسرّع أى يتعجّل إلى الحرب فقال لهم:

(أملكوا عنّى هذا الغلام) أراد به منعهم له من التسرّع إليه و حفظهم إياه بدلا منه.

قال الشارح المعتزلى فى وجه علوّ هذا الكلام و فصاحته على ما أشار إليه السّيد: إنّه لمّا كان فى أملكوا معنى العبد أعقبه بعن، و ذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين عليه السّلام إلا و قد أبعدوه عنه ألا ترى أنك إذا حجرت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو، فلذلك قال: املكوا عنّى، انتهى.

و لا بأس به إلّا انه انما يحسن لو كان الحسن فى تسرّعه إلى الحرب متابعا لأبيه عليه السّلام معاقبا له فيستحسن حينئذ أن يقول عليه السّلام: ابعدوه عنى، و لكن الرّوايه لا دلاله فيها على ذلك.

و الأوجه عندى انه علیه السّلام لما شاهد من ابنه مسارعته إلى الحرب و كان بنفسه غير متمكن من حفظه و ممانعته لمكان اشتغاله بكريهه الحرب و القتال و القتال أمر أصحابه بمحافظته علیه السّلام بأحسن تعبير و ألطف عباره و قال لهم: أملكوا أى أملكوه من التسرّع، فعدل عن التعبير بلفظ المنع و الضبط و الحفظ و المراقبه و الامساک و ما ضاهاها إلى التعبير بلفظ الملک، لما فيه من الدلاله على التسلط و الاستيلاء و التمكّن من التصرف و القدره على الممانعه و الحفظ بأىّ وجه أمكن و أىّ نحو شاء و أراد المالک ما ليس فى غيره من الألفاظ المذكوره، يعنى امنعوه و احفظوه منع المالک لملكه و حفظه إياه.

ثمّ أكّد ذلک بقوله عنّى يعنى أنى كما لو كان ممكنا لى لكنت أملكه و اراقبه غايه المراقبه، فحيث إنه لا يمكن لى ذلک فكونوا مالكين له مراقبين عليه بدلا منّى و راقبوه مثل مراقبتى غير متوانين و لا مقصّرين.

فقد علم بذلک أنّ فى هذه العباره من الدّلاله على تأكيد المنع و المحافظه ما ليس فى غيرها.

و علل علیه السّلام ذلک بقوله (لا يهدّنى) أى لئلا يكسرنى لأنّ التسرّع إلى الحرب مظنه القتل و الهلاک و موت الولد الصالح المعين خصوصا مثل أبى محمّد الحسن علیه السّلام موجب لانک «كذا» ظهر الوالد و ذهاب قوّه قلبه و نور بصره.

ثمّ علل علیه السّلام بعله ثانيه و قال (فانى أنفس) أى أبخل (بهذين - يعنى الحسن و الحسين عليهما السّلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم).

تنبيه

اشاره

قال الشارح المعتزلى:

فان قلت: يجوز أن يقال للحسن و الحسين و ولدهما أبناء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ولد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذرّيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ قلت: نعم لأنّ اللّه تعالى سماهم ابناه فى قوله «نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ » و انما عنى الحسن و الحسين و لو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات و سمّى اللّه تعالى

عیسی ذرّیه إبراهیم فی قوله تعالی «وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ » إلی أن قال «وَ یَحْیی وَ عِیسی » و لم یختلف أهل اللغه فی أنّ ولد البنات من نسل الرّجل.

فان قلت: فما تصنع بقوله تعالی «ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ »؟ قلت: أسألک عن ابوّته لابراهیم بن ماریه فکلّ ما تجیب به عن ذلک فهو جوابی عن الحسن و الحسین علیهما السّلام و الجواب الشامل للجمیع أنه عنی زید بن حارثه لأنّ العرب کانت تقول: زید بن محمّد علی عادتهم فی تبنّی العبد، فأبطل اللّه ذلک و نهی عن سنه الجاهلیه و قال: إنّ محمّدا لیس أبا لواحد من الرّجال الباغین المعروفین بینکم لیفتری إلیه بالنبوّه، و ذلک لا ینفی کونه أبا لأطفال لم یطلق علیهم لفظه الرّجال کابراهیم و حسن و حسین علیهم السّلام.

فان قلت: أتقول إنّ ابن البنت ابن علی الحقیقه الأصلیه أم علی سبیل المجاز؟ قلت: لذاهب أن یذهب إلی أنّه حقیقه أصلیه لأنّ الأصل فی الاستعمال الحقیقه، و قد یکون اللفظ مشترکا بین مفهومین و هو فی أحدهما أشهر و لا یلزم من کونه أشهر فی أحدهما أن لا یکون حقیقه فی الاخر، و لذاهب أن یذهب إلی أنّه حقیقه عرفیّه، و لذاهب إلی کونه مجازا قد استعمله الشّارع، فجاز إطلاقه فی کلّ حال و استعماله کسایر المجازات المستعمله.

قال: و ما یدلّ علی اختصاص ولد فاطمه علیهما السّلام دون بنی هاشم کافه بالنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه ما کان یحلّ له علیه السّلام أن ینکح بنات الحسن و الحسین علیهما السّلام و لا بنات ذرّیتهما و إن بعدت و طال الزّمان، و یحلّ له نکاح بنات غیرهم من بنی هاشم من الطالبیّین و غیرهم و هذا یدلّ علی مزید الأقربیّه و هی کونهم أولاده فان قلت: فقد قال الشّاعر:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

و قال حکیم العرب أکثم الصّیفی فی البنات یذّمهنّ: إنّهنّ یلدن الأعداء و یورّثن البعداء.

قلت: إنّما قال الشّاعر ما قاله علی المفهوم الأشهر، و لیس فی قول أکثم

ما یـدلّ علی نفی بنوّتهم و إنّما ذکر أنّهن یلـدن الأعـداء و قـد یکون ولد الرّجل لصـلبه عدوّا قال اللّه تعالی «إِنَّ مِنْ أَزْواجِکَمْ وَ أَوْلادِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ » و لا ینفی کونه عدوّا کونه ابنا، انتهی.

اقول: ما حقّقه الشّارح هو الحقّ الموافق للتحقیق، و هو مأخوذ من أخبار أهل بیت العصمه و الطهاره حسبما نشیر إلی بعضها و ان شئت مزیدا علی ذلک فأقول:

لا شکّ إنّ نسبه الابن و البنت إلی الأب و الامّ من حیث التّکوین و الخلقه نسبه واحده لکونهما مخلوقین من نطفتهما قال تعالی «إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ » أی أخلاط لأنّ ماء الرّجل یختلط بماء المرأه و دمها یکون مشـیجا أربعین لیله، و قال أیضـا «فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسـانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مـاءٍ دافِقٍ یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ » أی صـلب الرّجـل و ترائب المرأه أی صـدرها، لأنّ متیّهـا یخرج منه و من أجـل اتّحـاد نسـبتهما إلیهمـا فی التّکوّن صـحّ إضافتهمـا إلی کـلّ منهمـا فی مقام التلفّظ و التعبیر من دون تفاوت، فیقال ابن فلان و ابنه فلان و ابن فلانه و ابنه فلانه، و لم یخالف فی صحّه هذه الاضافه أحد من أهل العرف و اللغه أصلا و قد قال تعالی فی کتابه العزیز «وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ » و قال «وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها ».

فاذا صـحّ إضافه الابن إلی الامّ و الامّ إلی أبیها و هکـذا إضافته إلی الأب و الأب إلی أبیه بلا خلاف فلتصحّ اضافته إلی أب الامّ کما تصحّ إلی أب الأب، لعدم مانع یتصوّر إلاّ الشّعر المتقدّم أعنی قوله:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

و هو لا یصلح للمانعیّه.

إما لما قاله الشّارح المعتزلی: من ابتنائه علی کون اطلاق الأبن علی ابن الابن أشـهر و أغلب من اطلاقه علی ابن البنت، و الشّهره فی الاطلاق لا تدلّ علی کونه حقیقه فیه فقط و مجازا فی غیره کما برهن فی الاصول.

أو لابتنائه علی مجری عاده العرب من إسقاطهم البنات مع کونهنّ أولادا

ص:۱۰۰

حقيقه من درجه الأولاد من أجل الاستنكاف و الالفه و النّخوه العربيّه و حميّه الجاهليّه كما شرح اللّه حالهم فى قوله «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ » و قد بلغوا فى الاستنكاف منهنّ إلى أن جرت عادتهم على الوئد و القتل حتّى نهاهم اللّه عن ذلك و عاتبهم عليه فى قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ » و قوله «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » حسبما عرفت تفصيل ذلك فى شرح الفصل السّادس من الخطبه المأه و الحاديه و التّسعين المعروفه بالقاصعه.

أو لما قاله ابن إدريس فى محكى كلامه من السّرائر: من أنّ الشاعر انما أراد بقوله بنونا بنو أبنائنا آه الانتساب بمعنى أنّ أولاد البنت لا ينسبون إلى امّهم و انّما ينسبون إلى آبائهم و ليس كلامنا فيه بل فى الولاده و هى متحقّقه من جهه الامّ من غير خلاف و الذكر و الانثى فيه سواء.

و قد وافقنا على ذلك غير واحد من الأصحاب منهم المرتضى و ابن إدريس و صاحب الجواهر فى غير موضع منه، و قد بسط الكلام فى ذلك كلّ البسط فى كتاب الخمس منه، و قال بعد اختياره موافقه المرتضى فى كونه ابنه حقيقه: إنّه يظهر ذلك من جماعه من الأصحاب فى غير المقام، بل قد يظهر من المحكىّ عن ابن إدريس فى كتاب المواريث الاجماع عليه كما عن المرتضى فيه أيضا نفى الخلاف فيه، بل و كذا المحكىّ عن خلاف الشيخ فى باب الوقف و الميراث، بل ظاهره فيهما اجماع الامّه على ذلك.

ثمّ ساق الأدله فى ذلك، و أجاب عن الشّعر المتقدّم بأنّه مضافا إلى أنّه قول اعرابىّ جاهل لا يعارض الكتاب و السنّه محتمل لاراده المتعارف المعتاد فى جلب المنافع الدّنيويّه و المضار بالأولاد و أولادهم دون أولاد البنات، فكانوا كالأباعد بالنّسبه إلى ذلك، بل لعلّ ظهور اراده هذا الشاعر المجاز و المبالغه فى النّفى

ص:۱۰۱

شاهده على العكس، اذ من البعيد ارادته بيان الوضع و اللغه فتأمّل، انتهى كلامه رفع مقامه.

و الحاصل انا نرى أنهم يستعملون لفظ الابن و الولد فى ابن البنت و ولدها كاستعمالهم لهما فى ابن الابن و ولده مع عدم صحه السّلب، فيكونان حقيقه فيهما و لا دليل على المصير إلى المجاز.

و إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أطلق على الحسنين عليهما السّلام لفظ الابن فى غير واحد من الأخبار فيكونان ابنيه حقيقه.

و من جمله هذه الأخبار الحديث المشهور انّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال فيهما: هذان ابناى إمامان.

و فى البحار من المناقب عن فردوس الدّيلمى عن سلمان قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

سمّى هارون ابنيه شبرا و شبيرا، و انّنى سمّيت ابنىّ الحسن و الحسين.

و عن الدّار قطنى بالاسناد عن ابن عمر قال: قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ابناى هذان سيدا شباب أهل الجنّه و أبوهما خير منهما.

و عن الرّاغب عن أبى هريره و بريده رأيت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب على المنبر ينظر إلى الناس مرّه و إلى الحسن مرّه و قال: إنّ ابنى هذا سيصلح اللّه به بين فئتين من المسلمين.

و عن عبد الرّحمن بن أبى ليلى قال: كنّا جلوسا عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ أقبل الحسين عليه السّلام فجعل ينزو على ظهر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على بطنه فبال و قال عليه السّلام دعوه، قال أبو عبيد فى غريب الحديث إنّه قال: لا تزرموا ابنى أى لا تقطعوا عليه بوله ثمّ دعا بماء فصبّه على بوله.

و عن الطبرى عن طاوس اليمانى عن ابن عبّاس قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: رأيت فى الجنّه قصرا من درّه بيضاء لا صدع فيها و لا وصل، فقلت: حبيبى جبرئيل لمن هذا القصر؟ قال: للحسين ابنك، ثمّ تقدّمت أمامه فاذا أنا بتفّاح فأخذت تفّاحه ففلقتها فخرجت منها حوراء كان مقاريم النّسور أشفار عينيها فقلت: لمن أنت؟ فبكت

ثمّ قالت: لابنک الحسین، إلی غیر هذه ممّا لا نطیل بروایتها.

فقد ظهر ممّا ذکرنا و اتّضح کلّ الوضوح أنّه لا شکّ فی کونهما علیهما السّلام ابنیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حقیقه فلا یستریب فیه إلّا جاهل متعنّت أو جاحد متعصّب، و قد احتجّ علی ذلک الأئمه علیهم السّلام و غیرهم أیضا فی مجالس المخالفین و غیرها بأحکم بیّنه و برهان.

فقد روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ظریف بن ناصح عن عبد الصمد بن بشیر عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

قال لی أبو جعفر علیه السّلام: یا أبا الجارود ما یقولون فی الحسن و الحسین علیهما السّلام قلت: ینکرون علینا أنّهما ابنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال علیه السّلام: فبأیّ شیء احتججتم علیهم؟ قلت: بقول اللّه عزّ و جلّ فی عیسی بن مریم «وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ » إلی قوله «وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ » فجعل عیسی من ذرّیه إبراهیم قال علیه السّلام:

فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون ولد الابنه من الولد و لا یکون من الصّلب قال علیه السّلام: فأیّ شیء احتججتم علیهم؟ قلت: احتججنا علیهم بقول اللّه عزّ و جلّ «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ » الایه قال علیه السّلام: فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون فی کلام العرب ابنی رجل واحد فیقول أبنائنا و انّما هما ابن واحد قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: و اللّه یا أبا الجارود لأعطینّکها من کتاب اللّه تسمّی بصلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا یردّها إلّا الکافر، قال: قلت: جعلت فداک و أین؟ قال: حیث قال اللّه تعالی «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ » إلی أن ینتهی إلی قوله تعالی «وَ حَلائِلُ أَبْنائِکُمُ الَّذِینَ مِنْ أَصْلابِکُمْ » فسلهم یا أبا الجارود هل حلّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نکاح حلیلتهما فان قالوا: نعم فکذبوا و اللّه و فجروا، و إن قالوا: لا فهما و اللّه ابناه للصّلب و ما حرمتا علیه إلّا للصلب.

قال المحدّث العلامه المجلسیّ: وجه الاحتجاج بالایه الأخیره هو اتّفاقهم علی دخول ولد البنت فی هذه الایه و الأصل فی الاستعمال الحقیقه أو أنّهم یستدلّون بهذه الایه علی حرمه حلیله الولد و لا یتمّ إلّا بکونه ولدا حقیقه للصّلب

و هنا قصه لطيفه

و فى البحار وجدت فى بعض كتب المناقب مرسلا عن عامر الشّعبى أنّه قال:

بعث إلىّ الحجّاج ذات ليله فخشيت فقمت فتوضأت و أوصيت ثمّ دخلت عليه فنظرت فاذا نطع منشور و السّيف مسلول، فسلّمت عليه فردّ علىّ السّلام فقال:

لا تخف فقد امنتك اللّيله و غدا إلى الظهر، و أجلسنى عنده.

ثمّ أشار فاتى برجل مقيّد بالكبول و الأغلال فوضعوه بين يديه فقال: إنّ هذا الشّيخ يقول: إنّ الحسن و الحسين كانا ابنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليأتينىّ بحجّه من القرآن و إلاّ لأضربنّ عنقه، فقلت: يجب أن تحلّ قيده فانّه إذا احتجّ فانّه لا محاله يذهب و ان لم يحتج فانّ السّيف لا يقطع هذا الحديد، فخلّوا قيوده و كبوله فنظرت فاذا هو سعيد بن جبير فحزنت بذلك و قلت: كيف يجد حجّه على ذلك من القرآن، فقال له الحجاج: ائتنى بحجّه من القرآن على ما ادّعيت و إلاّ أضرب عنقك، فقال له: انتظر، فسكت ساعه ثمّ قال له مثل ذلك، فقال انتظر، فسكت ساعه ثمّ قال له مثل ذلك، فقال: أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ثمّ قال «وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ » إلى قوله «وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ » ثمّ سكت، و قال للحجّاج اقرء ما بعده، فقرأ «وَ زَكَرِيّا وَ يَحْيى وَ عِيسى » فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال: إنّه كان من ذرّيته قال: إن كان عيسى من ذريّه إبراهيم و لم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنسب إليه مع بعده فالحسن و الحسين أولى أن ينسبا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع قربهما منه، فأمر له بعشره آلاف دينار، و أمر بأن يحملوها معه إلى داره و أذن له فى الرّجوع.

قال الشّعبى: فلمّا أصبحت قلت فى نفسى قد وجب علىّ أن آتى هذا الشيخ فأتعلّم منه معانى القرآن لأنّى كنت أظنّ أنى أعرفها فأتيته فاذا هو فى المسجد و تلك الدّنانير بين يديه يفرّقها عشرا عشرا و يتصدّق بها، ثمّ قال: هذا كلّه ببركه الحسن و الحسين عليهما السّلام لئن كنّا أغممنا واحدا لقد أفرحنا ألفا و أرضينّ

ص:۱۰۴

اللّه و رسوله.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّه حصل لهما عليهما السّلام من النّسب ما لم يحصل لغيرهما فانّهما ابنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سبطاه و ولداه و ذرّيتاه و سيّدا شباب أهل الجنّه، فجدّهما رسول ربّ العالمين، و أبوهما أمير المؤمنين، و امّهما سيّده نساء العالمين و هذا هو النّسب الذى تتضائل عنده الأنساب، و الشّرف الذى اسجل بصحّته الاثر و الكتاب.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نورا و من فلق الصباح عمودا

فهما عليهما السّلام دوحتا النّبوه التّى طابت فرعا و أصلا، و شعبتا الفتوّه التى سمت رفعه و نبلا، و إنسانا عينى السّياده و الفخار، و سليلا الشّرف الذى أظهر الخيلاء فى مضر و نزار، قد اكتنفهما العزّ و الشّرف، فما له عنهما منصرف، و أحاط بهما المجد من طرفيهما، و تصوّرا من الجلاله فكادت أن تقطر من عطفيهما، و تكوّنا من الاريحيه فهى تلوح على شمائلهما، تبدو كما يبدو النّهار على مخائلهما، وفاقا فى طيب الاعراق و طهاره الاخلاق رتبه الأواخر و الأوائل، فعلت سماء فضلهما حتّى قيل: أين الثريا من يد المتناول، نسبهما يتّصل بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل الامّ بغير فصل، و من قبل الأب يجتمع فى عبد المطلب فأعجب لطيب فرع و ذكاء أصل.

أنتم ذوو النسب القصير و طولكم باد على الكبراء و الأشراف

الخمر إن قيل ابنه العنب اكتفت بأب من الألقاب و الأوصاف

تكميل

قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و السادسه و التسعين و بعض الخطب المتضمّنه لذكر النبىّ جمله من مناقبه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تقدّم فى غير موضع من تضاعيف الشرح فصل واف من مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و كراماته و فضائله، و فى شرح المختار الواحد و المأتين جمله من مناقب الصدّيقه الكبرى سيده النساء سلام اللّه عليها فأحببت أن أذكر هنا شطرا من مناقب الامامين الهمامين السبطين الزّكيين أبى محمّد الحسن و أبى عبد اللّه الحسين عليهما السلام تيمّنا بذكر فضايل جميع الخمسه من آل العباء عليهم التحيه و الثناء، راجيا بذلك مزيد الأجر و الذخر يوم الجزاء،

ص:۱۰۵

و إن كـان منـاقبهم الجميله لا تعـدّ و لا تحصـى، و ماثرهم الجليله لا تحـدّ و لا تستقصـى، إلّا أن الميسور لا يسـقط بالمعسور، و عسى أن يدرك المرجوّ بالمقدور.

رويدك إن أحببت نيل المطالب فلا تعد عن ترتيل آى المناقب

مناقب أصحاب الكساء قدوه الورى بهم يبتغى مطلوبه كلّ طالب

مناقب تجلى سافرات وجوهها و يجلو سناها مدلهما الغياهب

عليك بها سرّا وجه را فانها تحلّل عند اللّه أعلى المراتب

وجد عند ما يتلو لسانك آينا بدعوه قلب حاضر غير غائب

لمن قام فى تأليفها و اعتنى به ليقضى من مفروضهم كلّ واجب

عسى دعوه تزكو بها حسناته فيحظى من الحسنى بأسنى المواهب

فأقول: روى فى كشف الغمه من كتاب معالم العتره الطاهره للجنابذى عن بريده قال: كان رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب فأقبـل الحسن و الحسين عليهما السـلام و عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان، فلما رآهما فنزل فأخـذهما ثمّ صـعد فوضعهما فى حجره ثمّ قال: صدق اللّه «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ » رأيت هذين فلم أصبر حتى أخذتهما.

و عن فاطمه عليهما السـلام بنت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنها أتت رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و معها الحسن و الحسين عليهما السّـلام فى مرضه الذى توفّى فيه قالت: يا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إنّ هذين لم تورّثهما شيئا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أمّا الحسن فله هيبتى و أمّا الحسين فله جرأتى و جودى.

و عن عبـد اللّه بن عباس قال: بينما نحن عند رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إذ أقبلت فاطمه تبكى، فقال لها النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم. ما يبكيك؟ قالت: يا رسول اللّه إنّ الحسن و الحسين خرجا فو اللّه ما أدرى أين سلكا.

فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لا تبكين فداك أبوك فانّ اللّه عزّ و جلّ خلقهما و هو أرحم بهما اللهمّ إن كانا قد أخذا فى برّ فاحفظهما، و إن كانا قـد أخذا فى بحر فسـلّمهما فهبط جبرئيل عليه السّـلام فقال: يا أحمد لا تغتم و لا تحزن هما فاضـلان فى الدّنيا

فاضلان فی الاخره و أبوهما خیر منهما و هما فی حظیره بنی النجار نائمین، و قد وکّل اللّه بهما ملکا یحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قمنا معه حتی أتینا معه حظیره بنی النجار فاذا الحسن معانق الحسین و إذا الملک قد غطاهما بأحد جناحیه.

قال: فحمل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الحسن و أخذ الحسین الملک و الناس یرون أنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حاملهما فقال أبو بکر و أبو أیوب الأنصاری: یا رسول اللّه ألا نخفّف عنک بأحد الصبیّین فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: دعاهما فانهما فاضلان فی الدّنیا فاضلان فی الاخره و أبوهما خیر منهما ثمّ قال و اللّه لاشرّفنهما الیوم بما شرّفهما اللّه فخطب فقال:

یا أیها الناس ألا اخبرکم بخیر الناس جدّا و جدّه؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه، قال: الحسن و الحسین جدّهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جدّتهما خدیجه بنت خویلد.

ألا اخبرکم بخیر الناس أبا و أما؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه قال: الحسن و الحسین أبوهما علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و امّهما فاطمه بنت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ألا اخبرکم أیها الناس بخیر الناس عما و عمه؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه: قال:

الحسن و الحسین عمّهما جعفر بن أبی طالب و عمّتهما امّ هانی بنت أبی طالب.

أیها الناس ألا اخبرکم بخیر الناس خالا و خاله؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه قال: الحسن و الحسین خالهما القاسم بن محمّد و خالتهما زینب بنت محمّد ألا إنّ أباهما فی الجنّه و امهما فی الجنّه و جدّهما فی الجنّه و جدّتهما فی الجنّه و خالهما فی الجنّه و خالتهما فی الجنّه و عمّهما فی الجنّه و عمّتهما فی الجنّه و هما فی الجنّه و من أحبّهما فی الجنّه و من أحبّ من أحبّهما فی الجنّه.

و فی البحار من بعض کتب المناقب القدیمه عن محمّد بن أحمد بن علیّ بن شاذان باسناده عن ابن عباس قال:

کنت جالسا بین یدی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذات یوم و بین یدیه علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام إذ هبط جبرئیل و معه تفّاحه، فحیّا بها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حیّا بها علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فتحیّا بها علیّ و قبّلها و ردّها إلی رسول اللّه، فتحیّا بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

و حيّا بهـا الحسن و تحيّا بهـا الحسن و قبّلها و ردّهـا إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، فتحيّا بها رسول اللّه و حيّا بها الحسين و تحيّا بهـا الحسين و قبّلها و ردّها إلى رسول اللّه فتحيّا بها و حيّا بها فاطمه فتحيّت بها و قبّلتها و ردّتها إلى النبىّ، فتحيّا بهـا الرابعه و حيّا بهـا علىّ بن أبى طـالب فلمـا همّ أن يردّها إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم سـقطت التفاحه من بين أنامله فانفلقت بنصـفين فسطع منها نور حتى بلغ إلى السـماء الدّنيا فاذا عليها سـطران مكتوبان: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم تحيّه من اللّه إلى محمّد المصطفى و علىّ المرتضى و فاطمه الزّهراء و الحسن و الحسين سبطى رسول اللّه و أمان لمحبّيهما يوم القيامه من النار.

و عن ابن شاذان عن زاذان عن سلمان قال:

أتيت النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسلّمت عليه ثمّ دخلت على فاطمه عليهما السّلام فقال يا عبد اللّه هذان الحسن و الحسين جائعان يبكيان فخـذ بأيـديهما فاخرج بهما إلى جـدّهما فأخـذت بأيديهما و حملتهما حتى أتيت بهما إلى النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: ما لكما يا حسـناى؟ قالا: نشـتهى طعاما يا رسول اللّه، فقال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللّهم أطعمهما ثلاثا قال:

فنظرت فاذا سـفرجله فى يد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم شبيهه بقلّه من حجر أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل و ألين من الزبد، فعركها بابهامه فصيرها نصـفين ثمّ دفع إلى الحسن نصـفها و إلى الحسين نصـفها، فجعلت أنظر إلى النصفين فى أيديهما و أنا أشتهيها قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا سلمان هذا طعام من الجنّه لا يأكله أحد حتّى ينجو من الحساب.

و باسناده عن الطبرانى باسناده عن سلمان قال:

كنا حول النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقد ضلّ الحسن و الحسين و ذلك عند ارتفاع النهار، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قوموا فاطلبوا ابنىّ، فأخذ كل رجل تجاه وجهه و أخذت نحو النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فلم يزل حتى أتى صـفح الجبل و إذا الحسن و الحسين عليهما السّلام ملتزق كلّ واحد منهما بصاحبه، و إذا شـجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شـبه النار فأسـرع لى «إليه» رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالتفت مخاطبا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثم انساب فدخل بعض الأجحره، ثمّ أتاهما فافرق بينهما و مسح

وجوههما و قال بأبى و امّى أنتما ما أكرمكما على اللّه، ثمّ حمل أحدهما على عاتقه الأيمن و الاخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبى كما نعم المطيه مطيتكما فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و نعم الراكبان هما و أبوهما خير منهما.

و روى فى المراسيل:

أنّ الحسن و الحسين عليهما السّلام كانا يبكيان، فقال الحسن للحسين عليه السّلام: خطّى أحسن، و قال الحسين: لا بل خطّى أحسن من خطّك، فقال لفاطمه عليهما السّلام حكمى بيننا فكرهت فاطمه عليها السّلام أن تؤذى أحدهما، فقالت لهما: سلا أباكما، فسألاه فكره أن يؤذى أحدهما فقال: سلاجدّ كما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا أحكم بينكما حتّى أسأل جبرئيل فلما جاء جبرئيل قال: لا أحكم بينهما و لكن اسرافيل يحكم بينهما فقال اسرافيل: لا أحكم بينهما و لكن اسأل اللّه أن يحكم بينهما، فسأل اللّه ذلك فقال تعالى: لا أحكم بينهما و لكن امّهما فاطمه تحكم بينهما، فقالت فاطمه:

احكم بينهما يا ربّ و كانت لها قلاده فقالت: أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلاده فمن أخذ منها أكثر فخطّه أحسن، فنثرها و كان جبرئيل وقتئذ عند قائمه العرش، فأمره اللّه تعالى أن يهبط إلى الأرض و ينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذّى أحدهما ففعل ذلك جبرئيل إكراما لهما و تعظيما.

و روى ركن الأئمه عبد الحميد بن ميكائيل عن يوسف بن منصور السّاوى عن عبد اللّه بن محمّد الأزدى عن سهل بن عثمان عن منصور بن محمّد النسفى عن عبد اللّه ابن عمرو عن الحسن موسى عن صعدان عن مالك بن سليمان عن ابن جريح عن عطا عن عايشه قالت:

كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جايعا لا يقدر على ما يأكل، فقال لى: هاتى ردائى، فقلت أين تريد؟ قال: إلى ابنتى فأنظر إلى الحسن و الحسين فيذهب بعض ما بى من الجوع، فخرج حتّى دخل على فاطمه عليها السّلام فقال: يا فاطمه أين ابناى؟ فقالت:

يا رسول اللّه خرجا من الجوع و هما يبكيان، فخرج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى طلبهما فرأى أبا الدّرداء فقال: يا عويمر هل رأيت ابنىّ؟ قال: نعم يا رسول اللّه هما نائمان فى ظلّ حائلى بنى جذعان، فانطلق النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فضمّهما و هما يبكيان و هو يمسح الدّموع عنهما، فقال له أبو الدّرداء: دعنى أحملهما فقال يا أبا الدّرداء دعنى أمسح الدّموع عنهما فو الذى بعثنى بالحقّ نبيا لو قطرت قطره فى الأرض لبقيت المجاعه فى امتى إلى يوم القيامه ثمّ حملهما و هما يبكيان و هو يبكى فجاء جبرئيل عليه السّلام فقال: السلام عليك يا محمّد ربّ العزّه جلّ جلاله يقرؤك السلام و يقول: ما هذا الجزع؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا جبرئيل ما أبكى جزعا بل أبكى من ذلّ الدّنيا، فقال جبرئيل:

إنّ اللّه تعالى يقول: أيسرّك أن أحوّل لك احدا ذهبا و لا ينقص مما عندى شىء؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، قال: لم؟ قال: لأنّ اللّه تعالى لم يحبّ الدّنيا و لو أحبّها لما جعلها للكافر أكلها فقال جبرئيل: ادع بالجفنه المنكوبه التى فى ناحيه البيت، قال: فدعا بها، فلما حملت فاذا فيها ثريد و لحم كثير، فقال: كل يا محمّد و أطعم ابنيك و أهل بيتك، قال: فأكلوا و شبعوا قال: ثمّ أرسل بها إلىّ فأكلوا و شبعوا و هو على حالها، قال ما رأيت جفنه أعظم بركه منها فرفعت عنهم فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى بعثنى بالحقّ لو سكتّ لتداولها فقراء امتى إلى يوم القيامه.

و فى البحار وجدت فى بعض مؤلفات أصحابنا أنه روى مرسلا من جماعه من الصحابه قالوا:

دخل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دار فاطمه فقال: يا فاطمه إنّ أباك اليوم ضيفك، فقالت يا أبت إن الحسن و الحسين يطالبانى بشىء من الزاد فلم أجد لهما شيئا يقتاتان به ثمّ إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دخل و جلس مع علىّ و الحسن و الحسين و فاطمه عليهم السّلام و فاطمه عليها السّلام متحيّره ما تدرى كيف تصنع، ثمّ إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نظر إلى السماء ساعه و اذا بجبرئيل قد نزل و قال: يا محمّد العلىّ الأعلى يقرؤك السلام و يخصّك بالتحيّه و الاكرام و يقول لك: قل لعلىّ و فاطمه و الحسن و الحسين أىّ شىء يشتهون من

فواكه الجنّه؟ فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا علىّ و يا فاطمه و يا حسن و يا حسين إنّ ربّ العزّه علم أنّكم جياع فأىّ شىء تشتهون من فواكه الجنّه؟ فأمسكوا عن الكلام و لم يردّوا جوابا حياء من النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال الحسين: عن إذنك يا أبتا يا أمير المؤمنين و عن إذنك يا أماه يا سيّده نساء العالمين و عن إذنك يا أخاه الحسن الزّكى أختار لكم شيئا من فواكه الجنّه.

فقالوا جميعا: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا، فقال: يا رسول اللّه قل لجبرئيل: إنّا نشتهى رطبا جنّيا فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قد علم اللّه ذلك ثمّ قال:

يا فاطمه قومى و ادخلى البيت و احضرى إلينا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقا من البلّور مغطى بمنديل من السندس الأخضر و فيه رطب جنىّ فى غير أوانه فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا فاطمه أنّى لك هذا قالت: هو من عند اللّه إنّ اللّه يرزق من يشاء بغير حساب كما قالت مريم بنت عمران.

فقام النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تناوله و قدّمه بين أيديهم ثمّ قال: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ثمّ أخذ رطبه واحده فوضعها فى فم الحسين عليه السّلام فقال هنيئا مريئا لك يا حسين، ثمّ أخذ رطبه فوضعها فى فم الحسن عليه السّلام و قال هنيئا مريئا لك يا حسن، ثمّ أخذ رطبه ثالثه فوضعها فى فم فاطمه الزّهراء عليها السّلام و قال هنيئا مرئيا لك يا فاطمه الزهراء، ثمّ أخذ رطبه رابعه فوضعها فى فم علىّ عليه السّلام و قال هنيئا مريئا لك يا علىّ، ثمّ ناول عليّا رطبه اخرى ثمّ رطبه اخرى و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول له هنيئا مريئا لك، ثمّ وثب النبىّ قائما ثمّ جلس ثمّ أكلوا جميعا عن ذلك الرّطب.

فلمّا اكتفوا و اشبعوا ارتفعت المائده إلى السّماء باذن اللّه تعالى.

فقالت فاطمه: يا أبت لقد رأيت اليوم منك عجبا.

فقال: يا فاطمه أمّا الرّطبه الاولى الّتى وضعتها فى فم الحسين و قلت له هنيئا يا حسين فانّى سمعت ميكائيل و اسرافيل يقولان هنيئا يا حسين فقلت أيضا موافقا لهما فى القول، ثمّ أخذت الثانيه فوضعتها فى فم الحسن فسمعت جبرئيل و ميكائيل يقولان هنيئا لك يا حسن فقلت أنا موافقا لهما فى القول، ثمّ أخذت الثالثه فوضعتها

فى فمك يا فاطمه فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان يقلن هنيئا لک يا فاطمه فقلت موافقا لهنّ بالقول، و لمّا أخذت الرّابعه فوضعتها فى فم علىّ عليه السّلام سمعت النّداء من قبل الحقّ يقول هنيئا مريئا لک يا علىّ فقلت موافقا لقول اللّه عزّ و جلّ، ثمّ ناولت عليّا رطبه اخرى ثمّ اخرى و أنا أسمع صوت الحقّ سبحانه يقول هنيئا مريئا لک يا علىّ فقلت موافقا لقول اللّه، ثمّ قمت إجلالا لربّ العزّه جلّ جلاله فسمعته يقول يا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عزّتى و جلالى لو ناولت عليّا من هذه الساعه إلى يوم القيامه رطبه رطبه لقلت هنيئا مريئا بعد بلا انقطاع و روى فى بعض الأخبار:

أنّ أعرابيا أتى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال له: يا رسول اللّه لقد صدت خشفه غزاله و أتيت بها إليک هديه لولديک الحسن و الحسين، فقبلها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دعا له بالخير فاذا الحسن واقف عند جدّه فرغب إليها فأعطاه إيّاها، فما مضى ساعه إلاّ و الحسين قد أقبل فرأى الخشفه عند أخيه يلعب بها فقال: يا أخى من أين لک هذه الخشفه؟ فقال الحسن: أعطانيها جدّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فسار الحسين مسرعا إلى جدّه فقال: يا جدّاه أعطيت أخى خشفه و لم تعطنى مثلها و جعل يكرّر القول على جدّه و هو ساكت لكنّه يسلّى خواطره و يلاطفه بشىء من الكلام حتّى أفضى من أمر الحسين عليه السّلام إلى أن همّ يبكى.

فبينما هو كذلک إذ نحن بصياح قد ارتفع من باب المسجد، فنظرنا فاذا ظبيه و معها خشفها و من خلفها ذئبه تسوقها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تضربها بأحد أطرافها حتّى أتت بها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثمّ نطقت الغزاله بلسان فصيح فقالت: يا رسول اللّه قد كانت لى خشفتان إحداهما صادها الصياد و أتى بها إليک، و بقيت لى هذه الاخرى و أنا بها مسروره و إنّى كنت الان ارضعها فسمعت قائلا يقول: اسرعى اسرعى يا غزاله بخشفک إلى النبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اوصليه سريعا لأنّ الحسين واقف بين يدى جدّه و قد همّ أن يبكى

و الملائکه بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العباده، و لو بکی الحسین لبکت الملائکه المقرّبون لبکائه، و سمعت أیضا قائلا یقول: اسرعی یا غزاله قبل جریان الدموع علی خدّ الحسین فان لم تفعلی سلّطت علیک هذه الذئبه تأکلک مع خشفک فأتیت بخشفی إلیک یا رسول اللّه و قطعت مسافه بعیده و لکن طویت لی الأرض حتّی أتیتک سریعه و أنا أحمد اللّه ربّی علی أن جئتک قبل جریان دموع الحسین علی خدّه، فارتفع التّهلیل و التکبیر من الأصحاب و دعا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الغزاله بالخیر و البرکه و أخذ الحسین الخشفه و أتی بها إلی امه الزّهراء فسرّت بذلک سرورا عظیما و روی عن سلمان الفارسی قال:

اهدی إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قطف من العنب فی غیر أوانه فقال لی: یا سلمان ایتنی بولدیّ الحسن و الحسین لیأکلا معی من هذا العنب، قال سلمان الفارسی: فذهبت أطرق علیهما منزل امّهما فلم أرهما، فأتیت منزل اختهما امّ کلثوم فلم أرهما.

فخبّرت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک فاضطرب و وثب قائما و هو یقول: وا ولداه و اقرّه عیناه من یرشدنی علیهما فله علی اللّه الجنّه، فنزل جبرئیل من السماء و قال: یا محمّد علی م هذا الانزعاج؟ فقال: علی ولدیّ الحسن و الحسین فانی خائف علیهما من کید الیهود، فقال جبرئیل: یا محمّد بل خف علیهما من کید المنافقین، فانّ کیدهم أشدّ من کید الیهود اعلم یا محمّد أنّ ابنیک الحسن و الحسین نائمان فی حدیقه أبی الدّحداح.

فسار النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من وقته و ساعته إلی الحدیقه و أنا معه حتّی دخلنا الحدیقه و إذا هما نائمان و قد اعتنق أحدهما الاخر و ثعبان فی فیه طاقه ریحان یروّح بها وجهیهما.

فلّما رأی الثّعبان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ألقی ما کان فی فیه فقال: السّلام علیک یا رسول اللّه لست أنا ثعبانا و لکنّی ملک من ملائکه الکرّ و بیّین غفلت عن ذکر ربّی طرفه عین فغضب علیّ ربّی و مسخنی ثعبانا کما تری و طردنی من السماء إلی

الأرض ولی منذ سنین کثیره أقصد کریما إلی اللّه فأسأله أن یشفع لی عند ربّی عسی أن یرحمنی و یعیدنی ملکا کما کنت أوّلا إنّه علی کلّ شیء قدیر قال: فجاء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقبّلهما حتّی استیقظا فجلسا علی رکبتی النّبی.

فقال لهما النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: انظرا یا ولدّی هذا ملک من ملائکه اللّه الکرّوبیین قد غفل عن ذکر ربّه طرفه عین فجعله اللّه هکذا و أنا مستشفع بکما إلی اللّه فاشفعا له فوثب الحسن و الحسین علیهما السّلام فأسبغا الوضوء و صلّیا رکعتین و قالا: اللّهمّ بحقّ جدّنا الجلیل الحبیب محمّد المصطفی، و بأبینا علیّ المرتضی، و بامّنا فاطمه الزّهراء إلاّ ما رددته إلی حالته الأولی.

قال فما استتمّ دعاؤهما فاذا بجبرئیل نزل من السماء فی رهط من الملائکه و بشّر ذلک الملک برضی اللّه عنه و بردّه إلی سیرته الأولی ثمّ ارتفعوا إلی السماء و هم یسبّحون اللّه تعالی.

ثمّ رجع جبرئیل إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو متبسّم، و قال یا رسول اللّه إنّ ذلک الملک یفتخر علی الملائکه السّبع السماوات و یقول لهم: من مثلی و أنا فی شفاعه السیدین السّبطین الحسن و الحسین علیهما السّلام.

و قال حکی عن عروه البارقی قال:

حججت فی بعض السّنین فدخلت مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فوجدت رسول اللّه جالسا و حوله غلامان یافعان و هو یقبّل هذا مرّه و هذا اخری، فاذا رآه النّاس یفعل ذلک أمسکوا عن کلامه حتّی یقضی منهما و ما یعرفون لأیّ سبب حبّه ایّاهما.

فجئته و هو یفعل ذلک بهما فقلت: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هذان ابناک؟ فقال:

انّهما ابنا ابنتی و ابنا أخی و ابن عمّی و أحبّ الرّجال إلیّ و من هو سمعی و بصری و من نفسه نفسی و نفسی نفسه و من أحزن لحزنه و یحزن لحزنی.

فقلت له: قد عجبت یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من فعلک بهما و حبّک لهما.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم له: أحدّثک أیّها الرّجل إنّی لمّا عرج بی إلی السماء و دخلت

الجنّه انتهيت إلى شجره فى رياض الجنّه فعجبت من طيب رايحتها فقال لى جبرئيل:

يا محمّد تعجب من هذه الشجره فثمرها أطيب من ريحها، فجعل جبرئيل يتحفنى من ثمرها و يطعمنى من فاكهتها و أنا لا أملّ منها، ثمّ مررنا بشجره اخرى فقال لى جبرئيل: يا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كل من هذه الشجره فانّها تشبه الشجره الّتى أكلت منها الثمر فهى أطيب طعما و أزكا رايحه.

قال: فجعل جبرئيل يتحفنى بثمرها و يشمّنى من رايحتها و أنا لا أملّ منها، فقلت: يا أخى جبرئيل ما رأيت فى الأشجار أطيب و لا أحسن من هاتين الشّجرتين، فقال لى: يا محمّد أ تدرى ما اسم هاتين الشّجرتين؟ فقلت: لا أدرى، فقال: إحداهما الحسن و الاخرى الحسين، فاذا هبطت يا محمّد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجه و واقعها من وقتك و ساعتك فانّه يخرج منك طيب رايحه الثمر الّذى أكلته من هاتين الشّجرتين فتلد لك فاطمه الزّهراء، ثمّ زوّجها أخاك عليّا فتلد له ابنين فسمّ أحدهما الحسن و الاخر الحسين.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ففعلت ما أمرنى أخى جبرئيل فكان الأمر ما كان، فنزل إلىّ جبرئيل بعد ما ولد الحسن و الحسين فقلت له: يا جبرئيل ما أشوقنى إلى تينك الشّجرتين فقال لى: يا محمّد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمره تينك الشّجرتين فشمّ الحسن و الحسين.

قال: فجعل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّما اشتاق إلى الشّجرتين يشمّ الحسن و الحسين عليهما الصلاه و السّلام و يلثمهما و هو يقول: صدق أخى جبرئيل، ثمّ يقبّل الحسن و الحسين عليهما السّلام و يقول: يا أصحابى انّى أودّ أنّى اقاسمهما حياتى لحبّى لهما و هما ريحانتاى من الدّنيا، فتعجّب الرّجل وصف النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للحسن و الحسين عليهما السّلام.

و فى كشف الغمّه قال البغوى يرفعه إلى يعلى قال:

جاء الحسن و الحسين يسعيان إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخذ أحدهما فضمّه إلى ابطه و أخذ الاخر فضّمه إلى ابطه الاخرى فقال: هذان ريحانتاى من الدّنيا من أحبّنى فليحبّهما.

و فيه عن أبى هريره قال:

خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معه حسن و حسين عليهما السّلام هذا على عاتقه و هذا على عاتقه و هو يلثم هذا مرّه و هذا مرّه حتّى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول اللّه إنّک تحبّهما فقال: من أحبّهما فقد أحبّنى و من أبغضهما فقد أبغضنى.

أقول: هذه الأخبار أنموذج من مناقب أخبار السّبطين سلام اللّه عليهما و على جدّهما و أبيهما و امّهما و ظهر منها كيفيّه عنايه اللّه تعالى و عنايه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إكرامهما فى حقّهما كما ظهر فرط محبّه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و محبّه أمير المؤمنين إيّاهما إلى مرتبه يودّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يقاسمهما حياته كما مرّ فى آخر روايات البحار و يرضى أمير المؤمنين عليه السّلام بأن يخوض بنفسه الشّريف فى غمرات الحرب و يضنّ بهما ذلک حذرا من انقطاع نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حسبما مرّ فى هذا الكلام الّذى نحن فى شرحه.

فلعن اللّه امه بلغوا الغايه فى العصيان، و وصلوا إلى النّهايه فى إرضاء الشيطان و أقدموا على أمر عظيم من إسخاط الرّحمن، كيف سعوا فى إطفاء نور اللّه و جدّوا فى قطع نسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و بدّلوا ما وصّاهم اللّه به من مودّه القربى بالعداوه و البغضاء، و ما أوصاهم به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من محبّه العتره بالشقاوه و الشقاء.

فشوها لتلک الوجوه الّتى شوّهها الكفر و الفسوق و العصيان، و سوأه لهذه الامّه الّتى لم تبق شيئا من مراتب العداوه و العناد و الطغيان، فكيف لو شاهدهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع ما أقدموا عليه فى حقّ الال من سفک الدّماء و قتل الرجال و سبى الحريم و ذبح الأطفال، اولئک عليهم لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

الترجمه

از جمله كلام آن حضرتست در بعض أيّام جنگ صفين در حالتى كه ديد پسرش امام حسن عليه السّلام را مى شتابد بسوى جنگ فرمود بأصحاب خود:

مالک شويد و ممانعت نمائيد بعوض من اين جوان را تا آنكه نشكند بنيۀ

بدن مرا، پس بدرستی که من بخیل ترم باین دو جوان که حسن و حسین علیهما السّلام باشند بر مرگ، مبادا بریده شود بجهت موت ایشان نسل بر گزیدهٔ پیغمبر آن رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

سیّد رضی رحمه اللّه علیه گفته که: فرمایش آن حضرت که فرموده مالک شوید بعوض من از جمله کلام عالی مقام او و متضمّن غایت فصاحتست.

و من کلام له علیه السّلام و هو

اشاره

المأتان و السابع من المختار

فی باب الخطب

و قد رویناه فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین من کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف یسیر عرفته. قاله لمّا اضطرب علیه علیه السّلام أصحابه فی أمر الحکومه.

أیّها النّاس إنّه لم یزل أمری معکم علی ما أحبّ، حتّی نهکتکم الحرب، و قد و اللّه أخذت منکم و ترکت، و هی لعدوّکم أنهک، لقد کنت أمس أمیرا، فأصبحت الیوم مأمورا، و کنت أمس ناهیا، فأصبحت الیوم منهیّا، و قد أحببتم البقاء، و لیس لی أن أحملکم علی ما تکرهون.

اللغه

(نهکته) الحمّی نهکأ من باب منع و تعب هزلته، و نهکه السلطان عقوبه بالغ فیه، و نهکت الثّوب لبسته حتّی خلق و بلی (و الحرب) مؤنّث سماعیّ و قد تذکر ذهابا إلی معنی القتال فیقال حرب شدید

الاعراب

قوله عليه السّلام: و قد و اللّه أخذت، جمله القسم معترضه بين قد و مدخولها جيئت بها لتأكيد الكلام.

المعنى

اعلم أنّه قد تقدّم فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين تفصيل قصّه الحكومه و عرفت هناك أنّ أهل الشام لمّا ضعفوا عن مقاومه أهل العراق و عجزوا عن مقاتلتهم و رأوا علوّ كلمه الحقّ و أيقنوا بالهلاك و العطب، عدلوا عن القراع إلى الخداع فرفعوا المصاحف على الرّماح بتدبير ابن النابغه عمرو بن العاص اللّعين على وجه الخديعه و المكيده.

و لمّا رأى أهل العراق منهم ذلك كفّوا أيديهم عن القتال و اجتمعوا عليه عليه السّلام و طالبوه بالكفّ عنهم و كانوا فی ذلك على أقسام.

فمنهم من دخلت عليه الشّبهه برفع المصاحف و اعتقدوا أنّهم لم يرفعوها خديعه و حيله بل حقا و عملا بموجب الكتاب و تسليما للدّين الحقّ فرأى أنّ الاستسلام للحجّه أولى من الاصرار على الحرب.

و منهم من قد كان ملّ من الحرب بطول المدّه، فلمّا رأى شبهه ما يسوغ التعلّق بها فی رفض المحاربه و حبّ العافيه أخلد إليها.

و منهم من كان يبغض أمير المؤمنين عليه السّلام بالباطن و يطيعه بالظاهر كما يطيع كثير من النّاس السلطان ظاهرا أو يبغضه باطنا فلمّا وجد طريقا إلى خذلانه و ترك نصرته أسرع إليها.

فاجتمع جمهور عسكره إليه عليه السّلام و طالبوه الكفّ فامتنع امتناع عالم بالمكيده و عرّفهم أنّها خدعه و حيله و قال لهم: إنّی أعرف بالقوم منكم و أعلم أنّهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن فلا تغترّوا برفعهم للمصاحف و انهدوا إليهم و لم يبق منهم إلاّ آخر نفسهم، فأبوا عليه و لجّوا و أصرّوا على القعود و الخذلان و طلبوا أن ينفذ إلى الأشتر و ساير المحاربين أن يكفّوا عن الحرب و يرجعوا.

فأرسل إلى الأشتر و أمره بالرّجوع، فقال الأشتر: و كيف أرجع و قد لاحت

أمارات الظفر و قال له: ليمهلنى ساعه واحده و لم يكن عالما بصوره الحال، فلمّا عاد إليه الرّسول بذلك غضبوا و شغبوا و قالوا: أنفذت إلى الأشتر سرّا تأمره بالجدّ و تنهاه عن الكفّ و إن لم يعد قتلناك كما قتلنا عثمان.

فرجعت الرّسل إلى الاشتر فقالوا له: أ تحبّ أن تظفر بالعدوّ و أمير المؤمنين قد سلّت عليه خمسون ألف سيف، فقال: ما الخبر؟ قالوا: إنّ الجيش بأسره قد أحدقوا به و هو جالس بينهم على الأرض تحته نطع و هو مطرق و البارقه تلمع على رأسه يقولون: لئن لم يرجع الأشتر قتلناك.

فرجع فوجد أمير المؤمنين تحت الخطر قد ردّوه أصحابه بين الأمرين إن لم يكفّ عن الحرب إمّا أن يسلّموه إلى معاويه أو يقتلوه و لا ناصر له منهم إلاّ ولداه و ابن عمّه و نفر قليل لا يبلغ عشره.

فلمّا رآهم الأشتر شتمهم و شتموه و أبوا و قالوا: المصاحف المصاحف و الرّجوع إليها لا نرى غير ذلك، فأجابهم أمير المؤمنين إلى ذلك كرها دفعا للأفسد بالفاسد و قال لهم:

(أيّها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما احبّ) من قتال أهل البغى و العدوان و استيصال القاسطين من حزب الشّيطان (حتّى) عاد طاعتكم لى إلى المخالفه و نصرتكم إلى الخذلان و المنابذه فأبيتم إباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه بما (نهكتكم) و هزلتكم (الحرب) بطول مدّتها و ثقل أوزارها.

و نبّه على خطائهم فى القعود عنها بقوله (و قد و اللّه أخذت منكم) طائفه (و تركت) طائفه فلم تستأصلكم بالمرّه بل بقيت منكم بقيّه (و هى لعدوّكم) أنكى و (أنهك) إذ لم يبق منهم إلاّ حشاشه ضعيفه فانّ القتل فى أهل الشام كان أشدّ استحرارا و الوهن فيهم أظهر، و لو لا فساد أهل العراق لاستوصل الشّام و خلص إلى معاويه فأخذه بعنقه، و لم يكن قد بقى من قوّه أهل الشام إلاّ حركه المذبوح و مثل حركه ذنب الوزغه عند قتلها يضطرب يمينا و شمالا.

ثمّ أخذ فى التّشكّى منهم بسوء فعلهم فقال(لقد كنت أمس أميرا فأصبحت

اليوم مأمورا) لا يخفى حسن المقابله بين القرينتين و هو من مقابله الثلاثه بالثلاثه.

و كذا فى قوله(و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيّا) ثمّ ساق الكلام مساق التّعريض و التقريع فقال (و قد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون) من القتال و القتل، و عدم حمله لهم على ذلك إمّا لعدم القدره أو لعدم اقتضاء المصلحه ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا.

الترجمه

از جمله كلام معجز نظام آن امام أنام عليه الصلاه و السلام است كه فرموده آن را هنگامى كه مضطرب شدند و اغتشاش نمودند أصحاب او بر او در أمر حكومت حكمين پس فرمود آن بزرگوار بايشان:

اى مردمان بدرستى كه ثابت بود أمر من و شما بر چيزى كه دوست مى داشتم تا اين كه لاغر و ضعيف نمود شما را حرب و كارزار و حال آنكه قسم بخدا آن حرب بعض شما را فرا گرفت و بعضى را فرو گذاشت، و از براى دشمن زيادتر موجب لاغرى آنها شد، بتحقيق بودم ديروز أمير شما پس گرديدم امروز مأمور، و بودم ديروز نهى كننده و گرديم امروز نهى شده، و بتحقيق دوست داشتيد زندگانى را و نيست مرا كه الزام نمايم شما را بر چيزى كه مكروه طبع شماست.

و من كلام له عليه السّلام بالبصره و هو

اشاره

المأتان و الثامن من المختار فى باب الخطب

و هو مروىّ فى شرح المعتزلى باختلاف تعرفه إنشاء اللّه، و روى بعض فقراته فى الكافى أيضا مسندا بسند نذكره فى التّكمله الاتيه.

قال الرضىّ رضى اللّه عنه: و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده فلمّا رأى سعه داره قال عليه السّلام:

ما كنت تصنع بسعه هذه الدّار فى الدّنيا، أما أنت إليها فى الاخره

كنت أحوج، و بلى إن شئت بلغت بها الاخره تقرى فيها الضّيف، و تصل فيها الرّحم، و تطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الاخره. فقال له عليه السّلام العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد قال عليه السّلام: و ما له؟ قال: لبس العباء و تخلّى من الدّنيا، قال عليه السّلام: علىّ به فلمّا جاء قال:

يا عدىّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أ ما رحمت أهلك و ولدك، أ ترى اللّه أحلّ لك الطّيّبات و هو يكره أن تأخذها، أنت أهون على اللّه من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونه ملبسك و جشوبه مأكلك، قال عليه السّلام: ويحك إنّى لست كأنت، إنّ اللّه تعالى فرض على أئمّه الحقّ أن يقدروا أنفسهم بضعفه النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره.

اللغه

(وسع) المكان القوم و وسع المكان يسع أى اتّسع يتعدّى و لا يتعدّى و المصدر سعه بفتح السّين و به قرء السبعه فى قوله تعالى «وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ » و كسرها لغه و به قرء بعض التابعين قال الفيومى قيل: الأصل فى المضارع الكسر و لهذا حذفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحه و كسره ثمّ فتحت بعد الحذف لمكان حرف الحلق، و مثله يهب و يقع و يدع و يلغ و يطأ و يضع، و الحذف فى يسع و يطأ ممّا ماضيه مكسور شاذّ لأنّهم قالوا: فعل بالكسر مضارعه يفعل بالفتح

و استثنوا أفعالا ليست هذه منها.

(و قريت) الضّعيف أقريه من باب رمى و (عدىّ نفسه) تصغير عدو و أصله عديو و فحذفت إحدى الواوين و قلبت الثّانيه ياء تخفيفا ثمّ ادغمت ياء التصغير فيها و (هام) يهيم خرج على وجهه لا يدرى أين يتوجّه فهو هائم و استهام بک أى جعلك هائما، و قال الشارح البحرانى: اى أذهبك لوجهك و زيّن لك الهيام و هو الذّهاب فى التّيه.

و (الملبس) و (المأكل) مصدران بمعنى المفعول، و طعام (جشب) و مجشوب غليظ و قيل الّذى لا ادام معه و (أئمّه الحقّ) فى بعض النسخ أئمّه العدل بدله و (يقدروا) أنفسهم فى بعض النسخ بالتخفيف مضارع قدر من باب ضرب و فى بعضها بالتثقيل و المعنى واحد مأخوذان من القدر بمعنى التضييق قال تعالى «اَللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ » له أو بمعنى قياس الشىء بالشّىء و يقال أيضا هذا قدر هذا و قدره أى مماثله و (البيغ) ثوران الدّم و تبيغ عليه الأمر اختلط و الدّم هاج و غلب.

الاعراب

قوله: ما كنت تصنع، كان هنا زايده كما فى قوله تعالى «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيًّا » و قوله: أما أنت اه أما حرف استفتاح يبدء بها الكلام و فايدتها المعنويّه توكيد مضمون الجمله الّتى بعدها قال نجم الأئمّه: و كأنها مركبه من همزه الانكار و حرف النّفى و الانكار نفى و نفى النّفى إثبات ركب الحرفان لافاده الاثبات و التّحقيق و فايدتها اللّفظيّه كون الكلام بعدها مبتدأ به، و فى بعض النّسخ ما أنت بدل أما أنت و عليه فتكون ما موصوله بدلا من الدّار أو من سعه و الأوّل أظهر.

و قوله إليها متعلق بقوله أحوج، و كذا قوله: فى الاخره، و قوله: و بلى استدراك عن الجمله السّابقه قال الفرّاء أصلها بل زيدت عليها الألف للوقف، و قال نجم الأئمّه: لفظه بل التى تليها الجمل للانتقال من جمله إلى اخرى أهمّ من الاولى، قال: و تجىء بعد الاستفهام أيضا كقوله: «أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ » إلى قوله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ ».

ص:۱۲۲

أقول: و يكون بلى هنا بمعنى الاستدراك ادخلت عليها الواو كما تدخل على لكن، و يجوز جعلها عاطفه للجمله على الجمله و لكن جعلها اعتراضيّه أظهر من حيث المعنى.

و جمله تقرى فيها الضّيف يجوز أن تكون حالا من قوله بها، و يجوز أن تكون استينافا بيانيّا فانّه عليه السّلام لمّا قال له: إن شئت بلغت بها، فكأنه سئل عن كيفيّه البلاغ فقال: تقرى فيها.

و قوله: عليّ به، اسم فعل أى ايتونى به قال نجم الأئمه: يقال عليك زيدا أى خذه كأنّ الأصل عليك أخذه و أمّا عليّ بمعنى ادلّنى فهو مخالف للقياس من وجه آخر إذ هو أمر لكن الضمير المجرور به فى معنى المفعول يقال عليّ زيدا أى قرّ بنيه و القياس أن يكون المجرور فاعلا و قوله: يا عديّ نفسه يحتمل أن يكون التصغير للتحقير، و أن يكون للتعظيم كما فى قول الشاعر:

و ديهيه تصفرّ منها الأنامل

و جمله: لقد استهام بك، جواب قسم مقدّر و الباء زايده، و أما رحمت، حرف تنديم و أ ترى اللّه استفهام توبيخى، و قوله هذا أنت فى خشونه ملبسك الظرف حال من أنت لأنه فى المعنى مفعول لمدلول هذا أى اشير إليك حال كونك فى خشونه اه و مثل ذلك قوله تعالى «هذا بَعْلِي شَيْخاً» أى انبّه عليه أو اشير إليه شيخا.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام قاله بالبصره و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده و يتفقّد حاله لمرضه فلمّا رأى عليه السّلام سعه داره قال:

(ما كنت تصنع بسعه هذه الدّار فى الدّنيا) استفهام وارد معرض التوبيخ و الانكار لما صنعه لمنافاته الزّهد المطلوب و لمّا نبه على ذلك أردفه بقوله (أما أنت إليها فى الاخره كنت أحوج) تنبيها له على كون السعه محتاجا إليها فى الاخره مزيد الاحتياج، و ذلك لكون الدنيا دار فناء و انقطاع و الاخره دار قرار و بقاء، و معلوم أنّ إصلاح المقرّ أولى من الممرّ، و الحاجه إليه فيه أزيد و أشدّ.

ثمّ استدرک بقوله (و بلی إن شئت بلغت بها الاخره) یعنی أنّک بعد ما فرطت فی توسعتها و بنائها یمکن لک تدارک ذلک بأن تجعلها بلاغا و وصله و وسیله إلی اتّساع الدّار الاخره بأن (تقری فیها الضّیف و تصل فیها الرّحم) و القرابه (و تطلع منها الحقوق مطالعها) أی تخرج فیها الحقوق المالیّه الواجبه و المندوبه من الخمس و الزّکاه و الصّدقات و صنایع المعروف و الحقّ المعلوم للسائل و المحروم و سایر وجوه البرّ المقرّبه إلی اللّه سبحانه و تضعها فی مواضعها اللایقه و تصرفها فی مصارفها المستحقّه.

و قال الشارح البحرانی: مطالع الحقوق وجوهها الشرعیّه المتعلّقه به کالزّکاه و الصّدقه و غیرهما، و الأظهر بل الأولی ما ذکرناه.

و کیف کان فالمراد أنّک إن أتیت فیها بالقربات و الحسنات و أقمت باخراج الحقوق المفروضات و المندوبات (فاذا أنت قد بلغت بها الاخره) و احملت «جمعت ظ» بینها و بین الدّنیا (فقال له العلاء یا أمیر المؤمنین أشکو إلیک أخی عاصم بن زیاد قال و ما له قال لبس العباء و تخلّی من الدّنیا).

قیل: المراد بلبس العباء جعلها شعارا أو ترک القطن و نحوه و الاکتفاء بلبسها فی الصّیف و الشّتاء و فی وصیّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأبی ذر: یکون فی آخر الزّمان قوم یلبسون الصوف فی صیفهم و شتائهم یرون لهم بذلک الفضل علی غیرهم اولئک یلعنهم ملائکه السماوات و الأرض، انتهی.

أقول: و الأظهر أنّ المراد أنّه اقتصر بلبس العباء و ترک الدّنیا بالمرّه و لم یأخذ منها سواها.

(قال علیه السّلام علیّ به) أی ائتونی به و احضروه لدیّ (فلمّا جاء قال علیه السّلام یا عدّی نفسه).

قال الشارح البحرانی: صغّره استصغارا له باعتبار أنّ شیطانه لم یقده إلی کبیره بل قاده إلی أمر و إن کان خارجا به عن الشریعه إلّا أنّه قریب من السلامه و دخل علیه بالخدعه فی رأی الصّالحین، و قیل: بل صغّره من جهه حقاره فعله ذلک

لكونه عن جهل منه، انتهى.

و الأظهر أن يكون التصغير للتّعظيم، و الغرض منه استعظامه لعداوته لها باعتبار ظلمه عليها، و ذلك لأن لنفسه و لكلّ من جوارحه عليه حقّا و قد روينا فى شرح الخطبه التّاسعه و الثمانين فى ضمن أخبار محاسبه النفس من الوسايل من الخصال و معانى الأخبار عن عطا عن أبى ذر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث قال: و على العاقل ما لم يكن مغلوبا أن تكون له ساعات: ساعه يناجى فيها ربّه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يتفكّر فيها صنع اللّه إليه، و ساعه يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال فانّ هذه السّاعه معينه لتلك السّاعات، و استجمام للقلوب و تفريغ لها.

و فى البحار من كتاب تنبيه الخاطر قيل: إنّ سلمان رضى اللّه عنه جاء زائرا لأبى الدّرداء فوجد امّ الدّرداء مبتذله، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنّ أخاك ليست له حاجه فى شيء من أمر الدّنيا، قال: فلمّا جاء أبو الدّرداء رحّب لسلمان و قرّب إليه طعاما فقال لسلمان اطعم فقال: إنّى صائم، قال: أقسمت عليك إلاّ ما اطعمت، فقال: ما أنا باكل حتّى تأكل، قال: و بات عنده فلمّا جاء الليل قام أبو الدّرداء فحبسه سلمان فقال: يا أبا الدّرداء إنّ لربّك عليك حقّا، و لجسدك عليك حقّا، و لأهلك عليك حقّا، فصم و افطر و صلّ و نم و أعط كلّ ذى حقّ حقّه، فأتى أبو الدّرداء النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبره بما قال سلمان فقال عليه السّلام مثل قول سلمان.

و قوله (لقد استهام بك الخبيث) أى جعلك هائما متحيّرا لا تدرى ما تفعل و أين تذهب، و فيه تنبيه على أنّ تركه للدّنيا لم يكن عن خالص العقل، بل كان بمداخله الشيطان و شوب الهوى، و ذلك بما كان فى فعله ذلك من الاخلال بجمله من الحقوق الواجبه شرعا عليه من حقّ الأهل و الأولاد كما أشار إليه بقوله:

(أ ما رحمت أهلك و ولدك) استفهام فى معرض التّوبيخ و الانكار، لاعراضه عنهم و تركه لهم و عدم ترحّمه عليهم، و قد جعل اللّه تعالى عليه حقّا.

كما يدلّ عليه ما رواه فى البحار من كتاب تحف العقول فى رساله علىّ بن

الحسين عليه السّلام المعروفه برساله الحقوق قال عليه السّلام:

و أمّا حقّ أهل بيتك عامّه، فاضمار السلامه، و نشر جناح الرّحمه، و الرّفق بمسيئهم، و شكر محسنهم إلى نفسه و إليك فانّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه و كفاه مؤنته و حبس عنك نفسه. فعمّهم جميعا بدعوتك و انصرهم جميعا بنصرتك، و أنزلهم جميعا منك منازلهم، كبيرهم بمنزله الوالد، و صغيرهم بمنزله الولد، و أوسطهم بمنزله الأخ.

و فى هذه الرّساله أيضا و أمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك و مضاف إليك فى عاجل الدّنيا بخيره و شرّه و انك مسئول عمّا ولّيته من حسن الأدب و الدلاله على ربّه و المعونه له على طاعته فيك و فى نفسه فمثاب على ذلك و معاقب فاعمل فى أمره عمل المتزّين بحسن أثره عليه فى عاجل الدّنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك و بينه بحسن القيام عليه و الأخذ له منه و لا قوّه إلّا باللّه.

و فى البحار من الفقه الرّضوى أروى عن العالم عليه السّلام، أنّه قال لرجل:

ألك والدان؟ فقال: لا، فقال: أ لك ولد؟ قال: نعم، قال له: برّ ولدك يحسب لك برّ والديك.

و روى أنّه قال: برّوا أولادكم و أحسنوا إليهم فانّهم يظنّون أنكم ترزقونهم و فى الفقيه قال الصادق عليه السّلام برّ الرّجل بولده برّه بوالديه.

و فى خبر آخر من كان عنده صبىّ فليتصابّ له.

و فى الوسايل من الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه ليرحم العبد لشدّه حبّه بولده.

و عن كليب الصيداوى قال قال لى أبو الحسن عليه السّلام: اذا وعدتم الصبيان ففوا لهم فانّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم، إنّ اللّه عزّ و جلّ ليس يغضب لشىء كغضبه للنساء و الصبيان.

و فى الكافى فى كتاب المعيشه فى باب الحثّ على الطلب و التعرّض للرّزق عن معلّى بن خنيس قال: سأل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن رجل و أنا عنده، فقيل: أصابته الحاجه

فقال: ما يصنع اليوم؟ قيل: فى البيت يعبد ربّه قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند بعض إخوانه فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و اللّه الذى يقوته أشدّ عباده منه.

و فيه عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: من طلب الدنيا استعفافا عن الناس و سعيا على أهله و تعطفا على جاره لقى اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه و وجهه مثل القمر ليله البدر.

ثمّ أنكر عليه ثانيا بقوله (أ ترى اللّه أحلّ لك الطيّبات) من الرزق و الفاخرات من اللّباس (و هو يكره أن تأخذها) و نبّه بهذه الجمله الانكاريّه على أنّ التخليه من الدّنيا بالكليّه ليست مطلوبه للشّارع، لأنّها توجب اختلال نظام العالم، و فيه نقض لغرض الشّارع و مقصوده الذى هو عماره الأرض و بقاء النّوع الانسانى حينا من الدّهر و مدّه من الزّمان الّتى اقتضت الحكمه الالهيّه و المشيّه الرّبانيه بقائه إلى تلك المدّه ليعبدوه و يوحّدوه سبحانه فيها، لأنّ التّعمير و التمدّن و بقاء النوع لا يحصل و لا يتمّ إلّا بتعاون أبناء النّوع و تشاركهم على القيام بمصالح البقاء و لوازمه و ترك الدّنيا و الاعراض عنها مناف لذلك الغرض البتّه، هذا.

و فى قوله عليه السّلام:أ ترى اللّه أحلّ لك الطيّبات،تلميح إلى قوله عزّ و جلّ«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ »أى من حرّم الثّياب الّتى تتزّين بها الناس و ساير ما يتجمّل به مما أخرجها اللّه من الأرض لعباده من القطن و الكتان و الابريشم و الصّوف و الجواهر و المستلذّات من الماكل و المشارب روى فى الصافى من الكافى عن الصّادق عليه السّلام بعث أمير المؤمنين عبد اللّه بن عباس إلى ابن الكوّا و أصحابه و عليه قميص رقيق و حلّه، فلمّا نظروا إليه قالوا:

يا ابن عباس أنت خيرنا فى أنفسنا و أنت تلبس هذا اللّباس؟ قال: و هذا أوّل ما اخاصمكم فيه «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ » و قال اللّه «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ».

و عن الصادق عليه السّلام أنّه كان متكئا على بعض أصحابه فلقيه عباد بن كثير

و علیه علیه السّلام ثیاب مرویه(۱) فقال یا أبا عبد اللّه إنّک من أهل بیت النّبوه و کان أبوک(۲) و کان(۳) فما لهذه الثیاب المرویه علیک؟ فلو لبست دون هذه الثیاب فقال له: ویلک یا عبّاد من حرّم زینه اللّه الّتی أخرج لعباده و الطیبات من الرّزق إنّ اللّه عزّ و جلّ إذا أنعم علی عبده نعمه أحبّ أن یراها علیه لیس بها بأس، ویلک یا عباد إنّما أنا بضعه من رسول اللّه فلا تؤذونی و کان عباد یلبس ثوبین من قطن و فی شرح المعتزلی روی انّ قوما من المتصوّفه دخلوا بخراسان علی علیّ ابن موسی الرّضا علیهما السّلام فقالوا له إنّ أمیر المؤمنین(۴) فکّر فیما ولاّه اللّه من الامور فرآکم أهل البیت أولی الناس أن تؤمّوا الناس و نظر فیکم أهل البیت فرآک أولی النّاس بالناس فرأی أن یردّ هذا الأمر إلیک و الامامه تحتاج إلی من یأکل الجشب و یلبس الخشن و یرکب الحمار و یعود المریض، فقال علیه السّلام لهم: إنّ یوسف کان نبیّا یلبس أقبیه الدّیباج المزروره بالذهب، و یجلس علی متکئات آل فرعون، و یحکم إنّما یراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق و إذا حکم عدل و إذا وعد أنجز إنّ اللّه لم یحرّم لبوسا و لا مطعما، ثمّ قرء «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ » الایه.

و قال ابن عباس فی قوله «قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا خالِصَهً یَوْمَ الْقِیامَهِ » یعنی أنّ المؤمنین یشارکون المشرکین فی الطیبات فی الدّنیا فأکلوا من طیّبات طعامهم، و لبسوا من جیاد ثیابهم، و نکحوا من صالح نسائهم، ثمّ یخلص اللّه الطیبات فی الاخره للذین آمنوا و لیس للمشرکین فیها شیء.

و فی الصّافی من الامالی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث: و اعلموا یا عباد اللّه إنّ المتقین حازوا عاجل الخیر و آجله، شارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم، و لم

۱- (۱) - الرواء بضم الراء و المد حسن المنظر، منه.

۲- (۲) - یعنی أمیر المؤمنین (علیه السلام) منه.

۳- (۳) - أی زاهدا.

۴- (۴) - أی المأمون الملعون، منه.

يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم، أباحهم اللّه الدّنيا ما كفاهم و أغناهم قال اللّه عزّ و جلّ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ » الايه سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما اكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، و شربوا من طيّبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، و أصابوا لذّه الدّنيا مع أهل الدّنيا، و هم غدا جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، لا تردّ لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من اللذه، فالى هذا يا عباد اللّه يشتاق إليه من كان له عقل، هذا.

و قوله عليه السّلام (أنت أهون على اللّه من ذلك) يعنى أنّ أفعال اللّه سبحانه و أحكامه ليست كأفعال خلقه و أحكامهم، فربّما يعطى الواحد منّا مالا لاخر مع عدم طيب نفسه به بل على كره منه له أو يأذن له أن يسكن فى منزله باقتضاء مصلحه لاحظها فيه من مداراه معه و نحوها مع كراهه له باطنا و أمّا اللّه القادر القاهر العزيز ذوا السلطان فأجلّ و أعلى من أن يكون ما أعطاه و أحلّه لعباده من باب المصانعه و المجامله، لأنّهم أهون عنده تعالى من ذلك، و أىّ ملاحظه للخالق من مخلوقه الذّليل، و مداهنه للقاهر من مقهوره الضّعيف المقيّد بقيد الرّقيه و العبوديّه.

(قال يا أمير المؤمنين هذا أنت) إمامنا و قد و تنا حال كونك (فى خشونه ملبسك) حيث قنعت من اللّباس بطمريه[(١)] (و جشوبه مأكلك) حيث اقتصرت من الطعام بقرصيه فينبغى لنا أن نتأسّى و نأتمّ بك و نحذو حذوك.

(قال عليه السّلام ويحك) كلمه رحمه قالها شفقه و عطوفه (إنّى لست كأنت) يعنى أنّ تكليفى الشرعى غير تكليفك، و أشار إلى وجه المغايره بقوله:

(إن اللّه تعالى فرض على أئمّه الحقّ أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس) أى يضيّقوا على أنفسهم فى المعاش بضيق الفقراء و الضعفاء أو يقيسوا أنفسهم بهؤلاء و يكونوا شبيها بهم

١- (١) - الطمر الثوب الخلق و الكساء البالى، م.

(کیلا یتبیّغ) و یغلب (بالفقیر فقره) فیقلّ صبره فیعطب، و ذلک فانّ الفقیر إذا رأی إمامه و مقتداه بزیّ الفقراء و معاشه مثل معاش المساکین کان له تسلیه عمّا یتجرّعه من غصص الفقر و نغص المسکنه هذا.

و یؤیّد ما ذکره علیه السّلام من أنّ الفرض علی أئمّه الحقّ أن یقدروا أنفسهم بالضّعفاء:

ما رواه فی الصافی عن الصادق علیه السّلام أنّه قیل له: أصلحک اللّه ذکرت أنّ علیّ بن أبی طالب کان یلبس الخشن یلبس القمیص بأربعه دراهم و ما أشبه ذلک و نری علیک اللّباس الجیّد، فقال علیه السّلام له: إنّ علیّ بن أبی طالب کان یلبس ذلک فی زمان لا ینکر، و لو لبس مثل ذلک الیوم لشهر به، فخیر لباس کلّ زمان لباس أهله غیر أنّ قائمنا علیه السّلام إذا قام لبس ثیاب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و سار بسیرته فانّه یستفاد منه أنّ القائم عند ظهوره یسیر سیره أمیر المؤمنین علیه السّلام، و یسلک مسلکه فی اللباس و غیره، لکونه مطمح نظر العموم کأمیر المؤمنین، و أما سایر الأئمّه فلا، و ما أجاب الصادق علیه السّلام به للسائل فجواب إقناعی لاسکاته و الجواب الحقیقی ما قاله علیه السّلام فی المتن من أن لا یتبیّغ بالفقیر فقره.

تکمله

قال الشّارح المعتزلی: و اعلم أنّ الّذی رویته عن الشیوخ و رأیته بخطّ أحمد بن عبد اللّه بن الخشاب:

أنّ الرّبیع بن زیاد الحارثی أصابه نشّابه فی جبینه فکانت تنتقض علیه فی کلّ عام، فأتاه علیّ علیه السّلام عائدا فقال: کیف تجدک أبا عبد اللّه؟ قال: أجدنی یا أمیر المؤمنین لو کان لا یذهب ما بی إلاّ بذهاب بصری لتمنیت ذهابه، قال: و ما قیمه بصرک عندک؟ قال لو کانت الدّنیا لفدیته بها، قال: لا جرم لیعطینک اللّه علی قدر ذلک إنّ اللّه یعطی علی قدر الألم و المصیبه و عنده تضعیف کثیر، قال الرّبیع: یا أمیر المؤمنین ألا أشکو الیک عاصم بن زیاد أخی؟ قال علیه السّلام: و ماله؟ قال: لبس العباء و ترک الملاء و غمّ أهله و حزن ولده، فقال علیه السّلام: ادعوا لی عاصما فلمّا،

أتاه عبس وجهه و قال: ويحك يا عاصم أ ترى اللّه أباح لك اللذات و هو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على اللّه من ذلك، أو ما سمعته يقول «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ » ثمّ قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ » و قال «وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها » أما و اللّه ابتذال نعم اللّه بالفعال(۱) أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، و قد سمعتم اللّه يقول «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » و قوله «مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ » إنّ اللّه خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ » و قال «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً » و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لبعض نسائه:

مالى أراك شعثاء مرهاء سلتاء(۲) قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن و أكل الجشب؟ قال عليه السّلام: إنّ اللّه افترض على أئمه العدل أن يقدر ما لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيّغ بالفقير فقره، فما قام علىّ عليه السّلام حتّى نزع عاصم العباء و لبس ملائه.

قال الشّارح: و الرّبيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان، و أمّا العلاء ابن زياد الّذى ذكره الرّضىّ رحمه اللّه فلا أعرفه لعلّ غيرى يعرفه.

أقول: و يؤيّد ما ذكره الشّارح روايه الكلينى فانّه روى فى الكافى فى باب سيره الامام عن علىّ بن محمّد عن صالح بن أبى حمّاد و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد و غيرهما بأسانيد مختلفه فى احتجاج أمير المؤمنين على عاصم بن زياد حين لبس العباء و ترک الملاء و شكاه أخوه الرّبيع بن الزّياد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قد غمّ أهله و أحزن ولده بذلک فقال أمير المؤمنين: علىّ بعاصم بن زياد، فجیء به فلمّا رآه

۱- (۱) - اى استعمالها و اظهارها و تشهيرها، بالفعال و هو الشكر الفعلى أحب إلى اللّه من ابتذالها بالمقال و هو الشكر القولى و قد صرّح بعض المحققين إن الشكر الفعلى أقوى دلاله على تعظيم المنعم من الشكر القولى هكذا فى شرح ملا صالح على الكافى م.

۲- (۲) - فيه انه لعن السلتاء و المرهاء، السلتاء التى لا تختضب و المرهاء التى لا تكتحل نهايه.

عبس فی وجهه فقال له: أما استحییت من أهلک أما رحمت ولدک أ تری اللّه أحلّ لک الطیبات و هو یکره أخذک منها أنت أهون علی اللّه من ذلک أو لیس اللّه یقول «وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ فِیها فاکِهَهٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَکْمامِ » أو لیس اللّه یقول «مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ » إلی قوله «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ » فیا للّه لابتذال نعم اللّه بالفعال أحبّ إلیه من ابتذالها بالمقال، و قد قال اللّه عزّ و جلّ «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ » فقال عاصم: یا أمیر المؤمنین فعلی ما اقتصرت فی مطعمک علی الجشوبه و فی ملبسک علی الخشونه؟ فقال: ویحک إنّ اللّه فرض علی أئمّه العدل أن یقدروا أنفسهم بضعفه النّاس کیلا یتبیّغ بالفقیر فقره، فألقی عاصم بن زیاد العباء و لبس الملاء اللّهمّ وفّقنا لطاعتک بمحمّد و آله.

تنبیه

اشاره

علی مذهب الصوفیه و هدایه

اعلم أنّه قد ظهر لک اجمالا من هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام الّذی نحن فی شرحه أنّ سلوک نهج العبودیّه بغیر ما قرّره صاحب الشّریعه زیغ و ضلال، و وزر علی سالکه و وبال، و أنّه من استهامه الشیطان اللّعین و تسویله و تمویه النّفس و تدلیسه، فأحببت باقتضاء المقام و مناسبته بسط المقال فی هذا المرام و التّنبیه علی ضلال أقوام زاغوا عن نهج الرّشاد و نکبوا عن طریق السّداد، و نبذوا أمر اللّه وراء ظهورهم و اشتغلوا بالمجادلات الکلامیّه و الهذیانات الفلسفیّه و أبدعوا عبادات مخترعه، و أعرضوا عن حقایق علوم الدّین و الملّه، و دقایق أسرار الکتاب و السّنّه، و سمّوا أنفسهم بالمتصوّفه و الصّوفیّه.

و قبل الشّروع فی المقصود لا بدّ من تمهید مقدّمه شریفه و هی:

إنّه لا شکّ أنّ الغرض الأصلی و المقصود بالذّات من خلق الانسان هو العبودیّه و العرفان، کما شهد به الکتاب المکنون فی قوله «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ » کما لا شکّ أیضا أنّ المقصود من بعث الأنبیاء و الرّسل و إنزال

الصّحف و الكتب لم يكن إلاّ ذلك أعنى جذب الخلق إلى الحقّ الأوّل عزّ و جلّ و أنّهم عليهم السّلام على كثرتهم و اختلاف شرايعهم لم يكن غرضهم إلاّ شيئا واحدا و هو التّنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى العقبى و القطع عن الخلق و الوصل إلى الحقّ و الارشاد و الدّلاله على الصراط المستقيم المؤدّى إليه و المحصّل للقرب و الزّلفى لديه.

فبعثهم اللّه إلى الناس بما شرع لهم من الدّين ليدلّوهم عليه و يعلّموهم كيفيّه السّلوك إليه و لم يخل سبحانه خلقه من نبىّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّه لازمه أو محجّه قائمه.

فهم عليهم السّلام أدلاّء سبل الحقّ، و الهادون إليها، و المعلّمون لكيفيّه سلوكها بما أتوا به من الشرائع و الأديان الّتى شرعها اللّه تعالى لطفا منه فى حقّ عباده، و لم يتركهم سبحانه و آراءهم و لم يكلهم فى سلوك سبيله إلى عقولهم الناقصه و أهوائهم المختلفه و آرائهم المتشتّته، فليس لهم أن يسلكوا طريق عبوديّته بما يستحسنه العقول.

و قد ورد فى أخبار كثيره أنّ دين اللّه لا يصاب بالعقول، و أنه لا شىء أبعد عن دين اللّه من عقول الرجال.

و لو كانت العقول كافيه فى سلوك سبيل العبوديّه لم تكن إلى بعث الأنبياء و الحجج حاجه، كما أنه لو كان ما يرتضيه العقول و يخترعه من العبادات مرضيا عند الربّ مطلوبا له تعالى لم يكن داع إلى جعل الأديان و الشرائع التى شرعها و بعث بها الأنبياء عليهم السّلام كما قال تعالى «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً » و قال و «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً » فقد علم بذلك أنّ اللازم على العبد إذا أراد أن يعبد اللّه و يتقرّب إليه أن يعبده بالعبادات المجعوله فى الشريعه الموظفه المشروحه فيها ماهيّه و هيئه و كما و كيفا و وقتا و عددا بادابها الموظفه و شرايطها المقرّره و أركانها و أجزائها المختصّه و سنّتها المعيّنه و غيرهما مما جعله صاحب الشرع و شرعه.

لأنّ المطلوب للحقّ و المقرّب إليه ليس إلاّ و لا يقبل عزّ و جلّ من العبادات إلاّ

ما أرسل به حججه و أنطق به ألسنتهم.

و من ذلك أنّ الشيطان اللعين لما أبى من السجود لادم عليه السّلام الذى كان مأمورا به و مطلوبا له تعالى مع أنه قال: يا ربّ اعفنى من السجود لادم و أنا أعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل، صار مستحقّا للطرد و الابعاد حيث أراد أن يعبد اللّه من غير الوجه الذى كان مأمورا به، و قد قال اللّه له: لا حاجه لى فى عبادتك إنما اريد أن اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد، على ما مرّ فى روايه علىّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السّلام فى أوّل تنبيهات شرح الفصل الحادى عشر من الخطبه الاولى و قد قال تعالى «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ».

و اتيان البيوت من الأبواب هو الأخذ بقول الحجج و الرجوع فى سلوك نهج الحقّ إليهم، كما يدلّ عليه روايه الصافى عن أمير المؤمنين المتقدّم فى شرح الفصل الرابع من الخطبه الاولى.

و مرّ هنا روايه علىّ بن إبراهيم عن أبى جعفر عليه السّلام أنه قال: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضى الرحمن الطاعه للامام بعد معرفته أما لو أنّ رجلا قام ليله و صام نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره و لم يعرف ولايه ولىّ اللّه فيواليه و يكون جميع أعماله بدلالته ما كان له على اللّه حقّ فى ثوابه.

فحاصل الكلام و ملخّص المرام أنّ العباده المحصّله للقرب و الزّلفى هى العباده المتلقّاه من بيت النبوّه و الولايه، و المعلومه الثبوت فى الكتاب و السّنه فما لم يعلم ثبوتها فيهما مثل ما علم عدم ثبوتها بدعه و ضلاله موجبه لسخط الرّحمن و رضى الشّيطان، مؤدّيه إلى العذاب الأليم و الخزى العظيم.

إلّا أنّ جماعه من العامّه و الجهّال الخاصّه غفلوا عمّا قرّرناه فى هذه المقدّمه و استبدّوا بعقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده، و سلكوا السّبيل من غير دليل و أضلّهم الشّيطان و ضلّوا عن سواء السّبيل، و مع ذلك يزعمون أنّهم أهل السّلوك و المعرفه و الزّهد و القشف و الرّياضه

و هم قوم يسمّون بأهل الذّكر و التّصوّف، يدّعون البراءه من التّصنع و التّكلّف، يلبسون خرقا، و يجلسون حلقا، يخترعون الأذكار، و يتغنّون بالأشعار و يغلبون بالتّهليل، و ليس لهم إلى العلم و المعرفه دليل، ابتدعوا شهيقا و نهيقا، و اخترعوا رقصا و تصفيقا، قد خاضوا فى الفتن، و أخذوا بالبدع دون السّنن، رفعوا أصواتا بالنداء، و صاحوا صيحه الشّقاء، أمن الضّرب يتألّمون؟ أم من الطّعن يتظلّمون؟ أم مع أكفائهم يتكلّمون؟ إنّ اللّه لا يسمع بالصّماخ، و لا يحتاج فى سماعه إلى الصّراخ، أ تنادون باعدا؟ أم توقظون راقدا؟ تعالى اللّه لا تأخذه السّنه، و لا تحيط به الألسنه، سبّحوه تسبيح الحيتان فى البحر، و ادعوه تضرّعا و خيفه دون الجهر، إنّه ليس منكم ببعيد، بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

و أنت إذا عرفت ما مهّدناه فى هذه المقدّمه فاستمع لما يتلى عليك من شرح حال هذه الطايفه و بيان عقايدهم و مذاهبهم و وجه تسميتهم، و ما ورد من العلماء و العتره الطاهره سلام اللّه عليهم فى طعنهم و الازراء عليهم و تفصيل ذلك فى مقامات.

المقام الاول فى وجه تسميتهم بالصوفيه

و ذكروا فيه أقوالا:

الاول و هو الأشهر أنّ اشتقاقها من الصّوف سمّوا بها للبسهم الصّوف فى الصيف و الشتاء، و هذا الوجه هو المستفاد من الأخبار الاتيه.

و رووا عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجيب دعوه العبيد تواضعا، و يركب الحمار غير مستنكف، و يلبس الصوف غير متكلّف.

و قال الحسن البصرى: لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف و الشعر و فى روايه الجمهور أيضا عن امامهم البيهقى المشهور نقلا عن عبد اللّه بن مسعود أنه قال: كانت الأنبياء يركبون الحمار، و يلبسون الصوف، و يحلبون الشاه.

و فى البحار من اكمال الدّين باسناده عن الحسين بن مصعب عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل

على الحضيض مع العبيد، و ركوبى الحمار موكفا، و حلب العنز بيدى، و لبس الصوف، و التسليم على الصبيان لتكون سنه من بعدى.

و فى بعض كتب أصحابنا و لقد روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بطريق أهل البيت عليهم السّلام أنّ عيسى بن مريم كان يلبس الصوف و الشعر، و يأكل من الشجر، و يبيت حيث أمسى.

و عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يوم كلّم اللّه موسى كان عليه جبّه من صوف، و سراويل من صوف، و قلنسوه مدوّره من صوف، و نعلاه من جلد و يستفاد من هذه الأخبار و غيرها مما لا حاجه إلى ايرادها أنّ لبس الصوف مندوب شرعا و أنه لباس الأنبياء و الأئمه و الصلحاء.

و لكن هذه الطائفه لما كان لبسهم له تكلّفا و تصيّدا و قصدا للاشتهار و اظهارا للفضل كما قال عليه السّلام فى الخطبه الثانيه و الثلاثين فى تعديد أصناف الناس: - و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئوله نفسه فتحلّى باسم القناعه و تزيّن بلباس أهل الزّهاده و ليس من ذلك فى مراح و لا مغدى - لا جرم كان ذلك موجبا للازراء عليهم.

و يشهد بما ذكرته النبوّى المتقدّم فى شرح قوله عليه السّلام فى المتن: لبس العباء و تخلّى من الدّنيا حيث قال لأبى ذرّ: قوم يلبسون الصوف فى الصيف و الشتاء يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم، الحديث.

الثانى أنّه مأخوذ من الصّوف لا بالمعنى المتقدّم بل بمعنى آخر نقلوه عن جنيدهم البغدادى أنه قال: الصوفى مشتقّ من الصوف و الصوف ثلاثه أحرف: صاد و واو وفاء، و الصاد صبر، و صدق، و صفاء، و الواو ودّ، و ورد، و وفاء، و الفاء فرد، و فقر و فناء.

الثالث أنهم سمّوا صوفيه نسبه إلى الصفه التى كانت فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يسكنها فقراء المهاجرين، و كانت مسقّفه بجريد النخل و كانوا أربعمائه رجل لم يكن لهم بالمدينه مساكن و لا عشاير يدرسون القرآن باللّيل و يرضحون النوى بالنهار، و يحتطبون على ظهورهم، و يغزون مع كلّ سريّه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و أكثر أصحابه يؤانسونهم و يأكلون معهم، و يتعاهدونهم بالمبرّات.

و قد وصل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما إليهم و شاهد منهم فقرهم و طيب نفوسهم بالشدّه فقال: ابشروا يا أهل الصّفه إنّ من امتى من كان على حالكم و وصفكم و نعتكم التى أنتم عليها انكم و انهم رفقائى فى الجنّه.

و قد رتّبهم أبو نعيم الحافظ فى حليته على ترتيب حروف المعجم ذكر من مشاهيرهم سلمان و أبا ذر و عمار و صهيب و بلال و أبا هريره و خباب بن الارت و حذيفه ابن اليمان و أبا سعيد الخدرى و بشر بن الخصاصيه و أبا مويهبه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان هؤلاء أزهدهم و أعملهم بالكتاب و السنه فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنهم يلبسون الصوف و يخيطون ثيابهم بالأغصان الدّقيقه من الشجر.

و نقل فى وصفهم: أنهم كانوا أضياف الاسلام إلاّ أنّ بعضهم زلت قدمه بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ركن إلى الدّنيا و مال إلى حطامها كأبى هريره و صهيب، و الذين ثبتت قدمهم فى الفقر و الزّهد سلمان و أبو ذر و حذيفه و بلال و أبو سعيد، فانهم كانوا من السابقين الرّاجعين إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و كانوا يسمّون بالشيعه قال أمين الاسلام الطبرسيّ فى قوله تعالى «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَهَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً » إنّ الايه نزلت فى سلمان و أبى ذر و صهيب و غيرهم من فقراء أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و ذلك إنّ المؤلفه قلوبهم جاءوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عينيه بن الحصين و الأقرع ابن حابس و ذووهم فقالوا: يا رسول اللّه إن جلست فى صدر المجلس و نحّيت عنّا هؤلاء و أرواح ضئنانهم(۱) - و كانت عليهم جبات الصوف - جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول إلاّ هؤلاء، فلما نزلت الايه قام النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون اللّه عزّ و جلّ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحمد للّه الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من امتى معكم المحيا و الممات، انتهى.

ص:۱۳۷

۱- (۱) - فانّ بعضهم يعرق فى ثوبه فيوجد منه ريح الضأن، منه

و الحاصل أنّ الصوفيه على زعمهم و ادّعائهم لما شاكلت حالهم حال أهل الصفه لكونهم مجتمعين متألّفين مصاحبين للّه و فى اللّه قديما و حديثا فى الرّبط و الزّوايا قيل لهم: صوفيّه، و هذا و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللّغوى إلّا أن يراعى فيه الخفّه على اللّسان، و لا بأس به من حيث المعنى.

الرابع أنّ هذه النسبه إلى صوفه كما يقال: الكوفى للمنتسب إلى كوفه، و بنى صوفه جماعه من العرب كانوا يتزهّدون و يتقلّلون من الدّنيا، فنسب هذه الطايفه إليهم، و فى القاموس صوفه أبو حىّ من مضر، و هو الغوث بن مرّ بن ارّ بن طابخه كانوا يخدمون الكعبه و يجيزون الحاجّ فى الجاهليه أى يفيضون بهم من عرفات، أوهم قوم من أفناء القبائل تجمّعوا فتشبّكوا كتشبّك الصّوفه، و كذا فى الصحاح و غيره من كتب اللّغه.

المقام الثانى

فى ابتداء ظهور هذه الطايفه على اختلاف

الاقوال و الروايات

فأقول: قال المحدّث الجزايرىّ: إنّ هذا الاسم و هو التّصوّف كان مستعملا فى فرقه من الحكماء الزّايغين عن طريق الحق، ثمّ قد استعمل بعدهم فى جماعه من الزنادقه أى من الهنود و البراهمه، و بعد مجىء الاسلام استعمل فى جماعه من أهل الخلاف كالحسن البصرى و سفيان الثّورى و أبى هاشم الكوفى و نحوهم، و قد كانوا فى طرف من الخلاف مع الأئمه عليهم السّلام، فانّ هؤلاء المذكورين قد عارضوا الأئمه و باحثوهم و أرادوا إطفاء نور اللّه بأفواههم و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون إلى أن قال: و قد استمرّ الحال إلى هذه الأعصار و ما قاربها.

ثمّ إنّ جماعه من علماء الشّيعه طالعوا كتبهم و اطلعوا على مذاهبهم فرأوا فيها بعض الرّخص و المسامحات مثل قولهم، بأنّ الغناء المحرّم هو الذى يستعمل فى مجالس أهل الشرب و أهل الفسوق، فأباحوا أفراد الغناء و أنواعه لمتابعيهم و كانوا

من أهـل العلم و الناس يميلون إلى من يسـهل إليهم مثل هـذه الامور التى كان للنفس منها التـذاذ، و كتركهم التزويـج و إقبالهم على الغلمـان الحسـان، و العجب من بعض الشّيعه كيف مـال إلى هـذه الطريقه مع اطلاعه على أنّهـا مخـالفه لطريقه أهل البيت اعتقادا و أعمالا.

و قال أيضا: و الدّواعى لهم على اختراع هذا المذهب امور:

الأوّل ما نقل أنّ خلفاء بنى اميّه و بنى العبّاس لعنهم اللّه كانوا يحبّون أن يحصّلوا رجالا من أهل العباده و الزّهاده و التكلّم ببعض المغيبات و إن لم يقع، لأجل معارضات الأئمه الطاهرين عليهم السّلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتى يصغروا أهل البيت و أطوارهم فى أعين النّاس، فلم يجدوا أحدا يقدم على هذا سوى هذه الفرقه الضّالّه، فمن هذا مال إليهم سـلاطين الجور لعنهم اللّه و بنوا لهم البقـاع و حملوا اليهم الأموال و طلبوا منهم الـدّعاء فى مطالب دنياهم و قاسوهم بأهل البيت عليهم السّـلام، و أين الثّريا من يد المتناول.

الثانى سـهوله هـذا المسـلك و صـعوبه طريق العلم، فانّ العامى منهم قد يجلس فى بيت ضـيق مظلم أربعين يوما، و ربّما ترائى له إخوانه من الجنّ و الشّياطين فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصل له درجه العالم الذى يحصّلها فى خمسين سنه و أكثر، بل ربما كان اعتبار هذا بين رعاع النّاس أزيد من اعتبار ذلك العالم.

الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أبو القاسم القشرىّ الصّوفى العامى فى محكىّ كلامه من رسالته المعروفه بالقشريه:

اعلموا رحمكم اللّه أنّ المسـلمين بعـد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لم يتسمّ أفاضـلهم فى عصـرهم بتسـميه علم سوى صحبه الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ لا فضيله فوقها فقيل لهم: الصحابه و لمّا ادرك أهل العصر الثانى سمّى من صحب الصّحابه التّابعين و رأوا ذلك أشرف سمه، ثمّ قيل لمن بعدهم أتباع التّابعين، ثمّ اختلف الناس و تباينت المراتب

فقیل لخواصّ الناس ممّن لهم شدّه عنایه بأمر الدّین: الزهاد و العبّاد، ثمّ ظهرت البدع و حصل التّداعی بین الفرق فکلّ فریق ادّعی أنّ فیهم زهادا فانفردوا خواصّ أهل الشّریعه المراعون أنفسهم مع اللّه الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفله باسم التّصوّف، و اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأکابر قبل المأتین من الهجره، انتهی.

و من کتاب نفحات الانس انّ أوّل من اخترع له هذا الاسم أبو هاشم الکوفی الشّامی الصّوفی المعاصر مع السّفیان الثّوری.

و فی کتاب حدیقه الشّیعه أنّه کان یلبس ثیابا خشنه من الصوف کالرّهبان و یقول بالحلول و الاتّحاد لنفسه کالنّصاری فی عیسی علیه السّلام، و کان فی الظّاهر أمویّا جبریّا، و فی الباطن ملحدا دهریا، و الطائفه التی ینتسب إلیه باعتبار لباسه تسمی صوفیه سواء لبست الصوف أو لم تلبس، و بهشمیّه و أبو هاشمیّه باعتبار کنیته و عثمانیّه و شریکیّه لأنّ اسمه و اسم أبیه عثمان بن شریک.

قال فی حدیقه الشیعه: و کان غرض هذا الملعون من وضع مذهب التصوّف هدم مذهب الاسلام، و قد ورد من الأئمه علیهم السّلام أحادیث فی طعنه.

و لمّا رأی سفیان الثوری طریقته استحسنه و أضاف إلیه الرّؤیه و الصوره و التشبیه و التجسیم و وسّع دائره التصوّف، فنسبت هذه الفرقه إلیه، فقالوا: ثوریه و سفیانیه ثمّ نسبت إلی أبی یزید البسطامی فسمّیت بالیزیدیّه و البسطامیّه، ثمّ بملاحظه قولهم بالحلول و الاتحاد سمّیت حلولیّه و اتّحادیّه، ثمّ لمّا بالغ بعضهم فی الاتّحاد و قال بوحده الوجود سمّیت وحدتیه، و نسبت إلی حسین بن منصور الحلاّج فقیل منصوریّه و حلاجیه، و بملاحظه غلوّهم فی المشایخ و زعمهم حلول الحقّ فیهم قیل لهم: غالیه و غاویه، و لمکرهم و خدیعتهم و تفتینهم للنّاس قیل لهم: زرّاقیّه و خدّاعیّه.

و لمّا اخترعوا مذهبا متضمّنا للرّهبانیه و النصرانیه و الکفر و الاسلام سمّاهم الأئمه علیهم السّلام مبتدعه، و لکونهم من أهل الرّیاء سمّوا مرائیه، و لوضعهم التصوّف سماهم العلماء بالمتصوّفه، و لکثره صلفهم سمّوا بالمتصلّفه، و لهم أسماء اخر و اشهر

ألقابهم و أسمائهم الصوفيه و المتصوّفه و المتصلّفه و المبتدعه و الزرّاقيه و الغلات و الغاليه و الحلاجيه انتهى كلامه رفع اللّه مقامه فى أعلى علّيين مع الذّين أنعم عليهم بنعمه الايمان و ألبسهم لباس الكرامه و الشرف.

المقام الثالث

فى عقايدهم الفاسده و اعمالهم الباطله.

و قد حقّقنا عقايدهم الفاسده و بيّنا أعمالهم الباطله إنشاء اللّه و ثبّتنا أنّ عقايدهم مخالفه للشريعه الطاهره بالدّلائل العقليه و النقليه بعون اللّه الملك المتعال.

أما العقائد

:

فمنها

اعتقادهم بالحلول و الاتّحاد

، و قد نسب أكثر المتكلّمين من الفريقين و غيرهم فى مبحثى الحلول و الاتّحاد من كتبهم الكلاميه هاتين النسبتين إلى هذه الفرقه الضاله خذلهم اللّه تعالى.

قال المحقّق الطوسى فى رسالته الموسومه بقواعد العقائد:

و منها أى من الصفات السلبيّه أنه تعالى لا يمكن أن يكون فى جهه أو حين أو محلّ لاحتياج ما يكون كذلك إلى الحيّز و المحلّ، و كذلك لا يمكن أن يشار إليه اشاره حسّيه، و خالفت المشبّهه و المجسّمه فى ذلك إذ قالوا فى جهه فوق أو جسم لا كغيره من الأجسام، و ذهب بعض الصوفيه إلى جواز حلوله فى قلوب أوليائه و لعلّ مرادهم غير ما يعنى به من حلول الأعراض فى محلّها، انتهى.

و قال العلامه فى شرح هذه الرساله الموسوم بكشف الفوايد:

ذهب المحقّقون إلى أنه تعالى لا يمكن أن يكون فى جهه أو محاذاه و لا فى حيّز و مكان و لا فى محلّ يحلّ فيه حلول العرض فى محلّه، لأنّ كلّ ما كان كذلك كان مفتقرا إلى الجهه و الحيّز و المحلّ بالضروره لاستحاله حلول الغنىّ عن المحلّ فيه و الاحتياج ينافى الوجوب، و هذا المعنى لا يمكن أن يشار إليه إشاره حسّيه

بأنه هنا أو هناك، لتوقف ذلك على الحصول فى الحيّز و الجهه و المحلّ، و خالفت المجسّمه و المشبّهه فى ذلك فقالوا: إنّ اللّه فى جهه فوق و انه جسم لا ـ كالأجسام و قد تقدّم بطلانه و قال بعض الصوفيّه: بأنّه تعالى حالّ فى قلوب العارفين، فان عنوا به حلول العرض فى المحلّ فهو باطل بما تقدّم، و إن عنوا به شيئا آخر فلا بدّ من بيانه.

و قال المحقّق الطوسى فى تلك الرّساله:

و لا يجوز عليه الاتّحاد و هو صيروره الشّيئين شيئا واحدا، بأن ينتفى أحدهما و يبقى الاخر أو ينتفيا معا و يحدث شىء آخر، فانّ ذلك محال عقلا، و قال قوم من القدماء: كلّ من تعقل شيئا تعقّلا تاما اتّحد بمعقوله ذلك، و إليه ذهب جمع من الصوفيّه، و ذلك بالمعنى الذى ذكرناه غير معقول.

و قال العلامه فى الشرح:

الاتّحاد يطلق على صيروره شيئين شيئا آخر، بأن يعدم عن الأوّل شىء و يحدث فيه آخر كما يقال: صار الماء هواء، فانّ الصوره المائيّه زالت و اتّصفت بالصوره الهوائيه أو بأن يمتزج شيئان و يحدث صوره ثالثه مغايره للأوّل كما يقال صار الخشب سريرا، و هذان ممكنان لكن اطلاق الاتّحاد عليهما بنوع من المجاز، و هذا المعنى و إن كان ممكنا فى حقّ غيره تعالى إلاّ أنّه يستحيل فى حقّه أيضا لاستحاله انفعاله عن الغير و صيرورته جزءا من غيره.

و أمّا الاتّحاد الحقيقى و هو صيروره الشيئين شيئا واحدا لا بأحد المعنيين بل بأن ينتفى الذّاتان و يتّحد إحداهما بالاخرى فهذا ضرورىّ البطلان.

فانّ الشيئين إن بقيا بعد الاتّحاد بحالهما فهما اثنان، و إن عدم أحدهما فلا اتّحاد لاستحاله اتّحاد المعدوم بالموجود، و إن عدما معا و وجد ثالث فلا اتّحاد بل اعدام شىء و ايجاد آخر و ذهب فرفوريوس بعد المعلّم الأوّل إلى أنّ من عقل شيئا اتّحدت ذاته بذلك المعقول، و إليه ذهب الرئيس فى المبدأ و المعاد، لأنّ الصوره العقليّه اذا حلت الجوهر العاقل بالقوّه صيّرته عقلا بالفعل و إنّما يكون كذلك مع الاتّحاد و إلاّ

لكان ما هو بالقوّه بعد بالقوّه و الملازمه ممنوعه.

ثمّ لو اتّحد العاقل بمعقوله لزم أن لا يعقل إلّا شيئا واحدا أو يتّحد الذوات المعقوله فى أنفسها أيضا و قوم من الصّوفيّه إنّ اللّه تعالى يتّحد بأبدان العارفين و الكلّ غير معقول بالمعنى الذى ذكرناه.

و قال الفاضل المقداد فى شرحه على الباب الحادى عشر:

قال: أى العلّامه «قد»: و لا يجوز أن يكون فى محلّ و الّا افتقر إليه و لا فى جهه و إلّا لافتقر إليها.

أقول: هذان وصفان سلبيّان، الأوّل إنّه ليس فى محلّ خلافا للنّصارى و جمع من المتصوّفه و المعقول من الحلول هو قيام موجود بموجود على سبيل التّبعيّه، فان أرادوا هذا المعنى فهو باطل، و الّا لزم افتقار الواجب و هو محال، و ان أرادوا غيره فلابدّ من تصوّره أوّلا ثمّ الحكم عليه بالنّفى و الاثبات، انتهى ما أهمّنا نقله.

و قال أيضا فى شرح قول العلّامه «قد» و لا يتّحد بغيره لامتناع الاتّحاد مطلقا.

أقول: الاتّحاد يقال على معنيين: مجازىّ و حقيقىّ، أمّا المجازى فهو صيروره الشىء شيئا آخر بالكون و الفساد، إمّا من غير إضافه شىء آخر كقولهم صار الماء هواء و صار الهواء ماء، أو مع إضافه شىء آخر كما يقال صار التّراب طينا بانضياف الماء إليه، و أمّا الحقيقى فهو صيروره الشيئين الموجودين شيئا واحدا موجودا.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الأوّل مستحيل عليه تعالى قطعا لاستحاله الكون و الفساد عليه، و أمّا الثانى فقد قال بعض النّصارى إنّه اتّحد بالمسيح فانّهم قالوا اتّحدت(۱) لاهوتيّه البارى مع ناسوتيّه عيسى، و قال النّصيريّه: إنّه اتّحد بعلى عليه السّلام و قال بعض المتصوّفه: انّه اتّحد بالعارفين، فان عنوا غير ما ذكرناه فلا بدّ من تصوّره أوّلا ثمّ يحكم عليه، و إن عنوا ما ذكرناه فهو باطل قطعا لأنّ

۱- (۱) - و اليه ذهب أيضا محى الدين الملحد حسبما تعرفه فيما يأتى انشاء اللّه، منه.

الاتّحاد مستحیل فی نفسه فیستحیل اثباته لغیره، و أمّا استحالته فهو انّ المتحدین بعد اتّحادهما إن بقیا موجودین فلا اتّحاد، لأنّهما اثنان لا واحد، و إن عدما معا فلا اتّحاد بل وجد ثالث، و إن عدم أحدهما بقی الاخر فلا اتّحاد أیضا لأنّ المعدوم لا یتّحد بالموجود.

و قال الشیخ المفید «قد» فی شرح عقاید الصدوق:

الحلاجیّه حزب من أصحاب التّصوّف و هم أصحاب الاباحه و القول بالحلول، و لم یکن الحلاج یتخصّص باظهار التّشیع و إن کان ظاهر أمره التصوّف، و هم قوم ملحده زنادقه یموّهون بمظاهره کلّ فرقه بدینهم و یدعون للحلاج الأباطیل و یجرون فی ذلک مجری المجوس و دعویهم لذردشت المعجزات و مجری النصاری فی دعویهم لرهبانهم الایات البیّنات، و النصاری و المجوس أقرب إلی العبادات منهم و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النّصاری و المجوس.

و قال الشارح القوشجی فی شرح الهیّات التجرید:

ذهب بعض المتصوّفه إلی أنّه تعالی یحلّ فی العارفین و النصاری إلی حلوله فی عیسی، فان أرادوا بالحلول هذا المعنی فباطل، و إن أرادوا أنّه غیر ذلک فلا یمکن نفیه أو إثباته إلّا بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال الشارح البحرانی فی کتاب قواعد العقائد له:

انّه تعالی لا یتّحد بغیره، خلافا للنّصاری و بعض الحکماء السابقین و بعض المتصوّفه.

لنا أنّ المراد من الاتّحاد إن کان صیروره الشیئین شیئا واحدا کما هو المفهوم من لفظه فهو باطل، لأنّ المتّحدین إن بقیا موجودین فلا اتّحاد، و إن عدما معا فالموجود غیرهما فلا اتّحاد أیضا، و إن عدم أحدهما دون الاخر فلا اتّحاد إذ المعدوم لا یتّحد بالموجود، و إن أرادوا به معنی آخر فلا بدّ من إفاده تصوّره لننظر فیه.

و قال شارح الطوالع:

حکی القول بالاتّحاد و الحلول عن النصاری و جمع من المتصوّفه، فانّه حکی عن النصاری أنّهم قالوا: اتّحدت الأقانیم الأب و الابن و روح القدس و اتّحدت ناسوت المسیح و اللاّهوت و حلّ الباری فی عیسی، و حکی عن جمع من المتصوّفه أنّهم قالوا: إذا انتهی العارف نهایه مراتبه انتهی هویّته و صار الموجود هو اللّه سبحانه، و هذه المرتبه هی الفناء فی التّوحید، و قالوا: إنّ اللّه تعالی یحلّ فی العارفین، فان أرادوا بالاتّحاد و الحلول ما ذکرناه فقد بان فساده، و إن أرادوا به غیره لا بدّ من تصوّره أوّلا لیتأتی التصدیق به نفیا أو اثباتا، فانّه لا یمکن نفیه و اثباته إلاّ بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال المحدّث العلامه المجلسیّ فی عقایده:

و القول بحلوله تعالی فی غیره کما قال بعض الصوفیّه و الغلاه، أو اتّحاده مع غیره کما قاله بعض الصّوفیّه، أو انّ له تعالی صاحبه أو ولدا أو شریکا کما قاله النصاری، أو أنّه تعالی جسم أو أنّ له مکانا کالعرش و غیره، أو جزءا أو عضوا فکلّ ذلک کفر إلی غیر ذلک ممّا حکوه عنهم و شنّعوا علیهم.

ثمّ لمّا رأی المتأخّرون منهم فساد ما قاله متقدّموهم و بطلانه و شناعته وجّهوا کلامهم بأنّ مرادهم به وحده الوجود لا الاتّحاد و الحلول، و هو من قبیل دفع الفاسد بالأفسد و توجیه الشنیع بالأشنع.

و قال صاحب الشوارق فیه:

قد اشتهر من مشایخ الصوفیّه القول بوحده الوجود و أنّ الوجودات بل الموجودات لیست بمتکثّره فی الحقیقه بل هناک موجود واحد قد تعدّدت شئونه و تکثرت أطواره ثمّ قال: و لمّا کان ذلک بحسب الظاهر و بالمعنی المتبادر مخالفا لما یحکم به بدیهه العقل من تکثّر الموجودات بالحقیقه لا بمجرّد الاعتبار تصدّی کثیر من المحقّقین لتوجیه کلامهم، انتهی.

و قال القیصری فی شرح الفصوص لمحیی الدین:

حقیقه الوجود إذا اخذت بشرط أن لا یکون معها شیء فهی المسمّاه عند

الصوفيّه بالمرتبه الأحديه المستهلكه جميع الأسماء و الصفات فيها، و يسمّى جمع الجمع و حقيقه الحقائق و العماء أيضا، و إذا اخذت بشرط شىء، فامّا أن يؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمه لها كليّها و جزئيها المسمّاه بالأسماء و الصفات فهى المرتبه الالهيّه المسماه عندهم بالواحديّه و مقام الجمع، و هذه المرتبه باعتبار ايصال مظاهر الأسماء الّتى هى الأعيان و الحقائق إلى كمالاتها المناسبه لاستعداداتها فى الخارج تسمّى مرتبه الرّبوبيه، و إذا اخذت لا بشرط شىء آخر و لا بشرط لا شىء فهى المسماه بالهويّه السّاريه فى جميع الموجودات، و إذا اخذت بشرط ثبوت الصور العلميّه فيها فهى مرتبه الاسم الباطن المطلق و الأوّل و العليم و ربّ الأعيان الثابته - إلى أن قال - و اذا أخذت بشرط الصّور الحسّيه العينيّه فهى مرتبه الاسم المصوّر و ربّ العالم الخيال المطلق و المقيّد. و إذا أخذت بشرط الصور الحسيّه الشهادتيّه فهى مرتبه الاسم الظاهر المطلق و الاخر و ربّ عالم الملك، و مرتبه الانسان الكامل عباره عن جميع المراتب الالهيّه و الكونيّه من العقول و النفوس الكليّه و الجزئيه و مراتب الطبيعه إلى آخر تنزلات الوجود، و يسمّى بالمرتبه العمائيه أيضا فهى المضاهيه للمرتبه الالهيّه، و لا فرق بينهما إلّا بالرّبوبيّه و المربوبيه، و لذلك صار خليفه اللّه، و إذا علمت هذا علمت الفرق بين المراتب الالهيه و الرّبوبيه و الكونيه، انتهى.

و قال صاحب الشوارق فى گوهر مراد فى الفصل الذى ساقه لبيان كيفيّه صدور المعلول من العلّه ما محصله:

إنّ الصوفيه قالوا إنّ صدور المعلول من العلّه عباره عن تنزّل العله بمرتبه وجود المعلول و تطورها بطور المعلول و من هنا تفطنوا بوحده الوجود بمعنى أنّ الوجود حقيقه واحده ساريه فى جميع الموجودات، و ليست مهيات الممكنات إلّا امورا اعتباريه و الموجودات بأسرها مظاهر تلك الحقيقه الواحده بحيث لا يلزم الاتّحاد و الحلول، لأنهما فرع الاثنينيّه و لا موجود إلّا واحد.

قال: و فهم هذا المعنى بغايه الاشكال لأنهم ادعوا أنّ فهم ذلك لا يتيسّر

ص:۱۴۶

بـالعقول المتعـارفه بل بالرياضه و المجاهـده و بطور وراء طور العقل، و هو فناء السالك فى سـلوكه من نفسه و عقله و من جميع المعقولات و الموهومات فضـلا عن المحسوسات و قصره همته فى التوجّه الى الحقّ و ذكره له بلسانه و قلبه بحيث لا يخطر بقلبه سواه و لاـ يبقى فى قلبه غيره حتى يغيب عن نفسه حال ملاحظته لجلال اللّه، و إن لاحظها فمن حيث هى لاحظه لا من حيث هى مزّينه بزينه الحقّ، بل لا يكون الذّكر أيضا ملحوظا فضلا عن الذّاكر.

قـال: و إذا داوم السّالـك على ذلـك يفيض عليه نور من أنوار الالـهيّه يشاهـد به حقـايق الأشـياء على مـا هى عليهـا كمـا يشاهد المحسوسات بحسّ البصر.

قـال: و نحن اعتقـدنا بامكـان صـدق هـذه الـدّعوى بحسن ظنّنا بالسـلف، و ليس المراد بهـذا النّور المـذكور نور يفاض عليه من الخارج، بل نور مودع فى نفس الانسان ذواته، و الغرض من الرّياضه و المجاهده تصـفيته و تجليته من الأكدار الطبيعيه و الحسيّه و الخيـاليه و الوهميّه، و إذا حصـلت التصـفيه و التّجليه بالرّياضـات العلميه و العمليه و الاعتقاد بالعقايـد الحقّه صار هـذا النّور من القوّه إلى الفعـل، و يرى به الأشـياء و يشاهـدها بعين اليقين، اللّهم بلّغنـا إلى ذلـك المقام العالى باخراجنا عن هـذا المنزل الفانى البالى، انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه.

و قد سلك هذا المسلك صدر المتألهين و صرّح به فى كتبه الكلاميّه و غيرها فى موارد كثيره.

قال فى الفصل الأوّل من إلهيّات الأسفار الذى ساقه لاثبات وجود الواجب تعالى و الوصول إلى معرفه ذاته ما هذه عبارته:

اعلم أنّ الطرق إلى اللّه كثيره لكن بعضـها أوثق و أشـرف و أنور من بعض، و أسدّ البراهين و أشـرفها هو الذى لا يكون الوسـط فى البرهان غيره بالحقيقه، فيكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود، و هـذه سبيل الصـديقين الذين يستشـهدون بذاته على صفاته و بصفاته على أفعاله واحدا بعد واحد.

و ذلك لأنّ الرّبانيّين ينظرون إلى الوجود و يحقّقونه و يعلمون أنّه أصل

كلّ شىء ثمّ يصلون بالنظر إليه إلى أنّه بحسب حقيقته واجب الوجود، و أمّا الامكان و الحاجه و المعلوليّه و غير ذلك فانّما يلحقه لا ـ لأجل حقيقته بل لأجل نقايص و اعدام خارجه عن أصل حقيقته، ثمّ بالنظر فيما يلزم الوجوب و الامكان يصلون إلى توحيد ذاته و صفاته و من صفاته إلى كيفيّه أفعاله.

و تقريره أنّ الوجود كما مرّ حقيقه عينيّه واحده بسيطه لا اختلاف بين أفرادها لذاتها إلّا بالكمال و النقص و الشدّه و الضّعف أو بامور زايده كما فى أفراد ماهيّه نوعيّه و غايه كمالها ما لا أتمّ منه و هو الذى لا يكون متعلقا بغيره و لا يتصوّر ما هو أتمّ منه، إذ كلّ ناقص متعلّق بغيره مفتقر إلى اتمامه.

فاذن الوجود إمّا مستغن عن غيره، و إمّا مفتقر لذاته إلى غيره، و الأوّل هو واجب الوجود و هو صرف الوجود الذى لا أتمّ منه و لا ـ يشوبه عدم و لا ـ نقص، و الثانى هو ما سواه من أفعاله و آثاره و لا قوام لما سواه إلّا به لما مرّ أنّ حقيقه الوجود لا نقص لها و إنما يلحقه النقص لأجل المعلوليّه، و قد مرّ أنّ الوجود إذا كان معلولا كان مجعولا بنفسه(۱) جعلا بسيطا و كان بذاته مفتقرا إلى جاعل، و هو متعلق الجوهر و الذّات بجاعله.

فإذن قد ثبت و اتّضح أنّ الوجود إمّا تام الحقيقه واجب الهويّه، و إمّا مفتقر الذّات إليه متعلق الجوهريه، و على أىّ القسمين ثبت و تبيّن وجود واجب الوجود غنىّ الهويه عمّا سواه – إلى أن قال بعد جمله من النقص و الابرام:

فاذن حقيقه الوجود فى كلّ موجود بحسبه و أمّا الوحده الّتى تجمع الكل فهى ليست نوعيّه و لا جنسيه بل ضربا آخر من الوحده لا يعرفها إلّا الكاملون.

و قال فى شرح الكافى فى شرح الحديث الأوّل من باب جوامع التوحيد:

«توحيد عرشى» اعلم أنّ ذاته تعالى حقيقه الوجود بلا حدّ، و حقيقه الوجود لا يشوبه عدم، فلا بدّ أن يكون بها وجود كلّ الأشياء و أن يكون هو وجود الأشياء كلّها، إذ لو كانت تلك الذّات وجود الشىء بعينه أو الأشياء بعينها و لم تكن لشىء آخر أو لأشياء اخرى لم يكن حقيقه الوجود

۱- (۱) - اى لا بالعرض و التبعيه للماهيه كما أنّ المهيه مجعوله بواسطه و تبعيّه، منه.

و قد فرضناها حقيقه الوجود أو حقيقه الشيء و صرفه لا يتعدّد كالانسان مثلا فانه لا يمكن أن يتعدّد من حيث هو انسان، و ليس التعدّد فى زيد و عمر إلّا بأمر خارج عن حقيقه الانسانيه فحقيقه الوجود لا يتعدّد إلّا بشىء خارج، و لكن الخارج ليس إلّا العدم إذ المعانى و المهيّات تابعه للوجود و العدم ليس بشيء ثابت فثبت أن لا تعدّد فى الوجود إلّا من جهه الاعدام و النقائص.

فاذن لمّا كان واجب الوجود محض حقيقه الوجود الصرف الذى لا أتم منه فلا خارج عنه إلّا النقائص العدميّه و الاعدام فهو كلّ الذّوات و لا يشذّ عنه شيء من الموجودات من حيث كونه موجودا بل من حيث كونه ناقصا أو معدوما.

و قال فى شرح الحديث الأوّل من باب أدنى المعرفه:

اعلم أنّ للتوحيد و ساير معارف الايمان أربع درجات كقشر الجوز، و قشر قشره، و لبّه، و لبّ لبّه.

الدّرجه الاولى أن يقول باللسان: لا إله إلّا اللّه و قلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق و الثانيه أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدّق به عموم المسلمين و هو اعتقاد و ليس بعرفان.

و الثالثه أن يعرف ذلك بطريق الكشف بالبرهان بواسطه نور الحقّ و هو مقام المقرّبين، و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها على كثرتها صادره من الواحد القهار الرّابعه أن لا يرى فى الوجود إلّا واحدا و هو مشاهده الصدّيقين و تسمّيه الصوفيّه بالفناء فى التوحيد.

فالأوّل موحّد باللسان و يعصم ذلك صاحبه عن السيف و السنان.

و الثانى موحّد بمعنى أنّه معتقد بقلبه.

و الثالث موحّد بمعنى أنّه لم يشاهد إلّا مؤثّرا واحدا و يرى أنّه لا فاعل بالحقيقه إلّا واحد، و الوسايط مترتّبه فى القرب و البعد منه تعالى لصدورها منه

ص:۱۴۹

على التّرتيب الضرورى لا لكونها علل الايجاد بخلاف ما عليه الأشاعره.

و الرّابع موحّد بمعنى أنّه لم يحضر فى شهوده غير الواحد الحقّ فلا يرى الكلّ من حيث هو كثير بل من حيث هو واحد، لأنّ المهيّات المختلفه لا وجود لها إلّا بالوجود، و الوجود بذاته موجود و له حقيقه واحده متفاوته الدّرجات و المقامات و لكلّ مقام خواص و لوازم ينتزع منه و يصدق عليه و هى المسمّاه بالمهيّات و الأعيان الثابته الّتى ما شمّت رائحه الوجود، و لا هى مجعوله و كذا الأعدام و النقائص لا يتعلق بها جعل و تأثير، إذ لا وجود لها فالحقيقه على صرافه وحدتها الذّاتيّه الّتى لا مثل لها و لا شبه و لا ندّ و لا ضدّ، إذ ليست هذه الوحده وحده عدديّه يحصل بتكرّرها العدد، سواء كان فى العين أو فى الذّهن، و لا جنسيّه و لا نوعيّه و لا مقداريّه و لا غير ذلك من أقسام الوحدات.

فهذا هو الغايه القصوى فى التوحيد و إن كانت الأذهان قاصره عن إدراكها و لكن لا أقلّ من التسليم و عدم التلقّى بالجحود و الانكار، و اللّه ذو الفضل العظيم.

و قال فى شرح الحديث الخامس من باب حدوث العالم:

إنّ مهيّته تعالى إنيّته بمعنى أن لا مهيّه له سوى الحقيقه المحضه و الانّيه البحته و الوجود الصرف الذى لا يشوبه عدم و لا عموم و لا خصوص فاليه الاشاره بقوله عليه السّلام: شىء بخلاف الأشياء.

لأنّ كلّ ما سوى حقيقه الوجود له مهيّه خاصّه يعرضها عدم و قصور يلحقها كليّه و جزئيه، و كلّ منها يسلب عنها أشياء كثيره وجوديّه، فهذا جسم و هذه صوره، و هذا فلك و هذا انسان، فما هو فلك ليس بانسان، و ما هو جسم ليس بعقل و ما هى صوره ليست بمادّه.

و هذا بخلاف ذاته تعالى إذ هو كلّ الوجود و كلّه الوجود و ما من شىء إلّا و هو ذاته أو تبع و رشح لذاته، و ما فى الوجود إلّا ذاته و صفاته و أفعاله.

و قال فى شرح الحديث الرّابع من باب اطلاق القول بأنّه شىء:

و نسبه جميع الأشياء إليه تعالى نسبه ساير الأضواء و ظلالها إلى ضوء

الشمس الّذى به يضىء كلّ شىء و هو مستغن عن غيره لو كان لضوئها قيام بنفسه و لكنّه يغاير الأوّل تعالى بأنّ الضوء فيها يحتاج إلى موضوع و هو محسوس، و الوجود الأوّل لا موضوع له و لا محسوس، بل معقول لذاته و عاقل و عقل لذاته و لما سواه من الأنوار العقليه القاهره و المدبّره و ساير الصّور و الأجرام و عوارضها و الوجودات الفايضه منه كالأنوار و المهيّات التابعه لها كالظلال و الأجسام كالظلمات، و للّه المثل الأعلى فى السماوات. إلى غير ذلك ممّا لا نطيل بنقله.

و قال بعضهم:

كلّما فى الكون وهم أو خيال أو عكوس فى المرايا أو ظلال

و قال عامر بن عامر البصرى و هو من صوفيّه الشيعه كما فى مجالس المؤمنين فى مفتتح قصيدته الّتى سماها ذات الأنوار فى معنى الوحده الصرفه:

إنّ ذلك ليس بحلول كما ظنّه بعض المتوّهمين، و ذلك لأنّ الحلول يقتضى وجود شيئين أحدهما حالّ و الثانى محلّ، و ليس الأمر كذلك عند فحول المتوحّدين، بل عندهم أنّ الواحد المطلق من كلّ الوجوه لا يبقى سواه، و هو ظاهر بالكلّ للكلّ، و لكلّ فرد من أفراد كثرته الدّاخله فى حقيقه وحدته نصيب من عين تلك الوحده، و لا خروج له عنها و لا انعدام يطرى على شىء ثمّ شرع فى القصيده المسمّاه بذات الأنوار و قال فى مطلعها:

تجلّى لى المحبوب فى كلّ وجهه فشاهدته فى كلّ معنى و صوره

و خاطبنى منى بكشف السرائر تعالت عن الأغيار لطفا و جلّت

فقال أ تدرى من أنا قلت أنت يا مناى أنا إذ كنت أنت حقيقتى

فقال كذاك الأمر لكنّما إذا تعيّنت الأشياء بى كنت نسختى

فأوصلت ذاتى باتّحادى بذاته بغير حلول بل بتخصيص نسبه

فصرت فناء فى بقاء مؤبّد لذات بديموميّه سرمديّه

إذا رمت إثباتا لانيّتى محا هواه وجودى محوه أىّ محوه

فيأخذنى منّى فأصبح سائلا لنفسى عن نفسى حضورا لغيبه

و انظر فی مرآت ذاتی مشاهدا لذاتی بذاتی و هو غایه غایتی

فاغدو و أمری بین أمرین واحد علومی تمحونی و وهمی مثلتی

إلی أن قال:

بدا ظاهرا بالکلّ للکلّ بیّنا فشاهده العینان فی کلّ ذرّه

و أشرق منه مطلق قیّد الوری عموما بوحدانیه صمدیّه

هو الواحد الفرد الکثیر بنفسه و لیس سواه إن نظرت بدقّه

به کلّ حیّ و هو حیّ بذاته و إن شئت أن تحیی به فله مت

له کلّ عین فی الوجود یری بها له کلّ اذن فی البرایا وعیّه

له کلّ کفّ فی الواری باطشا بها له کلّ علم من علوم الخلیقه

لذلک ما قال الاله لادم علی صورتی کانت لخلقک خلقتی

فکثرته مخفیّه تحت وحده کما أنا فرد کثرتی تحت وحدتی

بقیت به لمّا فنیت له کما وجدت حیاتی فیه من بعد موتتی

إلی أن قال:

نظرت فلم ابصر سوی محض وحده بغیر شریک قد تقسّط بکثره

تکثّرت الأشیاء و الکلّ واحد صفات و ذات ضمتا فی هویّه

یحجّب عنّا و اختفی بظهوره فضلّل فیه کلّ قوم بحجّه

فسایر ذرّات الوجود مظاهر له إن رآه باصر ببصیره

محا ممکنات الوهم منه بواجب حوی کثره توحیدها بالضروره

و ذاک لأن لا شیء یوجد غیرها و جملتها موجوده بالمعیّه

لک الکلّ یا من لا سواه فمن رأی سواک فرؤیا ذاک من أحولیه

(۱) و محصّله كما ترى أنّ ذات الوجود المطلق و الممكنات ليست إلاّ مجالى

ص:۱۵۲

۱- (۱) بـا من آميزش او الفت موج است و كناردائما با من و پيوسـته گريزان از منمجموعـۀ كون را بقانون سـبقكرديم تصـفّح ورقا بعد ورقحقا كه نخوانديم و نديديم در اوجز ذات حق و شئون ذاتيۀ حق

و مظاهر له.

و بعباره اخری الوجود إذا اعتبر لا بشرط التّعیّن و عدم التعیّن یکون حقیقه الواجب، و اذا اعتبر بشرط التعیّن بالماهیه یکون عین حقیقه الممکنات فیکون حقیقه کلّ ممکن هو الوجود المتعیّن بالماهیه، فاذا لم یعتبر فیه التعیّن کان عین حقیقه الواجب، تعالی عمّا یقول الجاهلون علوّا کبیرا.

اذا عرفت ذلک فأقول:

إنّ بطلان هذا الاعتقاد الفاسد ممّا دلّ علیه العقل و النّقل، و لکونه من مزالّ الأقدام یحتاج إلی بسط الکلام فی ذلک المقصود و المرام، بعون اللّه المالک المهیمن السّلام، و باللّه أستعین و أستمدّ و بمحمّد و آله الطاهرین سلام اللّه علیه و علیهم أجمعین أتوسّل فی کشف الحجاب عن وجه المرام.

اما الدلیل العقلی علی بطلانه

فموقوف علی تمهید مقدّمه متضمّنه للفرق بین الواجب تعالی شأنه و الممکن و هو بوجوه:

الاول

الافتقار و عدم الافتقار

بیانه: أنّ الموجود إمّا موجود بنفسه غیر مفتقر فی وجوده إلی غیره أی – العلّه الموجده، أو موجود لا بنفسه بل مفتقر إلی العلّه، و الحصر بینهما عقلیّ دائر بین النفی و الاثبات، فلا یتصوّر واسطه بین الافتقار و عدم الافتقار، فلا موجود خارجا من القسمین و المتّصف بعدم الافتقار هو الواجب و بالافتقار هو الممکن.

أمّا الثّانی فلا بدّ أن ینتهی وجوده إلی علّه قائمه بذاتها موجوده بنفسها، إذ معنی افتقاره هو قبوله لأثر العلّه الذی هو الوجود، فلو لم تکن العله بنفسها موجوده لکانت فاقده للأثر و الفاقد للشیء کیف یکون معطیا، و مجرّد وصول الأثر بواسطه إلی محلّ لا یرفع الافتقار فلا بدّ من الانتهاء إلی المؤثر القائم بذاته ؟؟؟؟ عنی غیر المفتقر فی وجوده إلی غیره.

؟؟؟؟ یکون وجوده عله لوجوده و هو غیر معقول لاستلزامه تقدّم الشیء

ص:۱۵۳

على نفسه.

و إمّا بأن يكون نفسه عين الوجود أى لا يكون له ماهيّه و وجود كما فى الممكنات بل يكون ماهيته ائيّته و هو المطلوب.

فان قلت: هل له تعالى ماهيّه؟ قلت: الماهيّه لها معنيان:

أحدهما بازاء الوجود كما يقال وجود الممكن زايد على ماهيّته و الماهيّه بهذا المعنى يعرضها العموم و الاشتراك فليست له تعالى ماهيّه بهذا المعنى.

و ثانيهما ما به الشىء هو هو و هذا يصحّ له عزّ و جلّ و قد صرّح به الصّادق عليه السّلام فى جواب الزنديق فى حديث طويل مرويّ فى الكافى قال: قال له السّائل: فله إنيّه و مائيّه؟ قال عليه السّلام: نعم لا يثبت الشىء إلّا بانيّه و مائيّه.

الثانى

أنّه تعالى منزّه عن الحدّ و الرّسم

و المثل و الشّبه و الضّدّ و النّد، و التنزّه مقتضى ذاته و الممكن محدود ممثّل.

أمّا الأوّل فلما عرفت من أنّه تعالى نفس الوجود و متعيّن الذّات بوجوب وجوده و ليس له ماهيّه و وجود فليس بذى أجزاء و ما لا جزء له لا جنس له و لا فصل له و ما لا جنس له و لا فصل له لا حدّ له، و إذ ليست له صفه لازمه و لا خاصّه فلا رسم له، و ما لا حدّ له يمتنع إقامه البرهان عليه إلّا أنّه من حيث كونه مبدءا لأفعاله و آثاره و بارئا لمخلوقاته ممّا يقام عليه البرهان كما يقال: العالم مصنوع مبنى يقتضى أنّ له صانعا بانيا، فالعالم له صانع و إذا ثبت أنّ للعالم صانعا ثبت وجوده ضروره.

و أما الثانى فلتركبه من الوجود و الماهيه يكون ذا أجزاء و الوجود للممكنات أمر عقلى متصوّر فى الذّهن مشترك بين الموجودات زايد فى التصوّر على المهيات و قد عرفت أنّ المهيه التى هى معروض الوجود أيضا مما يعرضه العموم و الاشتراك فافراد الممكنات بجميعها مشتركه فى أمر جامع بينها به يشابه أحدها الاخر و يشاكله

ص:۱۵۴

و يتميّز أحدهما عن الاخر بأمر بائن، و ليس الحدّ إلّا عباره عن الجامع الفارق.

و أيضا كلّ متصف بالوجود الامكانى فله مهيّه و وجود.

أما المهيّه فلكونها غير الوجود يحتاج فى موجوديّتها إلى جاعل يجعلها موجودا إذ المهيّه لا تقتضى نفسها وجودها و إلّا لكان وجودها قبل وجودها و هو محال ضروره تقدّم المقتضى على المقتضى.

و أما الوجود فلأنّ كلّ وجود غير وجوده تعالى فهو يشوبه عدم و نقص فيحتاج إلى موجد و له حدّ معين من مراتب الوجود يحتاج إلى محدّد إذ لو كانت نفس طبيعه الوجود تقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك و ليس كذلك، فاذن الوجود فى كلّ موجود نفس تعيّنه الخاصّ و وحدته الشخصيّه و تشخّصه المحدّد و المعين، و كلّ ما له حدّ فله عله محدّده تحدّده على ذلك الحدّ.

و هذا بخلاف الوجود الالهى الذى هو عين ذاته و تعيّنه بالوجوب فلا قاهر فوقه و لا محدّد له إذ ليس فيه إلّا محض الحقيقه القدسيه و التنزّه.

بل قد قال بعض الأساطين: إنّ انفكاك المهيه من الوجود إنما هو فى تحليل العقل، و أما فى الواقع فهى عينه حيث قال:

إنّ الوجود لا بدّ له عما يخرجه عن الايهام، فلا يتحقّق إلّا بعد التعيّن التمام بالفصول المتنازله إلى أن ينتهى إلى التشخّص. فبعد التعيّن التامّ يتحقّق و الترتب إنما هو فى المرتبه و التحليل، و هذا ما أشاروا إليه بقولهم: إنّ الشيء ما لم يتشخّص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخّص، و أنّ التشخّص يساوق الوجود، فانه ذات الوجود و خلوّه عنه سلب الشيء عن نفسه.

و بما حقّقنا ظهر أنّ الماهيه عين الوجود، و انما ينفكان فى التحليل، فيحمل الوجود على الماهيه و يعرضها باعتبار كما أنّ الماهيه تعرض الوجود باعتبار آخر و فى الحقيقه ليس هناك إلّا الوجود الخاصّ، فالوجود الذى هو نقيض العدم بنفسه لا يتقوّم بل هو و الحدّ و التحديد مستند إلى أمر وراء ذلك، فالمبدء تعالى ليس له ذات و وجود، و إنما يعبر بعبارتين بالالجاء و ضيق المجال كما هو الحال فى جميع

صفات الجمال، و هذا متن بيان مقتبس من مشكاه النبوّه إلى أن قال:

ظهر من جميع ما تقدّم أنّ إثبات المبدأ تعالى لا ينفكّ عن التوحيد، ضروره أنّ الحدّ ينافى الوجود و التعدّد لا يعقل إلّا بالحدود و قال:

و كشف الحجاب أنّ الوجود عين هويّته و نفس الماهيه كما هو محصّل عروض الوجود للماهيه، و التفكيك إنّما هو بالتحليل و كذا الحمل و العروض، فقبل التحقّق الذى هو عين الواقع و الخارج لا وجود و لا ماهيه، و معه لا تمائز.

فللحيوانيّه مثلا نحو من الوجود لأنّ الحركه بالاراده و الحسّ وجود و المعدوم لا يعقل أن يكون حيوانا و حساسا، و كذا النّطق و هو إدراك الكلّيات و ملكه اكتساب النظريّات نحو من الوجود و المعدوم ليس ناطقا بالضروره.

و كذا الحال فى جميع الأجناس و الفصول و الأنواع الملتئمه منها المترتّبه فانّه صرف الفرض و ليس كون الانسان قبل الوجود انسانا و كون الوجود وجودا قبل التحقّق إلاّ ـ مجرّد الفرض، فعدم كون الانسان و الوجود قبل التحقّق وجودا و انسانا مخالف للفرض لا أنّه سلب للشّىء عن نفسه كيف و ليس هناك شىء و لا نفس إلّا بالفرض.

ألا ـ ترى أنّ اجتماع النّقيضين لو كان اجتماعا تحقيقيا لكان محقّقا و إنّما هو مجرّد فرض و تقدير، فالانسانيّه التّحقيقيه و هو الحيوانيّه مع النطق لو كانت غير الوجود فكيف يكون متحرّكا بالاراده و مدركا للمعقولات و هو لا وجود له.

و من خفى عليه هذا المعنى خبط خبطه عشواء فبين من ذهب إلى أنّ التقرير مرحله سابقه على الوجود، و من توهّم أنّ بين الوجود و العدم مرحله تسمّى بالحال و لم يتفطنوا أنّ ارتفاع النّقيضين محال، انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه دام عزّه و علاه.

و قد اتّضح منه كلّ الوضوح أنّ الممكن لا تحصل له إلّا بالوجود و الماهيه و أنّ الماهيّه بحسب الخارج عين الوجود وحده، و أنّ معنى عروض الوجود للماهيّه أنّ الملحوظ فى الوجود إنّما هو حدّه المعين لا أنّ هناك عارضا و معروضا

و عروضا.

فانقـدح منه أنّ قول الصوفيّه بـأنّ المـاهيّه مـاهيّه حال العـدم و هى المعبّر عنها بالعين الثابت، و قولهم بأنّ الأعيان الثابته ما شـمّت رايحه الوجود ممّا لا معنى له أو التفكيك بين الثّبوت و الوجود و القول باتّصاف الماهيّه بالأوّل دون الثانى سفسطه محضه.

الثالث

أنّ الواجب تعالى وجوده تامّ فوق التّمام

، و الممكن موصوف بالقصور و النّقصان، و التمام مقتضى ذات الاوّل كما أنّ النّقصان لازم وجود الثانى.

و المراد بكونه تامّـا كونه جامعـا لجميع صـفات الكمـال إذ قـد قلنـا إنّه عين الوجود و الكمالاـت كلّهـا وجود، فتكون الكمالات جميعا حاصـله له بالفعل بنفسه من دون افتقار إلى الاستكمال بالغير، و هذا من ضيق العباره بل كما أنّ ذاته تعالى صرف الوجود كذلك صرف العلم و القدره و الاختيار و الحياه و غيرها من الصّفات الكماليّه، و هذه الصّفات عين ذاته كما قال أمير المؤمنين: علم كلّه قدره كلّه حياه كلّه.

و المراد بفوق التمام كونه مع جامعيّته للكمالات و تماميّتها له موجدا لوجود غيره و كمالاتهم جميعا أيضا.

و أمّـا الممكن فلاـ ينفكك عن وصف الافتقار و الامكان و المهيّه و المعلوليّه و التركيب و غيرها من النقائص، و ما يتصوّر فيه من وصف الكمـال فامّا أن لا يكون حاصـلا له بالفعل بل بالقوّه كالانسان مثلا، أو يكون حاصـلا بالفعل و لكن حصوله ليس بنفسـه بل بالغير، فعلم من ذلك أنّ الواجب تامّ و الممكن ناقص.

و اذا عرفت هـذه المقـدّمه الشـريفه ظهر لـك فسـاد القول بوحـده الوجود، لأـنه إذا كـان الواجب عله و الممكن معلولا، و الأوّل مسـتغنيا و الثانى مفتقرا، و الأول منزّها عن الحـدّ و التعيّن و الثانى محدودا متعيّنا بالماهيه، و الأوّل بسـيطا و الثانى مركّبا، و الأول تامّا فوق التمام و الثانى مكتنفا بالعدم و النقصان حسبما عرفته

ص:۱۵۷

فی المقدّمه الّتی مهّدناها، فکیف یعقل ترقّی الثانی إلی مرتبه الأوّل، فانّ ذاتیّ الشّیء لا ینفکّ عنه و المعلولیّه و المحدودیّه و الافتقار و النقصان من لوازم ذات الممکن فکیف یتصوّر أن یلقی الممکن إنیّته علی اصطلاحهم و یصل إلی مرتبه الواجب.

مع أنّ إنیّته لیس إلّا تعیّنه بماهیّته و بعد ارتفاع التّعین و التّحدّد لا یبقی ماهیّه و لا وجود، فلا یکون هناک شیء أصلا.

و کذلک إذا کان الواجب تعیّنه بذاته و بکنهه و منزّها عن الحدود لکونه صرف الوجود و کان تامّا فوق التمام کان مباینا للممکن غایه البینونه کما قال الرّضا علیه السّلام فی الحدیث المرویّ عنه فی الکافی: مباینته إیّاهم مفارقته إنیّتهم، فکیف یتوّهم کونه ساریا فی الموجودات.

و هؤلاء الجهله لمّا سمعوا أنّ الواجب وجود خال من جمیع الحدود و القیود، و أنّ الوجود مفهوم واحد نقیض العدم، فتوهّموا أنّ الوجود الخالی من جمیع القیود هو الوجود المطلق لا ـ بشرط التعیّن و عدم التعیّن، فیجتمع مع جمیع التعیّنات الامکانیه، و یکون عین حقیقه کلّ ممکن.

و هذا التوهّم من الفساد بمکان لأنّ معنی خلوّ الواجب من القیود، هو خلوّه من التعیّنات الامکانیه لا من مطلق التعیّن و لو بذاته، فتعیّنه سبحانه بوجوب وجوده الذی هو عین ذاته فعلی هذا یکون طرد الحدود و التعیّنات الامکانیه محالا، و لیس معنی خلوّه منها کونه مبهما ساریا فی التعیّنات مثل سریان الکلّیات فی مصادیقها الخارجیّه المتعینه.

و بعباره أوضح أنّ الواجب مع قطع النظر عن الحدود و التعیّنات إمّا مبهم أو متعیّن.

أمّا الأوّل فتحقّقه محال بالضّروره، لأنّ الشیء ما لم یتشخّص لم یوجد و من هنا قالوا إنّ الکلیّ الطبیعی أمر مبهم لا یمکن تحقّقه فی الخارج إلّا بضمّ التعیّنات و تشخّصات الأفراد.

ص:۱۵۸

و أما الثانى فامّا أن یكون سرایته فى المخلوقات مع تعیّنه الذى هو له فهو محال، لأنّه جمع بین النقیضین إذ التعیّن الوجوبى مناف للتعیّن الامكانى و مناقض له، أو مع إلقائه لتعیّنه الذّاتى و تعیّنه بالتعیّن الامكانى و هو فرع أن یكون متحرّك غیر واجب و ممكن یكون فى تلك المراتب و یكون واجبا تاره و ممكنا اخرى و هو باطل.

و الحاصل أنّ الواجب إمّا مبهم محض و جامع بین جمیع الموجودات كما هو شأن الجامعه الساریه، و هو مستلزم لنفى وجود الصانع تعالى عن ذلك علوّا كبیرا، و إما أنّه متعیّن بحب ذاته فیستحیل سریانه فى الامور المتعیّنه بالحدود و القیود.

و الى ذلك أشار المحقّق الطوسى فى شرح الاشارات حیث قال:

حقیقه الواجب لیست هى الوجود العام بل هى مجرّد وجوده الخاص به المخالف لسایر الموجودات لقیامه بالذّات.

و قال أیضا: الوجود داخل فى مفهوم ذات واجب الوجود لا الوجود المشترك الذى لا یوجد إلّا فى العقل بل الوجود الخاص الذى هو المبدأ الأول لجمیع الموجودات و إذ لیس له جزء فهو نفس ذاته و هو المراد من قولهم: مهیّته هى إنیّته انتهى.

و قال المعلّم الثانى فى محكىّ كلامه من كتاب الجمع بین الرّاییین:

إنّه لما كان البارى جلّ جلاله بائیّه ذاته مباینا لجمیع ما سواه و ذلك له بمعنى أشرف و أفضل و أعلى بحیث لا یناسبه فى إنیتّه شىء و لا ـ یشاكله و لا یشبهه حقیقه و لا مجازا، ثمّ مع ذلك لم یكن بدّ من وصفه و اطلاق كلّ لفظه كمالیّه من هذه الألفاظ المتواطئه علیه، فانّ من الواجب الضّرورى أن نعلم أنّ مع كلّ لفظه نقولها فى شىء من أوصافه معنى بذاته بعیدا من المعنى الّذى نتصوّره من تلك اللّفظه و ذلك كما قلناه بمعنى أشرف و أعلى حتّى إذا قلنا إنّه موجود علمنا مع ذلك أنّ وجوده لا كوجود سایر ما دونه، و إذا قلنا إنّه حىّ علمنا أنّه بمعنى أشرف من الحىّ الذى هو دونه و كذلك الأمر فى سایرها، انتهى.

و هو كما ترى نصّ صريح مثل الاخبار الاتيه الوارده من معادن القدس و الطهاره فى أنّ مباينته لغيره بنفس ذاته. فلا يتّصف بالماهيّه و لا بالوجود بالمعنى المتصوّر فى الممكن، بل إذا قلنا إنّه موجود و وصفناه بالوجود فهو بمعنى اعلا ممّا يتصوّره العقل، و هكذا إذا وصفناه بالعلم و الحياه و ساير الصفات الثبوتيّه و هو معنى ما ورد فى غير واحد من الأخبار الكثيره من أنّه سبحانه شىء لا ـ كالأشياء فوصفه بأنّه شىء من ضيق المجال و الخروج من حدّ التعطيل، و بأنّه لا كالأشياء للتّنزيه و التقديس و نفى التشبيه و الاشاره إلى كونه باينا من الأشياء و كونها باينه منه بنفس ذاته المقدّسه.

و الحاصل أنّه تعالى ممتاز عمّا سواه بذاته، و الوجود عين ذاته، و الوجود الّذى له عزّ و جلّ ليس بالمعنى الذى لها كيف و الوجود الذى لغيره أمر بديهىّ يعرفه الكلّ كساير البديهيّات، و الوجود المخصّص به لا ـ يدركه بعد الهمم و لا ـ يناله غوص الفطن، و غايه معرفتنا بذاته أنّا لا نعرف ذاته بيان ذلك أنّ كلّ مدرك باحدى القوى و الحواسّ ظاهريّه كانت أو باطنيّه و كلّ ما تدركه المشاعر صوره كانت أو معنى فهو محدود متمثّل تحدّه الحواسّ و تمثّله الأفكار، و كلّ ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا مصنوع بفكرنا، و خالق الأشياء منزّه عنه فنعرف ذاته بأنّا لا نعرف ذاته إذ غايه ما يحصل لنا من الاثار و الأفعال كونه مبدء لتلك الاثار و الأفعال صانعا لها، و من ذلك يحصل الجزم بوجوده تعالى.

إذ لو لم يكن موجودا ثابتا لكان معدوما منفيّا اذ لا مخرج منهما و لا واسطه بين النّفى و الاثبات و الوجود و العدم.

و يلزم من عدمه أن لا ـ يكون فى الوجود شىء أصلا و اللاّزم باطل بالبديهه فكذا الملزوم و وجه الملازمه أنّ الكلّ مفتقر فى وجوده إليه فما هو معدوم فى نفسه كيف يكون مفيضا للوجود فثبت بذلك أنّه موجود ممتاز بذاته عمّا عداه هذا،

ص:۱۶۰

و الصوفيّه أولياء الشيطان لمّا ضاق بهم الخناق فى إقامه البرهان على مذهبهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد استندوا إلى الكشف و العيان.

قال بعض من له خوض فى التّصوف:

إنّ مستند الصوفيّه فيما ذهبوا إليه هو الكشف و العيان لا ـ النظر و البرهان، فانّهم لمّـا توجّهوا إلى جناب الحقّ سبحانه بالتّعريه الكامله و تفريغ القلب بالكليّه عن جميع التّعلّقات الكونيّه و القوانين العلميّه مع توحيد العزيمه و دوام الجمعيّه و المواظبه على هذه الطريقه بدون فتره و لا تقسيم خاطر و لا تشتّت عزيمه منّ اللّه سبحانه عليهم بنور كاشف يريهم الأشياء كما هى.

و هذا النور يظهر فى الباطن عند ظهور طور وراء طور العقل، و لا تستبعدن وجود ذلك، فوراء العقل أطوار كثيره يكاد لا يعرف عددها إلّا اللّه.

و نسبه العقل إلى ذلك النور كنسبه الوهم إلى العقل، فكما يمكن أن يحكم العقل بصحّه ما لا يدركه الوهم كوجود موجود مثلا لا خارج العالم و لا داخله، فكذلك يمكن أن يحكم ذلك النّور الكاشف بصحّه بعض ما لا يدركه العقل، كوجود حقيقه مطلقه محيطه لا يحصرها التقييد و لا يقيّدها التعيين.

مع أنّ وجود حقيقه كذلك ليس من هذا القبيل فانّ كثيرا من الحكماء و المتكلّمين ذهبوا إلى وجود الكلّى الطبيعى فى الخارج.

و المقصود هنا رفع الاستحاله العقليه و الاستبعادات العاديه عن هذه المسأله لا إثباتها بالبراهين و الأدله، انتهى.

و هو سخيف جدّا لامتناع أن يكون طور وراء العقل إلاّ ـ النّبوه، و لو جوّز ذلك لبطلت الشرائع و الأديان و الأحكام النقليّه و العقليه و ارتفع الأمان و انسدّ باب الايمان.

و ليس نتيجه ما ذكر من الرّياضه و المجاهده إلّا تلطيف السّر و تهذيب الباطن و تصفيه القلب ليسهل النظر و يسرع الفكر و يصفو الذّهن من الكدر، فيتجرّد المعقولات النظريّه عن الغواشى الوهميّه و يتميّز المعقول عن الموهوم، و ذلك

هو معنى الكشف و نور اللّه الكاشف لا ما توهّموه.

و مثله فى السخافه استناد بعضهم فى ذلك إلى الأدله السمعيّه حيث قال:

إذا علمت أنّ الوجود هو الحقّ علمت سرّ قوله «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ » «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » «وَ فِى أَنْفُسِكُمْ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ » «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلٰهٌ » و قوله «اَللّٰهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و اللّه «بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ » و كنت سمعه و بصره، و سرّ قوله: و لو دليتم بحبل لهبط على اللّه، و أمثال ذلک من الأسرار المنبهه للتوحيد بلسان الاشاره، انتهى.

و لا دلاله فيها على ما زعموه بوجه.

أمّا الايه الاولى فدلالتها على بطلان ما زعموه و فساده أظهر، بل مكذبه لدعواهم، لأنّ وجود الأشياء عينها فى الخارج لا معها، و قد عرفت أنّ التغاير فى طرف التّحليل، و المراد بكونه تعالى معنا فى جميع الأمكنه ما حقّقناه فى شرح الفصل السادس من الخطبه الاولى فى شرح قوله عليه السّلام: مع كلّ شىء لا بمقارنه و أمّا الايه الثانيه فهى أيضا مكذبه لهم لأنّ الاقربيّه مستلزمه للمغايره و المنافيه للعينيّه، و المراد بها القرب بالعلم و الاحاطه أو باعتبار كون ذاته و وجوده منه تعالى حدوثا و بقاء بحيث لو قطع النظر عنه آنا ما هلك و صار عدما محضا لاستحاله بقاء المعلول من غير علّه و أمّا الايه الثالثه فهى أيضا دليل على البينونه و المغايره، لافادته كون نفس الشخص آيه على صانعه و هو استدلال إنّى و أين ذلک من الاتّحاد.

و أمّا الايه الرّابعه فالمراد بها انحصار الالوهيه فى جميع العوالم فيه تعالى و هو أيضا مكذب للعينيّه لمنافاه الالوهيّه لها.

و أمّا الايه الخامسه فالمراد بها أنّه هاد لأهل السماوات بلا واسطه و لأهل الأرض بواسطه الأنبياء و الرّسل و الأئمه عليهم السّلام، و قد ورد تفسيره بهذا المعنى فى أخبار أهل البيت سلام اللّه عليهم.

و أمّا الايه السادسه فهى أيضا مكذبه لدعواهم لأنّ وجود الشىء ليس محيطا

به بل هو فی الخارج و فی التحلیل عارض له.

و أما الحدیث القدسی فلا دلاله فیه أیضا علی الاتّحاد، بل المراد به معنی آخر أشار به فی البحار.

فانه بعد ما روی من المحاسن عن عبد الرّحمن بن حماد عن حنان بن سدیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قال اللّه تعالی: ما تحبّب إلیّ عبدی بشیء أحبّ إلیّ ممّا افترضته إلیه، و أنّ عبدی لیتحبّب إلیّ بالنافله حتی احبّه فاذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و لسانه الذی ینطق به و یده التی یبطش بها و رجله التی یمشی بها إذا دعانی أجبته و إذا سألنی أعطیته.

قال: هذا الخبر یحتمل وجوها:

الأوّل أنه لکثره تخلّقه بأخلاق ربّه و وفور حبّه لجناب قدسه تخلّی عن شهوته و إرادته، و لا ینظر إلاّ إلی ما یحبّه سبحانه و لا یبطش إلاّ إلی ما یوصله إلی قربه تعالی و هکذا الثانی أن یکون المراد أنّه تعالی أحبّ إلیه من سمعه و بصره و لسانه و یده و یبذل هذه الأعضاء الشّریفه فیما یوجب رضاه فالمراد بکونه سمعه أنّه فی حبّه و اکرامه بمنزله سمعه بل أعزّ منه لأنّه یبذل سمعه فی رضاه و کذا البواقی.

الثالث أن یکون المعنی کنت نور سمعه و بصره و قوّه یده و رجله و لسانه و الحاصل أنّه لمّا استعمل نور بصره فیما یرضی ربّه أعطاه بمقتضی وعده سبحانه «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ » نورا من أنواره به یمیّز بین الحقّ و الباطل، و به یعرف المؤمن و المنافق کما قال اللّه تعالی «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ » و قال علیه السّلام: المؤمن ینظر بنور اللّه، و کذا لما بذل قوّته فی طاعته أعطاه قوّه فوق طاقه البشر کما قال مولانا الأطهر: ما قلعت باب الخیبر بقوّه جسمانیه بل بقوّه ربانیه و هکذا.

الرّابع أنه لما خرج عن سلطان الهوی و آثر علی جمیع إراداته و مراداته و شهواته لرضی المولی صار الرّب تعالی متصرّفا فی نفسه و بدنه، مدبّرا لقلبه

و عقله و جوارحه فبه يسمع و به يبصر و به ينطق و به يمشى و به يبطش كما ورد فى تأويل قوله «وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ » و هذا معنى دقيق لا يفهمه إلاّ العارفون و ليس المراد به المعنى الذى باح به المبتدعون فانّه الكفر الصريح و الشّرك القبيح انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما الروايه الأخيره فعلى تسليم صحّه سندها و عدم كونها من موضوعات العامّه فمعناها إحاطته تعالى بجميع العوالم و عدم خلوّ مكان منه عزّ و جلّ بهذا المعنى، و أين هذا ممّا زعمه حزب الشيطان من أنّ الوجود هو اللّه، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

فقد وضح و اتّضح من هذا كلّه أنّ ما ذهب إليه الزّنديق اللّعين محيى الدّين و أتباعه الذين هم أولياء الشيطان و هادمو أساس الشرع المبين من أنّ الوجود هو الحقّ الأوّل و أنّه سار فى الموجودات و أنّها على كثرتها مجالى و مظاهر له، و أنّ الواجب إذا اشتمل على الحدّ و التّعين صار ممكنا، و انّ الممكن إذا ارتفع عنه الحدّ و التّعيّن صار واجبا ففى قوس النزول يكون الواجب ممكنا، و فى قوس الصّعود يكون الممكن واجبا، غلط بيّن و كفر و زندقه و إلحاد.

و العجب من صدر المتألهين أنّه مع ذكائه و براعته فى فنّ الكلام و إذعانه بأكثر ما أوردناه فى المقدّمه الشّريفه، غفل عن نتيجتها و قلّد الصّوفيه فيما هم عليه زعما منه أنّ ما ذهبوا إليه من وحده الوجود هو نتيجه كلمات الأساطين من الحكماء و المتكلّمين، و لم يتعقّل المباينه، ثمّ ذهب إلى كونه مشتركا مقولا على ما تحته بالتشكيك حسبما نقلناه.

قال فى الأسفار:

«فصل» فى أنّ مفهوم الوجود مشترك محمول على ما تحته حمل التّشكيك لا حمل التّواطى.

أمّا كونه مشتركا بين الماهيّات فهو قريب من الأوّليّات، فانّ العقل يجد بين موجود و موجود من المناسبه و المشابهه ما لا يجد مثلهما بين الموجود

و المعدوم و أطال فى إثبات الاشتراك بما لا طائل تحته إلى أن قال:

و أمّا كونه محمولا على ما تحته بالتّشكيك أعنى الأوّليّه و الأقدميّه و الأشدّيه، فلأنّ الوجود فى بعض الموجودات بمقتضى ذاته كما سيجىء دون بعض و فى بعضها أقدم بحسب الطّبع من بعض، و فى بعضها أتمّ و أقوى.

فالوجود الذى لا سبب له أولى بالموجوديّه من غيره، و هو متقدّم على جميع الموجودات بالطّبع، و كذا وجود كلّ واحد من العقول الفعّاله متقدّم على تاليه، و وجود الجوهر متقدّم على وجود العرض.

و أيضا فانّ الوجود المفارقى أقوى من الوجود المادّى، و خصوصا وجود نفس المادّه القابله، فانّها فى غايه الضعف حتّى كأنّه يشبه العدم و المتقدّم و المتأخّر و كذا الأقوى و الأضعف كالمقوّمين للموجودات و إن لم يكن كذلك للماهيّات.

فالوجود الواقع فى كلّ مرتبه من المراتب لا يتصوّر وقوعه فى مرتبه اخرى لا سابقه و لا لاحقه و لا وقوع وجود آخر فى مرتبته لا سابق و لا لاحق، انتهى.

و اعترض عليه بعض أساطين مشايخنا المعاصرين أطال اللّه بقاه بقوله:

إنّ هذا الكلام يكشف عن أنّه لم يتعقّل معنى الوجود و الماهيّه، ضروره أنّ المتصف بالكلّيه و الجزئيه و التواطى و التشكيك إنّما هو الكلّى الطبيعىّ، فموضوع هذه الأحكام إنّما هو الماهيه، و أمّا الوجود المنسلخ عنها فى التّحليل فهو كالعدم، و مع عدم لحاظ الانسلاخ فيه لا تعدّد و لا تغاير و لا ماهيّه و لا وجود، بل هو حينئذ عينها و هى عينه كما لا يخفى و لا يصلح لأن يتّصف بشىء من هذه الصّفات إلّا تبعا للذات.

بل التحقيق أنّ الاعراض بأسرها على هذا المنوال فانّها جهات تحليليّه لا انيّه لها و لا ماهيّه و انّما هى شئون المعروض، فانّ العروض بلحاظ ارتباطه مع الغير فهو غير متأصّل لا محاله كالفوقيّه و الابوّه و كذا ما يلزم من وجوده

التكرّر كالوجود.

و أمّا اللون و ما شاكله فهو متأصّل لا- كما توهّموه من أنّ له ماهيّه و وجودا إلاّ- أنّه فى وجوده يحتاج إلى موضوع بخلاف الجوهر، و إلاّ لكان المعروض من مقوله الأين بالنسبه إلى العرض مع أنّ وجود العرض لنفسه عين وجوده للغير لا- أنّ هناك وجودين و هذا معنى الحلول و هو عباره اخرى عمّا اشرنا إليه من أنّه نحو وجود المعروض، فالموجود له ذات و وجود و لوجوده شئون و خصوصيّات تسمّى بالاعراض و أمّا الماهيه فلا يعرضها إلاّ الوجود، و أما الزّوجيه فى الأربعه و ما يشابهها فليست عرضا لماهيه، ضروره أنّ الأربعه كم منفصل لا- ماهيّه من الماهيّات بل هو تحليل فى تحليل فى خصوصيّات الوجود و لو على سبيل التقدير.

و أمّا ما توهّمه من أنّ الوجود فى بعض الموجودات بمقتضى ذاته فمرجعه إلى كون الشىء عله لنفسه و أمّا الواجب تعالى فهذا التعبير بالنّسبه اليه جلّ ذكره كساير التّعابير ليس على ما توهّمه بل مرجعه إلى أنّه تعالى مقدّس عن الوجود الّذى هو نقيض العدم و نسبه الوجود إليه تعالى سلب نقص العدم عنه لا إثبات الوجود(۱).

و بالجمله فكون الوجود معلولا للذّات ضروريّ الاستحاله، فانّ الفاقد لا يكون معطيا مع أنّ تقدّم الشىء على نفسه أيضا ضرورى الفساد.

و أمّا الأقدميّه بحسب الطّبع فهو أيضا من الأغلاط لما عرفت من أنّه تعالى منزّه عن الطّبع.

ص:۱۶۶

۱- (۱) - يعنى أنّ وجوده ليس على حدّ وجود سائر الموجودات الممكنه لانّ الممكنات جميعها تنحل فى طرف العقل إلى ماهيه و وجود عارض لها و من هنا قالوا كلّ ممكن زوج تركيبى بل وجوده عزّ و جلّ نحو آخر من الوجود و هو عين ذاته و ليس له ذات غيره بل ماهيّته انيّته.و الحاصل أنه تعالى كما أنه منزّه عن الماهيه المعروضه للوجود فكذلك منزّه عن الوجود العارض عليها لانّ الوجود بهذا المعنى مسبوق بالعدم و قد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بعض الخطب المتقدّمه: سبق الاوقات كونه و العدم وجوده فوجوده بمعنى آخر فتأمل جيّدا من الشارح عفى عنه

و أمّا العقول فعلى القول بها فلا تقدّم لشيء منها على تاليه إلاّ بالعليّه.

و أمّا الجوهر فهو تقدّم الموضوع على العرض و هو نحو آخر من السّبق التحليلى و هو عين العروض.

و أمّا اختلاف حال المجرّد و المادّى فليس مستندا إلى اختلاف أنحاء الوجود بل انّما الاختلاف بين الجواهر بالماديّه و التجرّد بالذّات و إن لم تكن موجوده، و الهيولى مع قطع النّظر عن الوجود متميّز عن العقل و غيره من أقسام الجواهر كتميّز ساير الماهيّات، و ضعف المادّه عباره اخرى عن كونها مادّه محضه فى الانفعال، و هذه جهه ذاتيّه لا ربط لها بالوجود و أمّا ما توهّمه من أنّ الوجود الواقع فى كلّ مرتبه من المراتب لا يتصوّر وقوعه فى مرتبه اخرى آه فقد أخذه من أهل العلم من حيث لا يشعر، ضروره أنّ مقتضى مذهب أئمّته من أنّ الوجود حقيقه واحده أنّه لا تميّز بين الوجودات إلاّ بالاعتبار، فالمراتب انّما ترتّبت باعتبار التّنزلات، ففى قوسى النّزول و الصّعود تتحرّك العين فى الوجود، و هذا ما ذهبوا اليه من الحركه الجوهريّه.

مع أنّ هذا مناف لهذا الكلام الّذى تقدّم منه من الاختلاف بين العقل و الهيولى مثلا فى شدّه الوجود و ضعفه، فانّ هذا إنّما ينطبق على ما ذهبوا إليه من أنّ الأعيان الثّابته ما شمّت رايحه الوجود و إنّما هى اضافات إشراقيّه تختلف قوّه و ضعفا باختلاف النّزول و الصعود و البعد و القرب، و لهذا كان النّاسوت أضعف الدّرجات، لأنّها منتهى قوس النّزول و اللاّهوت أقوى حيث انّه مبدء لهذه الدّرجات المتدرّجه.

و بالجمله فاستحاله تبدّل الوجودات إنّما تتمّ على مذهب غير الصوفيّه، فانّ العرض لا ينتقل، و إنّما يتمّ هذا فيما لم يكن وجود فى طول الاخر، و أمّا فى السّلسله الطّوليّه فهو غلط صرف، فشيء من الشخصين لا يتبدّل بالاخر كما أنّ الحمار أيضا لا يتبدّل بالانسان، و أمّا النطفه فتكون علقه و مضغه و حيوانا و انسانا و ليس هذا من تبدّل الصّوره مع بقاء الهيولى، و كذا الحال فى تبدّل العناصر بعضها ببعض على

ص:۱۶۷

ما هو التحقيق، فانّه من تبدّل وجود باخر بمعنى التّرقى و الصّعود كما أنّ مراتب الفناء دركات النّزول، و لتحقيق هذه المسائل مقام آخر، انتهى كلامه رفع اللّه مقامه.

و قال السيّد محمّد قطب السلسله الذّهبيّه فى نظمه:

زعموا الوجود مشكّكا سبحانه عن اشتراك وضيعها و شريفها

فى الاشتراكين التزام ضلاله قد ضاع فى نهج الهدى تقطيعها، هذا.

و ربّما اعترض على القول بالتّشكيك بامتناعه فى الذّاتيات، و أجاب عنه القيصرى فى شرح الفصوص بما لا طائل تحته و لا بأس بنقل كلامه و تعقيبه بما يتوجّه عليه من النّظر.

قال: و ما يقال إنّ الوجود تقطع على أفراده لا على التّساوى، فانّه يقع على العلّه و معلولها بالتقدّم و التأخّر، و على وجود الجوهر و العرض بالأولويّه و عدمها، و على وجود القارّ و غير القارّ بالشدّه و الضعف، فيكون مقولا ـ عليها بالتشكيك و ما هو مقول بالتشكيك لا يكون عين ماهيّه شىء و لا جزئه.

إن أرادوا به أنّ التقدّم و التّأخر و الأولويّه و عدمها و الشدّه و الضعف باعتبار الوجود من حيث هو هو، فهو ممنوع لكونها من الامور الاضافيّه الّتى لا يتصوّر إلّا بنسبه بعضها إلى بعض، و لأنّ المقول على سبيل التشكيك باعتبار العموم و الكلّيه و الوجود من حيث هو هو لا عامّ و لا خاصّ.

و إن أرادوا به أنّها يلحق الوجود بالقياس إلى الماهيّات، فهو صحيح لكن لا ـ يلزم أن يكون الوجود من حيث هو مقولا ـ عليها بالتشكيك إذ اعتبار المعروضات غير اعتبار الوجود.

و ذلك بعينه كلام أهل اللّه لأنّهم ذهبوا إلى أنّ الوجود باعتبار تنزّله فى مراتب الامكان و ظهوره فى خطائر الامكان و كثره الوسائط يشتدّ خفاؤه، فيضعف ظهوره و كمالاته و باعتبار قلّتها يشتدّ نوريّته و يقوى ظهوره، فيظهر كمالاته و صفاته فيكون إطلاقه على القوى أولى من اطلاقه على الضّعيف، انتهى.

و فيه انّ الماهيّه مع قطع النّظر عن الوجود و كذا الوجود مع قطع النّظر

عن الماهيّه لاـ يحكم عليهما بحكم لما عرفت من أنّهما تحليليّان لاـ أمران متغايران، فالشدّه و الضّعف إنّما تعرضان الوجود التحقيقى الواجد للماهيّه، لا المتسلخ عنها فالماهيّه يشتدّ وجودها المنظّم اليها و ما نسجته هذه الطايفه من أنّ الوجود هو الحقّ و أنّ الماهيات مظاهر و مجالى و أنّ الاختلاف إنّما هو فى الدّرجات التجلّى بحسب القرب و البعد و قلّه الوسايط و كثرتها، ممّا ليس له معنى محصّل.

و بالجمله فقد تحصّل ممّا ذكرنا كلّه أنّ وجوده تعالى مغاير لوجود غيره مباين له، و اتّصافه بالوجود ليس كاتّصاف غيره به إذ الوجود الّذى له تامّ فوق التّمام و اتّصافه به بمعنى أجلّ و أشرف و أعلى من أن يبلغه العقول و الأوهام كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى الفصل الثانى من الخطبه الاولى: الّذى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

بل قد قال بعض المحقّقين: إنّ وصفه تعالى بالوجود من ضيق العباره، و إنّ معنى قولنا إنّه موجود إنّه ليس بعدم و لا معدوم فيكون مرجع اتّصافه به إلى سلب العدم عنه لا اثبات الوجود الّذى هو نقيض العدم له، فانّه تعالى منزّه عن ذلك، لأنّ الوجود الذى هو نقيضه حدّ له واقع فى طرفه و قباله.

كما يتّضح ذلك بقولنا مثلا خرج الشىء من العدم إلى الوجود و من الوجود إلى العدم، فانّ الوجود و العدم متناقضان متقابلان صار كلّ منهما حدّا للاخر و فى قباله و طرفه، و اللّه سبحانه لما كان منزّها عن الحدود لا يمكن اتّصافه بالوجود الذى هو حدّ العدم و طرفه.

و يوضح ذلك قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الخامس و الثمانين: سبق الأوقات كونه و العدم وجوده، و أيضا الوجود الذى هو نقيض العدم إنما يتصوّر فيما يتصوّر فيه العدم كالماهيات و اللّه عزّ و جلّ منزّه عن الماهيّه و عن عوارضها.

و الحاصل أنّ وصفه بالوجود كوصفه بساير أوصاف الجمال مثل قولنا: إنه عالم أى ليس بجاهل، و قادر أى ليس بعاجز، و هكذا.

ص:۱۶۹

و أما غيره تعالى من الموجودات الممكنه فانما يتصف بالوجود المقابل للعدم المناقض له لكونه ذى ماهيه مشخّصه لوجوده كما أنّ وجوده كان مشخّصا له فانّ الشيء ما لم يتشخّص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخّص.

و بعد هذا كلّه فكيف يزعم العاقل اتّحاد وجود المخلوقات الذى هو من البديهيات الأوّليّه على ما قيل مع وجود الخالق الذى إذا حاول الفكر المبرّء من خطرات الوساوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته و تولهت القلوب إليه لتجرى فى كيفيه صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا- تبلغه الصفات لتنال علم ذاته رجعت إذا جبهت معترفه بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، و لا يخطر ببال اولى الرّويات خاطره من تقدير جلال عزّته، فتعالى اللّه عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

و أما الدليل النقلى

فهو جميع الأخبار و الأحاديث الدّاله على تقديسه و تنزيهه عن التشبيه و التحديد، و المفيده لمغايرته لمخلوقاته و مباينته إياهم بنفس ذاته الأقدس و وجوده الأجلّ الأشرف الأعلى.

و أكثرها احتواء لذلك خطب أمير المؤمنين الوارده فى مقام التوحيد المتقدّمه فى تضاعيف الكتاب، و لا بأس بالاشاره إلى بعض ما تقدّم منه عليه السّلام فى هذا الباب تذكره و ذكرى و ما يذكّر إلّا اولو الألباب.

فمنه قوله عليه السّلام: فى الفصل السادس من المختار الأوّل:

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنه، و غير كلّ شيء لا بمزايله.

فانّ قوله عليه السّلام: موجود لا عن عدم نصّ صريح فى أنّ وجوده ليس مثل وجود ساير موجودات المسبوق بالعدم المناقض له كما أنّ اثبات مغايرته لكلّ شيء و نفى مقارنته له صريحان فى عدم الاتّحاد و الوحده بل قوله: مع كلّ شيء أيضا لا يخلو عن الدّلاله، لأنّ المعيه مقتضيه للاثنينيه المنافيه للوحده و العينيه كما لا يخفى.

و محصّل الجميع مباينه الحقّ للخلق بذاته و كونه معهم بالعلم و الاحاطه

و القیومیه و العلّیه فانّ المعلول لا یغیب عن علته.

و منه قوله علیه السّلام فی المختار الرابع و الستین:

لم یحلل فی الأشیاء فیقال هو فیها کائن، و لم ینأ عنها فیقال هو منها بائن.

فانّ الفقره الاولی صریحه فی أبطال الحلول و الاتّحاد کما هو مـذهب قدماء الصوفیّه علی ما حکینا عنهم سابقا، و المراد بالفقره الثانیه نفی المباینه المتصوّره بین المتباینین المتباعـد أحـدهما عن الاخر، فلا تنافی ما قـدّمناه من بینونته لها لـذاته من أجل تنزّهه عن الحدّ و کونها مشتمله علی الحدود مع قربه لها بالعلم و الاحاطه و الافضال و الرّحمه.

و منه قوله علیه السّلام فی الفصل الثانی من المختار التّسعین:

کذب العادلون(۱) بک إذ شـبّهوک بأصـنامهم و محلوک حلیه المخلوقین بأوهامهم «إلی ان قال» فاشـهد أنّ من ساواک بشـیء من خلقک فقد عدل بک و العادل بک کافر بما تنزّلت به محکمات آیاتک و نطقت عنه شواهد حجج بیّناتک.

فـانّه کسـایر الأخبـار المتواتره و الایـات القرآنیّه فی کفر من شـبّهه عزّ و جلّ بالأصـنام و زیّنه بزینه المخلوقات فکیف المتصوّفه الجاعلون إیّاه سبحانه عین الأصـنام و المعتقدون أنّ هویّته ساریه فیها و انّ وجودها عین وجوده الظاهر فی صوره الصّنمیّه و أنّها مجالی و مظاهر له و أنّ العباده لها عباده له تعالی عمّا یقول الملحدون علوّا کبیرا.

و لعلـک إذا سـمعت نسبه هـذا القول و الاعتقـاد منّا إلی هـذه الطایفه الضّالّه المضـلّه نسـبتنا إلی العصبیّه و العناد. و بادرت إلی تکذیبنا و قلت کیف یمکن أن یعتقد هؤلاء مع کونهم من المسـلمین المؤمنین علی خلاف ما هو من ضروریّات الدّین بل ما هو أساس الـدّین و أصـله أعنی توحیـد الرّب و تفریـده بالمعبودیه الـذی لم یکن بعث الأنبیاء و الرّسل و انزال الکتب و الصّحف و تشریع الشرائع و الأدیان من لدن زمن آدم علیه السّلام إلی آخر الزّمن إلّا لأجله.

۱- (۱) – ای الجاعلون لک عدیلا منه.

فان شئت أن تعرف صحّه هذه النّسبه و تعلم حقّيتها بعلم اليقين فاستمع لما يتلى عليك من كلام قطب أقطابهم الزّنديق اللّعين ابن العربى محيى الدّين فى الفصوص و من كلام القيصرى فى شرحه.

قالا ـ فى الفصّ الهارونى بعد ما ذكرا غضب موسى عليه السّلام على أخيه هارون لمّا شاهد من قومه عباده العجل ما صريح عبارتهما:

«ثمّ قال هارون لموسى إنى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل فتجعلنى سببا فى تفريقهم فانّ عباده العجل فرّقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسّامرى و تقليدا له و منهم من توقّف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه فى ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه و كان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنّه علم ما عبده أصحاب العجل» أى علم موسى ما الّذى عبده أصحاب العجل فى الحقيقه «لعلمه بأنّ اللّه قضى ألّا نعبد إلّا إيّاه» كما قال تعالى: «وَ قَضى رَبُّكَ أَلّاٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّاٰهُ ».

«و ما حكم اللّه بشىء إلّا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر فى إنكاره و عدم اتّساعه» أى كان عتب موسى أخاه هارون لأجل انكاره عباده العجل و عدم اتّساعه قلبه لذلك.

«فانّ العارف من يرى الحق فى كل شىء بل يراه عين كلّ شىء فكان موسى يربّى هارون تربيه علم».

و اعلم أنّ هذا الكلام و إن كان حقّا من حيث الباطن لكن لا يصحّ من حيث النّبوه و الظاهر، فانّ النبىّ يجب عليه إنكار العباده للأرباب الجزئيه كما يجب عليه إرشاد الامّه إلى الحقّ المطلق، و لذلك أنكر جميع الأنبياء عباده الأصنام و إن كانت مظاهر للهويه الالهيّه، فانكار هارون عباده العجل من حيث كونه نبيّا حقّ إلّا أن يكون محمولا على أنّ موسى علم بالكشف أنّه ذهل عن شهود الحق الظاهر فى صوره العجل، فأراد أن يتنبّه على ذلك و هو عين التّربيه و الارشاد منه عليه السّلام و انكاره على السامرى و عجله على بصيره، فانّ انكار الأنبياء و الأولياء لعباده الأصنام الّتى هى المظاهر ليس كانكار المحجوبين فانّهم يرون الحقّ مع كلّشىء بخلاف غيرهم

بل ذلک لتخلیصهم عن التقیّد بصوره خاصّه و تجلّی خاصّ إذ فیه إنکار باقی المجالی و هو عین الضّلال.

«و لـذلک» أی و لأجـل أنّه کـان مرّبیا لهارون «لما قال له هارون ما قال رجع إلی السامری فقال له فما خطبک یا سامرّی» أی ما شأنک و ما مرادک، یعنی فیما صـنعت من عدو لک إلی صوره العجل علی الاختصاص و صـنعک هذا الشّبح من حلّی القوم و ترککک الاله المطلق.

«فغلبت علیه الغیره فحرّقه ثمّ نسف رماد تلک الصّوره فی الیمّ نسـفا و قال له انظر إلی إلهک فسمّاه إلها بطریق التّنبیه للتّعلیم» أی نبّه أنّه مظهر من المظاهر و مجلی من مجالیه – إلی أن قال:

«فکـان عـدم قوّه إرداع هـارون بالفعل أن ینفـذ فی أصـحاب العجل بالتّسـلیط علی العجل کما سـلط علیه موسـی حکمه من اللّه ظاهره فی الوجود لیعبـد فی کلّ صوره و إن ذهبت تلک الصّوره بعـد ذلک فما ذهبت إلاّ بعـد ما تلبّست عنـد عابدها بالالوهیّه» أی عـدم تأثیر هارون فی منعهم عن عباده العجل أو عـدم تسـلّطه علیهم کما تسـلّط علیهم موسـی کان حکمه من اللّه ظاهره فی الوجود الکونی فیکون معبودا فی صور الأکوان کلّها و ان کانت هـذه الصوره ذاهبه فانیه لأنّ ذهابها و فنائها إنّما هو بعـد التّلبّس بالعبودیه عند عابدها.

«و لهـذا» أی و لأجل أنّه أراد أن یعبد فی کلّ صوره «ما بقی نوع من الأنواع إلاّ و عبد إمّا عباده تألّه، أو عباده تسـخیر فلا بدّ من ذلک لمن عقل» أمّا العباده بالالهیّه کعباده الأصـنام و غیر ذلک من الشـمس و القمر و الکواکب و العجل، و أمّا العباده بالتّسخیر فکما یعبدون الأموال و أصحاب الجاه و المناصب، إلی أن قال بعد جمله من ترّهاته:

«و العـارف المکمّل من رأی کلّ معبود مجلی للحقّ یعبـد فیه و لـذلک» أی و لأجل أنّ الحقّ هو الـذی ظهر فی ذلک المجلی و عبد «سمّوه کلّهم إلها مع اسمه

ص:۱۷۳

الخاص بحجر أو حيوان أو شجر أو انسان أو كوكب أو ملك أو فلك هذا اسم الشخصيّه فيه و الالوهيه مرتبه تخيل العابد له» اى لمعبوده «انّها مرتبه معبوده الخاص و هى على الحقيقه مجلى للحق» انتهى كلامهما هبط مقامهما ببعض تلخيص منّا.

و محصّل كلامهما كما ترى أنّ الأصنام جميعا مجالى الحقّ و مظاهره بل هى عين الحقّ بل الأشياء جميعا مظاهره و مجاليه و عبده الأوثان و الأصنام و كذلك العابدون للشمس و القمر و الكواكب و الشجر و الحجر و النار و العجل، و كذلك عباده المدّعين للالوهيّه من فرعون و شداد، و كذلك المنقادين للجبابره و ساير الظلمه من أرباب الجاه و المناصب المسلطين على الرّعيه كلّهم جميعا عابدون للّه تعالى لأنّ هذه المعبودات كلّها هو الحقّ ظهر فى هذه المظاهر و تصوّر بهذه الصور المختلفه فهى على كثرتها ليست فى الحقيقه إلاّ واحدا.

و منع الأنبياء و الأولياء من عباده الأصنام لم يكن من حيث إنّها عباده باطله مبغوضه للّه تعالى بل من أجل حصر العابد للصّنم أو الشجر أو الحجر مثلا عبادته فى هذا المعبود الخاصّ، فبعث اللّه الأنبياء ليرشدوا امتهم و يعلّموهم أنّ اللّه شاء و قضى أن يعبد فى كلّ صوره و مجلى، و أنّ المجالى كلّها إله فليس لكم أن تقصروا عبادتكم بمعبود خاصّ و تخصّصوه به و تتّخذوه إلها دون غيره.

و من هذا الباب كان غضب موسى على هارون فانّه عليه السّلام لما كان أعلم منه و كان يعلم أن اللّه شاء أن يعبد فى كلّ صوره حتّى صوره العجل و ما شاءه و قضاه عزّ و جلّ لا بدّ من وقوعه لا محاله و كان هارون لا يعلم ذلك و لذلك أنكر على قومه عبادته فعتب موسى عليه لأجله و نبّهه على عدم اتّساع قلبه و على غفلته و ذهوله عن حقيقه الأمر.

و الحاصل إنّ الأنبياء إنّما بعثوا ليأمروا امّتهم بعباده كلّشىء من صنم أو غيره و ليردعوهم عن قصر عبادتهم بشىء مخصوص معيّن فقط. و قد أوضح الرّجس الخبيث هذا الغرض فى بعض فقرات الفصّ النّوحى.

قال فى جمله ما نقل من كلام نوح و قومه: «و مكروا مكرا كبّارا» لأنّ الدّعوه إلى اللّه مكر بالمدعوّ لأنّه ما عدم من البدايه فيدعى إلى الغايه فهذا عين المكر على بصيره فتبّه أنّ الأمر له كلّه فأجابوه مكرا كما دعاهم»

قال شارحه القیصری: إی لمّا مکر نوح معهم مکروا مکرا کبّارا فی جوابه و ذلک لأنّ الدّعوه إلی اللّه مکر من الداعی بالمدعوّ، لأنّ المدعوّ ما عدم الحقّ من البدایه حتی یدعی إلیه فی الغایه لأنّه مظهر هویته فی بعض مراتب وجوده فالحقّ معه بل هو عینه فالدّاعی إذا دعی مظهرا ما یمکر به فانه یرید إنّ الحق لیس معه أو هو غیره و هو عین المکر.

لکن مثل هذا المکر من الأنبیاء إنّما هو علی بصیره کما قال: أدعو إلی اللّه علی بصیره أنا و من اتّبعنی، أی یعلم النبیّ أنه مظهر هویه الحقّ لکن یدعوه لیخلّصه عن القیود و ترتفع عنه الحجب الموجبه للضلاله فیری ذاته مظهرا للهوّیه و یشاهد جمیع الموجودات مظاهر للحق و یعبده بجمیع أسمائه و صفاته کما عبده من حیث اسمه الخاص، و فاعل نبه ضمیر یرجع إلی نوح أو إلی الحقّ أی نبّههم علی أنّ الملک کله للّه لیس کما تخیلوا أنه لهم.

قال «فقالوا فی مکرهم لا تذرنّ آلهتکم و لا تذرّن ودّا و لا سواعا و لا یغوث و یعوق و نسرا فانهم إذا ترکوهم جهلوا من الحقّ علی قدر ما ترکوا من هؤلاء فانّ للحقّ فی کلّ معبود وجها یعرفه من عرفه و یجهله من جهله فالعالم یعلم من عبد و فی أیّ صوره ظهر حتی عبد، و أنّ التفریق و الکثره کالاعضاء المحسوسه و کالقوی المعنویه فی الصوره الروحانیه».

قال الشارح القیصری: فالعالم باللّه و مظاهره یعلم أنّ المعبود هو الحقّ فی أیّ صوره کانت سواء کانت حسّیه کالأصنام أو خیالیه کالجنّ أو عقلیه کالملائکه و یعلم أنّ التفریق و الکثره مظاهر لأسمائه و صفاته و هی کالأعضاء فی الصوره الانسانیه، فانّ العین مظهر للابصار و الاذن للسمع و الانف للشمّ و الید للبطش، و کالقوی الروحانیه کالعقل و الوهم و الذاکره و الحافظه و المفکره و المتخیله فانها کلّها مظاهر لصفات الرّوح، انتهی.

و محصّل کلامهما أنّ قوم نوح فی عبادتهم للأصنام کانوا محقّین لکونها مظاهر الحقّ کما أن العابدین لها کذلک لأنهم أیضا کانوا مظهر الحقّ و کان

الحقّ معهم بل هو عينهم و كان نوح أيضا يعلم أنهم على الحقّ إلاّ أنه أراد على وجه المكر و الخديعه أن يصرفهم عن عبادتها إلى عبادته.

و إنما كان هذا مكرا منه عليه السّلام لأنه كان يقول لهم ما لم يكن معتقدا به و يموّه خلاف ما أضمره و اعتقده إذ كان عالما و على بصيره من ربّه بأنّ الأصنام مظاهر الحقّ و عبادتها عبادته إلاّ أنه عليه السّلام أراد أن يخلّصهم من القيود حتى لا يقصروا عبادتهم فيها فقط، بل يعبدوه فى كلّ معنى و صوره.

و لما شاهد القوم منه ذلك المكر أنكروا عليه و أجابوه بما هو أعظم مكرا و أكبر من مكره فقالوا لا تتركوا آلهتكم إلى غيرها، لأنّ فى تركها ترك عباده الحقّ بقدر ما ظهر فيها و قصر عبادته فى ساير المجالى و هو جهل و غفله لأنّ للحقّ فى كلّ معبود وجها يعرفها العارفون سواء كان ذلك المعبود فى صوره صنم أو حجر أو شجر أو بقر أو جن أو ملك أو غيرها.

هذا محصّل كلام هذين الرجسين النجسين النحسين و كم لهما فى الكتاب المذكور من هذا النمط و الاسلوب، و سنشير إلى بعضها فيما سيأتى، فلينظر المؤمن الكيس البصير إلى أنهما كيف موّها الباطل بصوره الحقّ و أوّلا كلام اللّه بارائهم الفاسده و أحلامهم الكاسده على طبق عقايدهم الباطله، و قد قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المختار من فسّر القرآن برأيه فليبوء مقعده من النار.

و لعمرى أنهما و من حذا حذوهما حزب الشيطان و أولياء عبده الطاغوت و الأوثان، و لم يكن غرضهما إلاّ تكذيب الأنبياء و الرّسل و ما جاءوا به من البيّنات و البرهان و هدم أساس الاسلام و الايمان و إبطال جميع الشرائع و الأديان، و ترويج عباده الأصنام و جعل كلمه الكفر العليا و خفض كلمه الرحمن.

و اقسم باللّه الكريم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنهم المصداق الحقيقى لقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار السابع: اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرخ فى صدورهم و دبّ و درج فى حجورهم فنظر بأعينهم و نطق

بألسنتهم فركّب بهم الزّلل و زيّن لهم الخطل فعل من شرّكه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

و مع ذلـك فالعجب كلّ العجب أنهم يزعمون أنهم الموحّـدون العارفون الكمّلون و أنّ غيرهم لمحجوبون و بالحقّ جاهلون، بل يترقى بعضـهم و يـدّعى الولايه و القطبيه و يطغى آخرون فيـدعون لأنفسـهم الالوهيه و الرّبوبيه و يزعمون أن ربّهم تجلّى فيهم و ظهر فى صورهم المنحوسه.

فيقول ابن العربى فى فتوحاته: إنّ اللّه تجلّى لى مرارا و قال: انصح عبادى و يقول البسطامى: سبحانى و ما أعظم شأنى و لا إله إلاّ أنا، و يقول الحلاج: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و يقول: أنا الحقّ و أنا اللّه.

و بعضـهم يبلغ الغايه و يجاوز النهايه فيقول و يهجر، و يتكلّم تكلّم المجنون الذى لا يشعر، فيخاطب الرّبّ عزّ و جلّ و العياذ باللّه مخاطبه الموالى للعبيد و هو قطبهم أبو يزيد.

فقد نقل عنه القيصرى فى شرح الفصّ النوحى أنّه قال فى مناجاته عند تجلّى الحقّ له: ملكى أعظم من ملكك لكونك لى و أنا لك فأنا ملكك و أنت ملكى و أنت العظيم الأعظم و ملكى أنت فأنت أعظم من ملكك و هو أنا.

فلينظر العاقل إلى مهملات هـذا الجاهل، ثمّ لينظر إلى سوء أدبه و قبح خطابه و مناجاته حيث لم يرفع يـده عن الانانيّه فعبّر بلفظ أنا و أنت غير مرّه فى مثل هذا المقام الذى هو مقام الفناء و التجلّى على زعمهم و كيف يجتمع ذلك مع قولهم السائر:

بينى و بينك اننى ينازعنى فارفع بلطفك اننى من البين

و انّما أطنبنا الكلام فى المقام تنبيها على ضـلاله هذه الجهله الّذين زعموا أنّهم من أهل الكشف و الشّهود و اليقين و الموحّدين المخلصين مع أنّهم من الضّالين المكذّبين للأنبياء و المرسلين، و تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون و الملحدون علوا كبيرا.

و منه

قوله عليه السّلام فى الخطبه المأه و الثانيه و الخمسين:

ص:١٧٧

الحمـد للّه الـدّالّ على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليّته و باشـتباههم على أن لا شـبه له، لا تسـتلمه المشاعر و لا تحجبه السّواتر، لافتراق الصّانع و المصـنوع، و الحادّ و المحـدود، و الرّب و المربوب «إلى أن قال» و البائن لا بتراخى مسافه، و الظاهر لا برؤيه، و الباطن لا بلطافه، بان من الأشـياء بالقهر لها و القدره عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرّجوع إليه، من وصفه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله.

و قد مضى شرح هذه الفقرات فى محلّها و أقول هنا إنّ فيها وجوها من الدّلاله على بطلان مذهب هذه الملاحده.

أولها قوله: لا تحجبه السواتر اه

فانّ هذه الطّائفه زعمت أنّه سبحانه و تعالى احتجب فى مخلوقاته و سرت هويّته فيها و صارت صور الموجودات حجابا ساترا له.

و يوضـح ذلـك مـا قـاله ابن الأعرابى فى الفصّ الابراهيمى من الفصوص «انّما سـمّى الخليل عليه السّـلام خليلا لتخلّله و حصـره جميع ما اتصفت به الذّات قال الشّاعر.

قد تخلّلت مسلك الرّوح منّى و به سمّى الخليل خليلا

كمـا يتخلّـل اللون و المتلوّن و لتخلّـل الحقّ وجود صوره إبراهيم و كـلّ حكم يصـحّ من ذلك» قال القيصـرى: أى سـمّى الخليل خليلا لتخلّله كما سـمّى الخمر خمرا لتخميره العقل و تخلّله عليه السّـلام عباره عن سـريانه فى المظاهر الالهيّه و الصّـفات الرّبوبيه كسـريان هويّه الحقّ فيهـا من حيث اسـمه اللطيف و لكون اسم التخلّـل هنـا مجازا عطف عليه قوله و حصـره جميع ما اتّصـفت به الذات الالهيّه و هو الصّفات الثّبوتيّه الحقيقيّه.

و المراد بالرّوح فى البيت المستشهد الرّوح الحيوانى أى سريت فى ذاتى و قلبى كسريان الرّوح الحيوانى فى مسالكه فأورد مثالين أحدهما عقلى كقول الشّاعر لأنّ تخلّل عشق المحبوب مسالك الرّوح من المحبّ العاشق عقلىّ،

و الاـخر حسّى كقوله كمـا يتخلّـل اللون المتلوّن أى تخلّـل الخليل الـذات الالهيّه بالاختفاء فيها و الاتّصاف بصـفاتها كما يتخلّل اللون المتلوّن بسريانه فى جميع اجزاء المتلوّن بحيث يكون هو هو فى الحسّ بحيث لا يفرق بينهما بالاشاره الحسّيه فيكون مكانه عين مكان المتلوّن و لا يكون بينهما امتياز فى الحسّ.

و قوله: و لتخلّل الحقّ عطف على قوله و لتخلّله و حصـره أى سمّى الخليل خليلا لتخلّله و لتخلّل الحقّ بظهور الهويّه و سريانها فى وجود إبراهيم فى الخـارج و عينه فى العلم، و فى كـلّ حكم يصـحّ من ذلـك الوجود من الصّـفات و الكمالاـت اللازمه لتعيّنه و المراد بالصوره عينه الخارجى.

ثمّ قال فى المتن و الشـرح «اعلم انّه ما تخلّل شـىء شـيئا إلّا كان محمولا فيه» لأنّ المتخلّل هو الذى ينفذ فى الشـىء و يدخل فى جوهره فالدّاخل محمول و مستور فيه و المدخول فيه حامل له و ظاهره.

«فالمتخلّـل اسم فاعـل محجوب بالمتخلّـل اسم مفعول فـاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المسـتور و هو غـذاء له كالماء يتخلّل الصّوفيه فتربو به و تتسع فان كان الحقّ هو الظاهر فالخلق مسـتور فيه فيكون الخلق جميع اسماء الحقّ سمعه و بصره و جميع نسـبه و ادراكاته و إن كان الخلق هو الظاهر فالحقّ مستور باطن فيه فالحقّ سمع الخلق و بصره و يده و رجله و جميع قواه كما ورد فى الخبر الصّحيح».

قال القيصـرى أى ما دخل شـىء فى شـىء إلّا كان الداخل مسـتورا فى المدخول فيه، فالمتخلّل الذى هو اسم الفاعل أى الداخل محجوب مستور فى المتخلّل الـذى هو اسم المفعول أى المـدخول فيه فالمـدخول فيه هو الظاهر و الـداخل هو الباطن، و الظّاهر إنّما يغتذى من الباطن لأنّ الفيض عليه لا يحصل إلّا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده.

و إذا كان الأمر كذلك لا يخلو إمّا أن يكون الحقّ ظاهرا و الخلق باطنا أو بالعكس، فان كان الحقّ ظاهرا أى محسوسا بتجلّيه فى مرتبه من مراتب الاسم الظاهر فالخلق مستور فيه و باطنه فيكون الخلق جميع أسماء الحقّ و صفاته من

السّمع و البصر و الاراده و غيرها و جميع النّسب الّتى هى تلحقه بالحقّ شرعا و إن كان الخلق هو الظاهر فى مرآت الحقّ فالحقّ مستور فيه و باطنه فالحقّ سمع الخلق و بصره و جميع قواه الباطنه، و هذا نتيجه قرب النوافل، و الأوّل نتيجه قرب الفرائض و إنّما جاء باليد و الرّجلين اللّذين من الظّاهر مع أنّ كلامه فى الباطن لورود الخبر الصّحيح كذلك و فى الحديث دليل على أنّ الحقّ عين باطن العبد و عين ظاهره، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصّل ما قالاه كما ترى: كون الخلق حجابا للخالق و الخالق حجابا للخلق، و كون كلّ منهما عين الاخر و محجوبا به، قد أبطله أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: لا تحجبه السّواتر، معلّلا بافتراق الصّانع و المصنوع و الحادّ و المحدود و الرّب و المربوب، و المفترقان كيف يكون أحدهما عين الاخر على ما توهّمه هؤلاء الجهله.

و العجب أنّ الكتاب و السّنه بل جميع الأنبياء و المرسلين ينادون بأعلى أصواتهم و جهوريّ أقوالهم بتوحيد الخالق و التّفريق بينه و بين خلقه، و هؤلاء الملاحده وقفوا فى قبالهم و بالغوا فى مقام الانكار و المكابره و المعارضه، و أصرّوا فى جعله عينه زاعمين أنّ ذلك عين التوحيد مع أنّه عين الالحاد و الجحود و التّشريك، هذا.

مع ما يتوجّه على ما قالاه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

أمّا أوّلا فلأنّ نسبه إبراهيم عليه السّلام ليس من أجل تخلّله فى وجود الحقّ و تخلّل الحقّ فيه، بل لأجل كماله فى مقام الخلّه و هى المودّه و الصّداقه، و الخلّ و الخليل الصّديق المختص، فلأجل مزيد اختصاصه به و كرامته لديه سمّى خليلا، و لو كان تسميه الخليل بهذا الاسم من أجل التخلل فى الوجود لما صحّ إطلاقه على ساير الأخلّاء إلّا بالمجاز، لأنّ المعنى الحقيقى أعنى تخلّل كلّ من الخليلين فى وجود الاخر غير متصوّر، فلا بدّ من ارتكاب المجاز و المصير إلى أنّ مودّه كلّ منهما بلغت الغايه بحيث تخلّلت القلب و صارت خلاله و باطنه، و بعد البناء على المجاز

ص:۱۸۰

ففيما نحن فيه أيضا كذلك، فيراد به مزيد الاختصاص لاستلزام كمال الموده ذلك و أمّا ثانيا فلأنّ البيت لا شاهد فيه على ما ادّعاه، إذ المراد به المبالغه فى تخلّل محبّه محبوبه فى قلبه بتشبيهها بتخلّل الرّوح، و ليس المراد تخلّل نفس المحبوب فى ذاته كما قال: و بذلك السبب سمّى الخليل خليلا لكون محبّته داخله فى قلب خليله، مضافا إلى أنّه لا دلاله فى البيت على أنّه أراد بالخليل إبراهيم حتّى يستشهد به على المدّعا.

و أمّا ثالثا فلأنّ وجه التسميه لو كان ما زعم لما اختصّ الخليل عليه السّلام بالخلّه إذ على أصله الفاسد جميع المخلوقات متخلّله فيه و هو متخلّل فيها لكونها جميعا مجاليه و مظاهره، و قد صرّح بذلك أيضا أخيرا بقوله: فالمتخلّل محجوب بالمتخلّل إلى آخر كلامه، و على ذلك فيكون اللّه سبحانه و تعالى خليل جميع الموجودات من الانسان و الحيوان و غيرهما بجميع أنواعها و أصنافها، و كذلك جميع الموجودات حتّى الكلاب و الخنازير و العياذ باللّه ثمّ العياذ باللّه خليلا له، أ فيرضى السّفيه بهذا الاعتقاد فضلا عن العاقل؟! و قد صرّح بالعموم أيضا فى الفصّ الاسماعيلى بقوله:

«فلا تنظر إلى الحقّ فتعريه عن الخلق و لا تنظر إلى الخلق و تكسوه سوى الحق»

قال القيصرى: أى لا تنظر إلى الحقّ بأن تجعله موجودا خارجيا مجرّدا عن الأكوان منزّها عن المظاهر الخلقيه عاريا عنها و عن صفاتها، و لا تنظر إلى الخلق بأن تجعله مجرّدا عن الحقّ مغايرا له من كلّ الوجوه و تكسوه لباس الغيريه و قد قال تعالى: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ »، بل انظر إلى الحقّ فى الخلق لترى الوحده الذاتيّه فى الكثره الخلقيّه و ترى الكثره الخلقيّه فى الوحده الذاتيّه.

و أمّا رابعا فلأنّ قوله: فاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المستور و هو غذاء له، فيه إنّا لم نر إلى الان فى آيه و لا روايه و لا فى كلام حكيم أو متكلم أو محدّث أو فقيه و لا عاقل و لا سفيه غير هذا المعتوه اطلاق أنّ اللّه غذاء للخلق و الخلق غذاء اللّه، مضافا إلى فساده فى نفسه لأنّ الغذاء بالمعنى الحقيقى

مستحيل ارادته، و إن اريد به المجاز على وجه الاستعاره حسبما تمحله القيصرى و أشار إليه فى قوله: و الظّاهر انّما يغتذى من الباطن لأنّ الفيض عليه لا يحصل إلّا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده، فبعد تسليم صحّه هذا التّجوّز و الغضّ عن استكراه الذوق السّليم له و استهجانه عنده، فيه أنّه إنّما يستقيم إذا كان الباطن المستور هو الحقّ لا الخلق، و إلّا فيلزم افتقار الحقّ سبحانه و تعالى إلى الخلق فى قوامه و وجوده و هو محال كما هو ظاهر.

و قد فصّلا غذائيه كلّ منهما للاخر فى الفصّ اللقمانى قال فى المتن:

«إذا شاء الاله يريد رزقا له فالكون أجمعه غذاء»

«و إن شاء الاله يريد رزقا لنا فهو الغذاء كما يشاء»

قال الشّارح: أى إذا تعلقت مشيّته بأن يريد له رزقا فالكون بأجمعه غذاء له، و قد تقدّم أنّ الحقّ من حيث أسمائه و صفاته لا يظهر فى الشهاده إلاّ بأعيان الأكوان، و إن كان من حيث ذاته مع قطع النظر عن الظهور و البطون و الأسماء و الصّفات غنيّا عن العالمين، فالأعيان غذاء له من حيث إظهارها إيّاه و من حيث فنائها و اختفائها فيه ليظهر بوحدته الحقيقيّه كفناء الغذاء و انعدامها و اختفائها فى المغتذى و إن كان باعتبار آخر هو غذاء للأعيان.

و إليه أشار بالبيت الثانى و ذلك لأنّ الغذاء هو ما يغتذى فى عين المغتذى و يظهر على صورته ليقوم به و الهويّه الالهيه هى الّتى تختفى فى أعيان الخلايق و تصير ظاهره بصورتها مقوّمه لها، فهى غذاء للأعيان و نسبه الاغتذاء و الرّزق إليه مع أنّه يطعم و لا يطعم و نسبه كونه غذاء لنا بعينها كنسبه بعض الصّفات الكونيّه إليه بقوله: من ذا الّذى يقرض اللّه قرضا حسنا، و مرضت فلم تعدنى، و أمثال ذلك ممّا جاء فى الشّرع.

و هذه النسبه أيضا من باطن الشّرع فانّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعطى الكتاب و أمر باخراجه إلى الخلق فلا ينبغى أن يسىء أحد ظنّه من المؤمنين فى حقّ الأولياء و الكاملين فى أمثال هذه الأشياء، انتهى.

و مقتضى ما ذكراه من كون الكون بأجمعه غذاء له و بالعكس أنّ الكلاب و الخنازير و الميته و نحوها غذاء له سبحانه و هو غذاء لها إن هو إلّا كفر صريح و إلحاد صحيح.

و ما اعتذر به الشّارح من ورود أمثال ذلك فى الشّرع فيه إنّا تابعون للشرع فاذا ورد فى الشّرع وصفه ببعض الصّفات الكونيّه فنحن أيضا نصفه به لثبوت الاذن فيه من الشّارع و نؤوّله على وفق الاصول الشّرعيه، و أمّا ما لم يثبت الاذن فيه فنضربه على الجدار فضلا عمّا علم بطلانه و فساده من العقل و الشّرع.

و أمّا قوله: و هذه النسبه أيضا من باطن الشّرع فانّ النّبىّ اعطى الكتاب و امر باخراجه إلى الخلق، فأشار به إلى ما ذكره فى ديباجه الفصوص بقوله:

فانّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مبشره اريتها فى العشر الاخر من المحرّم لسنه سبع و عشرين و ستّمأه بمحروسه دمشق و بيده كتاب فقال لى: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى النّاس ينتفعون به، انتهى.

و لعمرى إنّ هذه الرّؤيا إمّا إفك و افتراء لا أصل لها أصلا و إنّما نسجتها من تلقاء نفسه لتفتين مردته الحمقاء و ترويج كتاب ضلاله، أو أضغاث أحلام نفثها الشّيطان فى روعه و ألقاها فى امنيّته و كيف يمكن أن يؤتيه النّبىّ كتابا فيه هدم أساس دينه و تخريب بنيان مذهبه و ملّته.

و أما خامسا فلأنّ قوله: فالحقّ سمع الخلق و بصره و يده و رجله و جميع قواء كما ورد فى الخبر الصّحيح فيه إنّ هذا الخبر الذى استند إليه هنا و جعله سند مذهبه الفاسد فى مقامات كثيره من كتابه قد قدّمنا روايته فى ذيل الدليل العقلى و أوردنا فى تأويله وجوها عديده موافقه لأصول المذهب و نقلنا عن المحدّث العلامه المجلسى هناك أنّ حمله على ظاهره كما ذهب إليه هذه الطّايفه المبتدعه كفر صريح و شرك قبيح.

و أقول هنا: إنّ أظهر الوجوه المحتمله فى معناه هو الوجه الأخير المتقدّم ثمه و محصّله أنّ العبد إذا تقرّب إلى ربّه بالفرايض و النّوافل صار مقرّبا له

و محبوبا إليه، فيفاض عليه التّوفيقات الرّبانيّه و يحيط به الألطاف الالهيّه فلا يشاء إلّا أن يشاء اللّه، و لا يصرف حواسه و مشاعره إلّا بما فيه رضا مولاه، و بازاء ذلك من انهمك فى الشّهوات و غمر فى بحر السّيئات و الخطيئات فيحيط به الخذلان و يكون قلبه عشّ الشّيطان فلا يصرف مشاعره و قواه إلّا بما فيه رضاه فيشركه فى سلطانه و ينطق بالباطل على لسانه.

و الحاصل أنّ مساق هذه الرّوايه فى حقّ عباد اللّه المقرّبين مساق قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى حقّ عبيد الشّيطان المبعدين حيث قال فى المختار السّابع:

اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكأ و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرّخ فى صدورهم و دبّ و درج فى حجورهم فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم فركّب بهم الزّلل و زيّن لهم الخطل فعل من قد شرّكه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

فكما أنّ المراد بهذا الكلام المجاز و الاستعاره قطعا لا الحقيقه، فكذلك الحديث المذكور كما هو غير خفىّ على ذوى البصائر إلّا أنّ من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور، هذا.

و ممّا وقع التصريح فيه أيضا فى كلام ابن العربى بأنّ الحقّ مستور فى الخلق و الخلق ساتر له ما صريح عبارته فى الفصّ العيسوى، فانّه بعد ما ذكر كيفيه إحياء عيسى عليه السّلام للموتى و مشاهده القوم ذلك منه و تحيّرهم فيه فى إحيائه لكونه من الخصائص الالهيّه قال:

«فأدّى بعضهم إلى القول بالحلول و انه هو اللّه بما أحيى به من الموتى و لذلك نسبوا إلى الكفر و هو السّتر لأنّهم ستروا اللّه الّذى أحيى الموتى بصوره بشريّه عيسى» قال القيصرى: أى فأدّى نظر بعضهم فيه إلى القول بالحلول فقال: إنّ اللّه حلّ فى صوره عيسى فأحيى الموتى، و قال بعضهم: إنّ المسيح هو اللّه، و لمّا ستروا اللّه بالصوره العيسويه المقيّده فقط نسبوا إلى الكفر.

«فقال اللّه تعالى «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ » فجمعوا بين الخطاء و بين الكفر فى تمام الكلام كلّه» أى جمعوا بين الكفر و هو ستر الحقّ بالصوره

العیسویه و بین الخطاء و هو حصر هویه اللّه فی کلمه العیسویه، و المراد بقوله فی تمام الکلام أی بمجموع قولهم إنّ اللّه هو المسیح بن مریم، جمعوا بین الکفر و الخطاء.

«لا بقولهم هو اللّه و لا بقولهم ابن مریم» لأنّ قولهم هو اللّه أو اللّه هو صادق من حیث إنّ هویّه الحقّ هی الّتی تعیّنت و ظهرت بالصوره العیسویّه کما ظهرت بصوره العالم کلّه و قولهم: المسیح بن مریم أیضا صادق، لأنّه ابن مریم بلا شک لکن تمام الکلام و مجموعه غیر صحیح لأنّه یفید حسر الحقّ فی صوره عیسی فقط و هو الباطل لأنّ العالم کلّه غیبا و شهاده صورته لا عیسی فقط، انتهی.

و محصّل کلامهما أنّ النّصاری القائلین بالحلول إنّما أرادوا بذلک أنّ لاهوتیّه الاله تغیّبت بناسوتیّه عیسی فاستتر الحقّ بالصّوره العیسویّه کما حکی اللّه تعالی عنهم ذلک بقوله: «لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِیحُ »، فانّ المراد بالکفر هنا معناه اللّغوی و هو السّتر لا الاصطلاحی، فیکون معنی الایه: إنّ الّذین قالوا إنّ اللّه هو المسیح قد ستروه به و هم کانوا مصیبین فی ذلک القول و الاعتقاد لکون الهویّه الالهیّه مختفیه فیه و ظهورها بصورته کاختفائها فی أعیان الخلایق کلّها و ظهورها بصورها، لکنّهم أخطئوا فی حصرهم الحقّ فی صوره عیسی فقط و جعله مظهرا له دون غیره مع أنّ العالم کلّه مظهره لا عیسی فقط.

و الحاصل أنّ النصاری انّما أخطئوا حیث قالوا: انّ اللّه هو المسیح بن مریم و لم یقولوا إنّ اللّه هو العالم کله، فلو قالوا کذلک ارتفع عنهم الخطاء و العایبه بالمرّه.

أقول: هذا ملخّص مراد هذا الملحد الضّلیل الّذی أضلّ کثیرا و ضلّ عن سواء السبیل، فانظر الی أنّه کیف یبدّل کلمه الکفر بالاسلام و کلمه الاسلام بالکفر و یؤوّل کلام اللّه الظاهر بل النّص فی تکفیر النصاری إلی معنی یشمئزّ منه الطباع و تنفرّ عنه الأسماع.

فیا عجبا عجبا و مالی لا أعجب من أنّ اللّه سبحانه و تعالی إنّما حکم بکفر النصاری و لعنهم و طردهم و ابعادهم من أجل قولهم بحلوله فی عیسی فقط فکیف بمن یقول بحلوله

فى جميع الأعيان و الأكوان حتّى الكلاب و الخنازير نعوذ باللّه ثمّ نعوذ باللّه من هـذا الاعتقاد الفاسـد و لعن اللّه المعتقـدين به و عذّبهم عذابا أليما لا يعذّبه أحدا من العالمين.

الوجه الثانى من وجوه الدّلاله قوله عليه السّلام: الظاهر لا برؤيه و الباطن لا بلطافه

يعنى انّه ظاهر بلا اقتراب و باطن بلا حجاب و بعباره اخرى أنّه عزّ و جلّ ظاهر باياته و محتجب بذاته و ليس ظهوره كظهور ساير الأشـياء بأن يكون مرئيّا بحاسّه البصـر، و لا بطونه بلطافه قوامه كالهواء و الرّوح و نحوهما حسـبما عرفت تفصـيلا فى مقامه و اليه أشار سبحانه بقوله: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ».

و قال الرّضا عليه التحيّه و الثنا فى الحـديث الّـذى رواه فى البحار من التوحيد و العيون عن الحسـين بن خالد عنه عليه السّـلام فى تفسير أسمائه سبحانه و تعالى و بيان أنّ اطلاقها عليه عزّ و جلّ ليس على الوجه الّذى يطلق على غيره و أنّ المعنى الّذى يراد عند إطلاق اسم عليه سبحانه مخالف للمعنى المراد عند إطلاقه على غيره قال عليه السّلام:

و أمّـا الظـاهر فليس من أجل أنّه على الأشـياء بركوب فوقها و قعود عليها و تسـنّم لـذراها، و لكن ذلك لقهره و لغلبته الأشـياء و قدرته عليها «الى أن قال:» و وجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده لا يخفى عليه شـىء و أنّه مدبّر لكلّ ما يرى فأىّ ظاهر أظهر و أوضح أمرا من اللّه تبارك و تعالى فانك لا تعدم صـنعته حيثما توّجهت و فيك من آثاره ما يغنيك و الظاهر منّا البارز بنفسه و المعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنى.

و أمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها و لكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما و حفظا و تدبيرا كقول القائـل: بطنته أى خبّرته و علمت مكتوم سرّه، و البـاطن منّا بمعنى الغائر فى الشـىء المسـتتر فقـد جمعنا الاسم و اختلف المعنى، الحديث.

فقـد علم بـذلك كلّه بطلاـن مـا زعمه الصّـوفيّه، فـانّهم يقولون: إنّ ظهوره عبـاره عن ظهوره بصور الموجودات كمـا حكينـا عن القيصرى فيما سبق من قوله: إنّ حقيقه

الوجود إذا اخذت بشرط الصّور الحسيّه الشهادتيّه فهى مرتبه الاسم الظّاهر المطلق، و أنّ بطونه عباره عن تخلّله و احتجابه بالخلق حسبما عرفت قريبا، و على قولهم فيكون ظهوره برؤيه البصر له فى مجاليه و مظاهره و بطونه للطافته و سرايه هويّته فى الموجودات و اختفائه فيها.

و قد أشار إلى تفصيل ذلك ابن العربى فى الفصّ الهودى حيث قال:

«فالعالم صورته و هو روح العالم المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير، فالعالم من حيث إنّه عالم صوره الحقّ و الحقّ روحه المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير فهو الكون كلّه و هو الواحد الّذى قام كونى بكونه و لذا قلت يغتذى فوجودى غذاؤه و به نحن نغتذى» قال القيصرى: أى الحقّ هو الوجود كلّه و هو الواحد بحسب الذّات و الحقيقه و القيّوم الّذى قام وجودى و وجود العالم كلّه بوجوده و ذاته، و قوله: و لذا إشاره إلى قوله قام كونى بكونه أى و لأجل أنّ وجودى قائم بوجوده و وجوده ظاهر بوجودى نسبت الغذاء اليه فغذاؤه وجود العالم و غذاء العالم وجوده و أسماؤه لأنّ الغذاء عباره عمّا به بقاء المغتذى فى الخارج و ذلك باختفائه و ظهوره على صوره من يغتذى، و لا شكّ أنّ وجودنا يحصل باختفاء هويّته فينا و ظهوره بصورنا و بقائنا أيضا يحصل بايصال الفيض الدّائم الينا كذلك أعيان العالم يختفى فى ذاته و يظهر وجوده و أسماؤه و أحكامها فى الخارج.

إلى أن قالا بعد جمله من ترّهاتهما:

«إذ هو الظاهر و هو باطنها إذ هو الباطن» لأنّ الحقّ هو الظّاهر و ظاهريّته بصور العالم و الحقّ باطنها، لأنّه هو الباطن كما أنه هو الظّاهر «و هو الأوّل اذ كان و لا هى» أى الحقّ هو الأوّل لأنّه كان و ليس صور العالم موجوده كما قال عليه السّلام كان و لا شيء معه «و هو الاخر اذ كان عينها عند ظهورها» أى هو الاخر لأنّه عين أعيان العالم و صورها عند ظهورها فى الخارج «فالاخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل».

قال القيصرى: الاخر يطلق على معنيين:

أحدهما ما ذكره هنا و هو كون الحقّ عين الأعيان الخارجيّه الموجوده فى الخارج لأنّه آخر المراتب.

و ثانيهما كون الأعيان مستهلكه فى الحقّ بالفناء فيه، فعلى الأول الاخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل لكون الحقّ باطنا أوّلا و لا ظهور للأشياء إلى أن قالا:

«و إذا كان الحقّ وقايه للعبد بوجه» و هو كون الحق ظاهر العبد «و العبد وقايه للحقّ بوجه» و هو كون العبد ظاهر الحقّ «فقل فى الكون ما شئت إن شئت قلت هو الخلق» كما يقول المحجوبون باعتبار صفات النقص «و إن شئت قلت هو الحقّ» كما يقول الموحّدون باعتبار صفات الكمال «و إن شئت قلت هو الحقّ و الخلق» باعتبار الجمع بين الكمال و النقصان «و إن شئت قلت لا حقّ من كلّ وجه و لا خلق من كلّ وجه» كما يقول المحقّقون الجامعون بين المراتب الالهيّه و العبوديه «و إن شئت قلت بالحيره فى ذلك» كما قيل: العجز عن درك الادراك إدراك.

«فقد بانت تبعيّتك المراتب و لو لا التحديد ما أخبرت الرسل بتحوّل الحقّ فى الصّور و لا وصفته بخلع الصّور عن نفسه فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه».

قال القيصرى: لما كان كون الحقّ عين الأشياء يوجب التحديد قال: و لو لا التحديد واقعا فى نفس الأمر ما أخبرت الرّسل بأنّ الحقّ يتحوّل فى الصّور كما جاء فى الحديث الصحيح: إنّ الحقّ يتجلّى يوم القيامه للخلق فى صوره منكره فيقول:

أنا ربّكم الأعلى فيقولون: نعوذ باللّه منك، فيتجلّى فى صوره عقايدهم فيسجدون له و الصّور كلّها محدوده، فاذ كان الحقّ يظهر بالصّور المحدوده و نطق الكتاب بأنّه هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شىء عليم، حصل العلم للعارف أنّ الظاهر بهذه الصّوره أيضا ليس إلاّ هو فلا تنظر العين إلاّ إليه و لا يقع الحكم إلاّ عليه إذ لا موجود سواه ليكون مشاهدا إيّاه بل هو الشاهد و المشهود عليه و الحاكم و المحكوم عليه، انتهى.

و يتوجّه عليهما أوّلا أنّ البراهين المحكمه من العقل و النقل قد قامت على

استحاله رؤيته سبحانه بحسّ البصر، و قد تقدّم ذكرها مكرّرا فى تضاعيف الكتاب و قد قال تعالى صريحا: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »، فنصّ كلام الحقّ سبحانه و تعالى ناطق بأنّ ما قالاه إفك و بهت و افتراء.

و أمّا ثانيا فقد عرفت سابقا و ستعرف أيضا مباينه الحقّ للخلق و مفارقه الصّانع و المصنوع و الربّ و المربوب و الحادّ و المحدود، و مع ذلك فكيف يمكن أن يكون الحقّ وقايه للعبد و العبد وقايه للحقّ و يتفرّع على ذلك بطلان الوجوه الأربعه جميعا لكونها كلّها خلاف ما قاله الأنبياء و الرّسل و الحجج المعصومون سلام اللّه عليهم أجمعين، نعم الحيره فى ادراك ذاته حقّ من جهه تنزّهه عن التحديد لا- بالمعنى الّذى توهّمه هذا الجاهل، فانّ حجج اللّه المعصومين مع كونهم عالمين بحقايق الأشياء على ما هى عليها بالعلم اللدنّى قد اعترفوا بالعجز عن إدراك ذاته و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما عرفناك حقّ معرفتك، فعلم أنّ عجزهم ليس من جهه استتاره فى الخلق و استتار الخلق فيه كما زعمه هذا الضليل.

و أمّا ثالثا فانّ ما نسبه إلى الرّسل كذب فاحش و الحديث الذى استدلّ به من أنّ الحقّ يتجلّى للعبد يوم القيامه اه موضوع مجعول لكونه مخالفا للعقل و النّقل و الضّروره.

و مثله فى الجعل ما رواه الغزالى فى آخر كتاب احياء العلوم عن جرير بن عبد اللّه البجلّى قال: كنّا جلوسا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فرأى القمر ليله البدر فقال: إنّكم ترون ربّكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته.

و روى عن صحيح مسلم عن صهيب قال: قرء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله تعالى:

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ »، قال: إذا دخل أهل الجنّه الجنّه و أهل النّار النّار نادى مناد يا أهل الجنّه إنّ لكم عند اللّه موعدا يريد أن ينجزكموه، قالوا:

ما هذا الموعد ألم يثقّل موازيننا و يبيّض وجوهنا و يدخلنا الجنّه و يجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب و ينظرون إلى وجه اللّه عزّ و جلّ فما اعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى وجه اللّه.

قال الغزالی: و قد روی حدیث الرّؤیه جماعه من الصّحابه.

أقول: و لو روی ألف صحابه حدیثا مفیدا لرؤیته سبحانه بحاسه البصر لطرحناه لکونه مخالفا لنصّ الکتاب فضلا عن البراهین الساطعه، نعم لو کان حدیثا معتبرا قابلا للتّأویل أوّلناه کما نؤوّل قوله تعالی: «وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَهٌ إِلی رَبِّها ناظِرَهٌ »، و قوله: «فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ »، و نحوهما بما لا یخالف اصول المذهب و اللّه هو الهادی.

الوجه الثالث من وجوه الدلاله قوله علیه السّلام: بان من الأشیاء بالقهر لها و القدره

علیها و بانت الأشیاء منه بالخضوع له و الرّجوع إلیه.

فانّه صریح فی مباینته للأشیاء بغلبته و استیلائه علیها و قدرته علی ایجادها و إعدامها کما هو شأن الواجب تعالی و بخضوع الأشیاء و ذلّها فی قید الامکان و رجوعها و افتقارها فی وجودها و کمالاتها إلیه عزّ و جلّ کما هو مقتضی حال الممکن و مع ذلک فکیف یمکن جعل أحدهما عین الاخر علی ما ذهب إلیه المتصوّفه.

الوجه الرابع قوله علیه السّلام: من وصفه فقد حدّه إلی قوله: فقد أبطل أزله

و هو صریح فی تنزّهه سبحانه عن الأوصاف و الحدود الامکانیّه فیبطل القول بظهوره فی صور الموجودات و اتّصافه بأوصافها و حدودها و تشکله بأشکال المختلفه کما هو مذهب الصوفیّه خذلهم اللّه تعالی.

و منه

أکثر فقرات الخطبه المأه و الثانیه و الستّین:

فمنها قوله علیه السّلام فیها: حدّ الأشیاء عند خلقه لها إبانه له من شبهها

أی انّه تعالی جعل للأشیاء عند ایجاده إیّاها أجزاء و ذاتیات إن کان الحدّ بمعناه المنطقی أو حدودا و نهایات إن کان بمعناه اللّغوی و محصّله أنّه تعالی جعلها محدوده مشخصه بحدود معیّنه تقف عندها و لا یتجاوز عنها إلی غیرها.

و إنّما جعلها کذلک لیتمیّز بعضها عن بعض و یفترق أحدها عن الاخر، لأنّ الشخص ما لم یتشخّص لم یوجد، و الوقوف إلی حدّ معیّن لا بدّ له من علّه محدّده إذ ماهیه الشیء لو کانت مقتضیه للانتهاء إلی ذلک الحدّ المخصوص لکان

جمیع افراد تلک الماهیّه کذلک و لیس فلیس و العله المحدّده لابد أن یکون منزّها عن الحدّ و الاّ فیحتاج إلی علّه اخری فیتسلسل.

و بعباره اخری الأشیاء لکونها ذی ماهیه مرکّبه من الجنس و الفصل محدوده بالحدّ المنطقی و لکونها منتهیه إلی حدّ معیّن و مقدار مشخّص محدوده بالحدّ اللغوی. و هو من لواحق الکمّ المتصل و المنفصل اللذین هما من أقسام العرض، و الواجب تعالی لکونه منزّها عن التّرکیب المستلزم للافتقار لا یکون محدودا بالحدّ المنطقی، و لعدم کونه عرضا امتنع أن یکون محدودا بالحدّ اللغوی فیکون مباینا لمخلوقاته منزّها عن مشابهتها بنفس ذاته.

و قال علیه السّلام فی هذه الخطبه أیضا بعد جمله کلام له:

تعالی عما ینحله المتحدّدون من صفات الأقدار و نهایات الأقطار و تأثّل المساکن و تمکّن الأماکن فالحدّ لخلقه مضروب و إلی غیره منسوب.

و اوضح منهما ما فی البحار من التّوحید للصدوق باسناده عن مسعده بن صدقه عن أبی عبد اللّه عن أمیر المؤمنین فی خطبه طویله له علیه السّلام قال: لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعض فی صفاته ذوی الأقطار و النواحی المختلفه فی طبقاته و کان عزّ و جلّ الموجود بنفسه لا بأداته انتفی أن یکون قدّروه حقّ قدره فقال تنزیها لنفسه عن مشارکه الأنداد و ارتفاعا عن قیاس المقدّرین له بالحدود من کفره العباد: «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِیعاً قَبْضَتُهُ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِیّاتٌ بِیَمِینِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یُشْرِکُونَ » و مثل هذه فی الدّلاله علی تنزّهه سبحانه من التحدید و التّشبیه أخبار کثیره قریبه من التواتر بل متواتره.

مثل ما رواه فی البحار من توحید الصدوق عن إبراهیم بن محمّد الهمدانی قال:

کتبت إلی الرّجل یعنی أبا الحسن علیه السّلام إنّ من قبلنا من موالیک قد اختلفوا فی التّوحید: فمنهم من یقول: جسم، و منهم من یقول: صوره، فکتب علیه السّلام بخطه:

سبحان من لا یحدّ و لا یوصف لیس کمثله شیء و هو السمیع العلیم أو قال البصیر.

و فیه أیضا عن الصادق علیه السّلام أنّه قال لهشام: إن اللّه تعالی لا یشبه شیئا و لا

يشبهه شيء و كلّما وقع في الوهم فهو بخلافه.

قال و روى عنه عليه السّلام أيضا أنّه قال: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلّا هو ليس كمثله شيء و هو السميع البصير لا يحدّ و لا يحسّ و لا يدركه الأبصار و لا يحيط به شيء و لا هو جسم و لا صوره و لا بذى تخطيط و لا تحديد.

و فيه من التوحيد عن هشام بن إبراهيم العباسى قال: قلت له يعنى أبا الحسن عليه السّلام: جعلت فداك أمرنى بعض مواليك أن أسألك عن مسأله قال عليه السّلام: و من هو؟ قلت: الحسن بن سهل، قال: و فى أىّ شيء المسأله؟ قال: قلت: فى التوحيد قال: و أىّ شيء من التوحيد؟ قال: يسألك عن اللّه جسم أولا جسم، فقال عليه السّلام لى: إنّ للنّاس فى التوحيد ثلاثه مذاهب: إثبات بتشبيه، و مذهب النفى، و مذهب إثبات بلا تشبيه، فمذهب الاثبات بتشبيه لا يجوز، و مذهب النفى لا يجوز، و الطريق فى المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه.

و فيه من التوحيد عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من شبّه اللّه بخلقه فهو مشرك إنّ اللّه تبارك و تعالى لا يشبه شيئا و لا يشبهه شيء و كلّما وقع فى الوهم فهو بخلافه.

و فيه من العقائد باسناده عن محمّد بن زياد قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول:

دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: إنّ هشام بن الحكم يقول قولا عظيما إلّا انّى أختصر لك منه أحرفا يزعم أنّ اللّه جسم لأنّ الأشياء شيئان، جسم و فعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصّانع بمعنى الفعل و يجوز أن يكون بمعنى الفاعل، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: ويله أما علم أنّ الجسم محدود متناه و الصوره محدوده متناهيه فاذا احتمل الحدّ احتمل الزّياده و النقصان و إذا احتمل الزّياده و النقصان كان مخلوقا، قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم و لا صوره و هو مجسّم الأجسام و مصوّر الصور، و لم يتجزّأ و لم يتناه و لم يتزايد و لم يتناقص لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق و المخلوق فرق، و لا بين المنشيء و المنشأ، لكن هو المنشيء فرّق بين من جسّمه

و صوّره و أنشأه إذا كان لا يشبهه شیء و لا يشبه هو شيئا.

قال المحدّث العلامه المجلسی بعد روايته ذلک:

استدلّ عليه السّلام على نفی جسميّته تعالى بأنّه لو كان جسما لكان محدودا بحدود متناهيا إليها لاستحاله لا تناهی الابعاد، و كلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام باجزاء متشاركه فی الاسم و الحدّ، فله حقيقه كليّه غير متشخّصه بذاتها و لا موجوده بذاتها إذ هو مركّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقا، أو بأنّ كل قابل للحدّ و النّهايه قابل للزّياده و النقصان لا يتأبّى عنهما فی حدّ ذاته و إن استقرّ على حدّ معيّن فانّما استقرّ عليه من جهه جاعل.

ثمّ استدلّ عليه السّلام بوجه آخر و هو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنا و أرفع قدرا من الموجد، و عدم المشابهه و المشاركه بينهما و إلاّ فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّه دون الاخر، و كيف صار هذا موجدا بدون العكس، و يحتمل أن يكون عدم المشاركه و المشابهه فيما يحتاج إلى العلّه فيحتاج إلى علّه اخرى، انتهى.

فقد علم بذلک كلّه كونه سبحانه منزّها عن الحدّ و الشّبه و أنّه يجب تنزيهه عن التحديد و التشبيه، و أنّ القائل بهما كافر مشرک.

و ذهب محيى الدّين على أصله الفاسد إلى أنّ القول بهما عين التّوحيد.

و القائل بهما مؤمن موحّد كامل، و النافی لهما عنه تعالى جاهل، و تبعه على ذلک القيصری.

قال فی الفصوص فی الفصّ النّوحی:

«اعلم أنّ التّنزيه عند أهل الحقائق فی الجناب الالهی عين التحديد و التّقييد و المنزّه إمّا جاهل و إمّا صاحب سوء أدب».

قال القيصری: اعلم أنّ التّنزيه إمّا أن يكون عن النقائص الامكانيّه فقط أو منها و من الكمالات الانسانيه أيضا و كلّ منهما عند أهل الكشف و الشهود تحديد للجناب الالهی و تقييد له، لأنّه يميّز الحقّ عن جميع الموجودات و يجعل ظهوره فی بعض

مراتبه و هو مـا يقتضـى التّنزيه دون البعض و هو مـا يقتضـى التشبيه كالحيـاه و العلم و القـدره و الاـراده و السـمع و البصـر و غير ذلك، و ليس الأمر كذلك فانّ الموجودات بذواتهم و وجوداتهم و كمالاتهم كلّها مظاهر للحقّ و هو ظاهر فيهم و متجلّى لهم و هو معهم أينما كانوا فيه ذواتهم و وجودهم و بقاؤهم و جميع صـفاتهم، بل هو الذى ظهر بهذه الصور كلّها فهى للحقّ بالأصاله و للخلق بـالتّبعيّه، فـالمنزّه إمـا جاهل بالأمر على ما هو عليه أو عالم بأنّ العالم كلّه مظهره، فان كان جاهلا و حكم بجهله على اللّه و قيـده فى بعض مراتبه فهو جاهل و صاحب سوء أدب، و إن كان عالما به فقد أساء الأدب مع اللّه تعالى و رسله بنفيه عنه ما أثبته هو لنفسه فى مقامى جمعه و تفصيله.

هـذا فى مقام الالهيّه، و أما فى مقام الأحـديّه الذاتيّه فلا تشبيه و لا تنزيه إذ لا تعدّد فيه بوجه أصـلا قال الشـيخ يعنى محيى الدين فى عنقاء المغرب مخاطبا للمنزّه و غايه معرفتك به أن تسلب عنه نقايص الكون و سلب العبد عن ربّه ما لا يجوز عليه راجع إليه، و فى هذا المقام قال من قال: سـبحانى دون التّوانى هيهات و هل يعرى من شـىء إلّا من لبسه أو يؤخذ شىء إلّا من حبسه و متى لبس الحقّ صـفات النقص حتّى تسـلبها عنه أو تعريه و اللّه ما هـذه حاله التّنزيه فالتّنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته و هو من جمله منحه لك و هباته و البارى منزّه عن التّنزيه فكيف عن التّشبيه.

قـال الماتن «و لكن إذا اطلقاه و قالا به فالقائل بالشّـرايع المؤمن إذا نزّه و وقف عنـد التّنزيه و لم ير غير ذلك فقـد أساء الأدب و أكـذب الحقّ و الرسل صـلوات اللّه عليهم و هو لا يشـعر و يتخيّل أنّه فى الحاصل و هو فى الفايت و هو كمن آمن ببعض و كفر ببعض».

قال الشارح: أى الجاهل و صاحب سوء الأدب إذا اطلقا التّنزيه و قالا به كلّ منهما إمّا أن يكون مؤمنا بالشرايع و الكتب الالهيّه أو غير مؤمن، فالمؤمن إذا نزّه الحقّ و وقف عنده و لم يشبّه فى مقام التّشبيه و لم يثبت تلك الصفات الّتى هى

کمالات فی العالم فقد أساء الأدب و کذّب الرسل و الکتب الالهیّه فیما أخبر به عن نفسه بأنّه الحیّ القیوم السمیع البصیر و لا یشعر بهذا التکذیب الصادر منه و یتخیّل أنّ له حاصلا من العلوم و المعارف و أنّه مؤمن و موّحد و ما یعلم أنّه فائت منه و هو کمن آمن ببعض و هو مقام التّنزیه و کفر ببعض و هو مقام التّشبیه، و غیر المؤمن سواء کان قائلا- بعقله کالفلاسفه أو لم یکن کمقلّدیهم المتفلسفه فقد ضلّ و أضلّ، لأنّه ما علم الأمر علی ما هو علیه و ما اهتدی بنور الایمان الرّافع للحجب و إنّما ترک هذا القسم لظهور بطلانه، انتهی کلامهما هبط مقامهما.

و محصّله أنّ اللازم علی المؤمن الموحّد أن یکون جامعا بین مرتبتی التّنزیه و التّشبیه، بأن ینزّهه فی مقام التنزیه من النّقایص الامکانیّه، و یشبّهه فی مقام التشبیه بأن یثبت له صفات الکمال الّتی فی المخلوقات من السمع و البصر و الاراده و الحیاه و نحوها، لأنّ المخلوقات کلّها مظاهر له و کمالها کماله بل لیس فی الوجود خلق تشاهده العین إلاّ و عینه و ذاته عین الحقّ الظاهر فی تلک الصّوره.

کما قال فی الفصّ الهودی «و ما خلق تراه العین إلاّ عینه حقّ» و قال فی الفصّ الاسماعیلی ما هذه عبارته:

«فلا تنظر إلی الحقّ فتعریه عن الخلق و لا تنظر إلی الخلق و تکسوه سوی الحقّ

و نزّهه و شبّهه و قم فی مقعد الصدق»

قال القیصری: أی لا- تنظر إلی الحقّ فتجعله موجودا خارجیّا مجرّدا عن الأکوان منزّها عن المظاهر الخلقیّه عاریا عنها و عن صفاتها، و لا تنظر إلی الخلق بأن تجعل الخلق مجرّدا عن الحقّ مغایرا له من کلّ الوجوه و تکسوه لباس الغیریّه، بل انظر الی الحقّ فی الخلق لتری الوحده الذاتیّه فی الکثره الخلقیه و تری الکثره الخلقیه فی الوحده الذّاتیه، و نزّه الحق الّذی فی الخلق بحسب مقام أحدیّته عن کلّ ما فیه شایبه الکثره و الامکانیّه و النقصان، و شبّهه أیضا بکلّ صفات کمالیّه کالسمع و البصر و الاراده و القدره، فانّک إذا جمعت بین التّشبیه

و التنزيه كما هو عاده الكاملين فقد قمت مقام الصدق و هو مقام الجمع بين الكمالين.

و أوضح ذلك فى الفصّ الالياسى و شرحه بقوله:

«و إذا أعطاه اللّه المعرفه بالتجلّى كملت معرفته باللّه فنزّه فى موضع و شبّه فى موضع» أى نزّه فى موضع التّنزيه تنزيها حقانيا و شبّه فى موضع التّشبيه تشبيها عيانيا فيكون تنزيهه تنزيه الحقّ و تشبيهه تشبيه الحقّ «و راى سريان الحقّ بالوجود فى الصّور الطبيعيّه و العنصريه فما بقيت له صوره إلاّ و يرى عين الحقّ عينها و هذه المعرفه التّامه فلا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه و لا تشبيه عن تنزيه».

و ذلك لأنّ كلّ ما نزّهته عنه من النقائص فهو ثابت له عند ظهوره فى المراتب الكونيّه و هو التشبيه، و كلّ ما شبّهته به و أثبتّ له من الكمالات فهو منفىّ عنه فى مرتبه أحديّته و هو التنزيه، و على ذلك فلا يجوز للمؤمن أن يقتصر فى مقام التوحيد على التّنزيه فقط.

أمّا أوّلا فلأنّ التنزيه عن التحديد و التّشبيه عين التحديد لأنّ التّميز عن كلّ شىء محدود بتمايزه عنها.

و أمّا ثانيا فلأنّه جهل باللّه الكريم حيث إنّه قيّده فى بعض مراتبه و ميّزه عن ساير مجاليه و مظاهره.

و أمّا ثالثا فلأنّه أساء الأدب مع اللّه و مع رسوله حيث لم يثبت له صفات الكمال الّتى له فى مجاليه.

و أمّا رابعا فلأنّه كذّب اللّه و رسوله فيما أخبرا به من اتّصافه بصفات الكمال، هذا.

و أنت خبير بتدليس هذا الجاهل الضّليل و تلبيسه الباطل بصوره الحقّ و الحقّ بصوره الباطل غير خفىّ على الفطن العارف لأنّ العقل و النقل و الأنبياء و الرسل جميعا متّفقون على تنزّهه سبحانه عن النقائص الامكانيه و عن اتّصافه بصفات المحدثات و عن مشابهه المخلوقات و قد نزّه ذاته و هو أعلم به من غيره فى كتابه

الکریم بقوله: «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا یُشْرِکُونَ » و قال أیضا: «سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا یَقُولُونَ عُلُوًّا کَبِیراً »، و قال: «فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا یَصِفُونَ »، و قال: «سُبْحانَ رَبِّکَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا یَصِفُونَ »، و قال: «أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَیْرُ اللّهِ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا یُشْرِکُونَ » إلی غیر هذه من الایات البیّنات.

و أمّا الوجوه الّتی استند إلیها فی عدم جواز الاقتصار علی التّنزیه فکلّها فاسده.

أمّا الوجه الأوّل فلمنع کون التنزیه موجبا للتحدید إذ معنی التنزیه هو ابداء المغایره بین الحقّ و الخلق من أجل اتّصاف الخلق بصفات النقصان و عوارض الامکان، و کون الحقّ بریئا منها من حیث وجوب وجوده و کونه تامّا فوق التمام.

و بعباره اخری جعله سبحانه خلوّا من خلقه و خلقه خلوّا منه من أجل کون الخلق محدودا و الحقّ منزّها عن الحدّ، فحقیقه التّنزیه هو إظهار کونه مباینا لمخلوقاته مفارقا لها بنفس ذاته الأقدس الأعلی من أجل اتّصافها بالحدود و النهایات، و ذلک لا یوجب کونه محدودا بوجه أصلا لا بالحدّ الاصطلاحی و لا بالحدّ اللّغوی.

و إن أراد بقوله إنّه عین التحدید إنّ فیه تمیز الحقّ عن کلّ ما سواه لما فیها من القصور و النقصان و المحدودیه بحدود الامکان، فهذا هو محض الایمان المطلوب عقلا و شرعا فلا معنی للاستناد إلیه فی عدم الجواز.

بل أقول: إنّ عمده الغرض من التّنزیهات الوارده فی الکتاب المبین و الصادره عن ألسنه الأنبیاء و المرسلین و الملائکه المقرّبین و الحجج المعصومین سلام اللّه علیهم أجمعین لیس إلاّ تنزیهه سبحانه و تقدیسه تعالی عمّا نسبته إلیه عزّ و جلّ هذه الطایفه المضلّه الضّاله من ظهوره فی صور الموجودات و اتّصافه بصفات المحدثات فتعالی اللّه عما یقول الظالمون و سبحان اللّه ربّ العرش عمّا یصفون.

و أمّا الوجه الثانی فلمنع کونه جهلا بل هو محض العلم و العرفان و التوحید

و الايمان، و إنّما الجاهل من قال بتجلّيه فى مخلوقاته و بظهوره فى صور مصنوعاته.

و أمّا الوجه الثالث فلأن سيّ ء الأدب من قال: سبحانى ما أعظم شانى، لا من قال سبحان اللّه و سبحان ربّى، و من قال: إنّى أنا اللّه و ليس فى جبّتى سوى اللّه لا من قال: لا إله إلاّ اللّه.

و أمّا الوجه الرّابع فلأنّ المكذّب للأنبياء و الرّسل أمثال هذا الجاهل القائل بتجلّيه فى مخلوقاته و اتّصافه بصفات محدثاته لا القائل بتنزّهه عن مجانسه مخلوقاته و اتّصافه بنعوت العظمه و الجلال و صفات العزّه و الجمال بذاته، و بعباره اخرى المكذّب للرسل و الأنبياء من نزّه و شبه و قال: إنه كلّ الأشياء لا من قدّس و نزّه و قال: إنه ليس كمثله شيء و إنه شيء لا كالأشياء.

و الحاصل أنا ننزّهه من مشابهه غيره فى ذاته و صفاته و نصفه بصفات الكمال بذاته و نقول: إنه حىّ قيّوم عالم سميع بصير قادر خبير بمعنى أجلّ و أعلى على ما نبّه عليه الحجج المعصومون فى شرح الأسماء الحسنى، و نقدّسه من صفات المخلوق مطلقا سواء كانت صفه نقصان كالعجز و الحاجه و الافتقار أو صفه كمال كالعلم و الاراده و القدره و الاختيار، فانّ هذه الصفات و ان كانت كمالات للمخلوق إلاّ أنّ اثباتها للخالق بالاعتبار الثابت للمخلوق موجب لاتّصافه بصفات المحدثات فتكون بالنسبه إليه تعالى نقصا لا كمالا.

و هذا هو الّذى دلّ عليه السنّه و الكتاب، و صرّح به الأئمه الأطياب، و حقّقه العلماء الراسخون و اولو الألباب.

و أما ما قاله هؤلاء الجهال: من أنّ صفات كماله هو عين صفات الكمال فى مخلوقاته لكونها مجاليه و مظاهره، فمما لم يرد به كتاب و لا سنه، بل هو افك و فريه بيّنه، و قد قال سبحانه: «أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ».

و بالجمله فحالنا و حال هؤلاء كمال قال تعالى فى كتابه، فنحن نقول:

«رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى »

«اَللّهِ كَذِباً ».

و قد علم بذلک کلّه أنّ التنزيه ينافى التشبيه و التشبيه ينافى التنزيه بل ليس الغرض من التنزيه إلّا التنزيه من التشبيه.

فظهر به أنّ ما قاله ابن العربى من أنه لا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه و لا تشبيه عن تنزيه غلط صرف و خبط واضح.

و أفحش من ذلک غلطا و شططا کلامه الّذى حكاه القيصرى عن كتابه المسمّى بعنقاء المغرب.

فانّ قوله: إنّ تنزيه العبد لربّه راجع إلى تنزيهه لنفسه، و انّ معنى سبحان اللّه سبحانى لأنّ اللّه سبحانه لم يكن متّصفا بصفات النّقص حتّى ينزّه عنها و لا متلبّسا بها حتّى تسلب عنه و يعرى منها، و انّما المتّصف بها هو المنزّه بنفسه فهو المحتاج إلى التّنزيه دون ربّه فقول باطل و كلام فاسد و من الفساد بمكان.

أمّا أوّلا فلأنّ تنزيه الرّب من النّقايص لا يستلزم اتّصافه بها فى الواقع أولا ثمّ يسلب لأنّ القضيّه السلبيّه لا يستلزم الايجاب و إلّا لم يصحّ قوله تعالى: وَ «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ »، و بعد التّنزل نقول: إنّ المراد به تنزيهه عما وصفه به أهل الكفر و الضّلال و نسبه اليه السفهاء و الجهّال من المشبّهه و المجسّمه و الايصاليّه و المتصوّفه و غيرها من الجهال، و لذلک قال تعالى فى كتابه: سبحانه: و تعالى عمّا يقول الظّالمون، و قال:

«فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ »، و قد قال: «قالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ ».

و أمّا ثانيا فلأن قوله: تنزيه الرّب راجع إلى تنزيه نفس المنزّه و تطهير محلّه لا يقوله إلّا سفيه أو مجنون لأنّ العيب و النقصان من لوازم ذات الممكن فكيف ينزّه المنزّه نفسه عنهما.

إذا عرفت ذلک فلنرجع إلى بقيّه كلامه الّذى نقلناه عن الفصّ النوحى.

قال بعد جمله من ترّهاته: «فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبه الرّوح المدبّر

للصّوره فيؤخذ فى حدّ الانسان مثلا باطنه و ظاهره و كذلك كلّ محدود فالحقّ محدود بكلّ حدّ».

قال القيصرى: أى إذا كان العالم صوره الحقّ و هو روحه فنسبه الحقّ إلى كلّ ما ظهر من صور العالم نسبه الرّوح الجزئى المدبّر للصّوره المعيّنه إليها فى كونه مدبّرا، و لمّا كان ظاهر العالم ظاهر الحقّ و باطنه باطن الحقّ و الباطن و الظّاهر مأخوذ فى تعريف الانسان و تحديده لأنّه معرف بالحيوان الناطق و النّاطق باطنه و الحيوان ظاهره و الهيئه الاجتماعيّه الحاصله من الجنس و الفصل ظاهره الّذى به سرى الأحديّه فيه و حقايقهما المشتركه و المميّزه باطنه و الحقّ مأخوذ فى حدّه، و كذلك كلّ محدود إذ لا بدّ فى كلّ من المحدودات من أمر عامّ مشترك و أمر خاصّ مميّز و كلاهما ينتهيان إلى الحقّ الّذى هو باطن كلّ شىء فالحقّ محدود بكلّ حدّ لأن كلّما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره ظاهره من اسمه الظاهر و باطنه من اسمه الباطن و المظهر عين الظاهر باعتبار الأحديّه فالحقّ هو المحدود.

قال الماتن: «و صور العالم لا ينضبط و لا يحاط بها و لا يعلم حدود كلّ صوره منها إلّا على قدر ما حصل لكلّ عالم من صوره فلذلك يجهل حدّ الحق فانّه لا يعلم حدّه إلّا و يعلم حدّ كلّ صوره و هذا محال حصوله فحدّ الحقّ محال».

قال الشّارح: أى صور العالم و جزئياته مفصلا غير منضبطه و لا منحصره و الحدود لا تعلم إلّا بعد الاحاطه بصور الأشياء و حقايقها، فالعلم بحدودها محال، فحدّ الحقّ من حيث مظاهره أيضا محال.

قال الماتن: «و كذلك من شبّهه و ما نزّهه فقد قيّده و حدّده و ما عرّفه و من جمع فى معرفته بين التنزيه و التشبيه و وصفه بالوصفين على الاجمال لأنه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطه بما فى العالم من الصور فقد عرّفه مجملا- لا على التفصيل» انتهى.

و محصله أنّ الحقّ محدود بحدود غير متناهيه لا يمكن معرفتها تفصيلا بل اجمالا و ذلك لأنه باطن العالم و صور العالم الذى هو مظهره غير متناهيه و لا- منضبطه، و حدودها كذلك لأنّ كلّ صوره فلها حد معيّن فيعدّد الحدود بتعين الصّور و بتعدّد حدودها يتعدّد حدود الحقّ فلا يمكن معرفتها إلّا إجمالا كما لا يمكن معرفه صور

العالم و حدود تلك الصور إلاّ كذلك.

و قوله: و كـذلك من شبّهه آه عطف على مـا سبق أى كمـا أنّ التنزيه بـدون التشبيه عين التحديـد و التقييـد و مستلزم للجهل، فكذلك العكس فمن شبّهه و لم ينزّهه فقد قيّده بما يقتضيه التشبيه و حدّده بحدود المظاهر، فلم يعرّفه حقّ المعرفه لخلوّ معرفته من التنزيه، فالعـارف من جمع بين التنزيه و التشبيه و وصـفه بهمـا على الاجمـال لأنّ معرفه صور العـالم التى نقيضـها التشبيه غير ممكنه تفصيلا حسبما عرفت، هذا محصّل كلامه و قد عرفت فساده بما لا مزيد عليه.

و قالاـ فى الفصّ الهودى و شرحه: «و مـا رأينا قطّ من عنـد اللّه تعالى فى حقّه تعالى فى آيه أنزلها أو اخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلاّـ بالتحديـد تنزيهـا كـان أو غير تنزيه أوّلهـا العمـاء الـذى مـا فوقه هواء و لا تحته هواء و كان الحقّ فيه قبل أن يخلق الخلق».

أى أول ذلك التحديد هو المرتبه العمائيه التى أشار اليها النبيّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، و انما كان العماء أول التحديدات لأنه لغه عباره عن الضبـاب و فى اصـطلاح أهل اللّه عباره عن أول تعين ظهر للحقّ بحسب اسمه الجامع الالهى، و كلاهما محدودان، و هذه المرتبه هى مرتبه الانسـان الكامـل فانه أول ما تعيّن ظهر بالصوره المحمّـديه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ثمّ فصّـلها فخلق منها أعيان العالم علما و خارجا.

«ثمّ ذكر انه استوى على العرش فهذا تحديد أيضا» لأنّ الاستواء عليه ظهور الاسم الرّحمانى فى صوره العرشيّه و هو أيضا تحديد لأنّه يتعيّن فيظهر فيها.

«ثمّ ذكر انّه ينزل إلى السـماء الـدّنيا فهذا تحديد» أى ذكر الحقّ بلسان نبيّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم انّ اللّه ينزل كلّ ليله إلى السماء الدّنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر. فأغفر له و النّزول إلى المقام المعيّن تحديد.

«ثمّ ذكر انّه فى السّـماء و انّه فى الأرض» كما قال: «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ »، و كونه فى السّماء و فى الأرض تحديد.

ص:٢٠١

«و انّه معنا أينما كنّا» أى و ذكر أنّه معنا كما قال: «وَ هُوَ مَعَكَمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ».

«إلى أن أخبرنا انّه عيننا» أى حدّد نفسه إلى أن جعله أعيننا كما قال: كنت سمه و بصره الحديث.

«و نحن محدودون فما وصف نفسه إلّا بالحدّ و قوله ليس كمثله شىء حدّ أيضا إن أخذنا الكاف زائده لغير الصفه» أى لا تكون للتشبيه ليفيد ليس مثل مثله شىء.

«و من تميّز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود فالاطلاق من التقييد تقييد و المطلق مقيّد بالاطلاق لمن فهم و إن جعلنا الكاف للصّيفه فقد حدّدناه» أى على التقديرين يلزم التحديد، أمّا على الأوّل فلأنّ الممتاز عن المحدود لا يكون إلّا محدودا بكونه ممتازا عنه كما أنّ الاطلاق المقابل للتقييد أيضا تقييد بعدم التقييد و المطلق مقيّد بالاطلاق، و أمّا على الثانى فلأنّ نفى مثل المثل اثبات للمثل و هو محدود فما يماثله أيضا محدود.

«و ان أخذنا ليس كمثله شىء على نفى المثل تحقّقنا بالمفهوم و بالاخبار الصحيح انّه عين الأشياء و الأشياء محدوده و ان اختلفت حدودها» أى و إن حملنا على نفى المثليّه مطلقا سواء كان زايدا أو غير زايد مع عدم القصد بوجود المثل بل المقصود المبالغه فى التّنزيه كما يقال: مثلك لا يغضب، و الغرض نفى الغضب منه يلزم التحديد أيضا، لأنّ ما يمتاز عن الشىء محدود بامتيازه عنه فسلب المثليّه تحدّده، و هو المراد بقوله: تحققنا بالمفهوم أى علمنا حقيقته بالمفهوم من الايه أنه محدود و كذلك تحديده بالخبر الصحيح و هو: كنت سمعه و بصره الحديث، لأنه صار عين الأشياء و الأشياء محدوده بحدود مختلفه و أن فى قوله: و إن اختلفت حدودها للمبالغه.

«فهو محدود بحدّ كلّ محدود فما يحدّ شىء إلّا و هو حدّ للحقّ» لما كان الحدّ عباره عن التعيين و الحدّ الاصطلاحى انما يسمى بالحدّ لأنه أيضا يعيّن الشىء و يميّزه عن غيره نقل الكلام إلى الحدّ الاصطلاحى الموجب لتعيّن الأشياء فى العقل و انما جعله محدودا بحدّ كلّ محدود لأنه عين لكلّ محدود فحدّه حدّ الحقّ و قوله و هو عايد إلى الحدّ الذى يدلّ عليه قوله فما يحدّ، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فيالله لهذا الرجل من سوء الاعتقاد و الزيغ عن نهج الرشاد و الاصرار فى ترويج الزندقه و الالحاد، و صرف الايات المحكمات عن ظواهرها إلى تصحيح عباده الطاغوت و الاستناد إلى المتشابهات فى اثبات مذهب هو أوهن من بيت العنكبوت، و قد قال عزّ من قائل: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ ».

فهل يحكم العاقل بدليل متشابه على أنّ الحقّ بكل حدّ محدود؟ أم هل يسلّم القول بوحده الوجود الذى هو فى معنى الكفر و الجحود بمجرّد الاستناد إلى كشف و شهود؟ و قد عرفت بطلان التشبيه و التحديد ببرهان متين و بيان لا عليه مزيد.

و الأدلّه التى استند اليها هنا فى اثبات تلك الدّعوه غير خفيه الفساد على ذوى العقل و النهى.

أما الدليل الأول و هو حديث العماء ففيه أنه من مجعولات العامه و يدلّ عليه الأخبار النّافيه للزّمان و المكان عنه تعالى و قد تقدّم كثير منها فى تضاعيف الشرح مضافا إلى قيام الدليل العقلى أيضا على ذلك كما أشار اليه الأئمه عليهم السّلام فى أخبارهم.

مثل ما رواه المحدّث العلامه المجلسى «قد» فى البحار من كتاب روضه الواعظين قال: روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال له رجل: أين المعبود؟ فقال: لا يقال له أين لأنه أيّن الأينيّه، و لا يقال له كيف لأنّه كيّف الكيفيّه، و لا يقال له ما هو لأنه خلق الماهيّه، سبحانه من عظيم تاهت الفطن فى تيّار أمواج عظمته، و حصرت الألباب عند ذكر أزليّته، و تحيّرت العقول فى أفلاك ملكوته.

و فيه من كتاب التوحيد للصّدوق قال: و روى أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السّلام أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماء و أرضا؟ فقال: أين سؤال عن مكان كان اللّه و لا مكان.

و فيه منه باسناده عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من زعم أنّ اللّه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك، لو كان عزّ و جلّ على شىء لكان محمولا، و لو كان فى شىء لكان محصورا، و لو كان من شىء لكان محدثا.

قال العلامه المجلسى: قوله: لكان محمولا أى محتاجا إلى ما يحمله، و قوله:

محصورا أى عاجزا ممنوعا عن الخروج من المكان أو محصورا بذلک الشیء و محویا به فیکون له انقطاع و انتهاء فیکون ذا حدود و أجزاء.

و فیه منه باسناده عن حمّاد بن عمرو عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کذب من زعم أنّ اللّه عزّ و جلّ فی شیء أو من شیء أو علی شیء.

قال الصّدوق: الدّلیل علی أنّ اللّه عزّ و جلّ لا فی مکان أنّ الأماکن کلّها حادثه و قد قام الدّلیل علی أنّ اللّه قدیم سابق للأماکن، و لیس یجوز أن یحتاج الغنیّ القدیم إلی ما کان غنیّا عنه، و لا أن یتغیّر عمّا لم یزل موجودا علیه فصحّ الیوم أنّه لا فی مکان کما أنّه لم یزل کذلک.

و تصدیق ذلک ما حدّثنا به القطان عن ابن زکریّا القطّان عن ابن حبیب عن ابن بهلول عن أبیه عن سلیمان المروزی عن سلیمان بن مهران قال قلت لجعفر ابن محمّد علیهما السّلام: هل یجوز أن تقول إنّ اللّه عزّ و جلّ فی مکان؟ فقال علیه السّلام: سبحان اللّه و تعالی عن ذلک انّه لو کان فی مکان لکان محدثا لأنّ الکائن فی مکان محتاج إلی المکان و الاحتیاج من صفات الحدیث لا القدیم.

و أمّا الدلیل الثانی فقد عرفت الجواب عنه فی شرح الفصل الخامس من الخطبه الاولی و قلنا هناک: إنّ المراد بالاستواء فی الایه هو الاستیلاء و السّلطنه.

و قال أمیر المؤمنین فی روایه الاحتجاج عنه علیه السّلام فی جواب أسئله الزّندیق المنکر للقرآن: یعنی استوی أمره و علا تدبیره.

و أما الدّلیل الثالث فهو من مجعولات العامّه أیضا.

و یدل علی ذلک صریحا ما رواه فی البحار من الأمالی و التوحید و العیون عن الدّقاق عن الصّوفی عن الرّویانی عن عبد العظیم الحسنی عن إبراهیم بن أبی محمود قال: قلت للرّضا علیه السّلام یا ابن رسول اللّه ما تقول فی الحدیث الّذی یروی النّاس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: إن اللّه تبارک و تعالی ینزل کلّ لیله إلی السّماء الدّنیا؟ فقال علیه السّلام: لعن اللّه المحرّفین للکلم عن مواضعه، و اللّه ما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کذلک إنّما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ اللّه تبارک و تعالی ینزل ملکا إلی السّماء الدّنیا کلّ لیله

فى الثّلث الأخير و ليله الجمعه فى أوّل الليل فيأمره فينادى هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأستغفر له، يا طالب الخير أقبل و يا طالب الشرّ اقصر، فلا يزال ينادى هذا إلى أن يطلع الفجر، فاذا طلع الفجر عاد إلى محلّه من ملكوت السّماء، حدّثنى بذلك أبى عن جدّى عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و فيه من الاحتجاج عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم موسى عليه السّلام قال:

ذكر عنده قوم زعموا أنّ اللّه تبارك و تعالى ينزل إلى السّماء الدّنيا، فقال عليه السّلام:

إنّ اللّه لا ينزل و لا يحتاج إلى أن ينزل إنّما منظره فى القرب و البعد سواء لم يبعد منه قريب و لم يقرب منه بعيد، و لم يحتج إلى شىء بل يحتاج إليه، و هو ذو الطول لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم، أمّا قول الواصفين إنّه ينزل تبارك و تعالى عن ذلك فانّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زياده، و كلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يحرّك به، فمن ظنّ باللّه الظّنون فقد هلك و أهلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حدّ من نقص أو زياده أو تحريك أو تحرّك أو زوال أو استنزال أو نهوض أو قعود، فانّ اللّه عزّ و جلّ عن صفه الواصفين و نعت النّاعتين، و توهّم المتوهّمين.

فانظر إلى هذا الحديث الشريف كيف أبطل ما يقوله الملاحده بالدّليل العقلى، فانّ قوله: فانّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زياده، يريد به أنّ النّزول المكانى إنّما يتصوّر فى حقّ المتحيز و كلّ متحيّز موصوف بالتقدّر و كلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو زايد منه و بالزّياده على ما هو أنقص منه أو يكون فى نفسه قابلا للزّياده و النّقصان، و الوجوب الذّاتى ينافى ذلك لاستلزامه التجزّى و الانقسام المستلزمين للامكان.

و أيضا كلّ متحرّك يحتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به لأنّ المتحرّك إما جسم أو متعلّق بالجسم و الجسم المتحرّك لا بدّ له من محرّك لأنّه ليس يتحرّك بجسميّته، و المتعلق بالجسم لا بدّ له فى تحرّكه من جسم يتحرّك به و هو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرّك و عن التغيّر بمغيّر و عن التعلّق بجسم يتحرّك به.

و أما الدّليل الرابع فانّ معنى الايه الشريفه ليس ما توهّمه هذا الجاهل بسوء فهمه و اعتقاده، بل معنى آخر.

كما نبه عليه الصّادق عليه السّلام فى الرّوايه المرويه فى البحار من التوحيد عن أبيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاكر الديصانى: إنّ فى القرآن آيه هى قولنا، قلت: و ما هى؟ فقال: «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ »، فلم أدر بما اجيبه فحجت فخبرت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفه، فانّه يقول فلان، فقل ما اسمك بالبصره، فانّه يقول فلان، فقل كذلك ربّنا فى السّماء إله و فى الأرض إله و فى كلّ مكان إله، قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز.

و محصّل جوابه عليه السّلام أنّه تعالى مسمّى بهذا الاسم فى السّماء و فى الأرض، و قال اكثر المفسرين: إنّ الظرف متعلّق بالإله لكونه بمعنى المعبود، و قال البيضاوى فى تفسير قوله: «هُوَ اللّهُ فِى السَّماواتِ وَ فِى الْأَرْضِ »: هو اللّه الضمير للّه و اللّه خبره و فى السماوات و فى الأرض متعلّق باسم اللّه، و المعنى هو المستحقّ للعباده فيهما لا غير كقوله: «هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ ».

و روى فى البحار من التوحيد باسناده عن مثنّى الحناط عن أبى جعفر أظنّه محمّد بن النعمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: «وَ هُوَ اللّهُ فِى السَّماواتِ وَ فِى الْأَرْضِ »، قال: كذلك هو فى كلّ مكان، قلت: بذاته؟ قال: ويحك إنّ الأماكن أقدار فاذا قلت فى مكان بذاته لزمك أن تقول فى أقدار و غير ذلك و لكن هو باين من خلقه محيط بما خلق علما و قدره و احاطه و سلطانا، و ليس علمه بما فى الأرض بأقلّ ممّا فى السّماء لا يبعد منه شىء، و الأشياء له سواء علما و قدره و سلطانا و ملكا و احاطه.

و أمّا الدّليل الخامس فالجواب عنه بمثل الجواب عن سابقه، فانّ المراد به كونه معنا بالعلم و الاحاطه و القيّوميّه.

و أجاب عنها أمير المؤمنين عليه السّلام بجواب آخر رواه فى البحار من الاحتجاج

فی جواب أسئله الزّندیق المنکر للقرآن قال علیه السّلام: و قوله: «وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ »، و قوله: «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ »، و قوله: «ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ »، فانّما أراد بذلک استیلاء امنائه بالقدره الّتی رکّبها فیهم علی جمیع خلقه و أنّ فعلهم فعله الحدیث.

و أمّا الدّلیل السادس فقد مرّ جوابه بما لا مزید علیه قبل أوراق.

و أمّا الدّلیل السابع فأوهن من الجمیع، لأنّ المراد بالایه هو التّنزیه فقط و نفی المثل من جمیع الجهات، إمّا بجعل الکاف زایده أو بمعناها الأصلی قصدا للمبالغه فی نفی المثل علی حدّ قولهم: مثلک لا یبخل.

روی فی الصّافی من مصباح المتهجّد فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام لیس کمثله شیء إذ کان شیء الشیء من مشیّته فکان لا یشبه مکوّنه.

و روی فی البحار من روضه الواعظین عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أیضا انّه قال:

اتّقوا أن تمثّلوا بالربّ الذی لا مثل له أو تشبّهوه من خلقه أو تلقوا إلیه الأوهام أو تعلموا «تعملوا ظ» فیه الفکر و تضربوا له الأمثال أو تنعتوه بنعوت المخلوقین، فانّ لمن فعل ذلک نارا.

و أما ما قاله من استلزام التنزیه للتقیید و التحدید معللا بأنّ الاطلاق من التقیید تقیید و المطلق بالاطلاق مقیّد، فقد عرفت فیما سبق ضعفه و أنه غیر مستلزم له.

و نزید توضیحا و نقول: محصّل مراده إنّ الایه محتمله لوجوه ثلاثه.

احدها کون الکاف زایده و المراد بها نفی المثل.

و الثانی کونها للتشبیه و المراد بها نفی مثل المثل.

و الثالث کونها للتشبیه أیضا لکن المراد نفی المثل مبالغه و علی جمیع الوجوه فهی مفیده للتحدید.

أما علی الوجه الأوّل فلأنّ المعنی أنه لیس شیء من الأشیاء مثله و شبهه، و الأشیاء کلّها محدوده بالحدود فاذا نفیت مشابهته بها و میّزته عنها فقد أثبتّ له الحدّ

بتنزيهک إذ المتميز عن المحدود محدود بأنه غيره و المغايره لا تکون إلّا بالحدود فيکون محدودا بتمايزه عن المحدودات و هو معنى قوله: فالاطلاق من التقييد تقييد آه.

و أما على الوجه الثانى فلأنّه يفيد اثبات المثل حيث إنّ المنفى مثل المثل لا نفس المثل و المثل محدود فمثله و هو اللّه تعالى عن ذلک أيضا محدود.

و أما على الوجه الثالث فلأنه کالوجه الأوّل يفيد التحديد بتميّزه عن المحدود فعلى جميع الوجوه يثبت کونه محدودا، و أنت خبير بأنّ هذا کلّه ناش من قلّه الفهم إذ قد عرفت أنّ المراد بالآيه هو نفى المثل على الوجه الأول أو على الوجه الثالث و المقصود بها التنزيه من التشبيه.

و ما توهّمه من استلزام التّنزيه للتّقييد و التّحديد، فهو ظاهر فى أنّه لم يفهم معنى التّنزيه و التّمييز و لم يميّز بين تمايز الموجودات بعضها عن بعض و بين تمايز الواجب تعالى عنها و افتراقه لها.

فنقول: إنّ التميّز على قسمين:

أحدهما التميّز بالحدّ و هو الّذى بين الموجودات فانّها جميعا لکونها محدوده مرکّبه من الأجناس و الفصول و مشتمله على الأقدار و النهابات يکون تميّز کلّ منها عن الاخر بالحدّ المخصوص به.

و ثانيهما التميّز عن المحدود و هو تميّز الواجب عن غيره کائنا ما کان، فانّ الممکنات بأسرها لمّا کانت محدوده يکون تميّز الواجب عنها بتنزّهه عن الحدّ و هو عباره اخرى عن وجوب الوجود، فانّه سبحانه لکونه صرف الوجود و کون وجوده عين ذاته و کون تعيّنه بذاته يکون متمايزا عمّا تعيّنه و تحصّله بالحدود فافهم و اغتنم و على الصّراط المستقيم فاستقم.

و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذکوره أيضا: لا تقدّره الأوهام بالحدود

و الحرکات و لا بالجوارح و الأدوات.

فانّ الفقره الاولى تدلّ على تنزّهه من الحدود حسبما عرفت آنفا و على

تنزّهه من التّحوّل فی الصّور کما قال فی الفصّ الالیاسی «یتجلّی فی القیامه بصوره فیعرف ثمّ یتحوّل فی صوره فینکر ثمّ یتحوّل عنها فی صوره فیعرف و هو هو المتجلّی فی کلّ صوره لیس غیره» انتهی.

و تدّل أیضا علی تنزّهه من النّزول إلی السّماء الدّنیا و من التّنزّل إلی مرتبه الممکنات و سرایه هویّته فیها حسبما قدّمنا حکایه ذلک کلّه عن هذه الطّایفه الضّالّه.

و الفقره الثّانیه تدلّ علی تنزّهه من الجوارح و الأعضاء فتدلّ علی بطلان اتّصافه بها و کون أعضاء الانسان أعضاء له کما قال محیی الدّین فی غیر موضع من الفصوص.

و صرّح به فی الفصّ الهودی اجمالا بقوله «فالغیر یقول: السّمع سمع زید و العارف یقول: السّمع عین الحقّ و هکذا ما بقی من القوی و الأعضاء فما کلّ أحد عرف الحقّ فتفاضل النّاس و تمیّزت المراتب» أی تفاضل النّاس فی العلم بالحقّ و تمیّزت مراتبهم فبان الفاضل و المفضول فی الخلایق.

و فی الفصّ السّلیمانی تفصیلا بقوله «و العمل ینقسم علی ثمانیه أعضاء من الانسان».

قال القیصری: و هی الیدان و الرّجلان و السّمع و البصر و الجبهه و اللّسان إذ بالیدین یتمکّن من التّوضّی و التّطهر، و علی الرّجلین یقوم فی الصّلاه و یسعی و یحجّ، و بالسّمع یتمکّن من سماع کلام اللّه و کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و بالبصر یتمکّن من المشاهده فی جمیع أعماله، و باللّسان یثنی علی اللّه تعالی و یسبّحه و یقرأ کلامه، و بالجبهه یسجد فی صلاته.

«و قد أخبر الحقّ تعالی أنّه هویّه کلّ عضو منها فلم یکن العامل فیها غیر الحقّ و الصّوره للعبد و الهویّه مندرجه فیه أی فی اسمه لا غیر».

قال القیصری: أی أخبر الحقّ بأنّه عین کلّ عضو بقوله: کنت سمعه الّذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و یده الّتی یبطش بها و رجله الّتی یمشی بها، و العامل بحسب الظّاهر

الشّخص و أعضاؤه، و الحقّ عينها فلا يكون العامل غير الحقّ غير أنّ الصّوره صوره العبد و الهويّه الالهيّه مندرجه فى العبد، و لمّا كانت الهويّه إنّما تندرج فى أسمائه فسّر بقوله: أى فى اسمه، ليعلم أنّ عين العبد هو أيضا اسم من أسمائه لا غير ليلزم اندراج الحقّ فى غيره مطلقا فيتوّهم منه الحلول، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و قد عرفت فيما تقدّم أنّ المراد بحديث كنت سمعه و بصره معنى آخر لا ما توهّما، فيبطل جميع ما فرّعا عليه.

و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: الظّاهر لا يقال ممّا و الباطن

لا يقال فيما، لا شبح فيتقضّى و لا محجوب فيحوى.

فانّه يدلّ على أنّ اتّصافه بالظهور و البطون ليس بالمعنى المتبادر منهما فى غيره، و على أنّه لا يتشخّص بتشخّص الممكنات و صور الموجودات كما هو مذهب هذه الفرقه الضّالّه حسبما عرفت تفصيلا، و على أنّه لا يكون محجوبا بالحجاب فيدلّ على بطلان ما ذهبوا إليه أيضا من كونه محتجبا بالخلق على ما عرفت تفصيلا و أشار عليه السّلام إلى دليل بطلان الاحتجاب بقوله: فيحوى، يعنى أنّه لو كان محجوبا لكان محويّا و كان حجابه حاويا له محيطا به فيكون له انقطاع و انتهاء و يكون ذا حدود و أجزاء و هو باطل.

و مثله ما رواه عنه عليه السّلام فى البحار من الارشاد و الاحتجاج عن الشّعبى روى أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السّلام رجلا يقول: و الّذى احتجب بسبع طباق، فعلاه عليه السّلام بالدّره ثمّ قال: يا ويلك إنّ اللّه أجلّ من أن يحتجب من شىء أو يحتجب عنه شىء، سبحان الّذى لا يحويه مكان و لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السّماء فقال الرّجلّ: أفاكفّر عن يمينى يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام: لا لم تحلف باللّه فيلزمك الكفّاره و إنّما حلفت بغيره.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الثّامن و السّبعين

حين سأله ذعلب اليمانى فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أ فأعبد ما لا أرى؟ قال: و كيف

تراه؟ قال: لا تـدركه العيون بمشاهده العيان و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان فانّ قوله عليه السّلام: لا تدركه العيون بمشاهده العيان يبطل القول بالكشف و الشهود و أنّ الحقّ بكلّ صوره مشهود كما قال محيى الدّين فى الفصّ الهودى:

«و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ»

قال القيصرى: أى ليس خلق فى الوجود تشاهده العين إلّا و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر فى تلك الصوره، فالحقّ هو المشهود و الخلق موهوم، و لذلك يسمّى به، فانّ الخلق فى اللغه الافك و التقدير و قال تعالى: «إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ »، أى إفك و تقدير من عندكم ما أنزل اللّه بها من سلطان، و قوله: و لكن مودع آه أى صور الخلق حقّ له بضمّ الحاء و هو جمع كالحقاق شبه صور الخلايق بالحقاق(١) و الحق بما فيها و الصور جمع صوره سكن الواو لضروره.

و قال فى ذلك الفصّ أيضا «فالقرب الالهى من العبد لا خفاء به فى الاخبار الالهى فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد و قواه و ليس العبد سوى هذه الأعضاء و القوى فهو أى العبد حقّ مشهود فى خلق متوهّم».

قال الشارح القيصرى: أى ظاهر فى صوره خلق متوهّم و هى الصوره الظليه، و قد مرّ غير مرّه أنّ كلّ ما يدرك و يشهد فهو حقّ و الخلق متوهّم لأنّ الحقّ هو الذى تجلّى فى مرايا الأعيان فظهر بحسبها فى هذه الصوره فالظاهر هو الحقّ لا غير.

«فالخلق معقول و الحقّ محسوس مشهود عند المؤمنين و أهل الكشف و الوجود و ما عدا هذين الصنفين فالحقّ عندهم معقول و الخلق مشهود» و هم المحجوبون كالحكماء و المتكلّمين و الفقهاء و عامه الخلايق سوى المؤمنين بالأولياء و أهل الكشف لأنهم أيضا يجدون فى بواطنهم حقيقه ما ذهب إليه الأولياء و إلّا ما آمن.

و قال فيه أيضا «فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه» قال

ص:٢١١

١- (١) - الحق و الحقاق جمع حقه وعاء من خشب، ق

الشارح: إذ لا موجود سواه ليكون مشاهدا إياه بل هو الشاهد و المشهود و الحاكم و المحكوم عليه إلى أن قال «فمن رأى الحقّ منه فيه بعينه فذلك العارف» أى فمن رأى الحقّ الظاهر على صورته من الحقّ المطلق فى عين الحقّ بعين الحقّ فهو العارف أو من رأى الحقّ من نفسه فى نفسه بعين الحقّ فهو العارف «و من رأى الحقّ منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف» أى من رأى الحقّ من نفسه بنفسه بعين نفسه فذلك غير العارف مع أنه صاحب الشهود لعدم اطلاعه على أنه لا يمكن ادراك الحقّ بعين غيره «و من لم ير الحقّ منه و لا فيه و انتظر أن يراه بعين نفسه فذلك الجاهل» أى من لم ير الحقّ من نفسه و لا فى نفسه و انتظر أن يراه فى الاخره بعين نفسه فهو الجاهل، لأنه من كان فى هذه أعمى فهو فى الاخره أعمى و أضلّ سبيلا.

إلى غير هذه من ترّهاتهم و مزخرفاتهم التى لا طائل فيها و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المختار و غيره مما مرّ و سيأتى دليل على بطلانها جميعا.

و اصرح من كلماته عليه السّلام كلّها ما رواه فى البحار من التوحيد و العيون عن الرّضا عليه السّلام فى خطبه طويله له خطب بها فى مجلس المأمون فى توحيد اللّه سبحانه و تمجيده و تنزيهه قال عليه السّلام فيها: ظاهر لا بتأويل المباشره متجلّى لا باستهلال رؤيه.

التجلّى الانكشاف و الظهور يقال: استهلّ الهلال بصيغه المعلوم و المجهول أى ظهر و تبيّن أى ظاهر ليس ظهوره بأن يباشره حاسه من الحواس بل ظاهر بأماره غالب على كلّ شيء بقدرته و ظاهر أيضا لا بظهور من جهه الرؤيه كما هو زعم هذه الجهله.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الرابع و الثمانين:

الحمد للّه الذى لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد و لا تراه النواظر و لا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده و باشتباههم على أن لا شبه له.

فانّ كلا من هذه الفقرات دليل على بطلان مقالاتهم الزيفه المتقدّمه كما لا يخفى على من أحاط خبرا بما قدّمناه من ذوى الفطن الثاقبه.

ص:۲۱۲

و قال عليه السّلام فى هذا المختار أيضا: تلقاه الاذهان لا بمشاعره، و تشهد له المرائى لا بمحاضره.

و قد عرفت معناهما فى مقامهما و أقول هنا: إنّ الفقره الثانيه دليل على بطلان قولهم بأنّ أعيان الممكنات مرايا للحقّ لظهوره فيها كما أنّ الحقّ مرآه لها باعتبار آخر و يستفاد من تقريراتهم أن مرآتيتها بعنوان المحاضره بل العينيّه و أشار إلى ذلك محيى الدين فى الفص اليوسفى اجمالا و شرحه القيصرى تفصيلا قالا:

«فكلّ ما تدركه فهو وجود الحقّ الظاهر فى مرايا أعيان الممكنات» أى كلّ ما تدركه بالمدركات العقليّه و القوى الحسيّه فهو عين وجود الحقّ الظاهر فى مرايا أعيان الممكنات، و قد علمت أنّ الأعيان مرايا للحقّ و أسمائه كما أنّ وجود الحقّ مرآه للأعيان، فبالاعتبار الأول جميع الموجودات عين ذات الحقّ و الأعيان على حالها فى العدم لأنّ حامل صور الأعيان هو النفس الرّحمانى، و النفس الرّحمانى إشاره الى ما قالاه فى الفصّ الهودى و شرحه.

قال الماتن «و لهذا الكرب تنفس فنسب النفس إلى الرّحمن» قال الشّارح أى لكون الحقّ ذواته مشتملا على حقايق العالم و صورها و طلب ملك الحقائق ظهورها حصل الكرب فى الباطن و لهذا الكرب تنفّس الحقّ أى تجلّى لاظهار ما فى الباطن من أعيان العالم فى الخارج فنسب أى الحقّ النّفس الى الرّحمن أى إلى الاسم الرّحمانى بلسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله: إنّى أجد نفس الرّحمان من قبل اليمن، و النّفس عباره عن الوجود المنبسط على الأعيان عينا و عن الهيولى الحامل لصور الموجودات و الأوّل مرتّب على الثّانى.

«لأنّه رحم ما طلبته النسب الالهيّه من ايجاد صور العالم الّتى قلنا هى ظاهر الحقّ» أى نسب النفس إلى الرّحمن لأنّ الحقّ بالنّفس الرحمانى رحم الأعيان فاعطى ما طلبته النّسب الالهيه الّتى هى الأسماء و الصّفات من وجود صور العالم الّتى هى ظاهر الحقّ انتهى.

و هو أى النفس الرّحمانى عين وجود الحقّ و الوجود الاضافى الفايض عليها

ص:۲۱۳

أيضا عين الحقّ فليس المدرك و الموجود إلّا عين الحقّ و الأعيان على حالها فى العلم، و هذا مشرب الموحّد، و بالاعتبار الثانى الأعيان هى الظاهره الموجوده فى مرايا الوجود و الوجود معقول محض، و هذا مشرب المحجوبين عن الحقّ و مشرب المحققّ الجامع بين المراتب العالم بهما فى هذا المقام الجمع بين الحقّ و الخلق بحيث شهود أحدهما لا تحجبه عن شهود الاخر، و ذلك لجمعه بين المرآتين، لأنّ المرايا إذا تقابلت تظهر منها عكس جامع لما فيها، فيتّحد ما فى المرايا المتعدّده بحكم اتحاد انعكاس أشعّتها و إلى هذا الاعتبار أشار بقوله:

«فمن حيث هويه الحقّ هو وجوده» أى فكلّ ما تدركه من حيث هويّه الحقّ الظاهره فيه هو عين وجوده «و من حيث اختلاف الصور فيه» أى فى كلّ ما تدركه «هو أعيان الممكنات» انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و أنت قد عرفت فساد ذلك كلّه مضافا إلى قوله عليه السّلام هنا بما حققناه سابقا من أنّ وجود الحقّ بذاته مباين لمخلوقاته فكيف يكون أحدهما مرآتا للاخر على أنّ مرآتيّه الأعيان تستلزم التحديد و الحوايه للحقّ و عرفت منافاتهما لوجوب الوجود.

و منه

أكثر فقرات الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين

الّتى تجمع من اصول علم التوحيد ما لا تجمعه خطبه حسبما يعرفه المتدبّر الخبير

فمن جمله هذه الفقرات قوله عليه السّلام: و لا حقيقته أصاب من مثله و لا ايّاه عنى

من شبهه.

فانه صريح فى التنزيه من التمثيل و التشبيه، و قد عرفت أنّ هؤلاء يقولون بالجمع بين التنزيه و التشبيه كما قال فى الفصّ النوحى:

«فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا و ان قلت بالتشبيه كنت محددا»

«و ان قلت بالأمرين كنت مسددا و كنت إماما فى المعارف سيدا»

و عرفت فساده بما لا مزيد عليه.

و منها قوله عليه السّلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواه معلول

ص:۲۱۴

فانه مبطل لقولهم بتجلی وجود الحق فی العالم و ظهوره فی مرایا الأعیان کما قال فی الفصّ الابراهیمی «و یعطیک الکشف انّ العالم لیس إلاّ تجلّیه فی صور اعیانهم الثابته التی یستحیل وجودها بدونه و انه یتنوّع و یتصوّر بحسب حقایق هذه الأعیان و أحوالها».

قال القیصری: أی یعطیک الکشف أنّ الحقّ هو الذی ظهر فی صور العالم و تنوّع بحسب أنواع الأعیان و تصوّر بصور هذه الحقائق و أحوالها، فالأعیان باقیه علی عدمها و المشهود هو الوجود الحقّ لا غیر، انتهی.

و هو عباره اخری عن قولهم بأنّ وجود الحقّ سار فی المخلوقات و أنه متخلّل فیها مثل تخلل اللون المتلوّن حسبما قدّمنا حکایته عنهما من الفصّ الابراهیمی و بیّنا فساده هناک.

و منها قوله علیه السّلام: غنیّ لا باستفاده

یعنی أنّ غناه بذاته لاتّصافه بالوجوب لا کسایر الأغنیاء مستفیدا للغنی من الغیر، و إلاّ لزم أن یکون ناقصا بذاته مستکملا لغیره و هو محال، و هذا دلیل علی بطلان قولهم بأنّ الحقّ سبحانه من حیث ذاته الأحدیّه غنیّ عن العالمین، و لکن من حیث الالهیّه و الربّوبیّه و القادریّه و غیرها من الأسماء و الصّفات محتاج الیها و قد صرّحا بذلک فی مواضع من الفصوص و شرحه.

قال القیصری فی شرح الفصّ العیسوی: قد مرّ فی أوّل الکتاب أنّ الذّات الالهیّه من حیث أحدیتها موصوفه بالغنی عن العالمین و من حیث إلهیّتها و أسمائها موصوفه بالافتقار حیث قال: فالکلّ مفتقر ما لکل مستغن.

و قال محیی الدّین فی الفصّ الابراهیمی «ثمّ انّ الذّات لو تعرّت عن هذه النّسب لم تکن إلها».

قال القیصری: و اعلم أنّ الاله اسم الذّات من حیث هی هی مع قطع النّظر عن الأسماء و الصّفات باعتبار، و اسم الذّات مع جمیع الأسماء و الصّفات باعتبار آخر، و المراد هنا الاعتبار الثانی، و الالهیّه اسم مرتبه حضره الأسماء و الصّفات الّتی

هى النّسب المتكثّره باعتبارات و وجوه تحصل للذّات بالنظر إلى الأعيان الثابته المتكثّره الثابته فى أنفسها و استعداداتها، لأنّ المرتبه كما يستدعى من يقوم بها كذلك يستدعى من يجرى عليها أحكامها كالسّلطنه و القضاء، فلو لم يعتبر هذه النّسب لم يبق إلّا الذّات الالهيّه لا يشار اليها بوجه من الوجوه و لا يوصف بنعت من النّعوت، و هو مقام الهويّه الأحديّه الّتى تستهلك النّسب كلّها فيه فيكون الحقّ تعالى إلها أى فى مرتبه حضره الأسماء و النّسب الالهيّه باعتبار أعياننا كما أنّ السّلطان سلطان بالنظر إلى الرّعيّه و القاضى قاض بالنّظر إلى أهل المدينه فتلحق هذه النّسب إليه بنا.

«و هذه النّسب أحدثتها أعياننا فنحن جعلناه بمألوهيّتنا إلها».

قال القيصرى أى هذه الصّفات إنّما ظهرت بأعيانها إذ لو لم يكن لما كان يظهر الخالق و الرّازق و القادر و لا السميع و البصير و غير ذلك من الأسماء و الصّفات الاضافيّه، و ليس المراد بالجعل الاحداث و الايجاد لأنّا مجعولون و موجودون فبجعل الحقّ و ايجاده إيّانا تظهر تلك الصّفات، و المراد بالمألوهيّه عند هذه الطايفه مرتبه العبوديّه و بالمألوه العبد لا المعبود لا كما يقول المفسّرون من أنّ الاله بمعنى المألوه و هو المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب، و معناه نحن أظهرنا بعبوديّتنا معبوديّته و بأعياننا إلهيّته إذ لو لم يوجد موجود قطّ ما كان يظهر أنه تعالى إله كما نطق به: كنت كنزا مخفيا، الحديث فالجعل ليس على معناه الحقيقى بل على معناه المجازى و هذا ليس بلسان أهل الصّحو و فيه نوع من الشطح لما فيه من الرّعونه الغير اللايقه للمتأوبين بين يدى الرّحمن و نظيره كما يقول لسان الرّعيّه و المريد و التلميذ: إنّ السّلطان بوجودى صار سلطانا و بإرادتى و قراءتى عليه صار الشيخ شيخا و الاستاد استادا.

و قالا- فى الفصّ الشعيبى و شرحه: «و أمّا الاشاره من لسان الخصوص فانّ اللّه وصف نفسه بالنفس بفتح الفاء و هو من باب التنفيس» أى وصف بلسان نبيّه فى قوله إنّى أجد نفس الرّحمان من قبل اليمن نفسه بأنّ له النّفس و هو مأخوذ من التنفّس لانّه إرسال الهواء الحارّ من الباطن و ايراد الهواء البارد لترويح المتنفّس عن

الكرب، فالمتنفس انّما يتنفّس دفعا للكرب فنسبه النفس الالهى بالنفس الانسانى و أضاف الكرب اليه لا من حيث إنّه غنىّ عن العالمين بل من حيث إنه ربّ لهم و كربه طلب الأسماء الالهيه الباقيه فى الذات الأحديه بالقوّه ظهورها و أعيانها فتنفس و اوجد أعيان تلك الأسماء فظهرت الالهيه.

«و انّ أسماء الالهيه عين المسمّى» أى من حيث الوجود واحديه الذّات و ان كانت غيرا باعتبار كثرتها «و ليس إلّا هو» أى و ليس المسمى إلّا عين هويه الحقّ «و انها طالبه ما تعطيه الحقائق» اى و أن الأسماء طالبه وجود ما تعطى الحقائق الكونيه للحقّ من الأحكام و الصفات الكونيه «و ليست الحقائق التى يطلبها الأسماء إلّا العالم فالالوهيه تطلب المألوه» و الربوبيه تطلب المربوب لأنّ كلّ واحد من أسماء الصفات و الأفعال يقتضى محلّ ولايته ليظهر به، كالقادر للمقدور و الخالق للمخلوق و الرازق للمرزوق و هكذا غيرها، و الفرق بين الالوهيه و الربوبيه أنّ الالهيه حضره الأسماء كلّها اسم الذات و الصفات و الأفعال، و الربوبيه حضره أسماء الصفات و الأفعال، و لذا تأخرت عن المرتبه الالهيه قال تعالى: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ».

«و الّا» اى و إن لم يكن الالوهيه و الربوبيه طالبه للمألوه و المربوب لا يكون شىء منها متحققا كما لا يتحقّق الابوّه إلّا بالابن و البنوّه إلّا بالأب لانهما من قبيل المتضايفين «فلا عين لها إلّا به وجودا و تقديرا فلا عين للالوهيه و الربوبيه إلّا بالعالم» سواء كان موجودا بالوجود الحقيقى أو مقدرا «و الحقّ من حيث ذاته غنىّ عن العالمين و الربوبيه ما لها هذا الحكم» إذ لا غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه ما لها هذا الحكم» إذ لا غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه و ما يستحقّه الذّات من الغنىّ عن العالم» أى بقى الشأن بين الغنىّ الذّاتى و الافتقار الأسمائى فيجب أن ينزل كل منهما على مقامه فنقول: الغنى من حيث الذات لأنّ العالم كان أو لم يكن لا يحصل التغيّر فى الذات أصلا بل هى على حالها أزلا و أبدا عند وجود العالم و عدمه، و الافتقار من حيث الربوبيه و الالوهيه.

و لمّا كانت الربّوبيّه صفه الذات الغنيه و الصّفه عين الموصوف فى الأحديّه قال:

«و ليست الربّوبيّه على الحقيقه و الاتّصاف إلّا عين هذه الذات» فللذات الغنى عن

العالمين من وجه و هو وجه الأحديّه المتعاليه عن النّسب و الاضافات و لها الافتقار إليهم من وجه و هو وجه الواحديه الطالبه للنّسب و مظاهرها، انتهى كلامهما هبط مقامهما و هو كما ترى صريح فى افتقاره تعالى فى صفاته المضافه إليه سبحانه سواء كانت صفه ذات كالعلم و الالوهيّه و القدره و الربوبيّه و غيرها أو صفه فعل كالخلق و الرّزق و الاراده و الاماته و الاحياء و نحوها ممّا هو معانى أسمائه الحسنى إلى غيره و إن كان غنيّا من حيث ذاته الأحديه العاريه عن النسب و الاضافات.

و هذا زعم فاسد و وهم باطل لما قدّمنا فى المقدّمه التى مهّدناها سابقا للدليل العقلى من أنّ الواجب تعالى تامّ فوق التّمام، و قلنا إنّ المراد بتماميّته كونه جامعا للصّفات الكماليّه كلّها و كونها جميعا حاصله له بالفعل بنفسه من دون حاجه إلى الغير، لأنّ الكمالات كلّها وجود و هو تعالى عين الوجود فكيف يكون ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره و مفتقرا بذاته مستغنيا بمخلوقاته.

و هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السّلام: غنىّ لا باستفاده، و قول الحكماء الالهيّين:

واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

و الحاصل إنّا نقول: إنّه عزّ و جلّ إله و معبود عالم قادر قاهر غالب ربّ رحيم سميع بصير خالق رازق غير مفتقر فى اتّصافه بهذه الصّفات إلى مألوه و عابد و معلوم و مقدور و هكذا بل كان هذه الصّفات ثابته له فى الأزل قبل وجود المخلوقات.

و يدلّ على ذلك صريحا قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه الّتى رويناها عنه من الكافى فى شرح المختار المأه و الثامن و السبعين حيث قال فيها: كان ربّا إذ لا مربوب، و إلها إذ لا مألوه و عالما إذ لا معلوم و سميعا إذ لا مسموع.

و مثله بل أصرح منه قول الرّضا فى الحديث الاتى روايته تماما المروىّ عنه عليه السّلام فى البحار من التوحيد و العيون حيث قال فيه: له معنى الربوبيّه إذ لا مربوب و حقيقه الالهيّه إذ لا مألوه و معنى العالم إذ لا معلوم و معنى الخالق إذ لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق و لا باحداثه البرايا استفاد

ص:٢١٨

معنى البرّائيّه.

قال المحدّث العلامه المجلسيّ: قوله عليه السّلام: له معنى الرّبوبيّه أى القدره على التربيه إذ هى الكمال، و قوله: إذ لا مألوه، أى من له الا ـ له أى كان مستحقّا للمعبوديّه إذ لا ـ عابد، و انّما قال و تأويل السمع، لأنّه ليس فيه تعالى حقيقه بل يؤوّل بعلمه بالمسموعات، و قوله: ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، إذ الخالقيّه الّتى هى كماله هى القدره على خلق كلّ ما علم أنه أصلح، و نفس الخلق من آثار تلك الصفه الكماليه و لا يتوقف كماله عليه و البرّائيه، بالتشديد الخلّاقيه.

فقد علم بذلك أنّ قول محيى الدّين: إنّ الذات لو تعرّت عن هذه النسب لم تكن إلها، و قوله: هذه النسب هى التى أحدثتها أعياننا، باطل جدا، و ما أعظم جسارته و أقبح هجره فى قوله: و نحن جعلناه بمألوهيّتنا إلها، و الشارح القيصرى لما رأى فرط شناعته و فظاعته أراد إصلاحه بصرفه عن ظاهره و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر.

و بالجمله فالقول بافتقار اللّه سبحانه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله إلى مصنوعاته و نقصانه بذاته و التماسه التمام بمخلوقاته إلحاد و جحود و إنكار لوجوب الوجود.

فان قلت: لعلّ غرض هؤلاء إنّ الحقّ سبحانه كان متّصفا بتلك الصفات فى الأزل من دون حاجه إلى غيره، و لكن ظهور اتّصافه بها كان موقوفا على وجود المخلوق و محتاجا اليه، و بعباره اخرى انه مستغن فى ذاته و صفاته عن غيره و لكن فى اظهار هذه الصّفات و تلك النّسب و الاضافات كان مفتقرا إلى ايجاد الموجودات.

قلت: نسبه الافتقار إلى اللّه تعالى شأنه بأىّ اعتبار كان غلط بيّن، نعم إن قلنا إنّه عزّ و جلّ كان متّصفا بصفات العظمه و الكمال غنيّا فى ذاته و صفاته عن غيره، ثمّ اقتضى العلم الأصلح و الحكمه البالغه ابداع الموجودات و ايجاد الممكنات فخلقهم و أبدعهم على ما شاء و أراد، و لمّا أفاض الوجود علينا و صرنا موجودين ظهر لنا بما أرانا فى الافاق و الأنفس من عجايب قدرته و بدايع صنعته وجوده و علمه و قدرته و حكمته و ارادته و ساير صفاته الكماليّه و علمنا علما يقينا جامعيّته لجميع الكمالات الّتى هى

معنى إلهيّته، كان قولا حقّا دلّنا عليه الكتاب المبين، و أدلّاء الحقّ من الأنبياء و المرسلين، و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين، و هذا هو الاعتقاد الصواب الّذى نطق به السّنه و الكتاب فيجب أن يدان به و يرفض غيره و اللّه الهادى الى سواء السبيل الحقّ.

و منها قوله عليه السّلام: يخبر لا بلسان و لهوات، و يسمع لا بخروق و أدوات، يقول

و لا يلفظ.

و هو مبطل لقولهم بأنّ الربّ يتكلّم و ينطق بلسان العبد و يسمع بسمعه لتجلّيه فيه و فى جوارحه عموما، و قد مرّ بيان ذلك تفصيلا.

و صرّح محيى الدّين بذلك أى بأنّ كلامه كلامه خصوصا فى الفصّ العيسوى حيث قال فى تأويل قوله تعالى على رأيه الفاسد خطابا لعيسى: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »، ما نصّ عبارته:

«فقال و قدم التّنزيه سبحانك فحدّد بالكاف الّتى تقتضى المواجهه و الخطاب».

قال القيصرى: أى نزّه الحقّ أولا ـ عن مقام فيه و هو العبوديه المنعوتيه بالامكان و نقايصه اللازمه له، و ميّز بين مقام الالوهيّه و العبوديّه بكاف الخطاب و المواجهه كما خاطبه الحقّ بضمير الخطاب، و ذلك التّنزيه و التّميز هو التحديد كما مر فى الفصّ النّوحى.

لذلك قال فحدّد بالكاف «ما يكون لى من حيث أنا لنفسى دونك أن أقول ما ليس لى بحقّ أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى» قد مرّ مرارا أنّ لكلّ موجود جهتين: جهه الربّوبيّه و جهه العبوديه، و الثانى متحقّق بالأوّل فقوله: ما يكون لى أى لنفسى من جهه العبوديّه و الانانيّه مجرّده من جهه الربّوبيّه و الهويّه الالهيّه، أن أقول ما ليس لى بحقّ ثابت فى نفس الأمر، و قوله: أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى تفسير لقوله: ما يكون لى، و معناه ما يقتضيه عينى و هويّتى أن يظهر بدعوى الالوهيّه من حيث نفسها المتعيّنه كالفراعنه و إلّا ما كنت نبيّا و لا من المرسلين.

«ان كنت قلته فقد علمته لأنّك أنت القائل فى صورتى و من قال أمرا فقد علم

ما قال و أنت اللّسان الّذى أ تكلّم به» أى أنت القائل فى صورتى و أنت اللّسان الّذى أتكلّم به بحكم انّك متجلّى فى هويّتى و عينى، و محلّ لها بتلك الكمالات «الكلمات ظ»، فهى لك فى الحقيقه و مالى إلاّ العدم، فان قلت ذلك تكون أنت القائل و القائل لا بدّ أن يعلم القول الّذى صدر منه.

فان قلت: قوله: لأنّك أنت القائل، يدلّ على أنّ الحقّ هو المتكلّم، و قوله:

و أنت اللّسان الّذى أتكلّم به، يدلّ على أنّ العبد هو المتكلّم لا الحقّ فبينهما منافاه.

قلت: الأوّل إشاره الى نتيجه قرب الفرائض، و الثانى إلى نتيجه قرب النوافل و فى الأوّل المتكلّم هو الحقّ بلسان العبد، و فى الثانى المتكلّم هو العبد بلسان الحقّ، فتغايرت الجهتان.

و لمّا فسّره بما هو مناسب الحديث الرّبّانى قال «كما أخبرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن ربّه فى الخبر الالهى فقال: كنت لسانه الّذى يتكلّم به فجعل هويّته عين لسان المتكلّم و نسب الكلام الى عبده» أى قال اللّه فى حقّ عبده، فاذا أحببته كنت سمعه و بصره و لسانه فبى ينطق و بى يبصر و بى يسمع فالمتكلم و السّميع و البصير هو العبد لكن بالحقّ و ذلك لأنّ هذا المقام أى مقام الفناء فى الصّفات مقام نتيجه النوافل لا مقام الفناء فى الذّات مقام نتيجه الفرائض.

«ثمّ تمم العبد الصالح الجواب بقوله: تعلم ما فى نفسى» أى تعلم ما فى نفسى من هويتك و كمالاتك المتسرّه فى هويتى و ما يخطر فى خاطرى «و المتكلم الحقّ» أى و الحال أنّ المتكلم بهذا الكلم هو الحق من مقام تفصيله بلسان عيسى، و التاء للخطاب إلى مقام جمعه فهو السامع كما أنه هو المتكلم «و لا أعلم ما فيها فنفى العلم عن هويه عيسى من هويته لا من حيث هو قائل و ذو أثر» أى نفى الحقّ المتكلم بلسان عيسى العلم عن هويه عيسى حتى لا يكون العلم بها، و ذلك النفى من حيث هويته العدميه لا من حيث قائل أو قادر فانه من هذه الحيثيه حق لا غير، و إنما قال و لا أعلم ما فيها و لم

يقـل مـا فى نفسـك كما فى القرآن تنبيها على أنّ نفسه عين نفس الحقّ فى الحقيقه و إن كان غيره بالتعيّن، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فيا للّه و لهذين الجاهلين الضليلين كيف يحرفون كلام اللّه و كلام رسوله عن مواضعه ثمّ يقولون هذا من عند اللّه و ما هو من عنـد اللّه، و يؤوّلون آيـات الكتاب المجيـد الوارده فى التوحيـد و التمجيـد و التنزيه من التشبيه و التحديـد إلى كلمه الكفر و الشّـرك و الضّـلال زعما منهم أنّ هذا عين الاخلاص و التّوحيد الذى غاب عن غيرهـم، و اختصّوا بعرفانه بالكشف و الشـهود مع أنّه عين الشّرك و الالحاد و الجحود، و ويل لمن كفّره نمرود.

قـال قطب الـدّين بن محيى الـدّين الكوشـكتارى و هو من أجـلّ مشايـخ الصّوفيه أيّما رجل من أهل الكشف وجـدنا اسـلوبه فى عبارته عن مكاشـفاته يغاير اسلوب صاحب الوحى علمنا أنّه مدخول و كشفه معلول، و أنّ الحرص و العجله دعتاه إلى تركيب ما قـذف فى قلبه من النّور البسـيط و التصـرّف فيه و التخليط، ثمّ إنّ هـذا الاسـلوب الذى انتشـر فى الأرض من صاحبى الفصوص و النّصوص اسـلوب هو عن المناسبه و المشـابهه باسـلوب صـاحب الوحى بمعزل بالكلّيه، فيحصل لنا بمقتضـى ذلك القانون العلم بأنّهما معلولان و فى كشفهما مدخولان، فيكون سبيلنا مع كلامهما و كتبهما الهجران، انتهى.

و لنعم ما قال الفاضل الفيض ملاّ محسن القاسانى فى أواخر كتابه المسمّى بشارات الشّيعه ما عبارته:

هـذا شـيخهم الاـكبر محيى الـدّين ابن العربى و هو من أئمّه صوفيتهم و من رؤسـاء أهل معرفتهم يقول فى فتوحاته: إنّى لم أسأل اللّه أن يعرّفنى امام زمانى، و لو كنت سألته لعرّفنى، فاعتبروا يا اولى الأبصار.

فـانه لمـا اسـتغنى عن هـذه المعرفه مع سـماعه حـديث من لا يعرف امام زمانه مات ميته جاهليه المشـهور بين العلماء كافه كيف خذله اللّه و تركه و نفسه، فاستهوته الشّياطين فى أرض العلوم حيران، فصار مع وفور علمه و دقّه نظره و سيره فى أرض

الحقائق و فهمه للأسرار و الدّقايق لم يستقم فى علم من علوم الشرائع، و لم يعرض على حدودها بضرس قاطع، و فى كلامه من مخالفات الشرع الفاضحه و مناقضات العقل الواضحه ما يضحك منه الصّبيان و تستهزئ به النسوان كما لا يخفى على من تتبع تصانيفه و لا سيّما الفتوحات خصوصا ما ذكره فى أبواب أسرار العبادات.

ثمّ مع دعاويه الطويله العريضه فى معرفه اللّه و مشاهدته المعبود و ملازمته فى عين الشهود و تطوافه بالعرش المجيد و فنائه فى التوحيد تراه ذا شطح و طامات، و صلف و رعونات فى تخليط و تناقضات تجمع الأضداد، و فى حيره محيّره تقطع الأكباد، يأتى تاره بكلام ذى ثبات و ثبوت، و اخرى بما هو أوهن من بيت العنكبوت و فى كتبه و تصانيفه من سوء أدبه مع اللّه فى الأقوال ما لا يرضى به مسلم بحال، فى جمله كلمات مزخرفه مخبّطه تشوّش القلوب و تدهش العقول و تحيّر الأذهان، و كأنه كان يرى فى نفسه من الصور المجرّده ما يظهر للمتخلّى فى العزله فيظنّ أنّ لها حقيقه و هى له، فكان يتلقّيها بالقبول و يزعم أنها حقيقه الوصول، و لعله ربما يختلّ عقله لشدّه الرياضه و الجوع، فيكتب ما يأتى بقلمه مما يخطر بباله من غير رجوع، انتهى.

و لعمرى أنه كلام فى شرح حال ابن العربى ليس فوقه كلام، و هذا أيضا حال من حذا حذوه من تلامذته و متابعيه، و مع هذا كله فالعجب كلّ العجب من ادّعائهم أنهم العارفون باللّه و أنّ غيرهم لمحجوبون مع أنهم الجاهلون الضالون المكذّبون للأنبياء و المرسلين، فويل لهم ثمّ ويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون.

و لو أردت البسط من مزخرفاتهم لخرجنا عن وضع الكتاب، و فيما أوردناه من أحاديث الأئمه الأطهار و الأطياب و نقلنا من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام الوارده فى هذا الباب كفايه فى تسفيه أحلامهم، و ابطال مقالهم لاولى الألباب.

و أكثر الخطب تضمنا لهذا الغرض الخطبه المأه و الخامسه و الثمانون التى نقلنا منها هنا أخيرا عدّه فقرات، و من أراد زياده البصيره فليراجع أصل الخطبه.

و تتلوها خطبه اخرى لأبى الحسن الرضا عليه السّلام و أكثر فقراتها و مضامينها مطابقه لخطبه جدّه سلام اللّه عليه و آله، و لمّا كانت خطبته عليه السّلام متضمنه لزيادات نفيسه و نكات بديعه خلت عنها خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام أحببت روايتها.

و النّاقد المتوقّد الخبير المحيط خبرا بما قدّمناه من الأدلّه النّقليه فى ابطال مقال هؤلاء الجهّال من أهل الضّلال إن لاحظ هذه الخطبه بنظر الدّقّه و الاعتبار، و وصل إلى فحويها و عمق فى معناها عرف أنّها فى الحقيقه فذلكه تلك الأدلّه، و أنّها قالعه لأساس بنيان مذهب الصّوفيّه أصابهم حاصب و لا بقى منهم آبر حتّى لا يذكر من هذا المذهب ذاكر، و لا يسمر فيه سامر، فأقول و باللّه التّوفيق:

روى المحدّث العلامه المجلسى فى البحار من التّوحيد و العيون قال:

حدّثنا محمّدث بن الحسن بن الوليد رضى اللّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب عن محمّد بن أبى زياد القلزمى عن محمّد بن أبى زياد الجدّى صاحب الصّلاه بجدّه، قال: حدّثنى محمّد بن يحيى بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون فى التّوحيد.

قال ابن أبى زياد: و رواه لى أيضا أحمد بن عبد اللّه العلوىّ مولى لهم و خالا لبعضهم، عن القاسم بن أيّوب العلوىّ أنّ المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرّضا عليه السّلام جمع بنى هاشم فقال: إنّى اريد أن أستعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدى فحسده بنو هاشم و قالوا تولّى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافه فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا نعبد اللّه عليه.

فصعد عليه السّلام المنبر فقعد مليّا لا يتكلّم مطرقا ثمّ انتقض انتفاضه و استوى قائما و حمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على نبيّه و أهل بيته ثمّ قال:

أوّل عباده اللّه معرفته، و أصل معرفه اللّه توحيده، و نظام توحيد اللّه نفى الصّفات عنه، لشهاده العقول أنّ كلّ صفه و موصوف مخلوق، و شهاده كلّ موصوف

أنّ له خالقا ليس بصفه و لا موصوف، و شهاده كلّ صفه و موصوف بالاقتران، و شهاده الاقتران بالحدث، و شهاده الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث فليس اللّه من عرّف بالتشبيه ذاته، و لا إيّاه و حدّ من اكتنهه، و لا حقيقته أصاب من مثّله، و لا به صدّق من نهّاه، و لا صمد صمده من أشار إليه، و لا إيّاه عنى من شبّهه، و لا له تذلّل من بعّضه، و لا ايّاه أراد من توهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، و كلّ قائم فى سواه معلول، بصنع اللّه يستدلّ عليه، و بالعقول تعتقد معرفته و بالفطره تثبت حجّته، خلقه اللّه الخلق حجاب بينه و بينهم، و مباينته إيّاهم مفارقته أينيتهم «انيّتهم» و ابتداؤه إيّاهم دليلهم على أن لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره، و أروه إيّاهم دليلهم على أن لا أداه فيه، لشهاده الأدوات بفاقه المادّين، فأسماؤه تعبير، و أفعاله تفهيم، و ذاته حقيقه، و كنهه تفريق بينه و بين خلقه، و غيوره تحديد لما سواه، فقد جهل اللّه من استوصفه، و قد تعدّاه من اشتمله، و قد اخطأه من اكتنهه، و من قال كيف فقد شبّهه، و من قال لم فقد علّله، و من قال متى فقد وقّته، و من قال فيم فقد ضمنه، و من قال إلى م فقد نهّاه، و من قال حتّى م فقد غيّاه، و من غيّاه فقد غاياه، و من غاياه فقد جزّاه، و من جزّاه فقد وصفه، و من وصفه فقد الحد فيه، لا يتغيّر اللّه بانغيار المخلوق كما لا يتحدّ بتحديد المحدود أحد لا بتأويل عدد، و ظاهر لا بتأويل المباشره، متجلّى لا باستهلال رؤيه، باطن لا بمزايله، مباين لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول فكره، مدبّر لا بحركه، مريد لا بهمامه، شاء لا بهمه، مدرك لا بمجسّه، سميع لا باله، بصير لا بأداه، لا تصحبه الأوقات، و لا تضمنه الأماكن، و لا تأخذه السنات، و لا تحدّه الصفات، و لا تفيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، و العدم وجوده، و الابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، و بمقارنته بين الامور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمه، و الجلايه بالبهم، و الجسوء بالبلل، و الصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها

على مفرّقها، و بتأليفها على مؤلّفها ذلك قوله عزّ و جلّ «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » ففرّق بها بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له و لا بعد، شاهده بغرايزها أن لا غريزه لمغرزها، داله بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبره بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بينها غيرها، له معنى الرّبوبيه إذ لا مربوب، و حقيقه الالهيه إذ لا مألوه، و معنى العالم و لا معلوم، و معنى الخالق و لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع، و ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، و لا باحداثه البرايا استفاد معنى البرّائيّه، كيف و لا تغيّبه مذ، و لا تدنيه قد، و لا يحجبه لعلّ، و لا يوقّته متى، و لا يشتمله حين، و لا تقارنه مع، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، و تشير الاله إلى نظايرها و فى الأشياء يوجد فعالها، منعتها مذ القدمه، و حمتها قد الازليه، و جنبتها لو لا التّكمله، افترقت فدلّت على مفرّقها، و تباينت فاعربت عن مباينها، بها تجلّى صانعها للعقول، و بها احتجب عن الرّؤيه، و إليها تتحاكم الأوهام، و فيها اثبت غيره، و منها انيط الدّليل، و بها عرّفها الاقرار، بالعقول يعتقد التّصديق باللّه، و بالاقرار يكمل الايمان به، لا ديانه إلّا بعد معرفه، و لا معرفه إلّا باخلاص. و لا إخلاص مع التّشبيه، و لا نفى مع إثبات الصّفات للتّشبيه «بالتشبيه خ ل» فكلّما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، و كلّما يمكن فيه يمتنع فى صانعه، لا تجرى عليه الحركه و السكون، و كيف يجرى عليه ما هو أجراه، و يعود فيه ما هو ابتداه، إذا لتفاوتت ذاته، و لتجزّء كهنه، و لامتنع من الأزل معناه، و لما كان للبارى معنى غير المبرء، و لو حدّ له وراء إذا حدّ له أمام، و لو التمس له التّمام إذا لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، و كيف ينشىء الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذا لقامت فيه آيه المصنوع، و لتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه، ليس فى محال القول حجّه، و لا فى المسأله عنه جواب، و لا فى معناه له تعظيم، و لا فى إبانته من الخلق ضيم إلّا بامتناع الأزليّ ان يثنى، و ما لا بدء له أن يبدء، لا إله إلّا اللّه العليّ العظيم، كذب العادلون باللّه و ضلّوا ضلالا بعيدا، و خسروا خسرانا مبينا، و صلّى اللّه على محمّد و آله الطاهرين.

و رواه فی البحار أیضا من الاحتجاج مرسلا من قوله علیه السّلام: و کان المأمون لمّا أراد أن یستعمل الرّضا علیه السّلام إلی آخر الخبر.

و من أمالی الشّیخ عن المفید عن الحسن بن حمزه العلوی عن محمّد الحمیری عن أبیه عن ابن عیسی عن مروک بن عبید عن محمّد بن زید الطوسی الطبری قال: سمعت الرّضا علیه السّلام یتکلّم فی توحید اللّه فقال: أوّل عباده اللّه معرفته إلی آخر الخطبه.

و من المجالس عن الحسن بن حمزه مثله بتغییر ما.

بیان

قال المحدّث العلامه المجلسیّ قد «ملیّا» أی طویلا و «الانتفاض» شبه الارتعاد و الاقشعرار.

قوله «أوّل عباده اللّه معرفته» نظیر قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه الاولی: أوّل الدّین معرفته، أی أشرف عبادته و أقدمها زمانا و رتبه، لأنّ طاعه المعبود بعد معرفه نفس المعبود، و قال بعض المحقّقین: المراد بالعباده هنا العبودیه أن کون العبد عبدا، فانّه موقوف علی معرفه المولی، و أصل المعرفه التوحید إذ مع اثبات الشریک أو القول بترکّب الذّات، أو زیاده الصّفات یلزم القول بالامکان المنافی للوجوب، فالمشرک القائل بالتّعدد لم یعرف الواجب.

قوله «و نظام توحید اللّه نفی الصّفات عنه» قد عرفت معناه فی شرح الخطبه الاولی و نقول هنا إنّه علیه السّلام استدلّ علی نفی الصّفات الزائده بقوله «لشهاده العقول» إلی قوله «من الحدث».

قال فی البحار: و یمکن تقریره بوجوه:

الأوّل أن یکون إشاره إلی دلیلین:

الأوّل أن کلّ صفه و موصوف لا بدّ أن یکونا مخلوقین لأنّ الصفه محتاجه إلی الموصوف لقیامها به و هو ظاهر، و الموصوف محتاج إلی الصفه فی کماله و الصفه غیره و کلّ محتاج إلی الغیر ممکن، فلا یکون شیء منهما واجبا و لا المرکب منهما، فثبت احتیاجهما إلی علّه ثالثه لیس بموصوف و لا صفه و إلاّ

لعاد المحذور.

الثانی أنّ الصانع لا بدّ أن یکون کاملا أزلا و أبدا، لشهاده جمیع العقول به، فلا بدّ أن تکون الصّفات الزائده مقارنه له غیر منفکه عنه، و لا یجوز قدم الجمیع لبطلان تعدّد القدماء، فیلزم حدوث الذّات و الصّفات معا، فلا یکون شیء منهما واجبا، فالمراد بقوله: شهاده کلّ صفه و موصوف شهاده کلّ موصوف فرض صانعا و صفته أو الصّفات اللازمه للذّوات.

الوجه الثانی أن یکون إشاره إلی دلیلین علی وجه آخر:

الأوّل أنّه لو کانت له صفات زایده لکانت ممکنه لامتناع تعدّد الواجب، و لا یجوز أن یکون الواجب موجدا لها إمّا لامتناع کون الشیء قابلا و فاعلا لشیء واحد، أو لأنّ تأثیر الواجب فیها یتوقّف علی اتّصافه بتلک الصّفات إذ لو لم یتوقف التّأثیر فی تلک الصّفات الّتی هی منشأ صدور جمیع الممکنات علیها لم یتوقّف التّأثیر فی شی علیها، فلا یثبت له تعالی شیء من الصّفات، فیکون معلوله لغیره تعالی، و من کانت جمیع صفاته الکمالیّه من غیره لا یکون واجبا صانعا لجمیع الموجودات بالضّروره الثانی أنّ التّوصیف اقتران خاصّ یوجب الاحتیاج من الجانبین کما مرّ، و الاحتیاج موجب للحدوث المنافی للأزلیّه.

الوجه الثالث أن یکون راجعا إلی دلیل واحد.

و تقریره أنّه لو کانت الصّفات زایده لکانت الذّات و الصّفات مخلوقه، و هذا خلف، و بین الملازمه بقوله: و شهاده کلّ صفه و موصوف بالاقتران بنحو ما مرّ من الاحتیاج المستلزم للامکان.

و قد یقرّر بوجه آخر و هو أنّ العقل مستقل بأنّ الموصوف و الصفه مخلوقان، لأنّ الذّات لو کانت عین الوجود و لم تکن محدوده بحدّ معیّن لم تکن فاقده لجهه من جهات الکمال الطاریه علیها، و لم یتمیّز الموصوف عن الصّفه حینئذ، و کلّ محدود محتاج إلی محدّد غیره، و ذلک الغیر لا بدّ أن یکون أحدیّ

الذّات منزّها عن الحدّ.

قوله عليه السّلام «فليس اللّه من عرّف بالتّشبيه ذاته» أى ليس من عرّف ذاته بالتّشبيه بالممكنات واجبا، لأنّه يكون ممكنا مثلها.

قوله «و لا ـ إيّاه عنى من اكتنهه» أى من بين كنه ذاته أو أراد الوصول إلى كنهه، إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكا مع الممكنات فى التّركيب و الصفات الامكانيّه و هو ينافى التّوحيد، و بعباره اخرى معرفه الكنه إنّما تحصل بالاحاطه بالحدود من الأجناس و الفصول، و قد عرفت أنّه سبحانه منزّه عن الحدّ، فغايه معرفته تعالى أنّا لا نعرفه بل نقول: إنّ الاحاطه بأنواع الممكنات على كثرتها و الاطلاع على شئوناتها الغير المتناهيه غير ممكنه، مع أنّها محدوده فكيف بالذات المنزّهه عن الحدّ.

قوله «و لا ـ حقيقته أصاب من مثّله» أى جعل له شخصا و مثالا ـ قال الفيروز آبادى: مثّله تمثيلا صوّره له حتّى كأنّه ينظر إليه، أو المراد من مثّله فى ذهنه و جعل الصّوره الذهنيّه مثالا له، أو المراد أثبت له مثلا و شبّهه بغيره، و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين تحقيق تنزّهه من الشّبه و المثل.

قوله «من نهّاه» بالتّشديد أى جعل له حدّا و نهايه، و من جعله كذلك لم يصدّق بوجوده بل بممكن غيره.

قوله «و لا صمد صمده» أى قصد نحوه «من أشار إليه» و قد مرّ تحقيق ذلك أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

قوله «و لا له تذلل من بعّضه» أى من أثبت أجزاء و أبعاضا فهو فى عبادته و عبوديّته لم يتذلّل للحقّ المنزّه عن ذلك، بل عرفه و هو غيره.

و قوله «و لا إيّاه أراد من توهّمه» أى من تخيّل له فى نفسه صوره أو هيئه و شكلا، فانّ ما ميّزه بوهمه مخلوق له مصنوع مثله.

و قوله «كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواه معلول» قد تقدّم تحقيقه فى شرح الخطبه المذكوره، و لما ذكر عدم إمكان معرفته بنفسه اتبعه

بقوله «بصنع اللّه يستدلّ عليه» إشاره إلى أنّ طريق معرفته هو الاستدلال عليه باثاره و صنايعه فقط.

و قوله «بالفطره تثبت حجّته» أى بأن فطرهم و خلقهم خلقه قابله للتصديق و الاذعان و المعرفه و الاستدلال، أو بتعريفهم فى الميثاق و فطرهم على ذلك التّعريف.

و قوله «خلقه اللّه الخلق حجاب بينه و بينهم» أى كونه خالقا و أنّ الخالق لا يكون بصفه المخلوق و يكون مباينا له فى الصّفات صار سببا لاحتجابه عن الخلق فلا يدركونه بحواسّهم و عقولهم و الحاصل أنّ كماله و نقص مخلوقيه حجاب بينه و بينهم، و بتقرير آخر لما خلق اللّه الخلق محدودا و كان سبحانه منزّها عن الحدّ حسبما عرفت سابقا أوجب تحدّدهم و تنزّهه الاحتجاب.

و الحاصل أنّ المخلوقيّه علّه تامّه للاحتجاب، لأنّ الاشتمال على الحدّ من لوازم ذات المخلوق فيستحيل إلقاؤه للحدّ و وصوله إلى مرتبه الواجب أو اشتمال الواجب على الحدّ و تنزّله على مرتبه الممكن، فيبطل ما قاله الصوفيّه من ترقّى المخلوق إلى مرتبه الخالق، و تنزّل الخالق إلى مرتبه المخلوق فى قوس الصعود و النزول و احتجاب كلّ منهما بالاخر حسبما قدّمنا حكايته عن كلام محيى الدين فى الفصّ الابراهيمى و غيره.

و قوله «و مباينته إيّاهم مفارقته إينيّتهم» أى مباينته تعالى ليس بحسب المكان حتّى يكون فى مكان و غيره فى مكان آخر بل إنّما هى بأن فارق أينيّتهم فليس له أين و مكان و هم محبوسون فى مطموره المكان، أو المعنى أنّ مباينته لمخلوقيه فى الصّفات صار سببا لأن ليس له مكان.

و رواه بعض مشايخنا المعاصرين: مفارقته إنيّتهم أى تحقّقهم و وجودهم يعنى أنّ مفارقه الخالق للمخلوقات ليس كافتراق المخلوقات بعضها عن بعض، لأنّ مفارقتها إنّما هو بالحدود المميّزه و إنما هو بمعنى أجلّ و أعلى و هو مفارقه وجوده

من حيث تنزّهه عن الحدّ لوجودها من حيث اشتمالها على الحدود، و هذا أيضا مبطل لقولهم: بأنّ الخلق عين الحقّ و الحقّ عين الخلق كما عرفت سابقا.

قوله «و أدوه إيّاهم دليل على أن لا أداه فيه» أى جعلهم ذوى أدوات يحتاجون إليها فى الأعمال من الأعضاء و الجوارح و القوى دليل على أنّه ليس فيه شىء منها، لشهاده الأدوات فيما يشاهد فى المادّين بفاقتهم و احتياجهم إليها، و هو منزّه عن الاحتياج، أو المعنى أنّ الأدوات الّتى هى أجزاء للمادّين تشهد بفاقتهم إلى موجد لكون كلّ ذى جزء محتاجا ممكنا فكيف تكون فيه تعالى.

قوله «فأسماؤه تعبير» أى ليست عين ذاته و صفاته حسبما يزعمه الصوفيه على ما عرفت بل هى معبّرات عنها «و أفعاله تفهيم» ليعرفوه و يستدلوا بها على وجوده و علمه و قدرته و حكمته و رحمته.

قوله «و ذاته حقيقه» أى حقيقه مكنونه عاليه لا تصل إليها العقول، بأن يكون التنوين للتفخيم أو جديره بأن تتّصف بالكمالات دون غيرها أو ثابته واجبه لا يعتريها التغيّر و الزّوال.

قوله «و كنهه تفريق بينه و بين خلقه» لعلّ الغرض بيان أنه لا يشترك فى ذاتى مع الممكنات بأبلغ وجه، أى كنهه يفرق بينه و بينهم لعدم اشتراكه معهم فى شىء، هكذا قال فى البحار، و الأظهر أنّ المراد به هو المراد بقوله المتقدّم: مباينته إياهم مفارقته إنّيتهم أى انه سبحانه بذاته مفارق لهم لأن كنهه هو التنزّه من الحدّ و كنه المخلوق الاكتناف بالحدود.

و يؤيّد ذلك قوله «و غيوره تحديد لما سواه» أى مغايرته له أوجب التحديد، يعنى أنّ مغايرته لما سواه ليس كمغايره ما سواه من المخلوقات بعضها ببعض، فانّ مغايرتها بالحدود الذّاتيه و مغايره الحقّ لها إنّما هو بالتّنزّه من الحدّ لا غير.

و قوله «من استوصفه» أى طلب وصف كنهه أو سأل عن الأوصاف و الكيفيّات الجسمانيّه فقد جهل عظمته.

و قوله «و قد تعدّاه من اشتمله» أى تجاوز عنه و لم يعرفه من توهّمه شاملا

ص:٢٣١

لنفسه، فيكون ردّا على القول بالحلول و الاتّحاد كما هو مذهب الصّوفيّه، و فى بعض النسخ أشملة أى جعله شاملا أو مشمولا و على التقديرين ففيه أيضا دلاله على بطلان مذهبهم.

قوله «و قد أخطأه من اكتنهه» أى من توهّم أنّه عرف كنهه فقد أخطأ خطاء عظيما.

قوله «و من قال كيف فقد شبّهه» أى من سأل عن الكيفيّات الجسمانيّه فقد شبّهه بخلقه فى التكيّف بالكيفيّه «و من قال لم فقد علّله» أى لم صار قادرا و عالما أو لم صار موجودا فقد علّل ذاته و صفاته، و ليس لذاته و صفاته علّه و إنّما هو تعالى علّه العلل «و من قال متى فقد وقّته» لأنّ متى سؤال عن نسبه الشىء إلى الزّمان فمن قال متى كان فقد وقّت أوّل وجوده و ليس له أوّل «و من قال فيم فقد ضمّنه» أى من سأل أنّه فى أىّ شىء فقد جعله فى ضمن ذلك الشىء و جعل ذلك الشىء متضمّنا له و هو من خواص الأجسام و اللّه سبحانه منزّه عن ذلك «و من قال إلى م فقد نهّاه» أى إلى أىّ شىء ينتهى شخصه فقد جعله ذا نهايه و انقطاع «و من قال حتّى م» يكون وجوده «فقد غيّاه» أى جعل لبقائه غايه و نهايه «و من غيّاه فقد غاياه» أى من جعل له غايه فقد حكم باشتراكه مع المخلوقين فى الفناء فيصحّ أن يقال غايته قبل غايه فلان أو بعده «و من غاياه فقد جزّاه» أى من حكم باشتراكه مع المخلوقين و لو فى الجمله فقد جزّاه، لأنّ ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فلا بدّ أن يكون ذا أجزاء بعضها جهه امتياز و بعضها جهه اشتراك.

و يحتمل أن يكون المراد أنّ السائل عنه تعالى بحتّام توهّم فى حقّه الغايه و النهايه و المتوهّم فى حقّه الغايه جعله ذا نهايه ينتهى إليها و الجاعل له النهايه جعله مركبا من الأجزاء، إذ النهايه من لوازم الكم المتصل و المنفصل و المتكمم المشتمل على الأجزاء، و بعباره اخرى الغايه و النهايه من عوارض الأجسام و ذات الأوضاع و المقادير و الأجزاء.

«و من جزّاه» أى أثبت له الجزء «فقد وصفه» بصفه الامكان و أثبت له صفات

ص:٢٣٢

الممكنات المتجزّأه و من حكم بذلك فقد ألحد فى ذاته.

و قوله «لا يتغيّر اللّه بانغيار المخلوق كما لا ينحدّ بتحديد المحدود» أى ليس التغيّرات التى تكون فى مخلوقاته موجبه للتغيّر فى ذاته و صفاته الحقيقيه، بل انما التغير فى الاضافات الاعتباريه كما أنّ خلقه للمحدودين حدودا لا يوجب كونه متحدّدا بحدود مثلهم.

و يحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغيّر كتغيّر المخلوقين و لا ينحدّ كتحدّد المصنوعين المحدودين، أى لا يتغيّر بمثل تغيّرهم و لا ينحدّ بمثل تحدّدهم، و المعنى الأوّل أظهر و يؤيده ما فى روايه المجالس: لا يتغيّر اللّه بتغيّر المخلوق و لا يتحدّد بتحدّد المحدود.

و قال بعض مشايخنا المحقّقين دام تأييده من اللّه: إنّ المراد به أنّ مغايره المخلوق للخالق و قبوله للغيريه و انفعاله بذلك لا يوجب التغيّر فيه أصلا إذ لم يحدث فيه جهه موجبه لمغايرته لمخلوقه، بل كان كما كان و إنما حصلت الغيريه فى المخلوق و تميز عن الخالق من أجل اتّصافه بالحدود و تحدّد كلّ نوع منه بحدّ مخصوص، و الواجب لم يخصّص بحدّ يوجب المغايره و التميّز به عن المخلوق و قوله كما لا ينحدّ آه بمنزله الدّليل على ذلك، لأنّ التغيّر بانغيار المخلوق إنما ينتزع من الاختصاص بحدّ مخصوص فى قبال الحدّ الّذى فى المخلوق، كما أنّ تغاير المخلوقات بعضها ببعض على ذلك الوجه أى من جهه أنّ لكلّ منها حدّا مخصوصا ليس فى الاخر، و اللّه سبحانه لمّا كان منزّها عن الحدّ لا يوجب انغيار المخلوق الحاصل له من الاكتناف بالحدود تغيّره البتّه.

و محصّله ما قاله أمير المؤمنين فى الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين: و خرج بسلطان الامتناع من يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره.

و قوله «أحد لا بتأويل عدد» يعنى أنّه أحدىّ الّذات بسيط الحقيقه لا جزء له ذهنا و عقلا و خارجا، أو أنه واحد ليس كمثله شىء و ليست وحدته وحده عدديّه لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد.

و قوله «ظاهر لا بتأويل المباشره» أى ليس ظهوره بأن يباشره حاسّه من الحواسّ

ص:۲۳۳

أو ليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال: ظهر على السّطح، بل هو ظاهر باثاره غالب على كلّ شيء بقدرته.

و قوله «متجلّى لا باستهلال رؤيه» أى ظاهر ليس ظهوره من جهه الرؤيه.

و قوله «باطن لا بمزايله» أى ليس بطونه بمفارقه مكان بأن انتقل من مكان إلى مكان فخفى عنهم، أو بأن دخل فى بواطنهم حتّى عرفها بل لخفاء كنهه عن عقولهم و علمه ببواطنهم و أسرارهم.

و قوله «مباين لا ـ بمسافه» أى ليس مباينته لبعده بحسب المسافه عنهم بل لغايه كماله و تمامه و نقصانهم و افتقارهم باينهم فى الذّات و الصّفات.

و قوله «قريب لا بمداناه» أى ليس قربه قربا مكانيا بالدّنوّ من الأشياء، بل بالعلم و الغلبه و التربيه و الرّحمه.

و قوله «لطيف لا ـ بتجسم» أى ليس لطفه بكونه جسما له قوام رقيق أو حجم لطيف أو تركيب غريب و صنع عجيب، بل لخلقه الأشياء اللطيفه و علمه بها أو لتجرّد ذاته.

و قوله «فاعل لا باضطرار» أى هو فاعل مختار ليس بموجب.

قوله «مقدّر لا بجول فكره» أى ليس فى تقديره للأشياء محتاجا إلى جولان الفكر.

قوله «مدبّر لا بحركه» أى ليس فى تدبيره محتاجا إلى حركه ذهنيه أو بدنيّه قوله «مريد لا بهمامه» أى بعزم و اهتمام.

قوله «شاء لا بهمه» أى ذو مشيه لا بهمه و قصد و عزم.

قوله «مدرك لا بمجسه» أى ليس إدراكه بحسّ اليد و لمسها أو بالتجسّس و التفحّص.

قوله «لا تصحبه الأوقات» لكونه منزّها من الزّمان.

و قوله «لا تضمنه» بحذف إحدى التائين.

قوله «و لا تأخذه السّنات» كما قال تعالى «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ »، لأنّهما من خواص الطبيعيه الحيوانيّه.

قوله «و لا ـ تحدّه الصّيفات» أى لا تحدّه صفات الواصفين كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام الحمد للّه الّذى لا يبلغ مدحته القائلون.

ص:۲۳۴

قوله «و لا تفيده الأدوات» أى لا ينتفع بها و لا يحتاج فى صنعه إلى الاستفاده منها كما هو شأن المخلوق.

و قوله «سبق الأوقات كونه» إلى قوله «لا مشعر له» قد مضى تحقيق ذلك كلّه فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين فليراجع ثمه.

و قوله «بتجهيره الجواهر عرف أن لا ـ جوهر له» أى بتحقيق حقايقها و ايجاد مهيّاتها عرف أنّها ممكنه و كلّ ممكن محتاج إلى مبدء فمبدأ المبادى لا يكون حقيقه من هذه الحقائق.

و قوله «و بمضادّته بين الأشياء» إلى قوله «لا قرين له» قد تقدّم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره و لا حاجه إلى الاعاده و كذا تقدّم هناك معنى قوله «ضادّ النّور بالظلّمه و الجلايه بالبهم» إلاّ أنّ هناك و الوضوح بالبهمه، بدله.

و قوله «و الجسوء بالبلل» قال الفيروزآبادى: جسأ جسوء صلب و جسئت الأرض فهى مجسوءه من الجساء و هو الجلد الخشن و الماء الجامد و فى الخطبه المذكوه:

و الجمود بالبلل، بدله.

و قوله «و الصّرد بالحرور» الصّرد بفتح الرّاء و سكونها البرد فارسىّ معرّب و الحرور بضمّ الحاء الحراره و بفتحها الرّيح الحارّه.

و قوله «مؤلّف بين متعادياتها» إلى قوله «على مؤلّفها» قد تقدّم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

و قوله: «ذلك قوله عزّ و جلّ: «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » استشهاد لكون التّأليف و التّفريق، دالّين على الصّانع بالتّقريب الّذى قدّمناه فى شرح الخطبه المذكوره و قال بعض المفسّرين: المراد بالشىء الجنس و أقلّ ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كلّ جنس نوعان كالجوهر فمنه المادّى و المجرّد، و من المادّى الجماد و النّامى و من النّامى النّبات و المدرك الصّامت و النّاطق، و كلّ ذلك دليل على أنّه واحد لا كثره فيه و قيل: كلّ موجود دون اللّه ففيه زوجان اثنان:

كالمهيّه و الوجود، و الوجوب و الامكان، و المادّه و الصوره، و الجنس و الفصل،

ص:۲۳۵

و أيضا كلّ ما عداه يوصف بالمتضايفين كالعليّه و المعلوليّه و القرب و البعد و المقارنه و المباينه و التألّف و التّفرّق و المعاداه و الموافقه و غيرها من الامور الاضافيّه فقوله:

«لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » أى تعرفون من اتّصاف كلّ مخلوق بصفه التركيب و الزّوجيّه و التّضايف أنّ خالقها واحد أحد لا يوصف بصفاتها.

و قوله «ليعلم ان لا قبل له و لا بعد» يدلّ على عدم كونه تعالى زمانيّا، و يحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القبليه و البعديّه ليحكموا أن ليس شيء قبله و لا بعده.

و قوله «شاهده بغرائزها أن لا غريزه لمغرّزها» أى شاهده بطبايعها على أن لا طبيعه لموجد طبائعها و مفيضها عليها، و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط «و المفاوت» بصيغه الفاعل من جعلها بينها التّفاوت «و توقيتها» تخصيص حدوث كلّ منها بوقت معيّن و بقائها إلى وقت معيّن.

و قوله «حجب بعضها عن بعض» أى بالحجب الجسمانيّه أو الأعمّ ليعلم أنّ ذلك نقص و عجز و هو منزّه عن ذلك، بل ليس لهم حجاب عن الرّب إلّا أنفسهم لامكانهم و نقصهم و قال بعض المحقّقين: المراد أنّه قد قرّر لكلّ واحد من الممكنات حدا معيّنا لا يتعدّاه، فلا يمكن أن يكون أحدها عين الاخر، و بذلك يعلم أن لا حجاب بين المخلوق و بين الخالق إلّا نفس المخلوق، لأنّ المخلوق محدود و الخالق منزّه عن الحدّ فالحجاب فى جهه المخلوق لا فى جهه الخالق.

قوله «له معنى الرّبوبيّه» إلى قوله «معنى البرّائيّه» قد تقدّم معناها قريبا فى أواخر ذكر الأدله النّقليّه.

و قوله «كيف و لا تغيّبه مذ» أى كيف لا يكون مستحقّا لهذه الأوصاف و الأسماء فى الأزل و الحال أنّه لا يصير كلمه مذ الموضوعه لأوّل الزّمان سببا لأن يغيب عنه شيء، فانّ الممكن إذا كان قبل ذلك المبدأ أو بعده يغيب هذا عنه، و اللّه تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها حاضره فى علمه فى الأزل، أو أنّه ليس لوجوده زمان حتّى يغيب عن غيره فيقال مذ كان موجودا كان كذا.

«و» لمّا لم يكن زمانيّا «لا تدنيه كلمه قد» الّتى هى لتقريب الماضى إلى الحال

ص:۲۳۶

أو ليس فى علمه شدّه و ضعف حتّى تقر به كلمه قد الّتى للتّحقيق الى العلم بحصول شىء «و لا ـ تحجبه كلمه لعلّ» الّتى هى لترّجى أمر فى المستقبل، أى لا يخفى عليه الامور المستقبله «و ليس له أوّل» وقت «حتّى يقال له متى» وجد أو متى علم أو متى قدر و هكذا «و لا يشتمله حين و لا زمان» لأنّه خالق الحين و الزّمان فكيف يكونان شاملين له و محيطين به «و لا تقارنه مع» أى لا يوجب كلمه مع المفيده للمصاحبه اقترانه بالأشياء زمانا أو مكانا، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فى الخطبه الاولى:

مع كلّ شىء لا بمقارنه، أى معيّته للأشياء ليست بعنوان المقارنه الّتى فى المخلوقات بل بالعلم و الاحاطه و القيوميّه و التّربيه.

و قوله «إنّما تحدّ الأدوات أنفسها» إلى قوله «لو لا ـ التّكمله» قد تقدّم شرح هذه الفقرات و تحقيقها فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين بما لا مزيد عليه.

و قوله «افترقت فدّلت على مفرّقها» أى افترقت الأدوات و الالات باختصاص إدراك كلّ منها بنوع خاصّ من المدركات، او اختصاص كلّ منها بحدّ مخصوص، فدلّت على مفرّق فرّقها و خصّصها بحدّ مخصوص.

و قوله «و تباينت فاعربت عن مباينها» أى تباينت بعضها مع بعض لاختصاص كلّ منها بوضع خاصّ فأظهرت عن صانعها الموجد للمباينه بينها أو عن صانعها المباين لها فى الصّفات و فى التّنزه عن الحدّ كما قال تعالى: «وَ مِنْ آياتِهِ »... «اِخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ ».

و قوله «بها تجلّى صانعها للعقول و بها احتجب عن الرّؤيه» قد تقدّم معناهما أيضا فى شرح الخطبه المذكوره، و قال العلامه المجلسىّ: أى بالعقول احتجب عن الرّؤيه لأنّ الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل، و إلى العقل تتحاكم الأوهام عند اختلافها.

قوله «و فيها أثبت غيره» أى كلّما يثبت و يرتسم فى العقول أو فى المشاعر فهو غيره، و يحتمل أن يكون غيره مصدرا بمعنى المغايره أى بالعقول يثبت مغايرته

تعالى للممكنات، و يمكن إرجاع الضّمير إلى الأوهام أى القول بالشريك له تعالى فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك.

و قوله «و منها انيط الدّليل» أى من العقول يستنبط الدليل على الخالق «و بها عرّفها الاقرار» أى بالعقول عرّف اللّه العقول أو ذويها الاقرار به عزّ و جلّ.

و قوله «لا ديانه إلاّ بعد معرفه» مثل قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه الاولى: أوّل الدّين معرفته، أى لا تديّن بدين للّه إلاّ بعد معرفه اللّه «و لا معرفه إلاّ باخلاص» أى باخلاص الحقّ مما لا يليق بذاته المقدّسه من نقايص الامكان «و لا إخلاص مع التّشبيه» له بمخلوقاته فى الذّات و الصّفات «و لا نفى» للتّشبيه «مع إثبات الصّفات» الزائده على الذّات.

فقوله «للتّشبيه» متعلّق بالنّفى أى لم ينف التّشبيه من أثبت له الصّفات الزّايده، و فى بعض النسخ بالتّشبيه بدل قوله للتّشبيه أى بنفى التّشبيه المستفاد من قوله: و لا إخلاص مع التّشبيه، فالمراد أن لا نفى له مطلقا بنفى التّشبيه أى لا يلزم النّفى المطلق مع إثبات الصّفات الكماليّه له على وجه لا يستلزم النّقص بنفى تشبيه لغيره كما نقول: شىء لا كالأشياء و عالم لا كعلم المخلوق و قادر لا كقدرتنا و هكذا، فيكون إشاره إلى وجوب إخراجه عن حدّ النّفى و حدّ التشبيه.

و قوله «فكلّما فى الخلق لا يوجد فى خالقه و كلّما يمكن فيه يمتنع فى صانعه» تفريع على ما سبق و تصريح بتنزّهه عن مشابهه مخلوقاته و نصّ فى ابطال مقال الصوفيّه القائلين بأنّ جميع ما للمخلوقات من الصّفات فهى صفات الخالق، لأنّهم مظاهر الحقّ و مجاليه حسبما عرفت فيما سبق.

و قوله «و لا يجرى عليه الحركه و السكون» إلى قوله «لزمه النقصان» قد تقدّم تحقيق معانى هذه الفقرات فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين أيضا.

و قوله «كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث» استفهام فى معرض الانكار أى لو التمس التّمام و الاستكمال بالغير لزم اتّصافه بالكمالات الحادثه و عدم امتناعه من أن يحدث فيه تلك الحوادث، و من كان كذلك و كان محلاّ للحوادث

لا يكون أزليّا واجب الوجود.

و قوله «و كيف ينشىء الأشياء من لا يمتنع من الانشاء» و هو أيضا فى معرض الانكار، أى لو التمس التّمام لاحتاج فى تماميّته إلى غيره لينشئ له صفات الكمال الموجبه لتمامه و كماله، و من كان كذلك كان ممكنا فلا يمكن أن يكون منشئا للأشياء أى الممكنات جميعا لأنّ إنشاءها من شأن الواجب.

ثمّ استدلّ عليه السّلام على جميع ما تقدّم بقوله «إذا لقامت فيه آيه المصنوع و لتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه» أى لو كانت فيه تلك الحوادث و التغيّرات و إمكان الحدوث لقامت فيه علامه المصنوع و لكان دليلا على وجود صانع آخر غيره كساير الممكنات لاشتراكه معهم فى صفات الامكان و ما يوجب الحاجه إلى العلّه لا مدلولا عليه بأنّه صانع.

و قوله «ليس فى محال القول حجّه» أى ليس فى إثبات هذا القول المحال أى إثبات الحوادث و الصّفات الزّايده له حجّه «و لا فى المسأله عنه» أى فى السّؤال عن هذا القول لظهور خطائه و بطلانه «جواب و لا فى معناه له تعظيم» أى فى إثبات معنى هذا القول له تعالى و توصيفه بصفات الممكنات تعظيم له بل هو نقص فى حقّه حسبما عرفت «و لا فى ابانته من الخلق» و تنزيهه من صفاتهم «ضيم» أى نقص و ظلم فى حقّه تعالى شأنه «إلّا بامتناع الأزلى أن يثنى و ما لا بدء له أن يبدء(1)» أى لا نقص له فى ابانته من خلقه إلّا بأنّ الأزلى يمتنع من الاثنينيّه و بأنّ ما لا بدء أى لا مبدء له يمتنع من أن يبدء و يكون له مبدء، و ما نسبوه إليه تعالى ممّا مرّ مستلزم لكونه تعالى ذا مبدء و علّه.

و الحاصل أنّه لا يتصوّر فى تفريقه تعالى من خلقه و من صفاتهم ظلم و نقص له تعالى إلّا بهذا الوجه و الحال أنّه ليس بظلم أصلا و لا نقص، بل هو عين الكمال، و الاستثناء فى قوله عليه السّلام كما فى قول الشاعر:

١- (١) - عطف على الأزلى، منه.

و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

و هو من قبيل إخراج المدح بما يشبه الذّم و قوله «كذب العادلون باللّه» أى الجاعلون له عديلا و شبيها و تعالى اللّه سبحانه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

و أقول: يا اولى الألباب و الضمائر و ذوى الأبصار و البصاير إن تدبّرتم فى معانى هذه الخطبه الشّريفه حقّ التّدبّر وجدتموها كنزا مشحونا بأنواع الدّر و الجواهر، و بحرا موّاجا فى علم التّوحيد ليس له ساحل، و لو استقصيتم فيها النّظر و بذلتم عميقات الفكر عرفتم أنّ كلّ فقره من فقراتها دليل مستقلّ فى بطلان مقالات أولياء الشيطان و اخوان عبده الأوثان الزّاعمين أنهم أهل اليقين و العرفان، و الخلّصون فى التّوحيد و المعرفه و الايمان لقولهم بوحده الوجود، و أن ليس غيره فى الحقيقه بموجود، و ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار.

ثمّ أقول: أنت إذا أحطت خبرا بما قدّمنا علمت فساد القول بوحده الوجود و سخافه ما يترتب على تلك الشّجره الملعونه من الثّمرات الخبيثه، و عرفت أنّ وجوده سبحانه وجود خاصّ به قائم بذاته ممتاز عن ساير الموجودات بنفس ذاته و بكونه مبدء للكلّ و هو أيضا نفس ذاته و ممتاز عن المهيّات بكونه وجودا خاصّا بخلاف شىء من المهيّات، فانّه ليس وجودا أصلا لا خاصا و لا مطلقا، فليس له تعالى مهيّه و حقيقه يشارك بها شيئا من الممكنات، فلا يحتاج إلى مميّز ذاتىّ يميّزه عمّا به المشاركه الذّاتيّه مع غيره، فحقيقته هويّه بسيطه و وجود خاصّ ممتاز عن كلّ ما سواه بتجرّده و تنزّهه من الحدود، و يكون كلّ ما سواه محدودا، و لنقتصر فى هذه المسأله على ذلك و لنعد إنشاء اللّه تعالى إلى ذكر ساير عقايدهم الفاسده، فأقول و باللّه التوفيق و الاعتماد.

ص:۲۴۰

و منها

قولهم: بأنّ الكفّار غير مخلّدين فى النّار.

و هو خلاف اجماع المسلمين، و خلاف ما دلّت عليه آيات الكتاب المبين و أخبار الحجج المعصومين.

قال ابن العربى فى الفصّ اليونسى من الفصوص «و أمّا أهل النّار فمالهم إلى النعيم و لكن فى النّار إذ لا بدّ لصوره النّار بعد انتهاء مدّه العقاب أن يكون بردا و سلاما على من فيها و هذا نعيمهم فنعيم أهل النّار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل اللّه حين القى فى النّار».

قال القيصرى: أى و مال أهل النّار إلى النعيم المناسب لأهل الجحيم إمّا بالخلاص من العذاب أو الالتذاذ به بالتعوّد أو تجلّى الحقّ فى صوره اللطف فى عين النّار كما جعل النّار بردا و سلاما على إبراهيم، و لكن ذلك بعد انتهاء مدّه العقاب كما جاء ينبت فى قعر جهنّم الجرجير(١) و ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود فى النّار و لا يلزم منه خلود العذاب.

و قال القيصرى أيضا فى شرح الفصّ الهودى: و اعلم أنّ كلّ من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أنّ العالم بأسره عباد اللّه و ليس لهم وجود و صفه و فعل إلّا باللّه و حوله و قوّته، و كلّهم محتاجون إلى رحمته و هو الرّحمن الرّحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصّفات أن لا يعذّب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضا إلّا لأجل ايصالهم إلى كمالاتهم المقدّره لهم كما يذهب الذّهب و الفضه فى النّار لأجل الخلاص ممّا يكدّره و ينقّص عياره، فهو متضمّن لعين اللطف و الرّحمه كما قيل:

و تعذيبكم عدل و سخطكم رضى و قطعكم وصل و جوركم عدل

أقول: فلينظر العاقل إلى هذين الضّليلين كيف يخالفان اجماع المسلمين و ينبذان آيات الكتاب المبين وراء ظهورهما بارائهم الفاسده و الاستحسانات الكاسده

١- (١) - و الجر يجير و الجر جير بكسرهما بقله معروفه، ق.

و یعتمدان فی ذلک علی أخبارهم المجعوله و أحادیثهم الموضوعه.

و قد تبعهما فی حدیثهم المرسل المجعول المتصوّف الجامی فی شرح منتخب الفصوص حیث نقل عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ بعض أهل النار یتلاعبون بالنّار، و نقل عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا انّه قال: سیأتی علی جهنّم زمان ینبت من قعرها أو من قفرها الجرجیر.

و هذه الأحادیث مضافا إلی مخالفتها لصریح الایات و روایات المتواتره قد نصّ فی أخبارنا بأنّها مجعوله کاذبه کما نصّ علی ردّ ما توهّموه من انقطاع العذاب و إنفاد العقاب.

فقد روی عن الکلینی فی الکافی باسناده عن أبی بصیر مولی أبی عبد اللّه علیه السّلام عن موفق مولی أبی الحسن علیه السّلام قال: کان مولای أبو الحسن علیه السّلام إذا أمر بشراء البقل یأمر بالاکثار منه و من الجرجیر فیشری له و کان یقول علیه السّلام: ما أحمق بعض الناس یقولون: إنّه ینبت فی وادی جهنّم، و اللّه عزّ و جلّ یقول: «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ »، فکیف ینبت البقل.

و روی عن البرقی فی المحاسن عن العبیدی عن الأهوازی عن النّضر بن سوید عن درست عن الأحول عن حمران قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّه بلغنا أنّه یأتی علی جهنّم حین یصطفق(۱) أبوابها فقال: لا و اللّه إنه الخلود قلت:

خالدین فیها ما دامت السموات و الأرض إلّا ما شاء ربّک، فقال علیه السّلام هذه فی الذین یخرجون من النار.

و أما ما قاله القیصری: من أنه ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود فی النار و لا یلزم منه خلود العذاب فناش من جهله بایات الکتاب فقد قال تعالی: «کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ »، و أمثال هذه الایه کثیره فی القرآن غیر عزیزه.

و هل هذه الدّعوی الباطله و المقاله الفاسده فی مقابله النصوص الصریحه

۱- (۱) - اصطفقت الاشجار اهتزت بالریح و هو کنایه عن الخلو من الناس (منه)

المستفيضه بل المتواتره إلّا الملاعبه بالدّين و التكذيب للأنبياء و المرسلين.

و أعظم من ذلک جرئتهم على تأويل الايات الوارده فى النقمه و العقاب للكفار و أهل العـذاب بالرّحمه و الثواب، مثل ما تمحّله ابن العربى فى الفصّ الهودى فى الايات الوارده فى عاد قوم هود و هى قوله تعالى: «فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هـذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْ ءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلاّ مَساكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ »، قال ما لفظه «ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا هذا عارض ممطرنا فظنّوا خيرا باللّه» قال القيصـرى: أى ألا ترى أن قوم هود كيف قالوا لما تجلّى عليهم الحقّ فى صوره السحاب ان هذا عارض أى سحاب ممطرنا و ينفعنا فظنوا أنّ اللّه تجلّى لهم بالحقّ و الرّحمه «و هو عند ظنّ عبده به فاضرب لهم الحقّ عن هذا القول فأخبرهم بما هو أتمّ و أعلى فى القرب» أى أضرب بقوله بل هو ما استعجلتم به أى هو مطلوبكم الّذى يوصلكم إلى كمالكم و يعطيكم الخلاص من انيّاتكم و يخرجكم من عالم التّضاد و الظّلمه إلى عالم الوفاق و الرّحمه.

و انّما كان هـذا المعنى أتمّ و أعلى «فانّه إذا أمطرهم فذلک حظّ الأرض و سقى الحبّه» المزروعه فيها «فما يصلون إلى نتيجه ذلک المطر إلاّ عن بعد لأنّ المطر إذا سقى الحبّه المزروعه لا بدّ ان يمضى عليها زمان طويل و مدّه كثيره حتّى تحصل نتيجته و يحصل منها الغذاء الجسمانى و هو من حظوظ أنفسهم المبعّده لهم عن الحقّ و هـذا الاهلاک يوصلهم فى الحال إلى ربّهم و يقرّبهم منه فقال لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب» و انّما كان استعجالهم فى وصولهم إلى كمالهم و قربهم من غايه مرتبتهم.

و لمّا كان هـذا المطلوب لا يمكن إلاّ بفنائهم فى الحقّ أهلكهم اللّه عن أنفسهم و أفناهم عن هياكلهم و هى أبدانهم الجسمانيه الحاجبه لهم عن إدراک الحقائق «فجعل» أى الحقّ «الرّيح إشاره إلى ما فيها من الرّاحه فانّ بهـذا الرّيح أراحهم من هذه الهياكل المظلمه و المسالک الوعره و فى هذه الرّيح عذاب أى أمر يستعذبونه

إذا ذا قوه إلاّـ أنّه يوجعهم لفرقه المألوفات» أى الرّيح المهلكه و إن كانت فى الظاهر مولمه موجعه لهم لاـخراجهم عن العالم الجسمانى المتألّفه قلوبهم به لكن فيها لطف مستور، لأنّ فى كلّ قهر للّه تعالى ألطافا خفيّه يستعذبونه إذا وصلوا إليه عقيب الوجع «فباشرهم العذاب» أى اهلكهم «فكان الأمر إليهم أقرب ممّا تخيّلوه» أى الأمر الذى كان مطلوبهم بالحقيقه كان أقرب إليهم من المطلوب المتخيّل لهم و هو ما يحصل من المزروعات «فدمّرت كلّ شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم أى جثثهم الّتى عمرتها أرواحهم الحقيه».

و محصل كلامهما أنّ قوم هود عليه السّلام مع العتوّ و الكفر و الانكار لم يكونوا من المعذّبين بل صاروا بذلك من المقرّبين المنعمين و أوصلهم الكفر و الضّلال إلى درجه الفضل و الكمال، و استحقّوا بالجحود عظيم الزّلفى و حسن المال.

و الايات و إن كانت ظاهره فى الاهلاك و التعذيب لكن الظّواهر غير مراده بل المراد معنى آخر يعرفه أهل الكشف و الشّهود لا أهل الحجاب.

و هو أنّ الرّيح فى الايه مأخوذه من الرّوح و الرّاحه و العذاب من العذوبه و الحلاوه و الغرض من إهلاكهم بالرّيح التعجيل فى إراحتهم من العلايق البدنيه و إخراجهم من الهياكل الجسمانيه و ايصالهم إلى مرتبه القرب و الزلفى و البقاء بالفناء، و قد أعطاهم اللّه خيرا ممّا يرجون و أفضل ممّا يأملون، فانّهم لمّا رأوه عارضا ممطرا حسبوا أنّه ينزل منه المطر ينتفع به و يسقى به الحرث و الزّرع فقال تعالى: «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ »، أى ليس هذا ما ذهبت إليه ظنونكم بل هو خير منه، فانّ العارض الممطر فيه منفعه مؤجّله دنيويّه، و فى الرّيح منفعه معجّله أخرويه و الاولى قليله فانيه و الاخرى كثيره باقيه هذا حاصل مراد هذين الملحدين.

أقول يا أهل المروّه و الانصاف المجانبين للهوى و الاعتساف انشدكم باللّه العظيم هل يرتضى ذو شعور أن يكون مراده تعالى من تلك الايات ما قاله هذا الجاهل الزّنيم.

ص:۲۴۴

ثم أقول: یا قائد الجهّال و قطب أهل الضّـلال هب أنّک خالفت اجماع المسـلمین بل اتفاق جمیع الملیّین و نابذت آیات الکتاب المبین فی مسأله تخلید الکفّار و المشرکین، و زعمت عدم کونهم فی النّار مخلّدین معذّبین، فهلّا استحییت من اللّه ربّ العالمین أن جعلت آیـات کتـابه لعبه اللاّعبین و مسخره المستهزئین؟! فما أقلّ حیاؤک فی هتک ناموس الاسـلام، و أعظم جرءتک فی هدم أساس ملّه سیّد الأنام.

أفیجوّز الجاهل السّـفیه فضـلا عن العاقل النّبیه أنّ مراد الحقّ من هذه الایات الشّـریفه هذه التأویلات السّـخیفه؟ أم یتوهّم أنّ هذه الألفاظ و الکلمات قوالب تلک المعانی الترّهات؟ أ فیبقی بعـد البناء علی أمثال هذه المزخرفات اعتماد بالکتاب عند الضّـروره و الاحتیاج؟ أو یمکن به الاسـتدلال فی الاصول و الفروع فی مقام الاحتجاج؟ ثمّ کیف یزعم من دان بکلمه الاسـلام أن قوم عاد و ثمـود و قوم نوح و لوط أقرب إلی اللّه من المؤمنین الموحّـدین، حیث عجـل فی إفنـاء الأولین ایصالاـ لهم إلی مراتب الزلفی و حبس الاخرین فی سجن الدنیا، و حرمهم من تلک النعمه العظمی حاشا ثمّ حاشا.

و العجب مع هـذا کلّه أنه اشـتبه فی حقّ نفسه و زعم أنه محیی الـدّین و خاتم ولایه المحمـدیّین، و لعمری أنه ما حی الـدّین بل مبطل أساس جمیع شرایع النبیّین.

ثمّ العجب من القیصری فانّه بعـد ذکر ما قدّمناه قال: و الشـیخ یعنی ابن العربی إنّما یشـیر فی أمثال هذه المواضع إلی ما فیها من الرّحمه الحقّانیّه، و هی من المطلعات المـدرکه بالکشف، لا أنّه ینکر وجود العـذاب و ما جاء به الرّسل من أحوال جهنّم فانّ من یبصـر بعینه أنواع التعذیب فی النشأه الدّنیاویّه بسـبب الأعمال القبیحه کیف ینکره فی النّشأه الأخراویّه و هو من أکبر ورثه الرّسل صلوات اللّه علیهم أجمعین، فلا ینبغی أن یسیء أحد ظنّه فی الأولیاء الکاشفین لأسرار الحقّ بأمره، انتهی.

أقول: هذا مقام أن یقال:

يا ناعى الاسلام قم فانعه قد مات عرف و بدا المنكر

فانّک خبير بأنّه مع هذا الاصرار المؤكّد كلّه من الشيخ فى نشر كلمات الضلال، لم يبق للحمل على الصّحه مجال، فهذا ليس موضع سوء الظنّ بل مقام علم اليقين، و كيف يكون المكذّب للأنبياء و المرسلين من أكبر ورثه النّبيّين؟ أم كيف يكون حامى الكفّار و المشركين من الأولياء الكاشفين؟ لعن اللّه المضلّين و المبطلين، و عذّبهم عذابا لا يعذّبه أحدا من العالمين.

و أعظم من ذلک ما قالاه فى حقّ أشقى الأولين و الاخرين المعارض الصّريح فى سلطان ربّ العالمين، المعلن بقول أنا ربّكم الأعلى فى قبال ديّان الدّين أعنى فرعون المتمرّد عن طاعه الرّحمن المتمادى فى العتوّ و الكفر و الطغيان، حيث قالا:

إنه تاب فطاب و ندم و أناب و طهر و صار من أهل الايمان مع أنّ كونه من المخلّدين نصّ آيات الكتاب المبين، و كونه من أهل التابوت و أشدّ الناس عذابا صريح أخبار سيد المرسلين، و سقوط ايمانه من درجه الاعتبار مفاد: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ».

فيا للّه ما أجرء هذين الضالّين على اللّه، و كاين لهما من يد طولى فى تغيير معانى كتاب اللّه و تأويل الايات البيّنات على المذاهب الفاسده، و تطبيق النّصوص المحكمات بالمقالات الباطله.

فقد قالا فى الفصّ الموسوى و شرحه «فقالت لفرعون فى حقّ موسى انّه قرّه عين لى و لک فيه» اى فى موسى «قرّه عينها بالكمال الّذى حصل لها و كان قرّه عين لفرعون بالايمان الّذى أعطاه اللّه عند الغرق» و ذلک لأنّ الحقّ تكلّم بلسانها من غير اختيارها و أخبر بأنّه قرّه عين لها و لفرعون فوجب أن يكون كذلک فى نفس الأمر «فقبضه» أى الحق «طاهرا مطهّرا ليس فيه شىء من الخبث لأنّه قبضه عند ايمانه قبل أن يكتسب شيئا من الاثام و الاسلام يجبّ ما قبله و جعله آيه على عنايته سبحانه بمن شاء حتى لا ييأس أحد من رحمه اللّه فانه لا ييأس من رحمه اللّه إلّا القوم الكافرون فلو كان فرعون ممن ييأس ما بادر إلى الايمان».

ص:۲۴۶

قال الشارح: لما كان ايمان فرعون فى البحر حيث رأى طريقا واضحا عبر عليه بنو اسرائيل قبل التغرغر و قبل ظهور أحكام الدّار الاخره مما يشاهدونه عند الغرغره، جعل ايمانه صحيحا معتدّا به، فانه ايمان بالغيب لأنه كان قبل الغرغره و هو بعينه كايمان من يؤمن عند القتل من الكفار، و هو صحيح من غير خلاف و انما كان ايمان المتغرغر غير صحيح لظهور أحكام الدار الاخره له من النعيم و الجحيم و الثواب و العقاب، و جعله طاهرا مطهرا من الخبث الاعتقادى أى من الشرك و دعوى الربوبيه لأن الاسلام يجبّ ما قبله كما ورد فى الخبر الصحيح، و لم يكتسب بعد الايمان شيئا من الاثام و العصيان، و قوله تعالى: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »، نوع من العتاب عند التوجه إلى الحق و الايمان به، و هو لا ينافى صحه ايمانه، إلى ان قال بعد تأويل جمله من الايات الداله على خلوده و تعذيبه على(۱) زعمه الفاسد:

و فايده ايمانه على تقدير التعذيب عدم الخلود فى النار، و التعذيب بالمظالم و حقوق العباد مما لا يرتفع بالاسلام لا ينافى أيضا الاسلام و الطهاره من الشرك و خبث العقيده، فلا ينكر على الشيخ ما قاله مع أنه مامور بهذا القول إذ جميع ما فى الكتاب مسطور بأمر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو معذور كما أنّ المنكر المغرور معذور، و قوله:

و جعله آيه على عنايته، إشاره إلى قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً »، و هذا أيضا صريح فى نجاته لأنّ الكاف خطاب له أى ننجيك مع بدنك من العذاب لوجود الايمان الصادر منك بعد العصيان، و اللّه أعلم بالسراير من كل مؤمن و كافر، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و يتوجه عليهما وجوه من الكلام و ضروب من الملام.

الأول أنّ قوله تعالى: «وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً »، لا دلاله فيه على المدّعى، لأنها إنما قالت ذلك من جهه أنه لم يكن له ولد فأطمعته فى الولد بهذا الكلام، مع أنّ المروىّ عن ابن عباس فى تفسير الايه نقض صريح لقول ابن العربى.

۱- (۱) – متعلّق بالتاويل، منه

فقد روی فی مجمع البیان و غیره إنّ أصحاب فرعون لما علموا بموسی جاءوا لیقتلوه فمنعتهم، و قالت لفرعون: قرّه عین لی و لک لا تقتلوه، قال فرعون: قرّه عین لک، فأما لی فلا، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: و الذی یحلف به لو أقرّ فرعون بأن یکون له قرّه عین کما أقرّت امرأته لهداه به کما هداها، و لکنّه أبی للشّقاء الّذی کتبه اللّه علیه.

الثانی إنّ کفر فرعون محقّق و إیمانه لم یقم علیه دلیل بل الدّلیل إنّما قام علی عدمه، و ذلک لأنّه إنّما آمن حیث لم ینفعه الایمان لکونه ایمان إلجاء لا یستحقّ به الثواب و لا ینجیه من العقاب لوقوعه حال الغرق و عند الایاس من الحیاه و الیقین بالهلاک کما یشهد به قوله تعالی: «حَتّی إِذا أَدْرَکَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِی آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِیلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ »، فأنکره عزّ و جلّ علیه و قال:

«آلْآنَ وَ قَدْ عَصَیْتَ قَبْلُ وَ کُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ »، أی أ تؤمن الان حین لا ینفع الایمان و لا یقبل، لأنّه حال الالجاء و قد عصیت بترک الایمان فی حال ینفعک فهلا آمنت قبل ذلک، فلو کان ایمانه صحیحا مقبولا لما استحقّ التوبیخ و التقریع و الانکار.

و یشهد بذلک صریحا أی بعدم منفعه الایمان فی تلک الحال قوله تعالی: «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَ کَفَرْنا بِما کُنّا بِهِ مُشْرِکِینَ فَلَمْ یَکُ یَنْفَعُهُمْ إِیمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْکافِرُونَ ».

روی فی الصّافی من العیون عن الرّضا علیه السّلام أنّه سئل لأیّ علّه غرق اللّه فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحیده؟ قال علیه السّلام: لأنّه آمن عند رؤیه البأس، و الایمان عند رؤیه البأس غیر مقبول، و ذلک حکم اللّه تعالی ذکره فی السّلف و الخلف قال اللّه تعالی: «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا »، الایتین.

و فیه من الکافی قدّم إلی المتوکّل رجل نصرانیّ فجر بامرأه مسلمه فأراد أن یقیم علیه الحد فأسلم، فقیل: قد هدم ایمانه شرکه و فعله، و قیل: یضرب ثلاثه حدود، و قیل غیر ذلک، فأرسل المتوکّل إلی الهادی علیه السّلام و سأله عن ذلک، فکتب علیه السّلام: یضرب حتّی یموت، فأنکروا ذلک و قالوا: هذا شیء لم ینطق به کتاب و لم

تجیء به سنّه، فسألوه ثانیا البیان فکتب هاتین الایتین بعد البسمله، فأمر المتوکّل فضرب حتّی مات.

و بهـذا الحـدیث علم أیضا أنّ ایمان الکافر حین القتل لیس بصـحیح مطلقا کما قاله القیصـری، و إنّما یصـحّ ایمان من اریـد قتله لأجل کفره مثل الکافر الحربی فانّه لو آمن حین القتل قبل ایمانه و یدرء عنه القتل بسبب الایمان.

الثـالث أنّ قوله: حتّی لا ییأس أحـد من رحمه اللّه فانّه لا ییأس أحـد من رحمه اللّه إلاّ القوم الکافرون، فیه إنّ الفرعون داخل فی المستثنی أعنی الکافرون الایسین، لا فی المستثنی منه کما یدلّ علیه صریح قوله تعالی: «فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ لا یُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هـذِهِ الدُّنْیا لَعْنَهً وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِینَ »، أی أردفناهم لعنه بعد لعنه و هی البعد عن الرّحمه و الخیرات.

و بالجمله رحمه اللّه سبحانه قریب من المحسنین دون الکافرین، و هو سبحانه أرحم الرّاحمین فی موضع العفو و الرّحمه، و أشدّ المعاقبین فی موضع النّکال و النّقمه، و أعظم المتجبّرین فی موضع الکبریاء و العظمه.

الرّابع أنّ قوله تعـالی: «فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَهً »، لیس المراد بالنّجاه فیه النّجـاه من العـذاب کما زعمه القیصـری، و لا ـ من کونه آیه أنّه آیه عنایته کما توهّمه ابن العربی، بل معناه نلقیک علی نجوه من الأرض و هی المکان المرتفع لیراک بنو إسـرائیل لتکون لمن وراءک و هم بنو إسرائیل آیه أی علامه یظهر لهم عبودیّتک و مهانتک و أنّ ما کنت تدّعیه من الرّبوبیّه محال و کان فی أنفسهم أنّ فرعون أجلّ شأنا من أن یغرق.

و عن تفسـیر علیّ بن إبراهیم انّ موسـی أخبر بنی إسرائیل انّ اللّه قد أغرق فرعون، فلم یصدّقوه فأمر اللّه عزّ و جلّ البحر فلفظه به علی ساحل البحر حتّی رأوه میّتا.

و فی الصافی من العیون عن الرّضا علیه السّلام فی حدیث غرقه و قد کان فرعون من

قرنه إلى قدمه فى الحديد و قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه اللّه تعالى على نجوه على الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامه فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، و سبيل الثقيل أن يرسب و لا يرتفع فكان ذلک آيه و علامه - إلى أن قال - و لئلا يشکّ أحد فى إهلاکه انّهم کانوا قوما اتّخذوه ربّا فأراهم اللّه عزّ و جلّ إياه جيفه ملقاه بالسّاحلّ ليكون لمن خلفه عبره و عظه، هذا.

و العجب من القيصرى، فانّه بعد مشاهدته لهذا الخبط العظيم کلّه من ابن العربى لم يرفع يده عن العصبيه له و يقول إنه مأمور بهذا القول من جانب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم کما أنه مأمور من جانبه بجميع ما يقوله فى الفصوص فهو معذور.

أقول: و لقائل أن يقول له: يا أحمق الرّجال و مفتّن الجهّال أ يأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنشر الافک و الضّلال؟ أ فهذا من أسرار الرّب المتعال؟ أم يأذن بتحريف آيات القرآن و العصبيه فى حقّ فرعون و هامان أ هذا من مقتضيات رحمه الرّحمن؟ لا- و اللّه بل هو من امتيّات الشّيطان، و کيف يسوغ عباده يغوث و يعوق و اللاّه و العزّى بزعم أنّ عبادتها عين عباده العلىّ الأعلى و إنّ الحقّ تعالى فيها تجلّى إن هذا الاّ اختلاق و افتراء، و قد نطق الکتاب المبين على رغم ابن العربى ما حى الدّين و رغم ساير الصوفيّين القائلين بوحده الوجود و بأنّ عبادته يحصل لعباده کلّ معبود:

«قُلْ يا أَيُّهَا الْکافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ لَکُمْ دِينُکُمْ وَ لِيَ دِينِ ».

أبقى بعد هذا التفکيک الصّريح، و البيان الفصيح، و التّبيان النّصيح ريب فى بطلان القول بالوحده و الاتّحاد أو معتذر للقائلين به فى عتبى ربّ العباد أم لا-؟ فأنّى يؤفکون أم أين يصرفون تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون، فمن أظلم ممّن افترى على اللّه کذبا ليضلّ النّاس بغير علم إنّ اللّه لا يهدى القوم الظالمين هذا.

و لنعد إلى ما کنّا فيه من مسأله تعذيب الکفّار و خلودهم فى النار فأقول:

إنّ ما ذهب إليه ابن العربى من نفيه العذاب فى حقّ قوم عاد و فرعون ذى الأوتاد و ساير الکفّار و المشرکين مبنىّ على أصل فاسد أسّسه فى الفصّ الاسماعيلى،

و هو أنّ خلف الوعد من اللّه غير جايز بخلاف خلف الوعيد قال:

«الثّناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد و الحضره الالهيه تطلب الثناء بالذّات المحموده فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل التّجاوز فلا تحسبنّ اللّه مخلف وعده رسله و لم يقل و وعيده بل قال و يتجاوز عن سيئاتهم مع أنّه توعد على ذلک فأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد و قد زال الامكان فى حقّ الحقّ لما فيه من طلب المرجّح».

قال القيصرى: أى قد زال فى حقّ الحقّ إمكان وقوع الوعيد إذ لا شكّ أنّ الحقّ تعالى وعد بالتجاوز فقال: «وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ »، و قال: «إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً »، و قال: «وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » من السيئات و أمثال ذلک، و وقوع وعده واجب و هو التجاوز و العفو و الغفران، فزال امكان وقوع الوعيد، لأنّ وقوع أحد طرفى الممكن لا يمكن إلّا بمرجّح، و ما ثم ما يطلب الوعيد إلّا الذنب، و هو يرتفع بالتجاوز فزال سبب وقوع الوعيد و عدم العلّه موجب لعدم المعلول:

فلم يبق إلّا صادق الوعد وعده و ما لوعيد الحقّ عين تعاين

أى إذا زال سبب الوعيد فلم يبق إلّا تحقّق وعده وحده، لأنّه صادق فى وعده و ما بقى لوعيد الحقّ عين تعاين على البناء للمفعول لزوالها بالمغفره و العفو فى حقّ العاصين، و أمّا فى حق الكافرين و المنافقين لانقلاب عذابهم بنعيم يناسبهم كما قال:

و إن دخلوا دار الشقاء فانّهم على لذّه فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلّى تباين

أى مباين لنعيم جنّات الخلد، قوله: فالأمر واحد، إشاره إلى أنّ التجلّى الالهى على السّعداء و الأشقياء ليس إلّا واحدا. و التباين إنّما يقع بحسب القوابل، و كلّ منها يأخذ بحسب استعداده و قابليّته كماء واحد نزل من السماء فصار فى موضع سكرا و فى موضع حنظلا.

يسمّى عذابا من عذوبه طعمه و ذاك له كالقشر و القشر صائن

أی یسمّی ذلک النّعیم الذی لأهل الشقاء عذابا لعذوبه طعمه بالنسبه إلیهم فانّ العذاب مأخوذ من العذب فی الأصل، و ذاک أی لفظ العذاب له أی للعذب کالقشر و القشر صائن للّه من الافات، فلفظ العذاب یصون معناه عن إدراک المحجوبین الغافلین عن حقایق الأشیاء، انتهی کلامهما هبط مقامهما.

و محصّل ما استدلاّ به وجوه:

الأوّل إنّ اللّه سبحانه یحمد و یثنی بالعفو و الغفران لا بالتّعذیب و الانتقام، و هو طالب للحمد و الثّناء، فیجب الصّدق فی الوعد بالثواب لا الوعید بالعقاب.

الثانی إنّ اللّه تعالی قال: «فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ »، و لم یقل و وعیده فالخلف فی الوعید جایز.

الثالث إنّه تعالی قال: «أُولئِکَ الَّذِینَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَیِّئاتِهِمْ فِی أَصْحابِ الْجَنَّهِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِی کانُوا یُوعَدُونَ »، فلا بدّ من وقوع التّجاوز عن السیئات لأنّه وعد الصدق، و لیس بمخلف وعده.

الرّابع أنّه إذا کان التجاوز عن السّیئات و الذنوب لازم الوقوع فلا یمکن وقوع الوعید لأنّ بقاء المعلول من دون علّته محال، و قد کانت علّه الذنوب ارتفعت بالتجاوز.

أقول: و أنت خبیر بأنّ هذا کلّه ممّا نسجه عدوّ اللّه الشّیطان اللّعین علی لسان ولیّه عدوّ رسول اللّه ماحی الدّین، إغراء للکفّار علی الکفر و العدوان، و للعصاه علی التّمرد و العصیان کما قال تعالی: «وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما یَفْتَرُونَ وَ لِتَصْغی إِلَیْهِ أَفْئِدَهُ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ لِیَرْضَوْهُ وَ لِیَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ » و یبطل ما ذکره کلّه قوله تعالی: «إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ »، و قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه المأه و الخامسه و السبعین: ألا ـ و إنّ الظلم ثلاثه: فظلم لا ـ یغفر، و ظلم لا یترک، و ظلم مغفور لا یطلب، فأمّا الظلم الّذی لا یغفر فالشرک

ص:۲۵۲

باللّه قال اللّه سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ »، و أمّا الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، و أمّا الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا.

فانّ هذه الايه و الحديث يخصّان التجاوز عن السيئات فى الايه السّابقه بالمؤمنين و بغير مظالم العباد، فيبقى الوعيدات الوارده فى حقّ الكفّار و فى حقوق النّاس على حالها لعدم ارتفاع عللها.

و يستفاد هذا التّخصيص من صدر الايه السابقه أيضا، فانّ قوله تعالى:

«نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا »، يدلّ على أنّ المراد بالايه المؤمنون خاصّه، إذ الكافر ليس له عمل صالح حسن مقبول.

و أيضا لو أبقينا التجاوز عن السيئات على عمومه لكان الوعيدات الالهيّه كلّها لغوا و عبثا، لاستحاله وقوعها بعد ارتفاع عللها، بل يلزم أن يكون اللّه سبحانه فى أخباره المتضمّنه للوعيد كاذبا، و من أصدق من اللّه قيلا، فتعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

ثمّ إنّ صدور أمثال هذه المقالات من هذه الطايفه و قبول أمثالهم تلك الخيالات منهم صار سببا لغلط أعظم من غلطهم المتقدّم، و هو إثباتهم للمتصلّبين من الكفّار مزّيه و فضيله بقدر تصلّبه و إصراره على الكفر و الجهاله حتّى أنّ بعضهم سمّى إبليس رئيس الموحّدين، مثل أحمد الغزالى فقد قال الشارح المعتزلى فى شرح الفصل الثانى عشر من الخطبه الاولى: و كان فى المسلمين ممّن يرمى بالزّندقه من ذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود و يفضّله على آدم عليه السّلام و هو بشار بن برد المرغث و من الشعر المنسوب إليه:

النّار مشرقه و الأرض مظلمه و النّار معبوده مذ كانت النّار

و كان أبو الفتوح أحمد بن محمّد الغزالى الواعظ أخو أبى حامد الغزالى الفقيه الشّافعى قاصّا لطيفا و واعظا مفوّها، و هو من خراسان من مدينه طوس و قدم إلى بغداد و وعظ بها و سلك فى وعظه مسلكا منكرا، لأنّه كان يتعصّب لابليس و يقول إنه سيّد الموحّدين.

و قال يوما على المنبر: من لم يتعلّم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيّده فأبى.

و لست بضارع إلاّ إليكم و أمّا غيركم حاشا و كلاّ

و قال مرّه اخرى لمّا قال له موسى عليه السّلام: أرنى، فقال: لن، قال: هذا شغلك تصطفى آدم ثمّ تسوّد وجهه و تخرجه من الجنّه و تدعونى إلى الطور ثمّ تشمت بى الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء.

و قال مرّه اخرى و قد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أنّ أظافير القضاء إذا حكّت أدمت، و أنّ قسيّ القدر إذا رمت أصمّت، ثمّ قال لسان حال آدم عليه السّلام ينشد فى قصّته و قصّه إبليس:

و كنت دليلى فى صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتّ و زلت

و قال مرّه اخرى: التقى موسى و ابليس عند عقبه الطور فقال موسى: يا إبليس لم لم تسجد لادم عليه السّلام؟ فقال: كلاّ ما كنت لأسجد لبشر كيف أوحّده ثمّ ألتفت إلى غيره، و لكنّك أنت يا موسى سألت رؤيته ثمّ نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك فى التوحيد.

و كان هذا النّمط من كلامه ينفق على أهل بغداد و صار له بينهم صيت مشهور و اسم كبير و حكى ابن الجوزى فى التّاريخ أنّه قال على المنبر: معاشر المسلمين كنت دائما أدعوكم إلى اللّه و أنا اليوم أحذّركم منه، و اللّه ما شدّت الزّنانير إلاّ فى حبّه و لا ادّيت الجزيه إلاّ فى عشقه.

و قال أيضا إنّ رجلا يهوديّا أدخل عليه ليسلم على يده، فقال له: لا تسلم فقال له الناس: كيف يمنعهم من الاسلام، فقال: احملوه إلى أبى حامد يعنى أخاه ليعلمه، لا ـ إلى المنافقين ثمّ قال: ويحكم أتظنّون أنّ قوله لا إله إلاّ اللّه منشور ولايته ذا منشور عزله، و هذا نوع يعرّفه الصوفيّه بالغلوّ و الشّطح.

و يروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير، فممّا يتعلّق بقصّه ابليس ما رووه

بعض من مردته عنه من قوله:

فمن آدم فى البين و من ابليس لولاكا فتنت الكلّ و الكلّ مع الفتنه يهواكا

انتهى و قال عبد الرزاق الكاشى فى شرح الفصّ النّوحى من الفصوص: كلّما كان المدعوّ أصلب فى دينه و أشدّ إباء للدّاعى إلى ضدّ مقامه كان أشدّ طاعه و قبولا لأمر ربّه و حكمه، حتّى أنّ إباء ابليس عن السجود و عصيانه و استكباره بحسب ظاهر الأمر عين سجوده و طاعته و خدمته و تواضع لرّبه باعتبار الاراده، انتهى.

و نقل بعضهم عن سهل بن عبد اللّه التّسترى من مشاهير مشايخهم أنّه رأى إبليس فتكلّم معه و وبّخه على عدم إطاعته فى سجده آدم و ابعاد نفسه عن تناول الرّحمه، فقال له إبليس: كيف تبعدنى عن رحمته هلاّ قرأت فى القرآن: «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ »؟ و أنا داخل فى كلّ شىء فرحمته تسعنى بمقتضى وعده، فافحم الشيخ بذلك فسكت و فارقه ثمّ رجع إلى القرآن فوجد الايه مقيّده بقوله: «فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ »، فدخلت الحسره عليه بعدم تذكّر هذا القيد حتّى يجيبه و يلزمه به، و كان يتمنّى أن يراه مرّه اخرى فاتّفق ذلك و استبشر برؤيته فقال له: إنّ الايه التى تمسّكت به مقيّده بقيد، فقرأ تمام الايه و ظنّ أنّه غلب عليه و أفحمه بالحجّه من أجل خروجه بالقيد، فضحك إبليس و نظر إليه نظر تعجّب من عقله و عرفانه و قال له: إنّ ثقتى بعرفانك كانت أكثر من ذلك، قال الشّيخ: و كيف؟ قال ابليس اللّعين: إنّى كنت معتقدا بمعرفتك بأنّه ليس فى طرف الحقّ قيد بل هناك الاطلاق كلّه و إنّما التّقييد من جهتك فتبيّن لى خلاف اعتقادى فى حقّك، فاعترف الشيخ بغلطه و اعتذر منه لمّا رأى أنّه يتكلّم على اصطلاحهم و يستعمل الألفاظ الدائره بينهم و علم أنه أعرف بمقاصدهم و مطالبهم منه.

و نقل عن المتصوّف الجامى فى بعض حواشيه على كتاب نقد النصوص فى شرح نقش الفصوص نقل هذه القصّه بوجه إجمالى.

قال: إنّ سهلا التسترى رأى إبليس فقال له: هل ترجو رحمه من عند اللّه؟ قال: نعم لأنّ رحمته وسعت كلّ شىء، فقال سهل: لكنّه قيّدها بقوله: «فَسَأَكْتُبُها »

ص:۲۵۵

«لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ »، الایه فقال ابلیس: مه یا سهل فانّ التقیید صفتک لا صفته، انتهی.

و أعجب من هذه أنّ الجامی قد نظم فی مبحثه مباحثه بین موسی علیه السّلام و بین إبلیس من هذا القبیل و هذه منظومته:

پور عمران بدل آن غرقهٔ نور می شد از بهر مناجات بطور

دید در راه سر دوران را قائد لشکر مهجوران را

گفت کز سجدهٔ آدم بچه روی تافتی روی رضا راست بگوی

گفت عاشق که بود کامل سیر پیش جانان نبرد سجدهٔ غیر

گفت موسی که بفرمودهٔ دوست سر نهد هر که بجان بندهٔ اوست

گفت مقصود از آن گفت و شنود امتحان است محب را نه سجود

گفت موسی که اگر حال اینست لعن و طعن تو چراش آیین است

بر تو چون از غضب سلطانی شد لباس ملکی شیطانی

گفت کاین هر دو صفت عاریتند مانده از ذات بیک ناحیتند

گر بیاید صد از این یا برود حال ذاتم متغیّر نشود

ذات من بر صفت خویشتن است عشق او لازمهٔ ذات منست

تا کنون عشق من آمیخته بود در غرضهای من آویخته بود

داشت بخت سیه و روز سفید هر دمم دست خوش بیم امید

این دم از کشمکش آن رستم پس زانوی وفا بنشستم

لطف و قهرم همه یکرنگ شده کوه و کاهم همه همسنک شده

عشق شست از دل من نقش هوس عشق با عشق همی بازم و بس

و ترجمه ما نظمه: إنّ موسی بن عمران ذهب إلی الطور للمناجاه فرأی له إبلیس اللّعین فی أثناء الطریق فقال علیه السّلام له: لم أبیت عن السّجده لادم أجبنی صدقا، قال إبلیس: العاشق الکامل فی السّیر و السلوک لا یسجد غیر معشوقه، فقال علیه السّلام: نعم و لکن العاشق الصّادق یطیع معشوقه فی کلّ ما یأمر و یرید، قال إبلیس:

لم يكن المطلوب بالذّات من الأمر إلّا الامتحان لا السّجود، فقال عليه السّلام: لو كان

ص:٢٥٦

الأمر على ما زعمت لم صرت رجيما و استوجبت اللّعن و الطرد و الابعاد و لم انتزعت منك كسوه الملكيه و تلبست بلباس الشيطنه؟ قال إبليس: كلّ من هذين الوصفين لباس العاريه لا مدخليّه لهما فى اتّحاد الذّات و التغيّر فى الصّفات بالغه ما بلغت لا يوجب التّغيّر فى الذات و الذّات باقيه بحالها فى جميع الصّور المتبدّله و عشقه لازم لذاتى و كان عشقى غير ممحّض و أمرى دائرا بين الخوف و الرّجا حتّى إذ أبيت السّجود تمحّضت فى مقام التوحيد و عبوديّه المعبود، فلم يبق فرق بالنّسبه إلىّ بين القهر و الرّحمه و لا بين الجحيم و الجنّه.

أقول: الظاهر أنّ راوى هذه المناظره هو نفس إبليس اللّعين رواها لأوليائه المتصوّفين و أثبت فيه غلبته على موسى عليه السّلام و تسليم موسى عليه السّلام له كما قال تعالى:

«وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً »... «وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ ».

و يظهر من ولعهم بروايته و نظمهم له فى أشعارهم ابتهاجهم بتلك المحاجّه و امتنانهم من إبليس، لكونه صوفىّ المذاق، بل يظهر من ذلك أنّ أصل المؤسس لمذهبهم هو إبليس حيث أسّس الأصل فى مسأله وحده الوجود فأوحى بذلك إلى أوليائه الملحدين فأطاعوه و اتّخذوه لهم دينا و جعلوا أنفسهم للشيطان قرينا فساء قرينا، لعن اللّه الضّالين و المضلّين و الهادين و المهديّين و المرادين و المريدين و عذّبهم عذابا أليما.

و منها

قولهم بالجبر

كالأشاعره:

و هو لازم القول بوحده الوجود، فانّ الخلق إذا كان عين الحقّ و كان سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و جميع جوارحه على زعمهم حسبما عرفت فيما تقدّم فيكون جميع ما يصدر منه مستندا إليه تعالى كما تقدّم التّصريح بذلك

فيما حكيناه عن فصوص ابن العربى من الفصّ العيسوى، حيث قال هناك فى تأويل قوله تعالى حكايه عن عيسى عليه السّلام: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ »، لأنّک أنت القائل فى صورتى و من قال أمرا فقد علم ما قال، و أنت اللّسان الّذى أتكلّم به كما أخبرنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن ربّه فى الخبر الالهى، فقال: كنت لسانه الّذى يتكلّم به فجعل هويته عين لسان المتكلّم، و نسب الكلام إلى عبده، و قد صرّح بمثل ذلک فى غير موضع من الفصوص، و تكرّر فى كلامه و كلام غيره أن لا فاعل إلّا هو.

و قال شيخهم الشّيخ محمود الشّبسترى فى كتاب گلشن راز:

هر آن كس را كه مذهب غير جبر است نبى فرمود كو مانند گبر است

أقول: لمّا كان مذهبه الجبر فسّر الخبر المروىّ عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: القدريّه مجوس هذه الامه، بما فسّر و لا يخفى أنّ الجبريّه يقولون إنّ القدريّه هم المفوّضه لانكارهم قضاء اللّه و قدره فى أفعال العباد، و المفوّضه يقولون إنّ القدريّه هم الجبريه لقولهم بالقضاء الحتم و القدر اللّازم فى أفعال العباد و الذى يستفاد من عدّه أحاديث أنّهم المفوّضه، و يستفاد من بعض الأخبار أنّهم الجبريه، و هو المستفاد من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الذى يأتى ذكره فى شرح أوائل باب الحكم عند شرح قوله و من كلام له عليه السّلام لما سأله سائل: أ كان مسيرنا إلى الشام بقضاء من اللّه و قدره آه، فانّا إن ساعدنا التّوفيق انشاء اللّه نروى هناك من الكافى و غيره عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال بعد إبطال الجبر: تلك مقاله إخوان عبده الأوثان و خصماء الرّحمن و حزب الشيطان و قدريّه هذه الامه و مجوسها.

قال بعض الأفاضل: و الجمع بين الأحاديث يقتضى أن يكون الجبريه و المفوضه كلّهم قدريه و مجوس هذه الامه، و المؤمن المحقّ من قال بالأمر بين الأمرين.

و الحاصل أنّ الصوفيه متّحدون مع الأشاعره فى القول بالجبر إلّا أنّ مشربهم فيه مختلف، فانّ مسلک كلّ من الطائفتين يخالف مسلک الاخر فى ذلک.

قال السيد حيدر بن عليّ العبيدى الحسينى و هو من صوفيه الشيعه كما فى مجالس المؤمنين فى محكيّ كلامه من كتابه المسمّى بجامع الأسرار و من شرحه على الفصوص:

إنّ بعض الناس توهم أنّ الأشاعره الذين نسبوا أفعال العباد حسنا و قبحا إلى اللّه و القائلين بأنه لا فاعل إلّا هو موافقون فى توحيد الأفعال مع أهل الكشف و الحال، مع أنّ ما قاله الأشاعره خطاء محض، و ذلک لأنهم و إن كان بحسب ظاهر كلامهم و عبارتهم يقولون: لا فاعل إلاّ هو، كما يقوله أهل الكشف و لكن بحسب الباطن و المعنى بينهما بون بعيد، لأنّ الأشاعره مختفيه فى الظلمات محجوبه بالحجاب مشركه بالشرک الخفيّ، لأنهم لم يخلصوا بعد من رؤيه الغير، و لم يصلوا إلى مرتبه التوحيد الوجودى الذى هو مشاهده وجود الحقّ من دون ملاحظه وجود الغير، و أما أهل الكشف و الحال فانهم قد تكلّموا بهذا الكلام و قالوا هذا القول بعد الفناء فى الحقّ و الفراغ عن رؤيه الخلق قال شاعرهم:

قومى نه ز ظاهر نه ز باطن آگاه و آنگه ز جهالت بضلالت گمراه

مستغرق شر كند حقيقت گويند لا فاعل أصلا أبدا غير اللّه

هذا و أنت بعد ما عرفت بطلان القول بوحده الوجود من أصله تعرف بطلان القول بالجبر الذى يقوله الصوفيه، لكون هذه المسأله من فروعات تلک المسأله، و مثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

و أما بطلانه على ما يقوله الأشاعره فستعرفه بما لا مزيد عليه إنشاء اللّه تعالى فى باب المختار من الحكم إن ساعدنا التوفيق و المجال، و وفقنا اللّه العزيز المتعال و اللّه هو الموفق و المعين على كلّ حال.

و منها

اعتقادهم بأنّ السالک إذا عبد اللّه و بلغ إلى مرتبه الوصول و اليقين سقطت

عنه العبادات

و لا يبقى له حاجه إليها لقوله تعالى: «وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّى يَأْتِيَکَ الْيَقِينُ »،

ص:۲۵۹

و اليقين عندهم هو العلم و العرفان و عند أهل البيت عليهم السّلام اليقين هو الموت و يشهد بأنّ اعتقادهم ذلك ما قاله العلامه الحلّى قدّس اللّه روحه فى كتاب نهج الحقّ حيث قال:

شاهدت جماعه من الصوفيه فى حضره مولينا الحسين عليه السّلام و قد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالسا و لم يصلّ، ثم صلّوا بعد ساعه العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلاته فقال: و ما حاجته هذا إلى الصلاه و قد وصل أ يجوز أن يجعل بينه و بين اللّه حاجبا، فقلت: لا فقال: الصلاه حاجب بين العبد و الربّ.

قال «قد»: فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء و عقايدهم فى اللّه تعالى كما تقدّم و عبادتهم كما سبق و اعتذارهم فى ترك الصلاه كما مرّ، و مع هذا فانهم عندهم الأبدال، فهؤلاء اسم أجهل الجهال، انتهى كلامه رفع مقامه.

و روى بعض أصحابنا عن ابن أبى جمهور الاحسائى فى كتابه الموسوم: مجلى مرآه المنجى قال: قال فى أواسط الكتاب المذكور:

من هذا التقرير علم أنّ التكليف البدنى لا يتمّ بدون التكليف العقلى، و أنه متى خلا منه كان غير صحيح فالتوجّه و الاقبال و دوام الفكر شرط فى صحه العباده البدنيه، و لا يكفى حصولها من البدن من دون ذلك التوجّه و الاقبال المستلزمين لدوام الفكر و الحضور المعنوى عند المعبود على ما تحقّق عند أهل هذه الطريقه ردّا على أهل الظاهر.

و علم أيضا أنّ التوجّه و الاقبال و الحضور المعنوى من دون الأعمال الصّوريه الظّاهره بالقوى البدنى غير كاف، و لا مخرج من عهده التّكليف العقلى، خلافا للاباحيّه القائلين بأنّ العارف الواصل لا يحتاج إلى هذه الصّوره الظاهره لانقطاعه عنها و وصوله إلى ما ورائها، فتكون حاجبه له، و هو عند التّحقيق و أهل اللّه من الأوهام الشّيطانيّه، فانّ ملاحظه الصّور كما لا يتمّ بدون المعانى كذا لا يتمّ المعانى بدون الصّور، و الأعمال مظاهر هذه المعانى، فلا يتمّ حصولها بدون مظاهرها،

و المقصود من الوصول ترک ملاحظه العمل لا ترک العمل فتدبّره فانّه به تمّ هذا الموضع، و ما أحسنه من سرّ لا يطّلع عليه إلاّ بفكره صادقه.

و به ينحلّ ما يرد من الشّكوک من جماعه الاباحيّه كما قد وقع لى مع بعض الاباحيّه من المباحثه فأجبته بهذا الجواب فانقطع.

و ذلک انّه قد ذكر لى و أنا يومئذ مقيم بأرض نجد ببلاد يقال لها الدّرعيه إنّ فى جبل بها رجلا منقطعا عن النّاس معتزلا بنفسه عن مخالطه أحد من بنى نوعه و أنّه فى الأصل رجل من أهل اليمن ورد غريبا و انقطع إلى هذا الجبل.

فجئت إلى موضعه و سلّمت عليه فردّ السّلام فرأيت رجلا نبيلا حسن المنطق عليه أثر الصلاح، فحادثته فى فنون العلم فرأيت له ذوقا جيّدا.

فقلت له: ما أحسن ما أنت فيه من هذا الانقطاع إلاّ أنّى سمعت أنّک لا تصلّى الصّلاه الشّرعيه بالصّوره الظاهره الّتى جاء بها الشرع المحمّدى، أفلست على ملّته؟ فقال: بلى و لكن ما أعمل بهذه الصّوره الظاهره أنّها حجاب للواصل مرتبه الحضور المنقطع عن هذه الصّور المشاهد الحقّانى الذى لم يفارق باب الملک، أو لا تعلم أنّ الصّلاه مشتقّه من الصّله و بها يتوصّل المحجوب بالصّور إذ لاحظ بها القرب المعنوى؟ قلت: بلى فقال: فما احتياج الواصل إلى ما به يتوصّل إنّه قد استغنى بالوصول عن الموصل و ما يعمل الحاجّ بالرّاحله إذا وصل إلى مكّه و تمّ نسكه و قصده المجاوره فانّه حينئذ لغنىّ عنها فقلت: و أنت من أهل الوصول و الاتصال بحضره ذى الجلال؟ فقال: نعم.

فقلت: على تقدير تسليم وصولک فهل وصولک أتمّ من وصول نبيّک محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ و هل اتّصالک أعلى من اتّصاله؟

فقال: حاشا و كلاّ- بل الواصل الحقيقى هو لا- غيره و به يتّصل الكلّ و جميع الخاصّه و خاصّه الخاصّه عنه أخذوا مراتبهم و مقاماتهم فى النشأتين.

فقلت: فكيف هو مع ذلك الوصول التام و الاتصال الكامل لم يترك هذه الصور الظاهره و لا العبادات الشرعيه، بل كان دايم المواظبه عليها شديد العنايه بها.

فقال: إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت.

فعجبت من كلامه و فهمت منه ظاهره و خفى علىّ فى بادى الحال باطنه، فقلت: إذا يلزمك أن تكون أفضل منه إذ لا يشكّ كل عاقل أنّ غير المردود أفضل من المردود.

فضحك عن تهافت فهمى عن إدراك ما أراد من معنى الرّد.

فقال لى: و هذا منك ضمّ جهل إلى جهل.

فقلت له: أبن لى عن مقصودك و افهمنى مرادك لأقوم لك بالعذر.

فقال: إنه ردّ إلى تكميل الخلق و ايصالهم إلى بارئهم و منشئهم على الطريقه المرضيه لما علم اللّه فيه من القوّه الملكيه و النفس القدسيه البالغه فى حدّ الكمال إلى مرتبه القدره على التكميل و الارشاد لهذا الخلق و الجمع بين الجانبين، فلا يمنعها الاشتغال بتكميل الخلق عن الحضور بين يديه فى أغلب أوقاته و أخذ ما يحتاج إليه الخلق منه، و لا يمنعها الحضور بين يديه و الاشتغال بخدمته عن هدايه الأنام و تكميلهم لما فيه من القوّه الجامعه بين الأمرين، و أنا المسكين لما لم أكن فى هذه المرتبه بل و لا قريبا من بعض البعض منها لم أكن من أهل الردّ و لا من المستحقين له، بل شأنى و منتهى ما تقتضيه قوّتى لزوم باب الملك و الحضور بين يديه و التلقى لنفحات و اراداته، فأنا فى مرتبه قولهم: لو نطق العارف هلك، فهذا معنى قولى: إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت، لا كما ذهب إليه وهمك الرّدى و فهمك القاصر.

ثمّ قال: فاذا علمت أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المردودين لتكميل الخلق و ايصالهم إليه بطريق الشريعه و الطريقه و الحقيقه على مراتبهم لم يحسن منه بل و لم يجز له ترك

الصوره الظاهره و لا رفض الأعمال البدنيه لأنه المقتدى به و المتبوع اثره فصلاته و عباداته لا للتوصّل و التقرّب بها، لأنه فى الحقيقه و اصل قريب بل هو الأقرب الذى ليس وراء قربه قرب و لا بعد وصوله وصول، بل لتقتدى به العامه و يتوصّل باثاره و أطواره الخاصه، و أما أنا فلا حاجه لى إلى هذه الصوره لانقطاعى عنها بمشاهده الحقائق.

فسحرنى بكلامه و بهر عقلى بزخارف تقريراته حتى غلب علىّ الوهم أنه محقّ أو قريب من التحقيق، ثمّ أيّدنى اللّه بمنّه فرجعت إلى نفسى و ثاب إلىّ عقلى و قلت له فى الحال بلا إمهال: ليس بالوصول ينقطع العمل، و لا لأجله يترك الأوامر الشرعيه، فانّ ذلك وهم شيطانىّ مهلك، و خيال إبليسىّ مرد، بل الوصول عند أهل الوصول ترك ملاحظه العمل لا ترك العمل.

فسكت و انقطع عن الجواب و بقى ساعه متفكرا ثمّ قال: يا هذا قد أشغلتنى عمّا أنا فيه فلا تكثر علىّ الكلام و لا تعاودنى بشىء من الخطاب. فقم عنّى عجلا و دعنى و شغلى فما انقطعت فى هذه المفازه إلّا خوفا من أمثالك.

فخرجت عنه و انقطعت حجّته و بان عجزه و علمت أنّ الوهم المردى هو الّذى أهلكه، فعلم أنّ انقطاع حجج الاباحيه إنّما يكون بملاحظه هذا السّر فلا تغفل عن تدبّره، انتهى.

أقول يا أهل البصيره و البصر و اولى الاربه و الفكر انظروا بنظر الدّقه و العبر إلى عقيده هذا الصوفى الذى عن الخلق اعتزل، و بزعمه إلى مقام الزّلفى وصل، و الحال أنّه تاه و ضلّ، و هو بمعزل عن الحقّ عزّ و جلّ، فليكفك من العيان السّماع، و من الغيب الخبر، فقس على اعتقاده عقيده من مضى منهم و من غبر، تعرف بذلك أنّ من دان بهذه العقيده كالأنعام، بل أضلّ سبيلا، فلعن اللّه المتديّن بها بكره و أصيلا، و عذّبهم عذابا أليما و بيلا.

و العجب من ابن أبى الجمهور كيف سلّم لهذا الجاهل هذه التّرهات، و لم يردعه من تلك السقطات، و لم يكفّره فى أوّل الأمر و لم يقل إنّ دعواك الوصول

نفخ بغير ضـرم، و مشى بلا قدم. كنت تدعى أنك من المسلمين مع أنّك من المشركين، و تزعم أنك على ملّه سيد المرسلين و أنت فى تلك الدعوى من المبطلين.

لأنّ الواجب على المتديّن بدين الاسـلام، و المسـتنّ بسـنه سيّد الأنام أن يطيع اللّه و رسوله و أولياء أمره الكرام، فى جميع ما جاء به الكتاب و السنه من التكاليف و الأحكام.

و أعظم تلك التكاليف الصـلاه التى هى عمود الدين، و معراج المؤمنين، و كم من آيه متضـمنه لخطاب أقيموا الصـلاه، و كأيّن من روايه قـائمه على وجوب إقامتها فى الأوقات الموظفات، بل ضـروره الـدين قاضـيه بعـدم جواز تركها فى شـىء من الحالات، حتى حـاله الاشـراف على الموت و الايـاس من الحيـاه، فمـا هـذا شأنهـا كيف يمكن سـقوطها فى حاله الوصول، مع أنّ الوصول بالمعنى الّذى تقول غلط غير مقبول.

و بـالجمله فاللازم على ابن أبى الجمهور أن يجيب هـذا الجاهـل السّـفيه المعتوه بمجرّد اعـترافه بـأنّه من المسـلمين بـأنّ وجوب الصّلاه فى جميع الحالات من ضـروريّات الدّين، فأىّ دليل دلّ على سـقوطها من الواصـلين، بل لما جعلها سـيّد المرسلين بمنزله عمود الفسطاط كان تاركها هادما لفسطاط دينه متردّيا فى أسفل السّافلين.

و لكنّه لمّا كان صوفىّ المـذاق و لـذلك سـلك فى كتبه مسـلك الملاحـده اللّئام و المتصوّفه العوام أصـغى إلى طول مقال هذا الجاهـل، و أطال فى سؤاله و جوابه بلا طائل، ثمّ أجاب بمصـطلحات الصّوفيّه على مقتضـى مـذاقه و سليقته، و لم يجبه بالأصول الشّرعيه الممهّده حسبما أجبناه، لأنّ الأرواح جنود مجنّده، و إنّما الفيل يألف الفيلا.

فـو اللّه العظيم جـلّ جلالـه إنّ الاباحيه من الصـوفيه بـل جميع المـدّعين للوصول لنـاكبون عن طريق السـداد، و زائغون عن نهج الرشاد، مستحقّون اللعن و الطرد و الابعاد، محجوبون عن حضره ربّ العباد، و من أضلّ اللّه فما له من هاد،

ص:۲۶۴

و لنكتف من ذكر عقايدهم الفاسده بما أوردناه و نعطف عنان القلم إلى ما سواه فأقول و باللّه التوفيق:

و أما الافعال و الاعمال

التى انحرفوا فيها عن النهج المقرّره فى الشريعه و استبدّوا فيها بارائهم الفاسده و عقولهم السخيفه فأكثر من أن تحصى و لنشر إلى بعضها فأقول:

منها

اعتمادهم على الأحاديث المجهوله و تأويلهم على الأخبار المجعوله

كما يظهر ذلك لمن راجع إلى كتبهم، بل يجوّز بعضهم وضع الأحاديث الكاذبه مع ما سمعوه من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الحديث المتّفق عليه بين الفريقين: من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار حسبما يأتى فى المختار الاتى.

و يشهد بتجويزهم للوضع ما قاله قاضى القضاه أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى القاهرى الشافعى فى شرح رساله كتبها فى علم الدّرايه و سمّاها بنخبه فى مصطلح أهل الأثر بعد ما ذكر بعضا من القراين التى يدرك بها الوضع:

و الحامل للواضع على الوضع إما عدم الدّين كالزنادقه أو غلبه الجهل كبعض المتعبّدين، أو فرط العصبيّه كبعض المقلّدين، أو اتّباع هوى بعض الرّؤساء أو الأحزاب بقصد الاشتهار و كلّ ذلك حرام باجماع من يعتدّ به.

إلاّ أنّ بعض الكراميه و بعض الصوفيه نقل عنهم إباحه الوضع فى الترغيب و الترهيب، و هو خطاء من فاعله نشأ من جهل، لأنّ الترغيب و الترهيب من جمله الأحكام الشرعيه و اتّفقوا على أنّ تعمد الكذب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الكباير.

و بالغ أبو محمّد الجوينى فكفّر من تعمّد الكذب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و اتّفقوا على تحريم روايه الموضوع إلاّ مقرونا ببيانه لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من حدّث عنّى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذّابين، أخرجه مسلم، انتهى.

ص:۲۶۵

و قال السيد نظام الدّين أحمد بن إسحاق من كتاب الأربعين المسمّى بنظم اللّئالى الملاح فى الأحاديث العوالى الصّحاح:

لا ـ فرق فى تحريم الكـذب عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين مـا كان فى الأحكام و فيما لا حكم فيه كالترغيب و الترهيب و المواعظ و غير ذلک، فكلّه حرام من أكبر الكبائر و أقبح القبايح باجماع المسلمين الذين يعتدّ بهم.

خلافا للكراميه المبتـدعه فى زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحـديث فى الترغيب و الترهيب، و تابعهم على هـذا كثير من الجهله المنتسبين إلى الزهد، و شبهه زعمهم الباطل أنه جاء فى روايه من كذب علىّ متعمدا ليضلّ به الناس فليتبوّأ مقعده من النار.

و قـد أجـاب العلمـاء عنه بـأجوبه أحسـنها و أخصـرها أنّ قوله: ليضـلّ به النـاس زيـاده باطله باتّفاق الحفاظ على إبطالها و أنها لا تعرف صحيحه بحال.

الثانى جواب أبى جعفر الطحاوى أنها لو صـحّت لكانت للتأكيـد كقوله تعالى «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ ».

الثـالث أنّ اللام فى ليضلّ ليست لام التعليل بل هى لام الصـيروره و العاقبه معناه أنّ عاقبه كـذبه و مصـيره إلى الاضـلال كما فى قوله تعـالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً »، و نظائره فى القرآن و كلام العرب أكثر من أن تحصـى و على هـذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالا.

و نقل الجامى فى شرحه على منتخب الفصوص: إنّ سلطان العارفين أبا يزيد البسطامى قال لبعض علماء الرسوم و نقله الأحكام و الاثار و الأخبار: أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت و أخذنا علمنا من الحىّ الّذى لا يموت.

أقول: و هـذا تعريض منه على المحـدّثين و رواه أحاديث المعصومين عليهم السّـلام بل هو تصـريح بنقصـهم و انحطاط درجتهم سلام اللّه عليهم.

و نقـل مثـل ذلـک الجزايرى فى الأـنوار النعمـانيه قـال: و قـد كان فى زماننا رجل من الصوفيّه يزعم أنّه من علماء الشّـيعه و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على

المنبر: إنّى كتبت الاصول الأربعه يعنى الكافى و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها و لمّا رأيتها عديم الفايده بعتها بدرهم واحد و رميت ذلك الدّرهم بالماء، فانظر إلى ايمان هذا الرّجل عليه لعنه اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين.

فقد علم بذلك أنّ الصّوفيه ستيّا كانت أو شيعيا لا جريحه لهم فى أمر الدّين، و لا مبالاه فى ملاحظه مدارك الشّرع المبين، فتاره يجوّزون وضع الأحاديث، و تاره يعتمدون على الأخبار المرسله و المجهوله، بل على الموضوعه و المجعوله فى إثبات مطالبهم الفاسده، و ثالثه يستخفون الأخبار المعتبره و يستحقرون رواتها و يستهزءون لنقله الأحاديث و الأخبار، و ذلك كلّه لبعدهم عن قوانين الشّريعه، و مع ذلك يزعمون أنّهم وصلوا الحقيقه، و الحال أنّهم لم يعرفوا الشّريعه فضلا عن الطريقه و الحقيقه.

و منها

التزامهم بكون ورودهم و صدورهم فى مقام السير و السلوک بدلاله المرشد

زعما منهم أنه أعرف بطرق السير و متابعته أسرع فى الايصال و الوصول، و ذكروا فى آداب السالک انه:

يجب أن يكون كامل الاعتقاد فى حقّ الشيخ بحيث لا- يرى أكمل منه فى عصره من حيث الارشاد و التربيه و التهذيب و التأديب، إذ لو كان ضعيف الاعتقاد لم يكن له وقع عنده فلا يؤثر فيه أقواله و افعاله، و كلما كان اعتقاده به أشدّ كان تاثير أقواله و أفعاله فيه آكد.

و يجب أيضا أن يقوم فى مقام التسليم و الاذعان حتى لو رأى منه منكرا لا- ينكره و لا- يطعن به عليه و يذكر فى ذلک قصه موسى و الخضر عليهما السّلام.

و يجب أيضا أن يسلب عن نفسه بكلّيته الاختيار و يكون مطيعا له فى كلّ ما يأمر و ينهى من الأمور الدّنيويّه كالأكل و الشّرب و النّوم و اللّباس و القيام و القعود و الحركه و السّكون و غيرها، أو الأمور الدّينيّه حتّى العبادات المندوبه

من الصّوم و الافطار و الاكثار من النّوافل و الاقتصار على الفرائض و الذّكر و التلاوه و المراقبه و غيرها، فلا يقدم على شىء منها إلّا باذنه و لو رأى أنّه يكرهها لا يجوز إقدامه عليها.

و يجب أيضا أن ينتظر و يترصّد ما يصدر عن لسان الشّيخ فيتبعه لكونه واسطه كلام الحقّ إلى غير ذلك ممّا ذكروه فى آداب السّالك و محصّل ذلك كلّه أن يشرب المريد قلبه حبّ الشّيخ و يكون راسخ الاعتقاد فى حقّه و يأخذ معالم دينه عنه، لأنّه صاحب الولايه الجزئيه، و من مجالى الولايه الكليّه و للوليّ أن يكون نافذ التّصرف فى حقّ المولّى عليه.

و أوّل من أسّس هذا الأصل الفاسد و ادّعى لنفسه الولايه و تلقّاه أتباعه منه بالقبول هو الرّجس الخبيث ابن العربى، فانّه لكونه ستيا ضالّا منحرفا عن أولياء الدّين و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين ادّعى أنّه خاتم الأولياء ثمّ سرى ذلك الوهم الباطل و الغلط الفضيح منه إلى الأعقاب حتّى جهّال الشيعه المتصوّفه فسمّوا مرشديهم بالأولياء.

و ينبغى إشباع الكلام فى المقام لأنّه ممّا زلّت فيه أقدام أقوام من العوام فأقول:

زعم ابن العربى ماحى الدّين و هادم أساس الشّرع المبين أنّه خاتم الولايه المحمّديّه، و قد أشار إلى ذلك فى مواضع من الفصوص و الفتوحات و لنشر إلى موضع واحد.

قال فى الفصوص فى الفصّ الشّيثى «و لما مثل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم النّبوّه بالحائط من اللّبن و قد كمل سوى موضع لبنه واحده فكان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تلك اللّبنه غير أنّه لا يراها إلّا كما قال لبنه واحده و أمّا خاتم الأولياء فلابدّ له من هذه الرّؤيا فيرى ما مثّله به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يرى فى الحائط موضع لبنتين و اللبنتان من ذهب و فضّه فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما و يكمل الحائط بهما لبنه ذهب و لبنه فضّه فلابد أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين فيكمل الحائط»

قال القیصری: أی لمّا مثل خاتم الرّسل النّبوّه بالحایط و رأی نفسه تنطبع فیه لا بدّ أن یری خاتم الولایه نفسه کذلک لما بینهما من المناسبه و الاشتراک فی مقام الولایه.

«و السبب الموجب لکونه رآها لبنتین انه تابع لشرع خاتم الرّسل فی الظاهر و هو» أی کونه تابعا «موضع اللبنه الفضیّه و هو ظاهر و ما یتبعه فیه من الأحکام» أی موضع اللبنه الفضیّه صوره متابعه خاتم الأولیاء لخاتم الرّسل عن الأحکام و صوره ما یتبعه فیه و انطباعه موضع اللبنه یکمل المتابعه و لا یبقی بعده متابع آخر کما لا یبقی بعده ولیّ آخر.

«کما هو آخذ عن اللّه فی السرّ ما هو بصوره الظاهره متّبع فیه» أی خاتم الولایه تابع للشرع ظاهرا کما أنه آخذ عن اللّه باطنا لما هو متّبع فیه للصوره الظاهره «لأنه یری الأمر علی ما هو علیه فلابدّ أن یراها هکذا» أی لأنه مطلع علی ما فی العلم من الأحکام الالهیه و مشاهد له و إلاّ لم یکن خاتما «و هو موضع اللبنه الذّهبیه فی الباطن» أی کونه رائیا للأمر الالهی علی ما هو علیه فی الغیب هو موضع اللّبنه الذّهبیّه «فانّه یأخذ من المعدن الّذی یأخذ منه الملک الّذی یوحی به إلی الرّسول» و هو الحق تعالی، هذا.

و نقل القیصری عنه فی شرح هذا الفص انّه قال فی فتوحاته:

أنّه رأی حائطا من ذهب و فضّه و قد کمل إلاّ موضع لبنتین إحداهما من فضّه و الاخری من ذهب، فانطبع موضع تلک اللّبنتین و قال فیه و أنا لا اشکّ انّی أنا الرّائی و لا أشکّ انّی أنا المنطبع موضعهما و بی کمّل الحائط، ثمّ عبّرت الرّؤیا بانختام الولایه بی و ذکرت المنام للمشایخ الّذین کنت فی عصرهم و ما قلت من الرّائی فعبّروا بما عبّرت به.

و الظّاهر ممّا وجدت فی کلامه فی هذا المعنی أنّه خاتم الولایه المقیّده المحمّدیه لا الولایه المطلقه الّتی لرتبته الکلّیه.

ص:۲۶۹

و لذلک قال فی أوّل الفتوحات فی المشاهده: فرآنی أی رسول اللّه و رأی الختم لاشتراک بینی و بینه فی الحکم فقال له السّید هذا عدیلک و ابنک و خلیلک و العدیل هو المساوی.

قال فی الفصل الثالث عشر من أجوبه الامام محمّد بن علیّ التّرمدی: الختم ختمان ختم یختم اللّه به الولایه مطلقا، و ختم یختم اللّه به الولایه المحمّدیّه.

فأمّا ختم الولایه علی الاطلاق فهو عیسی علیه السّلام فهو الولیّ بالنبوّه المطلقه فی زمان هذه الامّه و قد حیل بینه و بین نبوّه التشریع و الرّساله فینزل فی آخر الزمان وارثا خاتما لاولیّ بعده فکان أوّل هذا الأمر نبیّ و هو آدم علیه السّلام و آخره نبیّ و هو عیسی علیه السّلام أعنی نبوّه الاختصاص فیکون له حشران حشر معنا و حشر مع الأنبیاء و الرّسل.

و أمّا ختم الولایه المحمّدیه فهو لرجل من العرب أکرمها أصلا و بدءا و هو فی زماننا الیوم موجود عرفت به سنه خمس و تسعین و خمسمائه و رأیت العلامه التی قد أخفاها الحقّ فیه عن عیون عباده و کشفها لی بمدینه فامن حتّی رأیت خاتم الولایه منه و هی الولایه الخاصّه لا یعلمه کثیر من النّاس و قد ابتلاه اللّه بأهل الانکار علیه فیما تحقّق به من الحقّ فی سرّه.

و کما أنّ اللّه ختم بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نبوّه التّشریع کذلک ختم اللّه بالختم المحمدی الولایه التی تحصل من الوارث المحمّدی لا الّتی تحصل من سایر الأنبیاء فانّ من الأولیاء من یرث إبراهیم و موسی و عیسی و هؤلاء یوجدون بعد هذا الختم المحمّدی، هذا ختم الولایه المحمدیّه و أمّا ختم الولایه العامّه الذی لا یوجد بعده ولیّ فهو عیسی.

و قال فی الفصل الخامس عشر منها: فانزل فی الدّنیا من مقام اختصاصه استحقّ أن یکون لولایته الخاصّه ختم یواطی(۱) اسمه اسمه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یجوز خلقه و ما هو بالمهدی المسمّی المعروف المنتظر فهو ذلک من عترته و سلالته الحسّیه و الختم لیس من سلالته الحسّیه و لکن من سلاله أعرافه و أخلاقه و الکلّ إشاره إلی

۱- (۱) یشیر إلی نفسه لأنّ اسمه محمد بن علی العربی الاندلسی منه ()

نفسه، انتهى ما نقله القيصرى.

فقد علم بذلك كلّه أنّ هذا الخبيث الملحد قد ادّعى دعوى أعظم من فيه حيث إنّه ادّعى تاره أنّه خاتم الولايه، و اخرى أنّه عديل النّبوّه و مساو له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الرّتبه، و ثالثه أنّه أفضل من الأنبياء و الرّسل لتلقّيه الوحى بلا واسطه من الحقّ و تلقّى الرّسل له بواسطه الملك كما قال فى آخر كلامه: فانّه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الّذى يوحى به إلى الرّسل و هو الحقّ تعالى و لمّا سمع أصحابه منه هذه الهذيانات سلموا له ذلك لما استحوذ عليهم الشيطان اللّعين و أضلّهم عن السّبيل و سرى ذلك الفساد و الضّلال إلى الأعقاب و إلى أتباع كلّ ناعق من متصوّفه العامه فسمّوا مرشدهم بالشيخ و الولى و وصفوهم بالولايه.

ثمّ تعدّى عنهم إلى جهّال الخاصّه المتصوّفه فاحتذوا حذوهم و اتّخذ كلّ سلسله منهم مرشدا مخصوصا و وصفوه بالولايه و فوّضوا عليه زمام امورهم الدّنيويّه و الدّينيه و عنه أخذوا الاذكار المخترعه و الأوراد المبتدعه، و وقّروه و عظمّوه و مجّدوه و زاروه، بل ربما ينقشون صورته المنحوسه فى قرطاس أو لوح و يجعلونه فى مصلاهم يزورن تلك الصوره و يقبّلونها و يضعونها على رؤوسهم فى الغدوّ و الرّواح يلتمسون بذلك الخير و البركه و التقرّب إلى اللّه تعالى، زعما منهم أنّ تقرّبه موجب لتقرّبه عزّ و جلّ كما قال عبده الأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه.

و لم يدروا أنّ ذلك كلّه بدعه و ضلاله لكونه مخالفا للأصول الشرعيّه و لقواعد مذهب الاماميه.

و ذلك لأنّ الولايه الكلّيه و السلطنه الالهيه و وجوب الاطاعه بنصّ آيه: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ » و آيه: «أَطِيعُوا اللّهَ » الايه و غيرها من آيات الكتاب و أحاديث الأئمه الأطياب منحصره فى اللّه سبحانه و فى رسوله و اولى الأمر من ذرّيته أعنى الأئمه الهداه و القاده الدّعاه و الساده الولاه سلام اللّه عليهم أجمعين، فيجب طاعتهم و الرّجوع إليهم و أخذ معالم الدّين عنهم فى زمان حضورهم.

و أما فى زمان الغيبه الكبرى و الطامه العظمى فيجب الرّجوع إلى من

أرجعنا أولياء الأمر عليهم السّلام إليه و فرضوا علينا أخذ التكاليف الشرعيه منه و أوجبوا علينا متابعته و طاعته، و هم المجتهدون الجامعون لشرائط الافتاء و القابلون لنيابه الامام فقط.

فلقد قال صاحب الأمر عجّل اللّه فرجه فى حقّهم: و أما الحوادث الواقعه فارجعوا فيها إلى رواه أحاديثنا فانهم حجّتى عليكم و أنا حجّه اللّه.

و قال الصادق عليه السّلام فى مقبوله عمر بن حنظله الطويله الوارده فى حقّ المتخاصمين:

ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا و نظر فى حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما فانى قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخفّ بحكم اللّه و علينا ردّ و الرّاد علينا كافر رادّ على اللّه و هو على حدّ الشرك باللّه.

و نحوهما أخبار لا حاجه إليها فبمقتضى هذه الأخبار و ساير الأدلّه التى ذكرها أصحابنا رضى اللّه عنهم فى كتب الاصول لا يجوز التعويل و الاعتماد على غير هؤلاء.

فالصوفيه الذين يتّخذون لهم مرشدا و دليلا و يسمّونه شيخا و وليا و يأخذون آداب السير و السلوك إلى اللّه منه مع كونه جاهلا ضالاّـ عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى مثلهم إنما مثلهم كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، بل مثل من أسّس بنيانه على شفا جرف هارفا نهار به فى نار جهنم.

و ذلك لأنهم قد سلكوا الطريق بغير دلاله الدّليل الواجب الاتباع و هو المجتهد الجامع لشرائط الافتاء، بل قلّدوا جاهلا لا يعرف الباطل و الحقّ و لا يفرّق بين النعق و النهق، و لئن قلت لهم: أنتم قلّدتم هذا الجاهل فيستوحشون منه و ينكرون غايه الانكار مع أنّ التقليد ليس عباره إلّا عن أخذ قول الغير من غير مطالبه الدليل و هذا حالهم مع هذا الضليل.

و قد أشير إلى بطلان مثل هذه المتابعه و التقليد و إلى النهى عنها فى آيات

و أخبار كثيره.

مثل ما رواه فى الوسايل عن الكلينى باسناده عن محمّد بن عبيد قال: قال لى أبو الحسن عليه السّلام: يا محمّد أنتم أشدّ تقليدا أم المرجئه؟(۱) قال: قلت: قلّدنا و قلّدوا فقال عليه السّلام: لم أسألك عن هذا، فلم يكن عندى جواب أكثر من الجواب الأوّل فقال أبو الحسن عليه السّلام: إنّ المرجئه نصبت رجلا لم تفترض طاعته و قلّدوه و أنتم نصبتم رجلا و فرضتم طاعته ثمّ لم تقلّدوه فهم أشدّ منكم تقليدا.

و باسناده عن أبى بصير(۲) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون اللّه، فقال عليه السّلام: أما و اللّه ما دعوهم إلى عباده أنفسهم و لو دعوهم ما أجابوهم و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

و باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ: «اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ » فقال عليه السّلام: و اللّه ما صاموا لهم و لا صلّوا لهم و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فاتّبعوهم.

و باسناده عن عبد اللّه بن مسكان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: ايّاكم و هؤلاء الرّؤساء الذين يتراسون فو اللّه ما خفقت النّعال خلف رجل إلاّ هلك و أهلك.

و باسناده عن أبى حمزه الثّمالى قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام إيّاك و الرّياسه و إياك أن تطاء أعقاب الرّجال، قلت: جعلت فداك أمّا الرّياسه فقد عرفتها و أمّا أن أطاء أعقاب الرّجال فما نلت ما فى يدى إلاّ ممّا وطئت أعقاب الرّجال، فقال عليه السّلام

۱- (۱) - و فى الأحاديث المرجىء يقول من لم يصل و لم يصم و لم يغتسل من الجنابه و هدم الكعبه و نكح امه فهو على ايمان جبرئيل و ميكائيل قال بعض أهل المعرفه بالملل: المرجئه هم الجبريه سمّيت مرجئه لانهم يؤخّرون أمر اللّه و يرتكبون الكبائر، و ذكر فى مجمع البحرين له معانى اخر. منه.

۲- (۲) - يعنى المرادى

لی: لیس حیث تذهب ایّاک أن تنصب رجلا دون الحجّه فتصدّقه فی کل ما قال.

و فی الوسائل من الاحتجاج فی حدیث طویل عن الحسن العسکری علیه السّلام قال: و کذلک عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر و العصبیه الشّدیده و التکالب علی الدّنیا و حرامها فمن قلّد مثل هؤلاء فهو مثل الیهود الّذین ذمّهم اللّه بالتقلید لفسقه علمائهم، فأمّا من کان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدینه مخالفا علی هواه مطیعا لمولاه فللعوام أن یقلّدوه، و ذلک لا یکون إلاّ بعض فقهاء الشّیعه لا کلّهم، فانّ من رکب من القبایح و الفواحش مراکب علماء العامه فلا تقبلوا منهم عنّا شیئا و لا کرامه، و إنّما کثر التّخلیط فیما یتحمّل عنا أهل البیت لذلک لأنّ الفسقه یتحمّلون عنّا فیحرّفونه بأسره لجهلهم و یضعون الأشیاء علی غیر وجهها لقلّه معرفتهم، و آخرون یتعمّدون الکذب علینا، إلی غیر هذه ممّا لا نطیل بروایتها.

و الحدیث الأخیر و إن کان فی حقّ العلماء السّوء و مقلّدیهم إلاّ أنه یشمل کلّ من یأخذ أمر دینه ممن لیس له قابلیه لأن یؤخذ منه مثل ذلک إما لجهله أو لفسقه کالصوفیه و مشایخهم الفسقه الجهال.

و أیّ فسق أعظم من تجویز التصفیق و الرّقص و الغناء و اختراع الأذکار و الأوراد المبتدعه بکیفیات خاصه و شرایط مقرّره عندهم من حیث العدد و الوقت و الزّمان و المکان و غیرها مما لیس منها فی الکتاب و السنه عین و لا أثر.

ثمّ العجب أنّ أتباع هؤلاء الفسقه یقصدون بالتقرّب إلیهم و بتوقیرهم و تمجیدهم و تعظیمهم التقرّب إلی اللّه، و هکذا کانت حال عبده الأصنام کما قال اللّه تعالی فی وصفهم: «وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِیُقَرِّبُونا إِلَی اللّهِ زُلْفی إِنَّ اللّهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی ما هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ کاذِبٌ کَفّارٌ ».

و الضمیر فی یختلفون للکفره و مقابلیهم أولهم و لمعبودیهم، فانهم یرجون شفاعتهم و هم یلعنونهم.

و أعجب من ذلک تبرّکهم بتمثال المرشد و تعظیمهم و تقبیلهم و زیارتهم له

و قـد قال إبراهيم عليه السّلام لعبـده الأصـنام: «ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ».

و منها

الغناء و الرّقص و التصفيق

، و هو أعظم عباداتهم يقومون بها فى الأوقات الشريفه المخصوصه و قد عاتب اللّه أهل الجاهليه الكفار بذلك فقال: «وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً »، أى يقيمون الصفير و التصفيق مكان الصلاه.

قال الصوفيه فى أسباب حصول الجذبه و الحاله التى تحصل للمريد يلازم سماع الغنا.

قال الغزالى: اعلم أنّ السـماع أوّل الأمر و يثمر السـماع حاله فى القلب تسـمّى الوجـد و يثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركه غير موزونه فتسمّى الاضطراب و إما موزونه فتسمّى التصفيق و الرّقص.

قال أبو طالب المكّى: لم يزل الحجازيّون عندنا بمكه يسـمعون السماع فى أفضل أيام السنه و هى الأيام المعدودات التى أمر اللّه عباده فيها بذكره كأيام التشـريق، و لم يزل أهل المدينه مواظبين كأهل المكه على السـماع إلى زماننا، فأدركنا أبا مروان القاضى و له جوار يسمعن الناس التلحين و قد أعدّهنّ للصوفيّه.

قـال: و قـال الجنيـد: ينزل الرّحمه على هـذه الطـايفه فى ثلاثه مواضع: عنـد الأكل لأنهم لا يأكلون إلاّ عن فاقه، و عنـد المـذاكره لأنهم لا يتحاورون إلاّ فى مقامات الصديقين، و عند السماع لأنهم يسمعون بوجد و يشهدون حقا.

قال بعد الاستدلال على حلّيته بالقياس و الاستحسانات العقليه الفاسده و بالأخبار الموضوعه و بعد تفصيل الموارد الّتى يتغنىّ فيها مثل الغناء لتهيّج الحجيج و تشويقهم إلى الحجّ و لتحريض الغزاه على الجهاد و فى أيّام السّرور و العيد و نحوها و استقصاها إلى سبعه ما لفظه:

السّابع سماع من أحبّ اللّه و عشقه و اشتاق إلى لقائه، فلا ينظر إلى شيء

إلّا رآه فيه سبحانه و لا يقرع سمعه قارع إلّا سمعه منه أو فيه، فالسماع فى حقّه مهيّج لشوقه و مؤكد لعشقه و مور زناد قلبه، و مستخرج منه أحوالاـ من المكاشفات و الملاطفات لاـ يحيط بها الوصف يعرفها من ذاقها و ينكرها من كلّ حسّه عن ذوقها و تسمّى تلك الأحوال بلسان الصّوفيّه و جدا مأخوذ من الوجود و المصادفه أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع، ثمّ تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف و تتابع لها تحرق القلب بنيرانها و تنقيه من الكدورات كما تنقى النّار الجواهر المعروضه عليها من الخبث، ثمّ يتبع الصّفاء الحاصل به مكاشفات و مشاهدات و هى غايه مطالب المحبّين للّه فالمفضى إليها من جمله القربات لا من جمله المعاصى و المباحات.

ثمّ ذكر آداب مجلس السّماع للغناء إلى أن قال:

الأدب الرّابع أن لا يقوم و لا يرفع صوته بالبكاء و هو يقدر على ضبط نفسه و لكن إن رقص و تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المرآه لأنّ التباكى استجلاب للحزن و الرّقص سبب فى تحريك السّرور و النّشاط فكلّ سرور مباح فيجوز تحريكه إلى أن قال:

و الأدب الخامس موافقه القوم فى القيام إذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء و تكلّف أو قام باختيار من غير إظهار و جد و قامت له الجماعه، فلابدّ من الموافقه فذلك من آداب الصّحبه و كذلك إن جرت عاده طائفه بتنحيه العمامه على موافقه صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقه فى هذه الامور من حسن الصحبه و العشره إذ المخالفه موحشه و لكلّ قوم رسم و لاـ بدّ من مخالقه النّاس بأخلاقهم، و قول القائل: إنّ ذلك بدعه لم يكن فى الصحابه، فليس كلّ ما يحكم باباحته منقولا من الصحابه و إنما المحذورات ارتكاب بدعه تراغم سنه مأثوره إلى أن قال:

و من الأدب أن لاـ يقوم للرّقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه و لاـ يشوّش عليهم أحوالهم إذ الرّقص من غير إظهار التواجد مباح و المتواجد هو الذى يلوح

ص:۲۷۶

للجمع منه أثر التكلف و من يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كان من أرباب القلوب محك للصدق إلى أن قال:

فقد خرج من جمله التفصيل السابق أنّ السماع قد يكون حراما محضا، و قد يكون مباحا، و قد يكون مكروها، و قد يكون مستحبا.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشّبان و من غلبت عليهم شهوه الدّنيا، فلا يحرّك السماع منهم إلّا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومه.

و أما المكروه فهو لمن لا ينزله على صوره المخلوقين و لكن يتّخذه عاده له فى اكثر الأوقات على سبيل اللهو.

و أما المباح فهو لمن لا حظّ له منه إلّا التلذّذ بالصوت الحسن.

و أمّا المستحبّ فهو لمن غلب عليه حبّ اللّه و لم يحرّك السماع منه إلّا الصّفات المحموده، انتهى ما أهمّنا نقله من لغويّات كلامه.

و إنّما أطنبنا بنقله تنبيها لك على سوء أعمالهم و أفعالهم و استباحتهم لما تثبت حرمته بالكتاب و السّنه بل حكمهم باستحبابه بمقتضا قياساتهم الفاسده و الاستحسانات السّاقطه عن درجه الاعتبار، و كفانا مؤنه أدلّه التّحريم ذكر أصحابنا رضوان اللّه عليهم لها فى كتاب المكاسب من الفقه و فى كتب الأخلاق و غيرها، و لنعم ما قيل فى حقّ هؤلاء:

أيا جيل التّصوّف شرّ جيل لقد جئتم بشىء مستحيل

أ فى القرآن قال لكم إلهى كلوا مثل البهايم و ارقصوا لى

و إذا عرفت أقوالهم فى جواز التّغنّى و السّماع و الرّقص فلنذكر مواظبتهم بأعمالها فى مجالس ذكرهم لأنّ إلحاق ذكر الفعل بالقول و إقران العمل بالعلم أكمل و أبلغ فى ايضاح مذاق هؤلاء الفسّاق فأقول:

قال هبه اللّه بن محمّد فى شرح الحديث الخامس من رساله المسمّاه بالأحاديث الخمسين المروّيه عن آل يس: سمعت من قطب الأولياء و السّالكين ظهير الملّه و الدّين حكايه أبيه الشيخ الرّبانى نجيب الدّين علىّ بن يزعش الفارسى أنّه قد حضر

سماعا فی دار شیخ مشایخ الاسلام شهاب الملّه و الدین السّهروردی و کان الشیخ علی أعلی السطح، فلمّا شرع المطرب القول و الضّرب اقتصر الاصحاب علی السّماع المجرّد و هو بلا حرکه مبرّد، فصاح الشیخ من فوق و قال یا أصحابی:

السّماع بلا کشکش کبستان بلا مشمش.

فتواجد القوم کلّهم و أنشد مطربهم هذا:

أیا جبلی نعمان باللّه خلّیا نسیم الصّبا یخلص إلیّ نسیمها

فانّ الصباریح إذا ما تنسّمت علی قلب محزون تجلّت همومها

أجد بردها او تشف منی حراره علی کبد لم یبق إلّا صمیمها

ألا إنّ أو دائی بلیلی قدیمه و أقتل داء العاشقین قدیمها

و کان هناک فقیر قاعد فی الحاشیه عند مواقف الحاشیه إذ اقرء المطرب هذه الأبیات وقع فی الاضطراب علی أعجب الحالات و تلالا منه نور و حرقه بحیث أدهش جماعه الفرقه، فأخذوا فی الذّوق و البکاء و الجزع و الغلق إلی آخر المجلس فما أفاقوا.

قال ذلک الفقیر: أ تدرون یا صحبی ما معنی جبلی نعمان و أیّ شیء وقع فی خاطری من المناسبه و ما المراد للفقراء عند إطلاق هذا اللّفظ؟ فقال بعضهم الخوف و الأمل، و قال بعضهم: النّفس الحیوانیّه و الطبیعیّه، و قال: بعضهم الملک و الشیطان، و قال بعضهم: الامّاره و اللّوامه، و هو ما التفت إلی هذه الأجوبه فقالوا قد رضینا بجوابک و سیرک فمرنا بأمرک فقال: ما أقول إلّا بحضور الشیخ، فاستحضروا خدمه شیخهم و جلس و قال: أجب لهم یستفیدون منک فقال: إنّهما محمّد و إبراهیم صلوات اللّه علیهما و شرایعهما ما یخلیان أن یهب نسیم الرّوح إلی العشاق و قد سدّ طرق الانبساط و الأذواق و وضعا سلاسل الأحکام علی أیدی الخواص و العوام، و رسما مراتب العبادات و وسما کلّ شخص بسمه فی الدّرجات و الدّرکات، فاستحسنه الشیخ و أصحابه، و فتحوا للعیش أبوابه، و اشتغلوا بالسّماع إلی الصباح من المصباح، و أمر الشیخ بأنّ السّماع عند من له قلب و سمع من أشرف الطاعات بعیدا عن أرباب العادات انتهی.

ص:۲۷۸

و هذا المجلس أنموذج ساير مجالسهم و به عرف أنّ الغناء الّذى استحلّوه لأجل كونه مهيّجا للوجد و المكاشفات على زعمهم لم يكن مهيّجا له بل منتجا للأقوال و الأباطيل و الهزل و الهذيان، و محصّلا لاعلان عداوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عداوه خليل الرّحمن، حيث قيّداهم بقيد الشريعه و لم يخليّاهم و أنفسهم كالبهائم المرسله و الانعام المهمله يرتعون ما يشتهون و يعملون ما يشاءون تبعا لوليّهم الشيطان، و ذلك لأنّهم فى تحليل الغناء به اقتدوا و من بحره استقوا، و على منهاجه جروا.

كما يدلّ عليه ما عن العياشى فى تفسيره عن جابر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله قال:

كان إبليس أوّل من ناح و أوّل من تغنّى و أوّل من حدا، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لمّا أكل آدم من الشّجره تغنّى، فلمّا اهبط حدا به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح فاذكره ما فى الجنّه الحديث، هذا.

و العجب كلّ العجب من متصوّفه الاماميّه أنّهم مع اذعانهم بأئمّه الدّين و اعتقادهم بولايه الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين قد أخذوا فى مقام العمل مسلك العامّه العميا المنحرفين عن أئمه الهدى و التّاركين للحنيفيّه البيضاء، فاحتذوا حذوهم فى أصل التّصوف و تشييد بنيانه، ثمّ فى الأخذ بفروعه و أغصانه، و أوردوا فى مؤلفاتهم نظما و نثرا ما هو مفيد لحسن السّماع و الرّقص، مع أنّه خلاف الاجماع و الكتاب و النّص، حسبما تعرفه فى ضمن الأخبار الاتيه إنشاء اللّه قال بعض أقطابهم:

و حين يسمع ذكر اللّه سامعهم فى لحن داود عهد اللّه يدّكر

طوبى لهم يا جبال أوّبى معهم و الطير عن ذكره للسمع يبتدر

و حين يسمع الأشعار منصتهم من نظم امجاد أهل اللّه يبتدر

يتلو بنغمه حسن الصوت مطربهم نظما بديعا به يصّعّد الحجر

كلامهم من جنود اللّه يأخذ من هو الأسير لدى الدنيا و ينتصر

يكاد يندكّ من ألحانه طربا شمّ الجبال و منها يخضع الخدر

هم كالمجانين عند الغافلين و هم مسافرون و فى الرّجعى لهم سفر

و روى قطبهم الاخر فى كتابه أنّه أنشد بحضره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شعر مشتمل على ذكر الحبيب فطفق صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يهتزّ و يهرول و يكرّر قول: يا حبيب يا حبيب، فقال معاويه: ما أحسن لعبك يا رسول اللّه، فقال: مه يا معاويه ليس بكريم من لم يهتزّ بذكر الحبيب.

و لعلّه نقله من كتب العامّه و الاّ فليس الاهتزاز و الهروله و اللعب بسماع الشعر لايقا به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بمنصب النبوّه.

و قد روى مثله فى كتب العامّه قالوا: و قد انشد شخص بحضرته:

لسعت حيّه الهوى كبدى فلا طبيب و لا راق

إلاّ الحبيب الذى كلفت به فانّه منيتى و ترياقى

فتمايل عليه و سقط رداؤه من أعلاه فتقاطعوه تبركا فوا عجبا من ركون قوم على الافک و الأباطيل، و عكوفهم على ترّهات الأقاويل، و من اعتمادهم فى الاصول و الفروع على الاخبار الموضوعه المجعوله، و إعراضهم عن الصحاح و موثقات المقبوله، و اتّخاذهم ثقات العلماء و المحدّثين حربا، و الأفّاكين من الشياطين حزبا، و من إقبالهم على النوافل و المندوبات، و إدبارهم عن الواجبات و المفروضات، و عنايتهم بالعبادات المبتدعه، و العادات المخترعه، و توقّيهم عن المكروهات، و تقحّمهم فى الشّبهات و المحرّمات، إن سألت أحدهم عن أشعارهم الجاهليّه و غزليّات الصوفيّه ينبسط و يجيب بلا مهل، و إذا سألت عن حدود الصلاه المفروضه من الأجزاء و الأركان و السهو و الشّک و الطمأنينه ينقبض و يرتطم ارتطام الحمار فى الوحل، يتركون الأدعيه المأثوره بالاسناد المعتبره، و يداومون بالأذكار الجليّه و الخفيّه المتلقّاه من مشايخهم الفجره، و لو قرءوا القرآن فى بعض الأحيان من باب التقيّه يتغنّون فى تلاوته بجميع النّغمات الموسيقيّه.

فما أشبه حالهم بحال مولا جاريه حكاه الزّمخشرى فى ربيع الأبرار عن أبى العيناء قال: رأيت جاريه فى النّخاس تحلف لا ترجع إلى مولاها فقلت: لم؟ قالت:

يواقعنى من قيام، و يصلّى من قعود، و يشتمنى باعراب، و يلحن فى القرآن،

و يصوم الاثنين و الخميس و يفطر فی رمضان، و يصلّی الضّحی و يترك الفجر، هذا.

و أمّا ما ورد فی الأخبار العاميّه من قوله عليه السّلام: ما أذن اللّه لشیء كاذنه لنبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يتغنّی بالقرآن.

فالجواب عنه بعد الغضّ عن سنده ما أجاب به الشّريف الرّضی رضی اللّه عنه حيث قال فی محكیّ كلامه من كتابه الموسوم بمجازات الاثار النّبويه: و من ذلك قوله عليه السّلام ما اذن اللّه لشیء كاذنه لنبیّ يتغنّی بالقرآن، و هذا القول مجاز و المراد ما استمع اللّه لشیء كاستماعه لنبیّ يدوام تلاوه القرآن فيجعله دأبه و ديدنه و هجيرانه و شغله كما يجعل غيره الغناء متروّح حزنه و مستفسح قلبه ليس هناك غناء به علی الحقيقه، و هذا كما يقول القائل: قد جعل فلان الصّوم لذّته و الصلاه طربه إذا أقامهما مقام شغل غيره باللّذّات و طربه إلی المستحسنات و قد قيل إنّ المراد بذلك تحزين القراءه ليكون أشجی للسّامع و آخذ بقلب العارف، فسمّی هذه الطريقه غناء علی الاتّساع لأنّها يقوّد زيّنوا أصواتكم بالقرآن فی حديث آخر، و ليس المراد بذلك تلحين القراءه و تطريبها، فانّ الأخبار قد وردت بذمّ هذه الطريقه حتّی ذكر عليه السّلام فی أشراط الساعه امورا عدّدها ثمّ قال:

و أن يتّخذ القرآن مزامير.

و قال بعضهم: معنی يتغنّی بالقرآن إی يذكر القرآن، من قولهم تغنّی فلان بفلان إذا ذكره فی شعره إمّا هجوا و إمّا مدحا.

فأمّا الحديث الاخر و هو قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، فليس المراد به هذا المعنی، و إنّما أراد صلّی اللّه عليه و آله و سلّم ليس منّا من لم يستغن بالقرآن عمّا سواه، و تغنّی ههنا بمعنی استغنی و هو تفعّل من الاستغناء لا من الغناء، قال العجاج:

أری الغوانی قد غنين عنّی و قلن لی عليك بالتّغنّی

أی استغنين عنّی و قلن لی استغن عنّا كما استغنينا عنك، و هذا عند موت الشّباب و انقضاء الاراب، و يؤكّد ذلك الحديث الاخر و هو قوله عليه السّلام: من قرء

القرآن فرأى أنّ أحدا اعطى أفضل ممّا اعطى فقد عظّم صغيرا و صغّر عظيما، و لو كان المراد بالتغنّى فى هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه فى تلاوته و يعتمدها فى صلاته داخلا تحت الذّم و مقارفا للذنب، لأنّه عليه السّلام قال:

ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، فبان أنّ المراد به الاستغناء لا الغناء، انتهى كلامه رفع مقامه.

و لبعض الأعلام كلام فى المقام ليس فوقه كلام فى ايضاح المرام فى ابطال ديدن الصوفيّه فى مسأله الغناء و كشف ساير سوآتهم و بيان نكته سرايه التّصوف من العامّه إلى الخاصّه، يعجبنى نقله تنبيها للمتصوّفه الخاصه من نومه الغفله و الجهاله، و ايقاظا لهم من رقده الضلاله فأقول:

قال الشيخ علىّ بن الشيخ محمّد العاملى فى محكىّ كلامه من كتاب الدّر المنثور من المأثور و غير المأثور عند شرحه الحديث السابع فى الغناء نقلا من الكافى ما هذه عبارته:

و من ذلك ما روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اقرءوا القرآن بألحان العرب و أصواتها و إيّاكم و لحون أهل الفسوق و أهل الكباير فانّه سيجىء من بعدى أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء و النّوح و الرّهبانيّه لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبه و قلوب من يعجبه شانهم.

أقول: هذا الحديث يدلّ صريحا على أنّ الغناء يحصل بترجيع القرآن على النحو المتعارف فى هذا الزّمان، و يدلّ على تفسير الغناء بالتّرجيع المطرب و الطرب خفه تصيب الانسان لشدّه حزن أو سرور كما ذكره أهل اللّغه، و فى كون فعلهم كفعل أهل الفسوق و الكباير و عدم جوازه التراقى و قلب قلوبهم و قلوب من يعجبه ذلك ما هو ظاهر لمن عقله كيف لا؟ و هو كلام سيّد البشر صلوات اللّه و سلامه عليه و آله، و هل سمعت أو رأيت أحدا يقرأ القرآن بالمثانى و الطنبور و الأوتار و نحوها حتّى تخصّ الغناء بمثل ذلك و يسهل طريق سماع ما صار متعارفا شايعا بعد ما ظهر أنّه عناء فى غير القرآن أيضا لصدق الغناء عليه بما عرفته، و سنوضحه

فیما بعد و هل لذلک وجه غیر إجابه الشیطان و میل الطبع.

و قد سری ذلک من صوفیه المخالفین و ملاحدتهم میلا إلی طریقتهم و اعتقادهم و کراهه لما ورد من طرقنا من النّهی عن مثله.

و قد خصّ المحرّم منه مثل الغزالی و أحزابه بما یستعمل فی مجالس الشرب و أهل الفسوق، فقلّده فی ذلک من أعجبه و أحسن الظّن به مع إساءه ظنّه بالأئمه علیهم السّلام و علماء شیعتهم، و لم ینظر إلی نصبه و عداوته للأئمّه علیهم السّلام و علمائهم، فالغناء إن کان هو الترجیع الذی ذکره علماءنا فهو صادق علی مثل ذلک، و إن کان راجعا إلی العرف کما قیل کان صادقا أیضا فانّا لم نعرف فی عرف بلاد العرب إذا سمعوا من ینشد الشعر و غیره علی الطریق المعهود إلاّ أنّهم یقولون هذا یغنّی و هذا مغنّ و قد ذکر الصوفیّه فی أسباب حصول الجذبه و الحاله الّتی تحصل للمرید أنّه یلازم سماع الغناء، و تاره یقولون: إنّ من أسبابها سماع الغناء، فهذا اعتراف منهم بأنّ مثل ما یفعلونه و یسمعونه غناء، فان قلت بالعرف فقد اعترفوا به، و ان رجعت إلی التّرجیع المطرب فکونه کذلک بدیهی، و إذا ثبت ما یتحقّق معه الغناء کان حراما علی مذهب الامامیّه للأدله الوارده فی الکتاب و السنّه و اتّفاق علمائنا.

فظهر أنّ تقسیم الغناء إلی المحرّم و غیره لا یجامع مذهب الامامیّه بوجه، و قد استثنا أهل شرعنا من الغناء الحدی للابل بدلیل خاصّ، فلیت شعری کون الحدی من الغناء عرفا و ما یدّعی انّه لیس منه هل هو إلاّ من حبّک الشّیء یعمی و یصمّ.

و ما ورد من لفظ الألحان کما فی هذا الحدیث و فهم المعنی المنهیّ عنه منه ناش من ضیق الفطن عن معرفه مواقع الألفاظ و مقامات استعمالها، و ذلک لتألف طبیعه أهل الغناء بکون مثل النغمه و الألحان تنصرف إلی المعنی المتعارف بینهم، کما یحمل بعض الحکمه فی مثل قوله تعالی: «وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً »

«كَثِيراً »، على حكمتهم فيتوهّمون أنّه قد يفارق الغناء فيكون الحانا و لا يكون غناء و إلّا فالألحان و النّغمات و الأصوات معان متقاربه تختلف معانيها باختلاف مقاماتها فتصدق من الغناء و غيره و الكلام فى لحن يصدق عليه الغناء او لا يصدق و ممّا يثبته من له قلب ما فى هذا الحديث من التّعبير بألحان العرب و لحون أهل الفسوق.

و بالجمله فميل النفس إلى شىء مع مساعده الشيطان يزيّنان للانسان ارتكاب ما لا يحسن و لا يليق، و هذا شأن صاحب كلّ شيمه ركبت فى ذهنه و طبعه و كره النّزوع عنها، فانّه يتشبث لاثباتها بمثل هذه التّمحلات لئلّا يغلب هواه على ما استقرّ عنده و دعاه.

و لو فرض عدم تحقّق كون مثل هذا غناء فاحتماله راجح أو مساو و من يميل إلى تقوى اللّه هل اللايق بحاله اجتناب مثله أم لا، كيف و ما ذكر سابقا من الحديث و غيره شاهد عدل على كون مثله غناء و قد سرى هذا و ما هو أعظم منه من معاشره أهل الخلاف و من ضارعهم و مطالعه كتبهم و عدم تميز الغثّ منها من السمين و الميل إلى طريقتهم لما فيها من التساهل و غير ذلك، نسأل اللّه الهدايه و نعوذ به من الخذلان و الاملاء و الغوايه إنّه جواد كريم.

و اعلم أنّ هذا الاسم و هو التصوّف كان مستعملا فى فرقه من الحكماء الزّائغين عن طريق الصواب، ثمّ من بعدهم كان يستعمل فى جماعه من الزّنادقه و جماعه من أهل الخلاف بعد حصول الاسلام و كان أعداء آل محمّد كالحسن البصرى و سفيان الثورى و أبى هاشم الكوفى و نحوهم و من أعظم رؤسائهم حسين بن منصور الحلاج، و له قصص منقوله فى كتب أصحابنا ككتاب الغيبه و الاقتصاد للشيخ الطوسى و غيرهما، و ادّعى الالهيّه و ورد التوقيع من صاحب الأمر بلعنه كما فى كتاب الاحتجاج و غيره، و صنّف الشيخ المفيد كتابا فى الرّدّ عليه و على متابعيه.

و لم يستعمل هذا الاسم أحد من الاماميّه لا فى زمن الأئمه عليهم السّلام و لا بعد غيبه

ص:۲۸۴

صاحب الأمر عليه السّلام.

ثمّ لمّا انتهى الأمر إلى هذا الزمان و ما قاربه طالع بعض الاماميّه كتب الصّوفيّه فمنهم من أعجبه منها ما يليق و لا منافاه له لقواعد الشّريعه فأعجبه ذلك لكن كان متمسّكا بقوانين الشّرع فلم يتجاوز ما هو موافق و لم يلتفت إلى ما سوى ذلك.

ثمّ سرى الأمر إلى تعلّق بعض بجميع طريقتهم و رأوا أنّ من تبع بعض مسالكهم كان من هذه الفرقه فصار لهم كالمستند فى ذلك فانتهت الحال إلى جعل الرّقص و الصّفق و الغناء من العباده، بل صارت أفضلها و أكملها عندهم، و نسوا أو تناسوا ما ورد ممّن ينتسبون إليهم ظاهرا من النّهى عن ذلك، و صار اعتقادهم فى النّواصب و الزّنادقه انّهم على الحقّ فتركوا امور الشّريعه و أظهروا لضعيفى العقول و العوام حسن هذه الطريقه، و موّهوا عليهم أشياء يدّعون أنّها من باب الكشف و الكرامات، و استخفّوهم لذلك فأطاعوهم و ساعدهم على ذلك رفع المشاق التّكاليف الشّرعيه و ميل الطبع إلى ما فيه لذّه النّفس حتّى النظر إلى صوره الذّكور الحسنه، و ادّعوا انّهم تنكشف عليهم الامور من غير واسطه بشر أو غيره، فتبعهم رعاء النّاس و غثاؤهم، و أتعبوا أنفسهم فى الرّياضات المنهىّ عن مثلها فى شرعنا لعلّ أذهانهم تصفو بذلك.

و ليت شعرى لو حصل من هذا شىء ممّا يدّعون فأىّ فرق بين المؤمن و الكافر و المسلم و الزّنديق، فانّه قد شاع و ذاع أنّ كفار الهند و غيرهم لكثره ما يرتاضون ربّما أخبروا بمثل ما يدّعونه بل بما هو أبلغ، و أهل التّسخير و الشّعبده و السحر ربّما ظهر منهم أشياء فوق ما يدّعيه هؤلاء من غير صحه لمن تفحّص و تحقّق ذلك.

و أهل الكرامات و المعجزات هم الذين كانت تظهر لهم هذه الامور من غير الرياضه و لم يكونوا من أهل التّسخير و الشّعبده و السّحر و نحو ذلك، و أهل التّقوى الّذين هم محلّ لأن تظهر منهم الكرامات لم يدّعوا و لا ادّعى لهم شىء من ذلك، و كانت

تريدهم الدّنيا فيفرّون منها فرارک من الاسد.

و ترى هؤلاء يضيّعون العمر فيما يلبّسونه لغايه انقياد العوام إليهم ليبلغ ذلک الأكابر و الحكام و يشيع خبرهم فيصلون بهم و بخدمتهم و يجعلون ذلک وسيله إلى التقرّب إليهم و جلبا لقلوبهم و سببا إلى التردّد إليهم، و مع ذلک يتوقّعون منهم و يأخذون منهم الأموال و ربّما تعزّز بعضهم بعدم قبول اليسير شركا لوقوع الكثير أو حبّا لثبات الجاه و بقاء الميل إليهم.

و لو كان تركهم الدّنيا للّه و للاخره لم يكن شيء من ذلک و لعملوا:

بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا يستكمل العبد الايمان حتّى يكون قلّه الشيء أحب إليه من كثرته و حتى يكون أن لا يعرف أحبّ إليه من أن يعرف.

و بقول الباقر عليه السّلام في وصيّته لجابر: اغتنم من أهل زمانک خمسا: إن حضرت لم تعرف، و إن غبت لم تفتقد، و إن شهدت لم تشاور، و ان قلت لم يقبل قولک، و إن خطبت لم تزوّج الحديث و هو طويل و هذا و أمثاله هو الزّهد و التقوى كما قيل:

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثمّ وصل الأمر إلى أن صار التّصوف غير مشروط بالعلم و لو بعلمهم الذى يدّعونه، بل بمجرّد تغيير اللّباس المتعارف عند أكثر النّاس، و تلبيس الظاهر بذلک و ترک الباطن إمّا فارغا ممّا ينبغى أو مملوا ممّا يعلمه اللّه و صار من زهده و صلاحه بطريق الشّريعه ممقوتا عندهم و ما ذاک الاّ أنّه لو سئل لقال قال رسول اللّه و قال أمير المؤمنين و غيرهما، و هم يدّعون أنّهم يقولون قال اللّه من غير واسطه، و قد يقول بعضهم قال الرّسول و لكن بدعوى مشافهته له و ان كان بينهما ألف سنه فما زاد فيلبّس أنّه رآه في صوره المثال و كذلک الأئمه عليهم السّلام و أنّهم يسألونهم عن كلّ ما يريدون و نحو ذلک من الخرافات الّتى لا تقبلها عقول المجانين.

نعم لا يبعد أنّ الشّياطين تترائى لهم في صور مختلفه أو أنّه يحصل لهم خبط و تغيّر مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدّعون و قد ينضمّ إلى ذلک استعمال بعض المغيّرات للمزاج الباعثه على مثل ذلک

ص:٢٨٦

و انی لأعجب ممّن یـدّعون ذلک علی اختلاف مـذاهبهم فکلّ یدّعی کشـفا یوافق اعتقاده، فالغزالی مع دعواه الوصول إلی هذه المرتبه انکشف له فضل أبی بکر علی علیّ بن أبی طالب علیه السّـلام بمراتب کما هو ظاهر علی من طالع إحیاءه الذی هو إحیاء الباطل.

و کما انکشف له عدم جواز سبّ یزید لعنه اللّه لأنه رجل مسلم و لو کان قاتلا للحسین علیه السّلام لم یجز ذلک، لأنّ غایه هذا أنّه فعل کبیره و ذلک لا یجوّز سبّه.

و انکشف له بطلان مذهب الامامیه بعد أن ترک التدریس و انقطع فی دمشق و مکّه المشـرّفه نحو عشـر سنین ملازما للخلوه فی آخر عمره، فصـنف کتابا سمّاه المنقذ من الضلال، یتضمّن الرّد علی من یدّعی العصمه و ابطال مذهبهم و سمّاهم أهل التعلیم، و ضرب لهم مثلاـ بأخـذهم عن المعصوم بمن تلوّث بجمیع النجاسات ثمّ طلب ماء یتطهر به منها و سـعی فی ذلک، فلما انتهی إلی ذلک الماء لم یجـده ماء یطهّره و یزیل عنه الاخباث فبقی مرتکسا فی النجاسات طول عمره و تکرّر منه فی الاحیاء و غیره: قالت الرّوافض خذلهم اللّه.

و قال فیه: إنه لو جاء إلینا رافضیّ و ادّعی أنّ له طلب دم عند أحد قلنا له:

دمـک هـدر، لأنّ استیفاءه مشـروط بحضور إمامک فاحضـره حتّی یسـتوفی لک، و مثل ذلک کثیر و ما نقلته مضـمون کلامه و معناه کان بخاطری و لم یحضرنی عین ألفاظه و عباراته و إن لم تصدق فعلیک بالمراجعه.

و قد صرّح فی کتابه المنقذ أنّه کان یستفید من الأنبیاء و الملائکه مع مشاهدتهم علی وجه القطع کلّما یرید.

نعم ینسب إلیه کتاب یسـمّی سرّ العالمین فیه مقاله(۱) یظهر منهـا میله إلی الحقّ أو نطقه به لیکون حجّه علیه، فان کان سابقا فقد ضلّ بعده عن الحقّ،

۱- (۱) - و قد تقدّم لک المقاله فی أواخر المقدّمه الثانیه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه فلیراجع هناک (منه)

و ظاهر المنقذ انّه كتب فى أواخر عمره حتّى أنّ بعضهم ينكر كون سرّ العالمين له أو أنّ المقاله المذكوره تلحقه من غيره، فانّ بقيّه الكتاب ليس فيها شيء من هذا القبيل.

و لو فرض كونه له و أنّه كتبه آخر جميع ما كتب صار يستحقّ بذلك جميع ما يذكر فى شأنه، و كان ممّن قد صرفوا أعمارهم فى حفظ شريعه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و خاطروا بأنفسهم حتّى بلغت لذلك أمرهم على غير الحقّ بسبب سلوكهم غير هذا الطريق المظلم الّذى لا يستضاء فيه بمصابيح الدّنيا.

و حكى الشّيخ محيى الدّين فى فتوحاته: أنّه أسرى به مرارا أظنّها سبعا أو تسعا فى كلام طويل يتضمّن صوره الاسراء و ذكر فى هذا المقام أو ما يناسبه أنّه رأى أبا بكر الصّدّيق لمّا وصل إلى العرش بعد أن كان يرى فى كلّ سماء واحدا من الأنبياء مثل نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و موسى و عيسى و إبراهيم صلوات اللّه عليهم، فكانت مرتبته أعلى من مرتبتهم و مساويه لمرتبته تعالى أو مقاربه لها.

و ادّعى فى أوّل الفصوص انّه من إملاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمره له بعين ما كتبه، و سمّى نفسه خاتم الولايه لمنام رآه و غير ذلك له و لغيره مما يتعجّب منه.

فيا للّه العجب من مكاشفات يظهر منها للناصبى أنه على الحقّ و للملحد أنه على الحقّ و لعابد الوثن، أنه على الحقّ، و للامامى أنه على الحقّ و كذا غيرهم فما أدرى أىّ حق و أىّ دين هذا؟ و أىّ مكاشفه هذه؟ و ما وجه الجمع و التوفيق فى ذلك؟ فلو كانت هذه المكاشفات للغزالى و نحوه حقا كان للامامى أن يعتقد بطلان مذهب الاماميه إن قلّدهم و إن انكشف ذلك له كما انكشف لهم كان أظهر فى البطلان.

و من العجب الاعتقاد فى مثل هؤلاء و الشّهاده لهم بالتحقيق و التّكفير أجلّاء علماء الاماميّه بل كلّهم بكنايات أبلغ من التّصريح كتسميتهم: انّا وجدنا، يكون إشاره إلى قوله تعالى: «إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ »، و مثل

«يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا »، أى و لا تكن من الكافرين بعد التّشنيع عليهم بالخصوص كالسّيد المرتضى و الشّيخ المفيد و أمثالهما، و بما يقتضى شمول الجميع باستلزامه ذلك من حيث ثبوت ذلك لكلّ من خالف طريقته الّتى اخترعها، و لم يوجد من الاماميّه عالم سلك هذا الطّريق و حاصل بعضه انّه سلك طريقا لا يفضى إلى الاختلاف فى شيء كدعوى الغزالى فى كتابه المنقذ من الضّلال و الاختلاف جعله من أسباب التكفير.

و قد جعل الراسخين فى العلم الّذين يعلمون تأويل القرآن فى قوله تعالى «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ »، الصّوفيّه و فى هذا ردّ على من خصّهم بالرّسول و الأئمه عليهم السّلام كما هو مذكور فى باب من الكافى و غيره مشتمل على أحاديث عنهم عليهم السّلام تدلّ على اختصاصهم بذلك.

و هذا سبيل من يدّعى العلم منهم و الكشف بسبب تحصيل هذا العلم و الرّياضه فما ظنّك بأقوام منهم و هم أكثرهم فى هذا الزّمان فانّك لو فتّشت عن حالهم و اختبرت حقيقه مقالهم وجدتهم كالبهائم الهائمه لا يعرفون مسأله من دين اللّه و لا حراما و لا حلالا و لا يجدون لهم إلى حسن التكلّم مجالا و ترى النّاس يقبلون عليهم و يهرعون إليهم و يكادون يسجدون لهم كفعل الكفّار بأصنامهم و مال اعتقادهم فيهم إلى ما قيل فى أبى بكر انه أفضل الصحابه لأمر وقر فى نفسه، و حاش البهايم أن يشبه بها مثل هؤلاء فانها ليست مكلّفه و تركت ما كلفت به بل منقاده لما سخّرت له مسبّحه بحمد ربها منزّهه عن مثل هذه الرّذايل.

و لقد شاهدت بعض هولاء و تفحّصت عمّن لم أره منهم فانكشف إلىّ من حالهم ما ليس من باب الكشف الذى يدّعونه أو يدّعى لهم، و قلّ تعجّبى ممّن يعبد الخشب و الحجر و زاد يقينى فى هوان الدّنيا و سوء أحوالها.

و من تأمل أحوال الدّنيا و خسّتها قديما و حديثا رأى لهذا نظائر و أشباها، و ليس من أعطاه اللّه العقل مع ارسال الرّسل و انزال الكتب و الأمر باتّباعهم بمعذور فى ترك التأمل و المتابعه و المجاهده، فانّ كلا ميسّر لما خلق له و لا تكليف

لما لا يطاق.

و اعلم أنه لما سرت سيره الصوفيه إلى الاماميه كان فى أوّل الأمر من يفرّق بين القشر و اللباب و الذّهب و التراب، فكان من يميل إلى طرف من مقالتهم يختار منه اللباب و يترك القشر إذا كان اللباب حسنا إما مأخوذا من كلام الأنبياء و الأوصياء أو من يحذو حذوهم من العلماء و الأتقياء، فانهم كانوا يدخلون مثل ذلك فى كتبهم و مؤلفاتهم ليحسن الظنّ بهم لكونه مثل كلام أمير المؤمنين و نحوه.

ثمّ بعد ذلك يترقّون إلى تأويله تدريجا بما يوافق مطالبهم و يناسب ماربهم، و كان من يختار و ينتخب ما ذكر بجعله وسيله إلى تطهير النفس و تزكيتها و ابعادها عن الرّذائل، و مع ذلك فالمطلب الأسنى عنده و الخلّه الحسنى لديه سلوك طريق الشرع و إنفاد العمر فيه كما يراه من عرف حال مثل جدّى الشهيد الثاني و غيره من علماء الفرقه المحقه.

ثمّ تلاشى الأمر و وصل إلى ارتكاب ما سلكوه و الاعتماد على ما قالوه و لو بسماع بعضه من غير تميز و فرق إلى أن وصل الأمر إلى التنفّر من الشرع و أهله و دخل تحت هذا الاسم و هو الصوفيّه من يسمّى به، و ينتسب إليه فقط، فاقتصر المدّعى على ذلك و اكتفى المريد به فصار الملحوظ محض الاسم فى الغالب و إلّا فلا مشاحه فى التّسميه إذا كان المسمّى مبنيا على أساس صحيح ثابت.

و هذا من مفاسد هذا الاسم المشتمل على ما ذكرناه، و لو بقى ما هو متعارف سابقا من الزّهد و الصّلاح و التّقوى و الورع و أمثال ذلك و هو الّذى كان شايعا بين أهل الايمان و ورد به القرآن و الأخبار لم يتطرّق إليه هذا الغشّ و لم يترتّب عليه هذه المفاسد الّتى ترتّبت على لفظ التّصوّف و معناه.

فدخل الغشّ فيهما و التبس على غير المميّز أمرهما بل على المميّز أيضا إذا لم يعمل بعقله و تميزه، و محك الفرق و التّميز الميل إلى جانب الشّرع و أهله و التّنفر منه و من أهله. و علامه التنفّر منه التنفّر من أهله و ربّما اظهروا التّنفر من أهله متعلّلين بتقصير يدّعونه فيهم، و هذه خدعه

إبليس، لأنّ التّنفر عن الشرع ليس لهم فيه مصلحه و لا صرفه فأبطنوه و أخّروه إلى وقت يمكنهم اظهاره، و تعلّلوا بالقدح فى أهله فلو كان تقصير من حاملى الشّرع لا يلزم منه القدح منه فى الشريعه و عدم متابعتها.

و كأن هذا الزّمان الّذى ذكره سيّد المرسلين صلوات اللّه و سلامه عليه و آله فى وصايا طويله لأبى ذرّ رضى اللّه عنه حيث قال من جملتها:

يا أبا ذرّ يكون فى آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف فى صيفهم و شتائهم يرون الفضل بذلك لهم على غيرهم اولئك تلعنهم ملائكه السماء و الأرض نقل ذلك ورّام ابن أبى فراس و غيره بالسّند المذكور فى محلّه و هى مشهوره فى كتب أصحابنا.

و من مواعظ عيسى عليه السّلام و حكمه من الانجيل و غيره و هى مشهوره مكرّره فى كتب أصحابنا أيضا:

بحقّ أقول لكم إنّ شرّ النّاس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبّها و طلبها و جهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل الناس فى حيره و ما ذا يغنى عن الأعمى سعه نور الشّمس و هو لا يبصرها، و كذلك لا يغنى من العالم علمه إذا هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر و ليس كلّها تنفع و لا يؤكل، و ما أكثر العلماء و ليس كلّهم ينتفع بما علم، و ما أوسع الأرض و ليس كلّها يسكن، و ما أكثر المتكلّمين و ليس كلّ كلامهم يصدق، فاحتفظوا من العلماء الكذبه الذين عليهم ثياب الصّوف منكسوا رؤوسهم إلى الأرض يزوّرون بها الخطايا، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذّئاب، و قولهم يخالف فعلهم، و هل يجتنى من العوسج العنب؟ و من الحنظل التّين؟ و كذلك لا يثمر قول العالم الكاذب إلاّ زورا و ليس كلّ من يقول يصدق، انتهى المنقول من كلامه صلوات اللّه عليه.

فان قيل: كلام عيسى يدخل تحته كلّ عالم غير عامل و ترى كثيرا من علماء الشرع من هذا القبيل.

قلت: قد ورد فى شأن العالم بغير عمل فى كلام غير عيسى أيضا من كلام الأنبياء و الأئمّه و الحديث القدسى ما يقصم الظهور كما هو معلوم لمن تتبّع،

و لكن علماء الشرع إن تساهلوا فى العمل و مالوا إلى حبّ الدّنيا و هم الأقلّون قبل هذا الزّمان فانّهم مع تساهلهم فى العمل طريقهم و اعتقادهم فى العلم غير مستودع و إن كانوا ملومين غير معذورين بالنّسبه إلى العمل.

و هذا بخلاف ترك ما هو طريق العمل فانّه مع عدم العلم أو مع عدم اعتقاد العلم يكون العمل مبنيّا على غير أساس إن حصل ما يسمّى عملا فى الجمله أو لم يكن عمل، على أنّ ما لا طريق له من العمل لا يستحقّ صدق اسم العمل عليه فالّذى يفنى عمره فى مثل ذلك لا أرضا قطع، و لا ظهرا أتى و الأوّل يكون تاركا لأقبح القبيحين و الاخر تابع له و إن كان العلم مقرونا إلى العمل فان أجابه و الّا ارتحل عنه.

و احتجاج أبى عبد اللّه عليه السّلام على الصوفيّه لمّا دخلوا إليه فيما ينهون عنه من طلب الرّزق بما يتعلّق بسفيان الثورى و غيره مشهور فى الكافى و غيره، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول هذا كلام جيّد فى توضيح المقام و رفع الحجاب عن وجه المرام لكنّه ينبغى أن نفصّل بعض ما أجمله و نتبّه على ما أهمله من خبط الغزالى و ابن العربى و غلطهما، فأقول:

تذييل

أمّا محيى الدين فقد نقلنا فى إبطال القول بوحده الوجود فصلا وافيا من كلامه و أردفناه بالتّنبيه على هفواته و آثامه، و أمّا دعويه الاسراء به إلى السماء فهو من ثمرات رياضاته و نتايج مجاهداته الّتى حصلت له مرض الخيالات الّتى نشأت منه أمثال تلك الخرافات، و يشهد بصحّه ما ادّعاه رؤيته أبا بكر فى أعلى الطبقات و الأنبياء فى أدناها، كدعوى الثعلب و الشاهد عليه ذنبها.

و أمّا الغزالى فما أشار إليه من أغاليطه و أباطيله و ترّهاته و هذياناته امور

الاول

عدم تجويز اللّعن على يزيد

.

و أنـا أتقرّب إلى اللّه و إلى رسوله بلعنهمـا كليهمـا و أقول: عليهما لعاين اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين بما لا مزيـد و على من حذا حذوهما من كلّ كفّار عنيد و شيطان مريد.

و تفصيل ما قاله فى ذلك العنوان ما ذكره فى إحياء العلوم فى باب آفات اللّسان حيث قال:

الافه الثّامنه اللّعن و اللّعن عباره عن الطرد و الابعاد من اللّه تعالى، و ذلك غير جائز إلاّ على ما يتّصف بصـفه تبعده من اللّه تعالى و الصّفات المقتضيه ثلاثه:

الكفر، و البدعه، و الفسق. و اللّعن فى كلّ واحده منها ثلاث مراتب.

الاولى اللّعن بالوصف الأعمّ كقولك: لعنه اللّه على الكافرين و المبتدعين و الفسقه.

الثّانيه اللّعن بأوصاف أخصّ منه كقولك: لعنه اللّه على اليهود و النّصارى و المجوس و على القدريه و الخوارج و الرّوافض.

الثّالثه اللّعن للشّخص المعيّن، و هذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه اللّه و هو كافر أو فاسق أو مبتدع.

و التّفصيل فيه أنّ كلّ شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك:

فرعون لعنه اللّه و أبو جهل لعنه اللّه، لأنّه ثبت أنّ هؤلاء ماتوا على الكفر و عرف ذلك شرعا أمّا شخص بعينه فى زماننا كقولك: زيد لعنه اللّه و هو يهوديّ مثلا فهذا فيه خطر لأنّه ربّما يسلم فيموت مقرّبا عند اللّه فكيف يحكم بكونه ملعونا.

فان قلت: يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم: رحمه اللّه لكونه مسلما فى الحال و إن كان يتصوّر أن يرتدّ.

فـاعلم أنّ معنـا قولنـا: رحمه اللّه أى ثبّته اللّه على الاسـلام الّـذى هو سـبب الرّحمه و على الطـاعه، و لاـ يمكن أن يقال: ثبت اللّه الكافر على ما هو سـبب اللّعنه، فانّ هذا سؤال الكفر و هى فى نفسه كفر بل الجايز أن يقال: لعنه اللّه إن مات على الكفر و لا لعنه اللّه إن مات على الاسلام، و ذلك غيب لا يدرى، و المطلق تردّد بين الجهتين.

ص:۲۹۳

ففيه خطر.

و إذا عرفت هذا فى الكافر ففى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى إلى أن قال:

فلا خطر فى السّكوت عن لعن إبليس مثلا فضلا عن غيره.

فان قيل: هل يجوز لعنه يزيد لكونه قاتل الحسين أو آمرا به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال إنّه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنه، لأنّه لا يجوز نسبه مسلم إلى كبيره من غير تحقيق.

فان قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه اللّه أو الامر بقتله لعنه اللّه قلنا: الصّواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التّوبه لعنه اللّه، لأنّه يحتمل أن يموت بعد التّوبه، فانّ وحشيا قاتل الحمزه قتله و هو كافر ثمّ تاب عن الكفر و القتل جميعا و لا يجوز أن يلعن و القتل كبيره و لا تنتهى إلى رتبه الكفر فاذا لم يقيّد بالتّوبه و اطلق كان فيه خطر و ليس فى السكوت خطر و هو أولى انتهى كلامه لعنه اللّه تعالى و خذله و ضاعف فى عذابه.

أقول: لمّا صادف نقل كلام هذا النّاصب اللّعين فى ليله القدر و هى الليله الثالثه و العشرون من شهر الصّيام كما يستفاد من أكثر أخبار الأئمه عليهم السّلام و كان النّاس مشتغلين وقتئذ فى المساجد الجامعه و المشاهد المشرّفه بالعبادات و الطاعات، متقرّبين إليه تعالى بالتلاوه و التّسبيح و التّقديس و الدّعوات، مبتهلين متضرّعين إليه عزّ و جلّ فى غفران الذّنوب و الزّلات، فرأيت اشتغالى بما يلوح من المطاعن على هذا النّاصب الملعون أهمّ و أحرى، و أحتسب بذلك الأجر و الزّلفى لديه تعالى و أتقرّب به إلى أئمه الهدى تعصّبا لخامس آل العباء سلام اللّه عليه و عليهم تترى، و أستشفع بهم إلى اللّه سبحانه أن يثبت ما أكتبه هنا فى صحايف حسناتى، و يجعله ممحاه سيئاتى، و يحشرنى فى زمره موالى و ساداتى إنّه مجيب الدّعوات، و ولىّ الخيرات و الحسنات، و هو الغفور الرّحيم و الشّكور الكريم.

فأقول: يتوجّه على هذا النّاصب وجوه من الكلام و ضروب من المثالب و الملام:

الاول أنّ اللعن فى اللغه هو الطرد و الابعاد من اللّه و رحمته، و من الخلق طلب الطرد و الدعاء بالعذاب، فمعنى قولنا: لعن اللّه الكافرين و الظالمين و المبتدعه

و النّواصب و منهم الغزالى باعدهم اللّه من رحمته و ضاعف عليهم العذاب لاستحقاقهم له بما صدر عنهم من الكفر و الظلم و النصب و البدعه، و الكتاب و السنه مشحونه بلعن هؤلاء و قد ثبت الاذن و التّرخيص لنا قولا و فعلا و تقريرا فى لعنهم، و لا فرق فيه بين الأنواع و الأشخاص.

و التّفرقه بين النّوع و الشخص بتجويزه فى الأوّل دون الثانى كما توهّمه النّاصب شطط من الكلام و غلط.

أمّا اوّلا فلأنّ احتمال توبه الشّخص الكافر و جواز رجوعه إلى الاسلام لا يوجب رفع اليد عن لعنه المترتّب على كفره المحقّق كساير الأحكام المترتّبه على كفره، لأنّ اليقين لا تنقض إلاّ بيقين مثله، و لو كان مجرّد الاحتمال كافيا لجاز الصّلاه عليه و دفنه فى مقابر المسلمين و تجهيزه و تكفينه مثل ساير المسلمين و ليس فليس.

و أمّا ثانيا فلأنّ معنى لعن أشخاص الكفّار طلب العذاب فى حقّهم لاستحقاقهم بالفعل له، و تجويز توبتهم لا يمتنع من جواز الدّعاء عليهم، لتبدّل الأحكام بتبدّل الموضوعات، ألا ترى أنّ اللّه يكره الفاسق و يبغضه حال فسقه و يحبّه حال توبته مع أنّه عالم بما يؤل أمره.

و أمّا ثالثا فلأنّ قوله: معنى قولنا رحمه اللّه أى ثبّته اللّه على الاسلام الّذى هو سبب الرّحمه و لا يمكن أن يقال ثبّت اللّه الكافر على ما هو سبب اللّعنه فيه أنّه لم يفهم معنى الرّحمه و اللعنه إذ ليس معناهما طلب التثبيت على الاسلام و الكفر، بل طلب الثواب لمن كان ثابتا على اسلامه، و طلب العقاب على من كان ثابتا على كفره.

و أمّا رابعا فلأنّه لا فرق بين جواز اللعن على اليهود عموما و بين جوازه على أشخاصهم، لأنّه إن كان معناه طلب الثبات و الاستمرار على الكفر على ما توهّمه فلا يجوز مطلقا، و إن كان المراد منه الابعاد عن رحمه اللّه فالكلّ بعيد منها حاله اليهوديّه الأشخاص و الانواع، و جواز التّوبه كما يمكن فى حقّ الشخص يمكن

فی حقّ النوع، و القرب و البعد لا یتفاوت فیه أحکام الشریعه، و بالجمله النّوع لیس إلّا عباره عن الأشخاص المجتمعه، و التفرقه بینهما سفسطه.

الثانی أنّ قوله: فلا خطر فی السّکوت عن لعن إبلیس فضلا عن غیره، یظهر منه أنّ بینه و بین إبلیس محابّه و اخوّه لا یرضی بلعنه، و لا غرو فی ذلک لأنّه قائد الضّلال بوسوسته و هذا قائد الضلال بسفسطته، و هو کافر باللّه، و هذا کافر بولایه ولیّ الاله، فلهما اشتراک فی المذهب، و مشارکه فی المذاق و المشرب، و إلّا فلم لا یرضی بلعنه مع أنّ استحقاق الکفّار و الظالمین للعن و الطرد و الابعاد إنّما هو لأجل الکفر و الظلم و هذا الملعون أوّل کافر باللّه کما یدلّ علیه قوله تعالی:

«أَبی وَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ ».

و أیضا فلنا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اسوه حسنه، و کلّما جری علی لسانه الشّریف ذکر هذا الملعون أردفه بالطعن و اللعن فیجب لنا اتّباعه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی أقواله و أفعاله، و لو کان السّکوت عن لعنه حسنا لم یتّخذه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، سنّه.

مع أنّ التّبری من أولیاء الضلال ظاهرا و باطنا بأیّ نحو کان واجب، و اللعن من جمله أنحاء التبرّی کالاهانه و الاذلال و التّوهین و السبّ و الازراء و نحوها.

الثالث ما قاله فی حقّ یزید اللّعین ابن اللّعین من أنّه لم یثبت کونه آمرا بقتل الحسین علیه السّلام دلیل علی جهله بکتب التّواریخ و السّیر الّتی صنفها علماؤهم فضلا عن علمائنا، إذ لم ینکر أحد منهم ذلک و لا خلاف بینهم فی أنّ یزید ولّی ابن زیاد علیه اللعنه و العذاب علی العراقین لهذا الغرض، و أنّه أنهض العساکر و عبّأ الجیوش و الکتائب لقتاله سلام اللّه علیه و أمره بالقتل أو البیعه فال الأمر إلی ما آل.

و قد قیل لبعض القضاه: کیف یستحقّ یزید اللعن علی قتل الحسین بن علیّ و کان فی الشام و قتل هو بالعراق؟ فأنشد:

سهم أصاب و رامیه بذی سلّم من بالعراق لقد أبعدت مرماک

ص:۲۹۶

فاذا ثبت أمره بقتله ثبت وجوب لعنه، لأنّ فرط محبّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للحسين و لأخيه الحسن عليهما السّلام و مزيد اختصاصهما به غنىّ عن البيان، مستغن عن البيّنه و البرهان.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهما: من أبغضهما أبغضته و من أبغضته أبغضه اللّه أصلاه جهنّم و سائت مصيرا، رواه المحدّثون فأوجب النّار فى بغضهما فكيف لقتلهما.

و قد روت الخاصّه و العامّه حتّى الغزالى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهما: هما وديعتى فى امّتى.

و رووا أيضا قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللّهم إنّى أستودعكهما و صالح المؤمنين.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا من حسين و حسين منّى إلى غير ذلك ممّا لا حاجه إلى ذكرها.

و يدلّ ذلك كلّه على أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يؤذيه ما يوذى الحسين عليه السّلام فضلا عن قتله و الّذين يؤذون رسول اللّه لهم عذاب أليم كما فى آيه التّوبه، و فى آيه الأحزاب «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً » الرابع قوله: لا يجوز نسبه المسلم إلى كبيره من غير تحقيق.

أقول: هذا مسلّم و لكن كفر يزيد و ظلمه و ارتكابه ما لم يرتكبه أحد من الكفّار بلغت مبلغ اشتهار الشّمس فى رابعه النّهار، لأنّ زمان ذلك الملعون كان كلّه ظلما و فتنه، فانّه بعد قتل الحسين عليه السّلام و قتل من قتل معه جهّز الجيوش إلى ابن الزّبير و بعث بها إليه مع عقبه بن مسلم إلى مدينه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى حرمه الّذى حرّمه كما أنّ إبراهيم حرّم مكّه و لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أحدث فى المدينه حدثا فقتل أهلها، و أباح قتلهم ثلاثه أيّام يقتل فيها الرّجال و يسبى النّساء و تنتهب الأموال، ثمّ سار إلى مكّه فمات فى طريق مكّه لعنه اللّه تعالى فولى يزيد ابن الحصين مكانه، فانتهى إلى مكّه فأباحها و أضرم النّار فى أستار الكعبه فاحترقت و أحرق سقفها و سقط جدارها و هى حرم اللّه الّذى حرّمه و عظّمه غايه التعظيم و قال فى حقّه: «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ».

ص:۲۹۷

و لم يقدم المشركون مع شركهم و لا أهل الجهاله على جهالتهم على أدنى شيء مما فعل تعظيما له و رعايه لحرمته، و من هذا شأنه فكيف يكون مسلما.

نعم هذا الملعون كأبيه و جدّه معاويه و أبى سفيان الملعونين أظهر الاسلام توسلا به إلى ارابه و أبطن الكفر و قد نقل أنه ذكر عنده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما فقال الملعون:

تلاعب بالبريّه هاشميّ بلا وحى أتاه و لا كتاب

و هذا منه قدح قديح فى النبوّه و سنذكر مثله منه فى الأشعار الاتيه.

الخامس أنّ قوله: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبه لعنه اللّه لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبه فيه: أنّ مجرّد الاحتمال غير كاف فى ارتفاع اللعن و الطعن و الويل و النكال.

و كيف يكون تائبا و قد صدر منه بعد قتله سلام اللّه عليه ما هو أعظم خزيا من الحركات الشنيعه فى حقّ العتره الهاشميه من سبى الحريم و النساء و أمره بأن يسار بهم فى سكك الشام على أقتاب بغير وطاء سوق السبايا و الاماء ثمّ إحضارهم إلى مجلسه مكرّرا ابتهاجا به و فخرا و سرورا.

و يكشف عن عدم ندمه مضافا إلى هذا وضعه الرّأس الشريف بين يديه و تمثله بقول ابن الزّبعرى:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

لأهلّوا و استهلّوا فرحا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

لست من خندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملک فلا خبر جاء و لا وحى نزل

أ فى حقّ من بتلک الأشعار يتمثّل يجوز الندم و يحتمل و لنعم ما قال ابن هانى المغربى:

بأسياف ذاک البغى أوّل سلّها أصيب علىّ لا بسيف ابن ملجم

و بالحقد حقد الجاهليه أنه إلى الان لم يذهب و لم يتصرّم

فلعن اللّه تعالى على يزيد بن معاويه عدد الحجر و المدر و النبات و الشجر

و على المتعصّبين له من أمثال الغزالى اللعين ذوى الأنفس الخبيثه، و العقول المختلّه، و العقائد الفاسده، و الهمم الساقطه، و الأديان المدخوله، و الأحلام الطايشه، و الأقوال الواهيه، و القلوب التى لا تهتدى إلى رشاد، و العيون التى لا تنظر إلى سداد، و قد غطى عليها الغين، و فيهم يقال: أعمى القلب و العين، و من كان فى هذه أعمى فهو فى الاخره أعمى و أضلّ سبيلا.

الثانى من اغلاط الغزالى

دعويه أنه يستفيد من الملائكه و الأنبياء و مشاهدته لهم على وجه القطع

كلما يريد.

و على ذلك الغلط جرت سيره الصوفيه فانك ترى كثيرا منهم يستندون ما يأفكون إلى الأنبياء و الرسل، و يدّعون رؤيتهم إما بالكشف و الشهود، و إما فى المنام، بل ربما يترقّى بعضهم و يدّعى رؤيه اللّه تعالى ظاهرا بحسّ البصر، و لا بأس بنقل بعض خرافاتهم.

فأقول: من أعظم مشايخ هذه الفرقه محيى الدّين الملحد و الغزالى الناصب و قد نقلنا من كلام الأوّل فيما سبق كثيرا.

و أعظم مما مرّ كلّه ما نقله أبو الفتح محمّد بن مظفر الدّين المعروف بالشيخ المكى فى كتابه المسمى بالجانب الغربى فى حلّ مشكلات ابن العربى قال فى محكيّ كلامه من خاتمه الكتاب المذكور عند ذكر كراماته.

و منها أنّ الشيخ – يعنى محيى الدّين – قال: كان محبوبى يتجسّد لى كما أنّ جبرئيل يكون مجسّدا لرسول اللّه و أنا لا أقدر على النظر إليه، و كان يتكلّم بى و أنا أسمع كلامه و أفهمه، و كان مشاهدته يمنعنى من الغذاء عدّه أيام، و كلما احضرت المائده كان يقف فى جانب منها و يقول بلسان أسمعه: تأكل و أنت تشاهدنى، و كان ذلك مانعا لى من الطعام، و ما كنت أجد ما كان بى من الجوع و كان النظر إليه عوضا عن الغذاء و الماء، و هكذا كان حالى فى أكثر الأيام لا أذوق فيها شيئا و لا يكون محبوبى غايبا عن نظرى، و كان يقوم لقيامى و يقعد

لقعودى، انتهى.

و هذه منه دعوى مشاهده الرّب تعالى و تقدّس بالصوره الجسميه بعين الكشف و لا يبعد أنّ شيطانه تجسّد له ليحكّم إغواءه و يشدّد إضلاله حسبما نشير الى تفصيله تحقيقا إنشاء اللّه.

و أما رؤيته للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد ادّعاه فى ديباجه الفصوص حيث قال:

أما بعد فانى رأيت رسول اللّه فى مبشره(۱) اريتها فى العشر الاخر من المحرّم لسنه سبع و عشرين و ستّمأه بمحروسه دمشق و بيده كتاب فقال لى: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع و الطاعه للّه و لرسوله و اولى الأمر منّا(۲).

و ادّعى أيضا رؤيته و رؤيه ساير الأنبياء جميعا فى الفصّ الهودى قال هناك:

و اعلم أنه لما اطلعنى الحقّ و أشهدنى أعيان رسله و أنبيائه كلّهم البشريين من آدم إلى محمّد صلوات اللّه عليهم أجمعين فى مشهد(۳) أقمت فيه بقرطبه(۴) سنه ستّ و ثمانين و خمسمائه ما كلّمنى أحد من تلك الطايفه إلّا هود عليه السّلام فانه أخبرنى بسبب جمعيتهم و رأيته رجلا ضخما فى الرّجال حسن الصوره لطيف المحاوره عارفا بالامور كاشفا لها.

قال القيصرى: قيل: كان سبب جمعيتهم إنزاله مقام القطبيّه ليكون قطب الأقطاب فى زمانه و كلام هود عليه السّلام بشارته انه خاتم الولايه المحمديه و وارث الأنبياء و المرسلين كما ذكره من نفسه فى مواضع من فتوحاته تصريحا و تلويحا.

و أما رؤيه الغزالى للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقد نقل عن شرح المثنوى انه قال:

إنّ الامام أبا حامد الغزالى المشهور قال لأخيه أحمد الغزالى يوما: نعم الفقيه أنت لو اجتهدت فى الشريعه أكثر من هذا، فقال له الشيخ أحمد: و نعم

۱- (۱) - أى رويا مبشره.

۲- (۲) - أى من جنسنا و أهل ديننا، شرح الفصوص

۳- (۳) - أى مقام حصل هذا الشهود فيه، قيصرى.

۴- (۴) - مدينه ببلاد المغرب

العالم أنت لو اهتممت فى الحقيقه أكثر من هذا، فقال الامام: ازعم أنّ لى السّبق فى مضمار الحقيقه، فقال الشّيخ: متاع التّصوّر و الحسبان ليس كثير رواج فى سوق الاسرار، فقال: و ليكن بيننا حكم، فقال الشيخ: و حكم هذا الطريق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال الامام: و كيف لنا به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى نرى مكانه و نسمع بيانه، قال: و لما يجد حظّا من الحقيقه من لم يره حيث أراد و لم يسمع من أسراره و حقايقه فاشتعل من أثر هذا الملام نائره الغيره فى باطن الامام.

ثمّ إنّهما جعلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حكما لأنفسهما و افترقا، حتّى إذا جاء اللّيل أخذ كلّ منهما طريق تعبّده.

فبالغ الامام فى التّضرّع و البكاء و التّوسّل إلى أن سخنت عيناه، فرأى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دخل عليه مع رجل من أصحابه و بشّره بشرف المعرفه بهذا الأمر و كان على يدى ذلك الصحابى طبق من الرّطب، ففتح عن طرف منه و أعطاه من ذلك تميرات، فلما أفاق الامام رأى تلك التّميرات موجوده فى يده على خلاف ساير مناماته، فقام مبتهجا مسرورا إلى حجره أخيه، و جعل يدقّ الباب بقوّته فاذا هو يقول من وراء الباب: لا ينبغى مثل هذا العجب و الدّلال على تميرات معدوده.

فزاد تحيّر الامام من دهشه هذا القول: فلمّا دخل على أخيه فقال: و كيف علمت ما لحقنى من التشريف؟ فقال الشّيخ: و لم يعطك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما أعطاك حتّى لم يعرضه علىّ سبع مرّات، و إن لم تصدّقنى فى ذلك فقم إلى رفّ الحجره و انظر ما ذا ترى.

فلمّا قام الامام رأى ذلك الطّبق الّذى كان على يدى الصّحابى هناك و قد نقص من طرف منه بمقدار تلك التّميرات، فعلم أنّ ما بلغه منه أيضا كان من بركات أنفاس الشّيخ.

ثمّ إنّه أخذ فى طريقه السّير و السّلوك و استكشاف أسرار الحقائق إلى أن صار مقتدى أصحاب الطريقه بلا كلام، انتهى.

ص:٣٠١

أقول: هذه القصه إمّا مجعوله من ناقلها، أو من المنامات الشّيطانيه و إلاّ فكيف يتصوّر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنايته و موادّته لمن حادّ اللّه و رسوله؟ و قد منع اللّه سبحانه المؤمنين من موادّتهم و قال: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ».

و من أعظم محادّه للّه تعالى و لرسوله من النّاصب المتعنّت؟ و قد علمت نصب أبى حامد الغزالى بما لا مزيد عليه و نصب أخيه أحمد يعلم ممّا ذكره القاضى نور اللّه فى مجالس المؤمنين عند ترجمه أخيه أبى حامد، بل قد علمت سابقا كفره و الحاده حيث حكينا عنه تعصّبه لابليس عليه اللّعنه و تسميته له: بسيّد الموحّدين و غير ذلك من ترّهاته.

و كم للصّوفيه من دعوى أمثال تلك المكاشفات و ادّعاء مشاهده النّبىّ و الأئمه عليهم السّلام إما بالرّؤيه أو بالرّؤياء.

و أعظم من ذلك دعوى رؤساء كلّ طبقه و الكملين منهم على زعمهم تجلّى الرّب تقدّس و تعالى فيهم و معاينتهم له سبحانه بالكشف و الشهود، مع أنّ بعضهم مؤمن و بعضهم ملحد و بعضهم شيعى و بعضهم سنّى و الشيعى أيضا بعضهم إمامى و بعضهم غير إمامى، و السّنّى بعضهم ناصبى و بعضهم غير ناصبى.

على أنّ كلاّ من هذه الفرق على اختلاف مذاهبهم و لعن بعضهم بعضا و تبرّى بعضهم من بعض مشاربهم فى السير و السلوك و الرّياضات و الأوراد و الأذكار و العبادات المبتدعه أيضا مختلفه.

فبعضهم جلالىّ، و بعضهم خاكسارىّ، و بعضهم نقشبندىّ، و بعضهم طيفورىّ و بعضهم نعمه اللهىّ، و بعضهم ذهبى، و بعضهم سفارىّ إلى غير هذه من سلاسلهم الكثيره، و كلّ سلسله يخطىء السلسله الاخرى، فلو كانت هذه المكاشفات التى يدّعيها الكلّ صحيحه صادقه لصحّت مذاهب هذه الفرق كلّها و لم تكن الناجيه

منحصره فی واحده.

مع ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال فی الحدیث الذی رواه الکلّ: إنّ امه موسی افترقت بعده علی احدی و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و سبعون فی النار، و افترقت امه عیسی بعده علی اثنتین و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و احدی و سبعون فی النار و انّ امتی ستفترق بعدی علی ثلاث و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و اثنتان و سبعون فی النار.

فعلم بذلک کلّه أنّ ما یدّعون کلّه تدلیس و تلبیس و تمویه و تخریق و تزویق(۱) کسراب بقیعه یحسبه الظمان ماء حتی إذا جاءه لم یجده شیئا و وجد اللّه عنده فوفّاه حسابه و اللّه سریع الحساب.

فان قیل: سلّمنا هذا کلّه و لکن یستبعد جدا اتّفاق هؤلاء علی کثرتهم علی الکذب فی دعوی المعاینه.

قلت: هو کذلک و لکن مرجع تلک الدّعوی إلی أحد أمور:

الاول أنهم بما اعتادوه من تحمل المشاقّ و الریاضات المبتدعه و الجلوس فی بیت مظلم أربعین یوما و التزام ترک الحیوانی و نحو ذلک ربما یحصل لهم خبط و تغیر مزاج مضافا إلی شرب بعضهم للبنج و نحوه من الأدویه المسبته، فیوجب ذلک الاختراعات الخیالیه فیتوهّم المتخیّل محسوسا مع أنه لا أصل له کالسراب الذی یراه الناظر من بعد ماء.

و قد أشار الی ذلک النفیسی فی شرح الأسباب حیث قال: و قد یبلغ الفساد فی بعضهم إلی حدّ یظنّ أنه یعلم الغیب و کثیرا ما یخبر بما سیکون قبل کونه، و قد یبلغ الفساد فی بعضهم إلی حدّ یظنّ أنه صار ملکا، و قد یبلغ فی بعضهم إلی أعلا من ذلک فیظنّ أنه الحقّ تعالی عن ذلک، و اکثرهم یرون انهم یلزمون التقوی و حسن السیره بتوحّشهم و انصرافهم عن الناس، و قال بعد شطر من کلامه:

۱- (۱) - موه الشیء طلاه بذهب أو فضه و تحته نحاس أو حدید، و التخریق کثره الکذب و التزویق التحسین و التزیین (منه).

قد عرض هذا المرض لكثير من الفلاسفه كأفلاطون و نظرائه.

و قال الطبرى: قد رأيت جماعه من الأفاضل تفرّدوا بأنفسهم و تركوا الاشتغال بغير العلوم و لزموا مجانبه الناس فاحترقت أخلاطهم و حدث بهم الماليخوليا، منهم الفارابى فانه كان لا يختلط بالناس و يتجنّبهم و اذا عاب إنسانا عابه بأنه يجالس العامه و السوقه، فحدث به ضرب من الماليخوليا كان يخرج إلى السوق و يقعد و يهذى بالمنطقيات و يلعب به الصبيان و السوقه، انتهى مجملا.

الثانى أنهم لانحرافهم عن النهج القويم و عدولهم عن الصراط المستقيم و أخذهم بالبدعات و ركوبهم للضلالات، شملهم من اللّه الخذلان، و ترى لهم الشيطان و تجسّم فى نظرهم و حضر فى مجلسهم و تكلّم معهم و خاطبهم، فأسمعهم و تلاطف بهم تثبيتا لما أسّسوه من بنيان الزّيغ و الضلال، و تشييدا لما أقاموه من أركان الوزر و الوبال و قد أشار إلى ذلك الشيخ على سبط الشهيد الثانى قدّس اللّه روحهما فى محكى كلامه من كتابه المسمّى بالسهام المارقه من أغراض الزّنادقه حيث قال: نعم لا يبعد أنّ الشيّاطين تترائى لهم فى صور مختلفه فربّما يغويهم الشيطان و يقول لهم: أنا امامكم بل أنا إلهكم، و حضور الجنّ و الشّياطين عند أهل الرّياضيات و التسخير و غيرهم شايع مشهور و لا بعد فيه من جهه العقل و النّقل.

و فى الأحاديث تكرّرت تشكّل الجنّ بأشكال بنى آدم فاستبعاد هذا أو نفيه نفى و استبعاد لكمال قدرته تعالى و ردّ لأحاديث أهل بيت العصمه عليهم السّلام.

قال: و حكى فى بلادنا جماعه عن رجل قريب من هذا العصر أنّ أباه كان يخبر بأخبار البلاد المتباعده و ما يقع بها و يرسل كتابات يصل من مثل الشّام إلى مكّه فى أوقات يسيره يعلم ذلك من تاريخها، و كان الناس يتعجّبون من ذلك و نحوه، فلمّا توفّى الأب أخبر الولد أنّ بعد وفات أبيه جاء شخص بصوره عبد أسود طويل فقال له: أنا كنت خادما لأبيك فى حياته فان أردت أن أكون لك كما كنت لأبيك فعلت

إن تقوم بشرط كان بينى و بينه، و هو أنّى شرطت عليه أن يسجد لى دون اللّه فقبل و فعل، فامتنع الولد من ذلک فانصرف و لم يره بعده نقل جماعه و أظنّ أنّ بعضهم حکى أنّه أدرک ذلک الولد.

قال «ره» و لا بعد أيضا فى أنّه يحصل لهم خبط و تغيّر مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدّعون، و قد ينضمّ إلى ذلک تناول كثير من التّراكيب المغيّره للمزاج الباعثه على مثل ذلک و نحوها من المغيّرات، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: ما قاله قدّس سرّه من ترائى الشّياطين لهم فى صور مختلفه فهو نصّ الكتاب الكريم و الأخبار الكثيره الدّالّه على ظهورهم و ترائيهم لأولياء الضّلال قال سبحانه: «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ » أى تنزّل الشّياطين على كلّ كذّاب فاجر كثير الاثم.

قال الطبرسى: يلقون السّمع معناه أنّ الشّياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنه و الكذابين و يخلطون به كثيرا من الأكاذيب و يوحونه إليهم.

و فى الصّافى أى الأفّاكون يلقون السّمع إلى الشّياطين فيتلقون منهم ظنونا و امارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها، انتهى.

و لعمرى أنّ الصّوفيّه هم أظهر مصاديق هذه الايه، و كذا الايه الاخرى فى سوره الجاثيه و هو قوله تعالى «وَيْلٌ لِكُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ اللّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئاً وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ».

و من أحاط خبرا بما قدّمناه من افک ابن العربى و أباطيله الكثيره كدعويه رؤيه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجلّى الحقّ فيه و إسرائه الى السّماء و تلقّيه الأحكام من المعدن الّذى يأخذ منه الملک الّذى يوحى به إلى الرّسل، و ادّعائه أنّه خاتم الولايه

و استهزائه بايات اللّه و تأويله لها على المعانى الباطله و تصحيحه لعباده من دون اللّه من الأصنام و الأوثان إلى غير ذلك ممّا قدمناه نقله منه، عرف أنّ ذلك الملحد أظهر أظهر مصاديق تلك الايه.

و أما الاخبار فمنها ما رواه فى الكافى عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام فى حديث طويل قال: ليس من يوم و ليله إلاّ و جميع الجنّ و الشياطين تزور أئمه الضّلال و يزور امام الهدى عددهم من الملائكه حتّى إذا أتت ليله القدر فيهبط فيها من الملائكه إلى ولىّ الأمر خلق اللّه أو قال قيض اللّه عزّ و جلّ من الشّياطين بعددهم، ثمّ زاروا اولى الضّلاله فأتوه بالافك و الكذب حتّى لعلّه يصبح فيقول: رأيت كذا و كذا فلو سئل ولىّ الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطانا اخبرك بكذا و كذا حتّى يفسّر له تفسيرا و يعلمه الضّلاله.

و منها أنّ الحسن البصرى و هو رئيسهم مرّ به أمير المؤمنين بعد حرب الجمل و هو يتوضّأ فقال عليه السّلام: يا حسن اسبغ الوضوء، فقال يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناسا يشهدون أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا عبده و رسوله و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال: و اللّه صدّقنّك يا أمير المؤمنين لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صببت علىّ سلاحى و أنا لا أشّك فى أنّ التخلّف عن امّ المؤمنين كفر فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبه نادا مناديا حسن إلى أين ارجع فانّ القاتل و المقتول فى النّار، قال علىّ عليه السّلام: صدقت، أ فتدرى من ذلك المنادى؟ قال:

لا، قال عليه السّلام: أخوك ابليس و صدقك أنّ القاتل و المقتول منهم فى النّار.

و قد مرّ روايه ذلك الحديث بتمامه من الاحتجاج عن ابن عبّاس فى شرح المختار الثالث عشر فليراجع هناك.

و يفهم منه أنّ الشياطين ربّما ينادون أولياءهم و يخاطبونهم من غير أن يظهروا لهم.

و يدل على ذلك ما قدّمنا روايته فى التّذييل الثانى من شرح الفصل الثانى

ص:۳۰۶

من فصول المختار المأه و الحادی و الثمانین عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قصّه أصحاب الرّس بعد ما ذکر أنّه کانت لهم اثنتی عشره قریه و فی کلّ منها صنوبره یعبدونها.

قال علیه السّلام و قد جعلوا فی کلّ شهر من السّنه فی کلّ قریه عیدا یجتمع الیه أهلها فیضربون علی الشّجره الّتی فیها کلّه من حریر فیها أنواع الصّور، ثمّ یأتون بشاه و بقر یذبحونها قربانا للشجره و یشعلون فیها النّیران بالحطب، فاذا سطع دخان تلک الذّبایح و قتارها فی الهواء و حال بینهم و بین النّظر إلی السّماء خرّوا سجّدا یبکون و یتضرّعون إلیها أن ترضی عنهم، فکان الشیاطین یجیء فیحرّک أغصانها و یصیح من ساقها صیاح الصّبی أن قد رضیت عنکم فطیبوا نفسا فیرفعون رؤوسهم عند ذلک إلی أن قال علیه السّلام: حتّی إذا کان عید قریتهم العظمی اجتمع الیه صغیرهم و کبیرهم فضربوا عند الصنوبره و العین سرادقا من دیباج علیه من أنواع الصّور و جعلوا له اثنی عشر بابا کلّ باب لأهل قریه منهم و یسجدون للصّنوبره خارجا من السّرادق و یقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجره فی قربتهم، فیجیء ابلیس عند ذلک فیحرّک الصّنوبره تحریکا شدیدا و یتکلّم من جوفها کلاما جهوریّا، و یعدهم و یمنّیهم بأکثر ما وعدتهم و منّتهم الشیاطین کلّها، فیرفعون رؤوسهم عن السجود و لهم من الفرح و النشاط ما لا یفیقون و لا یتکلّمون الحدیث، و الأخبار فی هذا المعنی کثیره و لا حاجه إلی الاطاله.

الثالث تعمّد بعضهم فی الکذب و الافک و ادّعائه ما لیس له أصل أصلا.

فانهم لانحرافهم عن جادّه الشریعه و ضلالهم عن الحقّ و اضلالهم کثیرا من العوام کالأنعام و الرّعاع الدین یصغون إلی کلّ ناعق بما أظهروه من خوارق العادات التی نشیر إلی منشئها إنشاء اللّه، نسبوا إلی أنفسهم ما لا أصل له من رؤیه الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام، تثبیتا لمتابعیهم المفتتن بهم علی ما اعتقدوه فی حقّهم من مقام القطبیه و الولایه.

و نظیر ذلک ما نقل من أنّ أبا الطیب المتنبی الشاعر المعروف ادّعی لنفسه النّبوه بحبسه للمطر، فافتتن به کثیر من أهل أطراف الشّام.

نقل عن الخطيب التبريزى أنّه قال فى شرح ديوان أبى الطّيب، قال أبو عبد اللّه معاذ بن إسماعيل اللاذقى، قدم المتبّى اللاذقيه فى سنه نيّف و عشرين و ثلاثمأه، وضوى(۱) إلىّ فأكرمته و عظمته لما رأيت من فصاحته و حسن سمته، فلما تمكّن الانس بينى و بينه و خلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته و اقتباسا من أدبه و أعجبنى ما رأيت، قلت و اللّه إنك لشابّ خطر تصلح لمنادمه ملك كبير، فقال لى: ويحك أ تدرى ما نقول؟ أنا نبىّ مرسل، فظننت أنه يهزل، ثم ذكرت أنى لم احصل عليه كلمه هزل منذ عرفته، فقلت له: ما تقول؟ فقال: أنا نبىّ مرسل، فقلت له:

مرسل إلى من؟ قال: إلى هذه الامّه الضّالّه المضلّه، فقلت تفعل ما ذا؟ قال:

املئها عدلا كما قد ملئت جورا، فقلت: بماذا؟ قال: بإدرار الأرزاق و الثواب العاجل و الاجل لمن أطاع و أتى، و ضرب الأعناق و قطع الأرزاق لمن عصى و أبى فقلت: إنّ هذا أمر عظيم أخاف منه عليك و عذلته على قوله، فقال بديها:

أيا عبد الاله معاذ أنّى خفىّ عنك فى الهيجا مقامى

القطعه، فقلت له: ذكرت أنّك نبىّ مرسل إلى هذه الامّه أ فبوحى يوحى إليك؟ قال: نعم قلت: فاتل علىّ شيئا من الوحى إليك، فأتى بكلام ما مرّ بسمعى أحسن منه، فقلت: و كم اوحى عليك من هذا؟ فقال: مأئه عبره و أربع عشر عبره، فقلت: و كم العبره؟ فأتى بمقدار أكبر الاى من كتاب اللّه تعالى، فقلت: ففى كم مدّه اوحى اليك؟ قال: جمله واحده، قلت: فاسمع فى هذه العبرات كلّ طاعه فى السّماء فما هى قال: حبس المدرار لقطع أرزاق العصاه و الفجار قلت: أتحبس من السماء قطرها؟ قال: أى و الّذى فطرها أ فما هى معجزه؟ فقلت: بلى و اللّه، قال: فان حبست ذلك عن مكان تنظر اليه و لا تشكّ فيه هل تؤمن بى و تصدّقنى على ما أتيت به من ربّى؟ قلت: اى و اللّه، قال: سأفعل فلا تسألنى عن شىء بعدها حتّى آتيك بهذه المعجزه و لا نظهر شيئا من هذا الأمر حتّى يظهر، و انتظرت ما وعدنيه من غير أن أسأله.

فقال لى بعد أيّام: أتحبّ أن تنظر الى المعجزه الّتى جرى ذكرها؟ فقلت:

ص:۳۰۸

۱- (۱) - أى أتى ليلا. م.

بلی و اللّه، فقال لی: إذا أرسلت احد العبید فارکب معه و لا تؤخّر و لا یخرج معک أحد قلت: نعم.

فلما کان بعد أیام تغیّمت السماء فی یوم من أیّام الشتاء و إذا عبده قد أقبل فقال: یقول ارکب للوعد، فبادرت بالرّکوب معه و قلت أین رکب مولاک؟ قال:

إلی الصحراء، و لم یخرج معه أحد غیری و اشتدّ وقع المطر فقال: بادربنا حتّی نستکنّ معه من هذا المطر فانّه ینتظرنا بأعلی تلّ لا یصیبه فیه المطر، قلت: و کیف عمل قال: أقبل ینظر إلی السماء أوّل ما بدء السحاب الأسود و هو یتکلّم بما لا أفهم ثمّ أخذ السّوط فأدار به فی موضع ستنظر الیه من التّل و هو یهمهم و المطر ممّا یلیه و لا قطره منه علیه.

فبادرت معه حتّی نظرت الیه و اذا هو علی تلّ علی نصف فرسخ من البلد فأتیته و إذا هو قائم ما علیه من ذلک المطر قطره واحده و قد خضت فی الماء إلی رکبتی الدّابّه و المطر فی أشدّ ما یکون، و نظرت إلی مأتی ذراع فی مثلها من ذلک التّل یابس ما فیه ندی و لا قطره مطر، فسلمت علیه فردّ علیّ فقال لی: أ تری؟ قلت:

ابسط یدک فانی اشهد أنّک رسول اللّه، فبسط یده فبایعته بیعه الاقرار بنبوّته.

ثمّ قال لی: ما قال هذا الخبیث لما دعی بک یعنی عبده فشرحت له ما قال لی فی الطریق لما استخبرته، فقتل العبد و قال و قد جاوز حدّ الاساءه:

أیّ محلّ ارتقی أیّ عظیم اتّقی.

و کلّ ما قد خلق اللّه و ما لم یخلق محتقر فی همّتی کشعره فی مفرقی

و أخذت بیعته لأهلی، ثمّ صحّ بعد ذلک أنّ البیعه قد عمّت کلّ مدینه بالشّام، و ذلک بأصغر حیله تعلّمها من بعض العرب و هی صدحه المطر یصرفه بها عن أیّ مکان أحبّ بعد أن یحوی علیه بعصا و ینفث بالصّدقه الّتی لهم و رأیت لهم کثیرا منهم بالسّکون و حضرموت و السّاسک من الیمن یفعلون هذا و لا یتعاظمونه حتّی أنّ أحدهم یصدح عن غنمه و ابله و بقره و عن القریه من القری، فلا یصیبها من المطر قطره و یکون المطر ممّا یلی الصّدقه، و هو ضرب من السحر،

و رأیت لهم من السِّحر ما هو أعظم من هذا و سألت المتنبّی بعد ذلک هل دخلت السِّکون؟ فقال: نعم و والدی منها أما سمعت قولی؟

أمنسی السّکون و حضرموتاو والدتی و کنده و السبیعا

فقلت: و من ثمّ استفاد ما جوّزه علی طغام أهل الشّام، و جرت له أشیاء بعد ذلک من الحروب و الحبس و الانتقال من موضع إلی موضع حتّی حصل عند سیف الدّوله، انتهی.

أقول: و إلی مثل ذلک یرجع خرافات أکثر رؤساء الفرق الثلاث الضالّه المضلّه:

الصّوفیّه، و الشیخیّه، و البابیّه خذلهم اللّه جمیعا هذا کلّه تحقیق ما یتعلّق بالمکاشفه بعنوان الشهود و الرّؤیه و العیان.

و أمّا الکشف بالرّؤیا و المنام و علیه مدار أکثر دعاوی المتصوّفه و أباطیلها حیث إنّ أعظم بضاعتهم: اریت البارحه و قد جرت عادتهم علی أنّهم ینقلون ما یرون فی المنام إلی مرشدیهم فیعبّره علی ما هو مناسب لمذاق التّصوّف.

فتحقیق الکلام فیه ما أفاده المفید قدّس اللّه سرّه.

فقد روی فی البحار من کنز الفواید للکراجکی قال: وجدت لشیخنا المفید رضی اللّه عنه فی بعض کتبه أنّ الکلام فی باب رؤیا المنامات غزیر، و تهاون أهل النّظر به شدید، و البلیّه بذلک عظیمه، و صدق القول فیه أصل جلیل.

و الرّؤیا فی المنام تکون من أربع جهات:

إحداها حدیث النفس بالشیء و الفکر فیه حتّی یحصل کالمنطبع فی النفس فیخیّل إلی النّائم ذلک بعینه و أشکاله و نتائجه، و هذا معروف بالاعتبار.

و الجهه الثانیه من الطباع و ما یکون من قهر بعضها لبعض، فیضطرب له المزاج و یتخیّل لصاحبه ما یلایم ذلک الطبع الغالب من مأکول و مشروب و مرئی و منکوح و ملبوس و مبهج و مزعج، و قد تری تأثیر الطبع الغالب فی الیقظه و المشاهد حتّی أنّ من غلبت علیه الصفراء و یصعب علیه الصعود إلی المکان العالی یتخیّل إلیه وقوعه منه و یناله من الهلع و الزّمع ما لا ینال غیره، و من غلبت علیه السوداء یتخیّل به أنّه

قد صعد فی الهواء و ناجته الملائكه و يظنّ صحّه ذلک حتّی أنّه ربما اعتقد فی نفسه النّبوّه و أنّ الوحی يأتيه من السّماء و ما أشبه ذلک.

و الجهه الثالثه ألطاف من اللّه عزّ و جلّ لبعض خلقه من تنبيه و تبشير و اعذار و انذار، فيلقی فی روعه ما ينتج له تخيلات امور تدعوه إلی الطاعه و الشكر علی النعمه و تزجره عن المعصيه و تخوّفه الاخره و يحصل له بها مصلحه و زياده فايده و فكر يحدث له معرفه.

و الجهه الرّابعه أسباب تأتی من الشيطان و وسوسته يفعلها الانسان يذكّره بها امورا تحزنه و أسبابا تغمّه و تطمعه فيما لا يناله أو تدعوه علی ارتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيّل شبهه فی دينه يكون منها هلاكه، و ذلک مختصّ بمن عدم التوفيق لعصيانه و كثره تفريطه فی طاعات اللّه، و لن ينجو من باطل المنامات و أحلامها إلاّ الأنبياء و الأئمه صلوات اللّه عليهم و من رسخ فی العلم من الصالحين.

و قد كان شيخی رضی اللّه عنه قال لی: كلّ من كثر علمه و اتّسع قلّه مناماته فان رأی مع ذلک منامات و كان جسمه من العوارض سليما فلا يكون منامه إلاّ حقّا، و يريد بسلامه الجسم عدم الامراض المهيّجه للطّباع و غلبه بعضها علی ما تقدّم به البيان، و السّكران أيضا لا يصحّ له منام و كذلک الممتلی من الطعام لأنّه كالسّكران.

و لذلک قيل: إنّ المنامات قلّ ما يصحّ فی ليالی شهر رمضان، فأمّا منامات الأنبياء فلا يكون إلاّ صادقه و هی وحی فی الحقيقه و منامات الأئمه جاريه مجری الوحی و إن لم تسمّ وحيا و لا تكون قطّ إلاّ حقّا و صدقا و إذا صحّ منام المؤمن لأنّه من قبل اللّه كما ذكرناه.

و قد جاء فی الحديث عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم انّه قال: رؤياء المؤمن جزء من سبعه و سبعين جزء من النّبوه.

و روی عنه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: رؤيا المؤمن تجری مجری كلام تكلّم به الرّب عنده فأمّا وسوسه شياطين الجنّ فقد ورد السّمع بذكرها، قال اللّه تعالی: «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنّاسِ اَلَّذِی يُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ » و قال: «وَ إِنَّ الشَّياطِينَ »

«لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيـائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ » و قال: «شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً » و ما ورد به السّمع فلا طريق إلى دفعه.

فأمّا كيفيّه وسوسه الجنّى للانسى فهو إنّ الجنّ أجسام رقاق لطاف فيصحّ أن يتوصّل أحدهم برقّه جسمه و لطافته إلى غايه سمع الانسان و نهايته فيوقّر فيه كلاما يلبّس عليه إذا سمعه و يشبّه عليه بخواطره، لأنه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه و يصحّ أن يفعل هذا بالنائم و اليقظان جميعا و ليس هو فى العقل مستحيلا.

و روى جابر بن عبد اللّه أنه قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب إذ قام اليه رجل فقال: يا رسول اللّه إنى رأيت كأنّ رأسى قد قطع و هو متدحرج، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

لا تحدث بلعب الشيطان بك. ثمّ قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدّثنّ به أحدا.

و أما رؤيه الانسان للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو أحد الأئمه عليهم السّلام فى المنام، فانّ ذلک عندى على ثلاثه أقسام:

قسم أقطع على صحّته، و قسم أقطع على بطلانه، و قسم أجوّز فيه الصحّه و البطلان فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذى أقطع على صحّته فهو كلّ منام رأى فيه النبىّ أو أحد الأئمه عليهم السّلام و هو فاعل لطاعه أو آمر بها و ناه عن معصيه أو مبيّن بقبحها، و قائل لحقّ أو داع اليه، و زاجر على باطل أو ذامّ لمن هو عليه.

و أما الذى أقطع على بطلانه فهو كلّما كان ضدّ ذلک لعلمنا أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامام صاحبا حقّ و صاحب الحقّ بعيد عن الباطل.

و أما الذى اجوّز فيه الصحّه و البطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبىّ و الامام و ليس هو آمرا و لا ناهيا، و لا على حال يختصّ بالدّيانات مثل أن يراه راكبا أو ماشيا أو جالسا و نحو ذلک.

فاما الخبر الذى يروى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله: من رءانى فقد رءانى فانّ

الشيطان لا يتشبّه بى، فانه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كلّ حال، و يكون المراد به القسم الاوّل من الأقسام الثلاثه لأنّ الشيطان لا يتشبّه بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى شىء من الحقّ و الطاعات.

و أما ما روى عنه من رءانى نائما فكأنما رءانى يقظانا، فانّه يحتمل الوجهين.

أحدهما أن يكون المراد به روياء المنام، و يكون خاصّا كالخبر الأوّل على القسم الأوّل الّذى قدّمناه.

و الثانى أن يكون أراد رؤيه اليقظه دون المنام، و يكون قوله: نائما حالا للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليست حالا لمن رآه، فكأنّه قال: من رآنى و أنا نائم فكأنّما رآنى و أنا منتبه، و الفائده فى هذا المقام أن يعلّمهم بأنّه يدرك فى الحالتين إدراكا واحدا فيمنعهم ذلک إذا حضروا عنده و هو نائم أن يغيظوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته و هو منتبه.

و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه غفى ثمّ قام يصلّى من غير تجديد وضوء، فسئل عن ذلک فقال: إنّى لست كأحدكم تنام عيناى و لا ينام قلبى، و جميع هذه الرّوايات اخبار آحاد، فان سلمت فعلى هذا المنهاج.

و قد كان شيخى رضى اللّه عنه يقول: إذا جاز من بشر أن يدّعى فى اليقظه أنّه إله كفرعون و من جرى مجراه مع قلّه حيله البشر و زوال اللبس فى اليقظه فما المانع أن يدّعى ابليس عند النّائم بوسوسته له انّه نبىّ مع تمكّن ابليس بما لا يتمكّن عنه البشر و كثره اللّبس المعترض فى المنام.

و ممّا يوضح لک أنّ من المنامات الّتى يتخيّل للانسان أنّه قد رأى فيها رسول اللّه و الأئمه صلوات اللّه عليهم ما هو حقّ و منها ما هو باطل:

أنّک ترى الشّيعى يقول: رأيت فى المنام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يأمرنى بالاقتداء به دون غيره و يعلمنى أنّه خليفه من بعده و أنّ أبا بكر و عمر و عثمان ظالموه و أعداؤه، و ينهانى من موالاتهم و يأمرنى بالبراءه منهم و نحو ذلک ممّا يختصّ بمذهب الشيعه.

ص:٣١٣

ثمّ یری النّاصبی یقول: رأیت رسول اللّه فی النّوم و معه أبو بکر و عمر و عثمان و هو یأمرنی بمحبّتهم و ینهانی عن بغضهم و یعلمنی أنّهم أحقّاء فی الدّنیا و الاخره و أنّه معهم فی الجنّه و نحو ذلک ممّا یختصّ بمذهب النّاصبیّه.

فنعلم لا محاله أنّ أحد المنامین حقّ و الاخر باطل فأولی الأشیاء أن یکون الحقّ منهما ما ثبت الدّلیل فی الیقظه علی صحّه ما تضمّنه، و الباطل ما أوضحت الحجّه عن فساده و بطلانه، و لیس یمکن الشّیعی أن یقول للناصبی: إنک کذبت فی قولک إنّک رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأنه یقدر أن یقول له مثل هذا بعینه.

و قد شاهدنا ناصبیّا تشیّع و أخبرنا فی حال تشیّعه بأنه یری منامات بالضدّ مما کان یراه فی حال نصبه، فبان بذلک أنّ أحد المنامین باطل و أنه من نتیجه حدیث النفس أو من وسوسه إبلیس و نحو ذلک، و أنّ المنام الصحیح هو لطف من اللّه سبحانه لعبده علی المعنی المتقدّم وصفه.

و قولنا فی المنام الصحیح: إنّ الانسان رأی فی نومه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنما معناه انه کان قد رآه، و لیس المراد به التحقیق فی اتصال شعاع بصره بجسد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أیّ بصر یدرک به حال نومه، و إنما هی معان تصوّرت فی نفسه تخیّل له فیها امر لطف اللّه تعالی له به قائم مقام العلم، و لیس هذا بمناف للخبر الذی روی من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

من رءانی فقد رءانی، لأنّ معناه فکأنما رءانی و لیس یغلط فی هذا المکان إلّا من لیس له من عقله اعتبار، انتهی کلامه رفع اللّه تعالی فی أعلا علیّین مقامه.

و انما نقلناه بطوله لاشتماله علی فواید جمه و فیه قلع أساس منامات الصوفیه حیث إنهم یستندون أکثر أباطیلهم إلی الرّؤیاء و المنام، فان کانوا صادقین فی أصل الرّؤیاء فانّما هی من أضغاث الأحلام و عمل الشیطان.

و کفی بذلک شاهدا أنّ محیی الدّین حسبما نقلناه عنه سابقا نسب کتاب الفصوص الذی هو من کتب الضلال یقینا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ذکر فی أوّل الکتاب أنه رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی المنام بمحروسه دمشق و بیده کتاب فقال له: هذا کتاب فصوص الحکم خذه و اخرج به إلی الناس ینتفعون به، و قد ذکر فی الکتاب المذکور

مضافه إلى ساير أباطيله منامات كلّها مخالفه لدين الاسلام و شريعه سيد الأنام كما يعرفه من رجع إليه من ذوى البصاير و الأفهام.

و منها

منعهم من طلب الرّزق

زعما منهم أنه مناف للتوكل.

و قولهم بذلك إفراط حيث إنهم يحرّمون ما أحلّ اللّه كما أنّ تجويزهم للغناء و الرّقص و نحوهما تفريط و تحليل لما حرّم اللّه.

قال آيه اللّه فى العالمين العلاّمه الحلّى قدّس اللّه روحه و جعل مقامه فى أعلا علّيين فى كتاب مناهج اليقين فى اصول الدّين:

منع الصوفيه من طلب الرّزق لأنّ الحلال قد اختلط بالحرام بحيث لا يمكن تمييزه فيجب اجتنابه، و لأنّ فيه مساعده الظالمين لطلب الخروج و الضمان، و لأنه تعالى أمر بالتوكل و هو ينافى الطلب، و هذا خيال ضعيف، فانّ المكلف إذا عرف الشىء المعيّن قد اختلط فيه الحلال بالحرام اجتنبه اما مع فقد العلم فلا، و المساعده ليست مقصوده بالذات، و التوكل لا ينافى الطلب.

و قال الشيخ مقداد فى كتابه إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين عند شرح قول العلامه قدّس اللّه روحه: و يجوز طلبه، يعنى الرّزق لأنه يندفع به الضرر و لقوله تعالى: «فَانْتَشِرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ اِبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ » و غير ذلك من الايات ما لفظه:

اعلم أنّ الرّزق يجوز طلبه بل قد يجب كما إذا لم يكن ثمّ وجه غيره، و قد يستحبّ، و قد يباح، و قد يحرم كما إذا اشتمل على وجه نهى الشّارع عنه، و قد يكره كما إذا اشتمل على ما ينبغى التنزّه عنه.

ثمّ إنّ الرزق قد يكون تفضلا منه تعالى بأن لا يكون للمكلّف فيه لطف و قد يكون فيه لطف و ذلك فيما يجتهد فى تحصيله، و وجه لطفيّته أن يحصل للطّالب عقيده بأنّ المنافع الدّنيويّه إنّما تحصل بالتّعب و كذا الاخرويه، و ذهبت الصّوفيه إلى أنّه لا يجوز السّعى فى طلبه

و الدّليل على ما قلناه من وجوه:

الأوّل أنّ طلب الرّزق ممّا يدفع به الضّرر عن النّفس و دفع الضّرر عن النّفس واجب.

الثّانى قوله تعالى: «فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ »، و قوله: «لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّکُمْ » و قال المفسّرون: الابتغاء التّکسّب و الفضل الرّزق و غیر ذلک من الایات.

الثّالث قوله صلّى اللّه علیه و آله و سلّم: سافروا تغنموا، و قوله صلّى اللّه علیه و آله و سلّم: الرّزق عشره أجزاء تسعه منها فى التجاره، و غیر ذلک من الأخبار.

و احتجّت الصوفیه بوجوه:

الأول أنّ الحلال مختلط بالحرام و لا یتمیّز فلا یجوز طلبه.

الثانی أنّ فی الطلب مساعده للظالم باعطائه الطمغاء و غیرها و مساعده الظالم حرام فکذا ما یؤدّى إلیها.

الثالث قوله تعالى: لو توکّلتم على اللّه حقّ توکّله لرزقکم کما یرزق الطیر تغد و خماصا و تروح بطانا، و إذا کان التوکّل مأمورا به کان الطلب منهیا عنه.

و الجواب عن الأول إن أردتم أن کلّ الحلال مختلط فهو ممنوع، و إن أردتم بعضه فمسلّم لکن التکلیف مشروط بالعلم فمع عدم العلم لا حرمه خصوصا و الید ظاهره فی الملک، و أورد علیهم شیخنا سالم بن محفوظ أنه یلزم من هذا أنه لا یجوز أکله کما لا یجوز طلبه، و لهم أن یقولوا إنا نأکل قدر الضروره لکن الواقع منهم بخلافه.

و عن الثانی أنّ المساعده لیست مقصوده و لا مراده بل تؤخذ قهرا.

و عن الثالث أنّ التوکّل لا ینافی الطلب و المکتسب فی حال طلبه متوکّل أیضا و لهذا أردفه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم بالغدوّ، مع أنه لیس فی الحدیث نهی عن الطلب الذی هو مناط البحث بل بیّن فیه أنکم لو اشتغلتم بالطاعه عن الطلب لرزقکم ما یقیم به أبدانکم کما یرزق الطیر ما یقیم به أبدانها بتهیه الأسباب، لکن أردفه بالغدوّ الذی

هو الطلب، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و يرد على دليلهم الأوّل أيضا أنّ قولهم: الحلال مختلط بالحرام، إن أرادوا به الحلال و الحرام الواقعين ففيه أنا لسنا مكلّفين بتحصيل الحلال الواقعى و لا بترك الحرام الواقعى لعدم السبيل إليهما، و إن اريد بهما ما هو حلال و حرام فى ظاهر الشرع فالاختلاط إنما هو فى بعضها لا الجميع و على ذلك فكلّ شىء فيه حلال و حرام فهو لنا حلال حتى نعرف الحرام منه بعينه فندعه، و لو كان جميع الحلال مختلطا بالحرام لم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك، و لا قال أمير المؤمنين عليه السّلام مثل ذلك، فتقسيمهما الأشياء إلى ثلاثه أقسام دليل على وجودها جميعا، و قد حققه الأصحاب فى كتب اصول الفقه بما لا مزيد عليه، نعم لو كان المختلط شبهه محصوره لوجب الاجتناب أيضا و التفصيل فى محلّه.

و الأخبار فى طلب الرّزق كثيره:

منها ما رواه فى مجمع البيان عن عمرو بن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال إنى لأركب فى الحاجه التى كفاها اللّه ما أركب فيها إلّا التماس أن يرانى اللّه اضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول اللّه عزّ اسمه: «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ » أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه ثمّ قال:

رزقى ينزل علىّ كان يكون هذا؟ و نقل عن كتاب نور الحقيقه و نور الحديقه لوالد شيخنا البهائى قدّس سرّهما قال: ذكر جماعه عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجلا بخير فقالوا يا رسول اللّه خرج معنا حاجّا فاذا انزلنا منزلا لم يزل يصلّى حتّى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر اللّه تعالى حتّى ننزل، فقال، من كان يكفيه علف ناقته و صنع طعامه؟ فقالوا: كلّنا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّكم خير منه.

و عن الكافى عن عدّه من أصحابنا عن البرقى عن محمّد بن علىّ عن هارون بن حمزه عن علىّ بن عبد العزيز قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العباده و ترك التّجاره، فقال: ويحه أما علم أنّ

تـارك الطلب لاـ يسـتجاب له إنّ قومـا من أصـحاب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لمـا نزلت: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَـلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ » أغلقوا الأبواب و أقبلوا على العباده و قالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول اللّه تكفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العباده، فقال:

إنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و الأخبار فى هـذا المعنى كثيره جـدّا لا حاجه اليها، و نعم ما قيل: الزّهـد فى الدّنيا قصـر الأمل لا لبس العبا، و ليس الزّاهد من لا يملك شيئا و لكنّه الذى لا يملكه شيء، و إنّ الدّراهم مراهم لأنّها تداوى كلّ جريح و يشترى بها الاخره كما يشترى بها الدّنيا.

إذا عرفت ذلك فاستمع لما نحكيه عليك من عجيب مزخرفات ابن العربى فى فتوحاته، قال فى محكى كلامه من الباب التّاسع و العشرين من الفتوحات.

كلّ عبـد إلهيّ توجّه لأحد عليه حقّ من المخلوقين فقد نقص من عبوديته للّه سـبحانه بقدر ذلك الحقّ فان ذلك المخلوق يطلبه بحقّه و له عليه سـلطان فلا يكون عبـدا مخلصا للّه، و هـذا هو الّـذى يرجّح عند المنقطعين إلى اللّه انقطاعهم عن الخلق و لزومهم السّـياحات و لزومهم البرارى و السّواحل و الفرار من النّاس و الخروج من ملك الحيوان، فانّهم يريدون الحرّيّه من جميع الأكوان و لقيت منهم جماعه كثيره فى أيّام سياحتى.

و من الزّمان الّذى حصل لى هذا المقام ما ملكت حيوانا أصـلا و لا الثّوب الّذى ألبسه فانّى لا ألبسه إلّا عاريه لشـخص معيّن أذن لى فى التّصرف فيه، و الزّمان الذى أتملّك الشيء فيه أخرج عنه ذلك الوقت إمّا بالهبه أو بالعتق إن كان ممّا يعتق.

و هذا حصل لى لمّا أراد التحقّق بعبوديّه الاختصاص للّه.

قيل لى: لا يصحّ ذلك حتّى لا يقوم لأحد عليك حجّه.

قلت: لا و اللّه و لا للّه إنشاء اللّه.

قيل لى: و كيف يصحّ أن لا يقوم للّه عليك حجّه؟

قلت: إنّما يقوم الحجج على المنكرين لا على المعترفين، و على أهل الدّعاوى و أصحاب الحظوظ لا على من قال ما لى حقّ و لا حظّ، انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: و يتوجّه على هذا الجاهل:

أوّلا أنّ المخلص للعبوديّه للّه سبحانه هو من يستنّ بسنّه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يسلك مسلكه و يكون له فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اسوه حسنه، و الرّهبانيه و الانقطاع عن الخلق و السياحه خلاف سنّته، و قد قال عليه السّلام: إنّ سياحه امّتى و رهبانيّتهم الجهاد و يأتى انشاء اللّه أخبار كثيره فى هذا المعنى.

و ثانيا أنّ الخروج من ملك الحيوان و إراده الحرّيه من جميع الأكوان محال عاده، و قد خلق اللّه سبحانه الانسان مدنيّا بالطبع و جعل كلّ فرد منه محتاجا إلى غيره و لو فى أقلّ ضروريات العيش، فكلّ من قام بحاجه غيره و هيّأ أسباب معيشته و رفع عنه الضروره و الحاجه و لو فى أقلّ مراتبها التى لا يمكن التّعيش و البقاء بدونه يكون له بقدر ما قام بمحاويجه حقّا عليه و إن كان الحقوق فى الحقيقه كلّها للّه سبحانه إلاّ أن من لم يشكر الخلايق لم يشكر الخالق.

و قد ورد فى الحديث: من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه، فاراده الحرّيه من جميع الأكوان و الخروج من ملك الحيوان لا يصدر إلاّ عن سفيه جاهل.

ثمّ الحقوق ليست منحصره فى الحقوق الماليّه، بل للوالد حقّ على الولد و للولد حقّ على الوالد، و للأرحام حقّ و للجار حقّ و للمعلّم حقّ و للمتعلّم حقّ و للاخوان المؤمنين حقّ، بل لكلّ من أعضائك و جوارحك من قرنك إلى قدمك عليك حقّ كما أشار إليه الأئمه عليهم السّلام فى أبواب الحقوق، فالانقطاع عن الخلق لا يبطل تلك الحقوق، ثمّ القيام بها من أجل أمره سبحانه و تعالى به من جمله العبادات فلا ينافى العبوديّه و الاخلاص كما توهّم.

و ثالثا أنّ قوله: فانّى لا ألبس الثوب إلاّ عاريه لا ملكا عجيب جدّا.

إذ لو كان المراد به أنّ للثّوب المملوك حقّا على لابسه دون المستعار فهو

غلط بل يجب فى العاريه من الحفظ و المواظبه و عدم التّفريط ما ليس فى الثّوب الّذى هو له، لأنّه مال الغير و لا يجوز الخيانه فيه بخلاف ماله مع أنّ للعاريه حقا للمعير على المستعير حقّ الاسترداد و حقّ الضّمان لو فرّط، و ليس فى الثوب المملوك له لأحد حقّ عليه.

و إن كان المراد به أنّه كان يلبس العاريه دون الملك لزهده و تركه ملاذ الدّنيا ففيه أنّ الملك و العاريه لا مدخليّه لهما فى الزّهد و عدمه، و قد كان أزهد الزّاهدين فى الدّنيا رسول اللّه و أمير المؤمنين عليهما السّلام و لم نسمع منهما إلى الان أنّهما يلبسان اللباس عاريه لا ملكا، و قد كان عليه السّلام يشرى لباسا و يلبسه و يقول: الحمد للّه الّذى ألبسنى من الرّياش ما أتجمّل به فى الناس و أوارى به عورتى و رابعا أنّ ادّعاءه أن ليس للّه حجّه عليه لكونه من المعترفين لا من المنكرين فهو ناش من خبطه و سفهه و جهله و ضلاله و عجبه، فما أعظم جرءته و أشدّ جسارته حيث لم يدّع هذا المقام أحد من الأنبياء و المرسلين و الحجج المعصومين على عصمتهم و جدّهم فى مقام العمل و بلوغهم الغايه فى المعرفه.

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و التسعين عند شرح قوله عليه السّلام فى وصف المؤمنين: و لا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون أخبار نافعه فى المقام.

منها قول أبى الحسن موسى عليه السّلام لبعض ولده: يا بنىّ عليك بالجدّ و لا تخرجنّ نفسك من حدّ التّقصير فى عباده اللّه عزّ و جلّ فانّ اللّه لا يعبد حقّ عبادته.

و قول أبى جعفر عليه السّلام ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله و نسى ذنوبه و أعجب برأيه.

و قول أبى عبد اللّه عليه السّلام قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث: قال موسى بن عمران لابليس: أخبرنى بالذّنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه إلى غير هذه ممّا لا نطيل باعادتها.

ثمّ أقول: لو لم يحتجّ اللّه عليه إلّا بعدم معرفه إمام زمانه على ما اعترف به نفسه حسبما حكينا من فتوحاته فيما تقدّم و بادّعائه أنّه خاتم الولايه و أنه يتلقّى الوحى بدون واسطه من اللّه عزّ و جلّ فضلا عن قوله بوحده الوجود و عن ساير أباطيله المتقدّمه حكاياتها، لكان فى ذلك الاحتجاج ما لا يقوم به السماوات و الأرض و لتدكدك من نكاله الجبال، نعوذ باللّه من الضلال و سوء الخاتمه و المال و عظيم العقوبه و النّكال، و الحمد للّه الّذى هدانا إلى الصراط المستقيم و ما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا اللّه، و نصلّى و نسلّم على محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خلفائه الذين هم أولياء اللّه.

المقام الرابع

اشاره

فى نبذ من صلائف الصوفيه

(۱)

و واقعاتهم العجيبه و هذياناتهم المفرطه التى تضحك منها الثكلى و تعجب لها الصّبيان، و الظاهر أنّ منشئها إفراط الخبط و شدّه الأمراض الخياليّه.

فمنها

ما عن شيخهم برهان الدّين الماليقى و هو من أعاظم مرتاضيهم و أكابر مشايخهم و مشاهيرهم لا سيّما فى بلاد الهند و نحن نذكر عنه من كتاب الواقعات له ثلاثا منها لتكون أنموذجا لما طوينا عن ذكرها، قال:

الواقعه الاولى

أمّا بعد حمد اللّه تعالى و الصلاه و السلام على حبيبه محمّد و آله:

لمّا برزت الاشاره المولويه الشيخيّه الرّبانيّه أنّ كلما حدث من الواقعات فى أثناء السّلوك ينبغى أن تقيّد بالكتابه امتثل هذا الحقير أوامره الشريفه و كتب ما بقى منها فى خاطره بعد التّعوذ و الاستعانه باللّه تعالى.

۱- (۱) الصلف التمدّح بما ليس عندك أو مجاوزه قدر الظرف و الادّعاء فوق ذلك تكبرا، ق.

لما كان اليوم الثانى من أيام بعض الخلوات كنت فى الذّكر مستغرقا إذا رأيت كأنّى فى البرّ و شخص واقع كأنّه ملك و ستر معلّق من السّماء إلى الأرض و كأنّ شخصا يقول لى: إلى أين تذهب؟ قلت: إلى الحقّ، فقال: بين الحقّ و العبد سبعون ألف حجابا بحمايه من تذهب إليه؟ فقلت: بحمايه الشيخ نور الدين عبد الرّحمن، فلمّا سمع كلام العبد لم يثن عليه القول و حضر الشيخ فى الحال.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ أمر المريد لا يتيسّر بدون شيخ مرشد و الشّيخ المرشد لا بدّ له من ولايه الحمايه إذا توجّه إليه المريد حضر فى الحال بالعنايه الرّبانيّه فلمّا توجّه العبد نحوه رآه حضر و بيده عصا و هو واقف.

و قد ظهر بهذا الحقير أنواع من الصّور الشيطانيّه المختلفه و غيره يقصده و الشيخ يدفعها عنه بعصاه، و فى أثناء ذلك حضر شخص بخارى يقال له النّور البيمارستانى و كان لهذا الحقير به قديما يسير إراده و قصد نحو هذا الحقير فحمل الشيخ بعصاه فهرب، ثمّ قصد هذا الحقير ثانيا فحمل الشيخ عليه ثانيا بعصاه فهرب فلمّا قصد نحو هذا الحقير ثالثا ضرب الشيخ بالعصا رأسه فكأنّه شجّه فرمى نفسه على أقدام الشيخ ثمّ هرب.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ اللّه أظهر له ولايه الشيخ على هذه الصوره التجأ إليه سبحانه و تعالى أن يلهم الشيخ القعود حيث طال قيامه، فجلس الشيخ كمن جلس على صفه و ولىّ برجليه الأرض مستنفذا، فلم يطمئنّ القلب لذلك حتى التجأ إليه سبحانه ثانيا و طلب سكون الشيخ و قراره بالقعود عنده، فتربّع الشيخ بعد ذلك عنده فالتجأ إليه سبحانه ثالثا أن يقرّ الشيخ عنده على صوره لا يهاب منها المخالفه فرأى كأن الشيخ دخل باطن هذا الحقير دخول لابس ثوب و يدا هذا الحقير كمّاه.

فلمّا لبس الشيخ هذا الحقير صار الشيخ هو و فنى هو فى الشيخ بحيث لم يبق منه شيء سوى العلم بوجود الشيخ و فناء نفسه فيه.

ثمّ هذا الحقير سأل الشيخ بتوفيق اللّه إيّاه و قال: أيّها الشيخ ما سبب أن

صرت هذا الحقير؟ فأجاب و قال: لمّا لم يكن قوّه صيروره نفسک إيّاى صيّرت نفسى إيّاک لتصير إيّاى.

ثمّ بعد ذلک كان اللّه تعالى أظهر لهذا الحقير أنّ الشيخ قد جلس فى باطن هذا الحقير مرّبعا كما رأى ظاهرا أوّلا، و كلّما ذكر اللّه تعالى ذكر الشيخ أيضا فى باطنه، فاذا شرع فى ابتداء الذّكر يقول الشيخ فى باطنه: اذكر فانّک حسن الذّكر.

فلمّا استقرّ بفضل اللّه تعالى سرّ الشيخ فى باطن هذا الحقير تواترت عليه الالهامات الرّبانيه الرّوحانيه ساعه فساعه، فلو حصل اذن الحقّ سبحانه و تعالى إلهاما بذكر الالهامات كلّها و تحقيق كونها ليست من الالهامات الرّوحانيه و الملكيه و غيرها بل هى ربّانيّه حقّا لأمتثل انشاء اللّه تعالى.

الواقعه الثانيه

كان هذا الحقير فى أثناء الذّكر ليله و الشيخ فى باطنه متمكّن إذا رأى كأنّه تولّد من باطنه من جانبه الأيسر ممّا يلى القلب جرو(۱) كلب أبيض اذناه سود و فى ظهره عند ذنبه سواد و كان تاره يقعد و تاره ينام و لا يقرّ قلقا من ذكر هذا الحقير.

فحصل لهذا الحقير من ذلک خوف فالتجأ إلى الحضره الالهيه و استمدّ من باطن الشيخ خفاره(۲) الالتجاء، لأنّ كلّ دعاء و التجاء لا خفاره له لا وصول له إلى الحضره، و لذلک صار الاخلاص خفير جميع العبادات قال اللّه تعالى: «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » و لمّا لم يجد للالتجاء به اخلاصا استمدّ بالعنايه الالهيّه من باطن الشيخ خفاره ذلک الالتجاء، فنظر فى الحال إذا الشيخ قد مدّ يده و أخذ ذلک الجرو من باطن هذا الحقير و مضى، فتبعه الحقير فى اثره فرأى فى عنق الجرو حبلا أبيض و رأس

۱- (۱) - الجرو بتثليث الجيم صغير كلّ شيء و غلب على ولد الكلب و الاسد، و العجب أنّ النسخه فى جميع المقامات بالدّال. المصحح.

۲- (۲) - الخفاره شده الحياء و خفره و به و عليه خفرا اجاره و منعه و آمنه و الخفر المجار و المجير و تخفّر اشتدّ حياؤه و به التجأ و سأله ان يكون له خفيرا، ق.

الحبل بيد الشيخ.

فلمّا مشينا قليلا قتل الشيخ ذلك الجرو و مسح قدمه به و مع ذلك يخاف هذا الحقير أن يعيش ثانيا، فلمّا مسح الشيخ رجله به صار الجرو المقتول تحت رجله طينا، فلمّا رجع رجله عنه عاش ثانيا فأخذه الشيخ ثانيا ليقتله فلم يمكّنه من نفسه و كان حقيرا فى العين قوّيا فى نفسه، فوقع على هذا الحقير منه خوف فرأى كأنّ الشيخ قلع رأسه من بدنه و رمى به و خرق بطنه بسكّين فرمى به أيضا إلى الأرض و وضع عليه حجرا ثقيلا و مع هذا كان مفتوح العين ينظر الى هذا الحقير سرّا، فوضع الشيخ قدمه إليه فصار تحت قدمه طينا لكن الخوف غالب على هذا الحقير أن يعيش ثالثا فما التفتّ إلّا و قد رمى بالحجر عن نفسه و خرج من تحته فأخذه الشيخ ثالثا و قتله.

فقال هذا الحقير: ينبغى أن يحرق، فأخذ و جعل فى تنّور و كان كلّما احترق يعود كما كان حيّا، فأخذه الشيخ و أحرقه مرّه بعد اخرى إلى أن احترق و صار رمادا.

فقال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل بعد هذا؟ فقال هذا الحقير: ينبغى أن يرمى بالرّماد إلى الماء الجارى، فلمّا رمى صار الرّماد كلّه على رأس الماء و أمطرت السّماء فقال هذا الحقير: أيّها الشيخ ينبغى أن نتبع اثر هذا الماء كيلا يعيش هذا الجرو مرّه اخرى، فتقدّم الشيخ و هذا الحقير فى اثره فوصل ذلك الماء الجارى إلى بحر فقال الحقير للشيخ: نخاف أن يعيش هذا الجرو فلينظر هذا البحر إلى أين ينتهى، فنزل الشيخ إلى البحر و هذا الحقير فى أثره فرأى كان ماء البحر يدخل فى شقّ فوقف الشيخ على رأس الشّق و هذا الحقير فى خدمته إلى أن دخل جميع ماء البحر ذلك الشّق، فظهر فى قعر البرء حوض و فيه ماء فابتلعت الأرض ماء البحر فظهر فى أسفل الحوض سمكه صغيره فقتلها الشيخ.

و قال: ما ذا ينبغى أن يفعل بعد هذا؟ فالتمس الحقير من الشيخ أن يطلع الشّمس حتّى ييبس طين البحر، فلما أن طلعت الشمس و يبس الطين.

ص:۳۲۴

قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال هذا الحقير: يمكن أن ينبت من هذا نبات ينبغى أن نحرقه فالتفتّ فاذا بالحشيش قد نبت.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نحصد الحشيش و نحرقه فحصدناه و تركناه فى الشمس حتّى يبس ثمّ أحرقناه ثمّ قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن يرمى برماد الحشيش إلى شقّ الجبل ثمّ قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نملأ الحوض بالحجاره ليعتدل من الأرض و نسدّ باب الشقّ بالحجاره فلمّا فعل الشيخ ذلک كلّه.

قال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: لو امطرت السّماء بماء يغتسل فيه هذا الحقير و ابتلعت الأرض ذلک الماء كان حسنا كلّ ذلک من غلبه الخوف من ظهور آثار ذلک الجرو، فالتفتّ فاذا بالغيث قد نزل و سال و دخل جميعه فى ثقب قد لا يسع انسانا من ضيقه فلمّا اغتسل الحقير و اذا به قد حضر عنده من العنايه الالهيّه ثوب أبيض فلبسه.

فقال الشيخ أيضا ما ينبغى أن يفعل؟ و فى تكرار قول الشيخ ما ينبغى أن يفعل سرّ يعرفه الشيخ، فقال الحقير: نقصد الكعبه المعظمه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره إلى أن وصلنا الكعبه و دخلنا الحرم الشريف، فاغتسل الحقير بماء زمزم و حضر ثوب أبيض فلبس الحقير بين يدى الشيخ و دخلنا الكعبه و صلّينا فيه.

ثمّ قال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال هذا الحقير بالعنايه الالهيّه ينبغى أن نذهب إلى التّنور الّذى أحرقنا فيه الجرو و الحجر الّذى وضعناه على رأسه و الموضع الّذى قتلناه فيه و نأخذ الجميع و نلقى فى الثّقب الّذى كان الماء يدخله كيلا يبقى فى هذا الموضع للجرو أثر، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره و جئنا و جمعنا كلّ ذلک فأراد الحقير أن يحمله فاذا بحبشىّ قد ظهر فى الحال و جعلنا الكلّ فى وعاء و حملناه إيّاه فلمّا دخلنا إلى الثّقب الّذى دخله تلک الماء العظيمه

ألقيناه فيه ثمّ قتل هذا الحقير بالعنايه الالهيّه ذلك الحبشىّ، و ألقيته فى الثّقب أيضا.

ثمّ قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره قد دخلنا الحرم الشّريف و اغتسل الحقير ثانيا بماء زمزم و كان الشيخ يغسله ثمّ بعد الغسل حضر ثوب صوف أخضر فلبسه الحقير و صلّينا فى مقام إبراهيم عليه السّلام ثمّ دخلنا الكعبه فلمّا أن صلّينا فيه.

قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نشدّ رأس الثقب الّذى ألقينا فيه الحبشىّ المقتول و التّنور و الحجر كيلا يظهر منه أثر، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فجئنا و شددنا رأس الثّقب.

ثمّ قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فدخلنا الحرم الشّريف و جئنا إلى بئر زمزم فخلع الحقير ثوبه و وضعه على ميزاب الكعبه و اغتسل بماء زمزم و كان الشيخ يغسله.

ثمّ قال الحقير بالعنايه الالهيّه للشيخ: اقطع بطن الحقير و اغسل بهذا الماء قلبه و كبده و باطنه كيلا يكون قد بقى فى باطن هذا الحقير شيء من أثر الجرو، فقطع الشيخ بطن هذا الحقير بالسّكين و غسل باطنه بالماء.

فبينا الشيخ كذلك إذ ألقى اللّه سبحانه فى نفسى منّى نفره عظيمه فضربت عنقى بالعنايه الالهيّه و أخذت باحدى يدى شعر رأسى و بيدى الاخرى رجلى و رميت به خارج الحرم و لم أزل أضرب برأسى الّذى بيدى عتبه الحرم إلى أن نفيت و رميت به خارج الحرم و دخلت الحرم و اغتسلت بماء زمزم بحضور الشيخ و حضر ثوب ازرق و عمامه بيضاء فلبستهما.

ثمّ قال: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نصعد سطح الكعبه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فصعدنا سطح الكعبه.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نصعد السماء، ففى أثناء هذا الكلام حضر فرسان بسرجيهما فركب الشّيخ أحدهما و الحقير الاخر، فلما وصلنا

إلى السّماء الاولى فاذا ملكان جالسان، فدخل الشّيخ بلا اذن و الحقير فى أثره فسأل أحد الملكين صاحبه من هذا؟ فقال له: الشّيخ عبد الرّحمن و مريده، و كان الشّيخ أماما يخرق السّماء و يصعد و الحقير فى أثره ينظر فرآه كيلا يصل بنا أثر الجرو فيرى مواضع عروجنا يعود كما كان مسدودا فاطمئنّ لذلك باطنه.

فلمّا وصلنا إلى السّماء الثّالثه كان الملائكه كانوا يمنعون الحقير و يأمرونه بالتّجريد، و يعدهم الحقير بذلك، و كان الشّيخ قد أخذ بعناق فرس الحقير و يمدّه، فلم يبق لهم إمكان منع الحقير.

و كان الشّيخ كلّما عرج إلى السّماء يقول: أين تذهب؟ فيقول الحقير إلى الجنّه، و لون السّماء و كيفيّاتها كما ذكرها العلماء فى كتبهم فلا حاجه إلى ذكرها.

و كان الشّيخ كلّما جاء إلى باب السّماء يدخل بلا اذن الملائكه و لا يلتفت إليهم و إن حصل فى بعض أبواب السّماوات تمانع يأخذ بعنان هذا الحقير و يمدّه و يدخل و كان سبعه و كلّ باب من أبواب السّماوات أضيق من الذى قبله، و كان فى اثناء العروج فى السّماوات السّبع يأتى خيول مختلفه الألوان بسروجها غير الّتى قبلها.

فلمّا عرجنا إلى السّماء السّابعه و وصلنا إلى الجنّه الاولى و دخلناها جائتنا خيول غير تلك الخيول بسروجها، و كانت الحور العين يتعلّق بالشيخ و فرسه و لم يلتفت اليهنّ أصلا، و كان كلّما وصل إلى باب جنّه من الجنّات يستقبلنا خزنتها و يدخل الشيخ الجنّه بلا التفات إلى أحد منهم.

فلمّا وصلنا إلى جنّه الفردوس استقبلنا خزنتها بالاطباق أو بالطّباق المغطاه الرّؤوس و كان فى طبق منها الفاكهه مكتوب فيها: اللّه، و فى طبق منها فاكهه أيضا مكتوب فيها: الحقّ، فأكل هذا الحقير جميعها.

فلمّا قربنا من جنّه الفردوس دخل الشّيخ و الحقير فى اثره فلمّا أراد الشّيخ أن يدخل جنّه الفردوس و كانت طبقتين ردّوا باب طبقه منها، فأخذ الشيخ

بیـد الحقیر و أدخله الیها و هکذا إلی أن عبرنا ثمانی جنّات کلّما حصل تمانع من واحد منها إمّا أن یأخذ الشـیخ بید الحقیر و إمّا أن یأخذ بعنان فرسه و یدخله و ادخلنا إلی أربع جنات منها رکبانا و الی أربع منها مشاه.

و کان فی أثناء عروجنا من هذه الجنات الثمانیه تأتینا خیول مختلفه الألوان خضر و صفر و زرق بسروجها.

فلما عبرنا من الجنات الثمانیه کلّها قال الشیخ: أین تذهب؟ قال الحقیر إلی العرش و الکرسی، و کنا نری فی أثناء ذلک الملائکه علیهم السلام بعضهم فی القیام و بعضهم فی الرّکوع و بعضهم فی السجود و الشیخ و الحقیر راکبان یعبران.

و کلما حصل تمانع من الملائکه لهذا الحقیر کان أکثره من قبل التجرید و کان الحقیر یتقبل لهم به و الشیخ یدفعهم عنه بالعنایه الالهیه، حتی وصلنا إلی العرش.

فقال الشـیخ: ما ینبغی أن یفعل؟ فقال الحقیر نصـعد فوق العرش، فحضـر طیران علی شـکل النعامه و علیها سـرجان فرکـب الشیخ أحـدهما و رکـب الحقیر الاـخر و کـأنه کـان کلمـا حرکنا جناحهما قطعنا مسافه الشـرقیه أقلّ و أکثر إلی أن عییا، و حضـر طیران آخران علی شـکل الطـاوس و علیهمـا سـرجان و کـان الخطـاب یصـل سـاعه فسـاعه من الحقّ: تجرّد لتصـیر محفوظا بتجلّیاتی و اجلسک علی العرش فتجرّد الحقیر بالعنایه الالهیه و رمی بالمحقر الـذی کان معه من جیفه الـدّنیا و مع حقارته و قلّته کان حجابا عظیما، سـبحان من هذا بعض مقدوراته تاره یجعل التجرید حجابا، و تاره یجعل عدم التجرید حجابا أعوذ باللّه من اللّه فی جمیع الأحوال.

ثمّ بعد ذلک رقاه الحقّ الی العرش الشـیخ أمامه و الحقیر فی أثره فلما صـعدنا العرش طلب من الحقّ سبحانه موضع نعلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فاشیر إلی موضع معین و کان الحقیر یقبّل الموضع و یعفّر خدّه فیه، ثمّ صلینا رکعتین فیه کان الشیخ إمامـا و الحقیر مأمومـا، و قرء فی الرّکعه الاـولی إنـا فتحنا و فی الثانیه الم نشـرح و اذا جاء نصـر اللّه، فان وقعت الاشاره من الحقّ سبحانه أن یذکر عبور بحر الناری

و سیر درکات الجحیم طبقه بعد طبقه امتثلت بالتوفیق الالهی بالسمع و الطاعه انشاء اللّه تعالی.

الواقعه الثالثه

و هذه الواقعه انما کتبت باشاره الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و فی أثناء الاشاره استخار الحقیر من النبیّ صلوات اللّه و سلامه علیه فی أنه یلقب نفسه المسکین أو الحقیر فاختار لی الحقیر و أشار به.

رأی هذا الحقیر مرّه کأنه یأکل الکعبه المعظمه زادها اللّه شرفا و کان الکعبه تمطر من هذا الحقیر و فی أثناء ذلک صار الحقیر الکعبه و بمقتضی الحکمه الربانیه ظهر هذا الحقیر علی سطحها و ظهر عند ذلک أیضا روح النبیّ صلی اللّه علیه و علی آله و سلم مع أرواح جمیع الأنبیاء صلوات اللّه علیهم علی سطح الکعبه المعظمه ثمّ إن الأرواح الشریفه النبویه نزلت کلّها من السطح باذن اللّه تعالی سوی روح نبینا محمّد صلّی اللّه علیه و علی آله و سلم، ثمّ بعد ذلک أوحی اللّه تعالی إلی الأنبیاء علیهم السّلام أن هذه کعبتی طوفوا حول کعبتی، فطاف الأنبیاء کلّهم علیهم السلام، ثمّ أوحی اللّه إلیهم أن آمنوا به و اسجدوا فقالوا کلّهم: آمنا باللّه و سجدوا حول الکعبه و الکعبه فی الوسط.

ثمّ بعد ذلک رأی کأنّ الحقّ سبحانه و تعالی من التشبیه و التعطیل بیده عصا ضرب بها سطح الکعبه المعظمه، فصارت شجره کأنها تمطر منها کلمه لا إله إلاّ اللّه.

ثمّ ظهر من حیطان الکعبه أید لا یعلم عددها إلاّ اللّه تعالی و قد التزم بکلّ ید منها نبیّ من الأنبیاء و یقول: أنا النبیّ الفلانی حتّی أن نوحا علیه السّلام ملتزم بید منها یقول: أنا النوح النبیّ، و کلّ منهم یقول مشیرا نحوی یا برهان قد جعلک اللّه مشیرا فاعمل أعمال الأنبیاء و الأولیاء، و کذا الأولیاء رحمهم اللّه علی ما ذکرنا و هذه الأیدی باذن اللّه تعالی یجذب بعضها المتعلق بها إلیها و بعضها یقطع رأس المتعلق بها و یرمیه ثمّ بعد ذلک خرج هذا الحقیر من تلک الصوره و ظهر باذن اللّه تعالی و هو سبحانه فوق رأسه کرحمته تعالی عن التکیف و التمثیل، و روح النبیّ صلّی اللّه علیه و علی

آله جالس متمكن، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: يا أهل المعرفه و الايمان و العلم و الأيقان و ذوى الفطن الثاقبه، انظروا إلى مقالات هذه الطايفه و عقايد اخوان عبده الأوثان و الصائبه كيف زيّن لهم أعمالهم الشيطان و صدّهم عن السبيل.

ثمّ انظروا إلى هذيانات هذا الجاهل السفيه النجس المرتكس فى أحداثه و الملحد المغتذى من أرواثه، كيف ارتقى مرتقى صعبا دحضا، و ادّعى تاره رفعا و اخرى خفضا، و خبط خبطه عشواء، و ركب ركاب الجاهليه الجهلاء.

فوا عجبا عجبا من تلبيسات ابليس و تدليسات النفس و طول باع الشيطان فى فنون الاغواء و الاضلال، و قوّه تصرّفه فى أوهام الجهال، و من شدّه تصاريف قوّه المتخيّله و سعه مجال القوّه المتوهّمه كيف نسجت على ألسنتهم نسيجات العنكبوت و حيّرتهم فى ظلمات الجهل و الغياهب، و اغرقتهم فى بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض و من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور، نعوذ باللّه من فساد الاعتقاد و الانحراف عن السّداد و الالحاد فى المبدأ و المعاد بمحمّد و آله الأمجاد.

المقام الخامس

فى كرامات الصوفيه و حماقاتهم

و ما نسبوه اليهم من الأفعال و الأحوال الخارقه للعاده و الكرامات التسلم «كذا» يتّفق مثلها لاولى العزم من الرّسل، و فيما ادّعاه بعض متصلّفيهم و احموقيهم من الصّلف و الرّعونه و الشّطح الّذى ليس منشأه الّا الحمق و الجنون و السّفاهه.

قال القيصرى فى شرح الفصّ الهودى من الفصوص:

قال: - اى محيى الدّين فى فتوحاته - إنّ اللّه تجلّى لى مرارا و قال: انصح عبادى، و قال:

قال فی آخر الباب الثانی عشر من الفتوحات: و قد ورد أنّ المؤذّن یشهد له مدی صوته من رطب و یابس، و الشرائع و النّبوات من هذا القبیل مشحونه و نحن زدنا مع الایمان بالأخبار الکشف، فقد سمعنا «رأینا خ ل» الأحجار تذکر اللّه رؤیه عین بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفین بجلال اللّه ممّا لیس یدرکه کلّ انسان.

و قال فی شرح الفصّ النوحی: ظواهر العالم من الانسان و الحیوان و النبات و الجماد و غیرهم یثنی بألسنتهم و ألسنه قویهم الرّوحانیه و الجسمانیّه علی روحه الحقیقی الذی هو الحقّ و تسبّحه و تنزّهه عن النقائص اللاّزمه لهم اللاّحقه بهم، و لکن لا یقصد هذا التّسبیح و التّنزیه إلاّ من تنور باطنه بنور الایمان أوّلا، ثمّ الأیقان ثانیا، ثمّ العیان ثالثا ثمّ یوجدان نفسه و روحه ساریا فی عین کلّ مرتبه و حقیقه کلّ موجود حالا و علما و شهودا فقط کسریان الحقّ فیها: فیدرک تسبیح الموجودات بذلک النّور و یسمعه إلی أن قال:

قال الشیخ فی آخر الباب الثانی عشر من الفتوحات: فانّ المسمّا بالجماد و النّبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراک غیر أهل الکشف إیّاها فی العاده، فلا یحسّ بها مثل ما یحسّ بها من الحیوان، فالکلّ عند أهل الکشف حیوان ناطق غیر أنّ هذا المزاج الخاص یسمّی إنسانا لا غیر، و نحن زدنا مع الایمان بالأخبار الکشف، فقد سمعنا الأحجار تذکر اللّه رؤیه عین بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفین بجلال اللّه ممّا لیس یدرکه کلّ إنسان قال:

و قال فی موضع آخر منه: و لیس هذا التّسبیح بلسان الحال کما یقوله أهل النّظر ممّن لا کشف له، هذا شأن من تحقّق بالمراتب الثلاث الاول. و أمّا صاحب المقام الرّابع فهو مسبّح لرّبه بلسان تلک الحقائق و حامد له فی تلک المراتب، فهو العبد التّام للّه یعبده فی کلّ موطن و مقام عباده جمیع العالم، و یحمده حمدهم و یری جمیع ما یراه بالبصر و بالبصیره عند تحقّقه بمقام الجمادیه و یسمع ما کان یسمع. و یعقل ما کان یعقل من غیر خلل و نقصان، و فی هذا المقام

ص:۳۳۱

يطوى الزّمان و المكان، و يتصرّف فى جميع الأكوان تصرّف النّفوس فى الأبدان و يظهر فى الحاله الواحده فى مراتب الأرواح النّورانيه و النفوس القدسيه الروحانيه و الأجسام الكثيفه الظلمانيّه، و لهذه المراتب أسرار غامضه جدّا يحرم كشفها، انتهى كلامه قاتله اللّه.

و هو كما ترى صريح فى أنّ هؤلاء الزّنادقه فضلا عن دعويهم سريان هويه الحقّ فى حقايق الأشياء ادّعوا سريان هويه المكاشفين منهم أيضا فى حقايقها.

فلم يبق بينهم و بينه سبحانه على زعمهم فصل و لا له عليهم فضل، قاتلهم اللّه فأنّى يؤفكون.

و قد صرّح بذلك القيصرى فى الفصل الثامن من ديباجه شرح الفصل حيث قال فى تحقيق أن حقايق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقه الانسانيه الّتى هى مظهر لاسم اللّه بعد جمله من الكلام ما لفظه:

و لذلك قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحقّ فيها، و ذلك فى السفر الثالث من الحقّ إلى الخلق بالحقّ، و عند هذا السّفر يتمّ كماله و به يحصل حقّ اليقين من المراتب الثلاث و قال الجامى فى رسالته الّتى كتبها فى تحقيق مذهب الصوفيّه و المتكلمين و الحكماء المتقدّمين، يروى عن قضيب البان الموصلى أنّه كان يرى فى زمان واحد فى مجالس متعدّده مشتغلا فى كلّ بأمر غير ما فى الاخر، و لمّا لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغّلين فى الزّمان و المكان تلقّوه بالرّد و العناد و حكموا عليه بالبطلان و الفساد، و أمّا الّذين منحوا التّوفيق للنّجاه من هذا المضيق فلمّا رأوه متعاليا عن الزّمان و المكان علموا أنّ نسبه جميع الأزمنه و الأمكنه إليه نسبه واحده متساويه، فجوّزوا ظهوره فى كلّ زمان و مكان بأىّ شأن شاء و بأىّ صوره أراد، انتهى كلامه خذله اللّه تعالى سبحانه و قال محيى الدين فى الفصّ العيسوى: إنّ أبا يزيد نفخ فى النّمله الّتى قتلها فحييت، فكان عيسوى المشهد.

و قال الغزالی فی احیاء العلوم: قیل لبعض العارفین بلغنا انّک تری الخضر علیه السّلام؟ فتبسّم و قال: لیس العجب ممّن یری الخضر و لکن العجب ممّن یرید الخضر أن یراه فیحتجب عنه.

قال: و قیل لأبی یزید البسطامی مرّه: حدّثنا عن مشاهدتک من اللّه تعالی، فصاح ثمّ قال: ویلکم لا یصلح لکم أن تعلموا ذلک، قیل: فحدّثنا بأشدّ مجاهدتک لنفسک فی اللّه تعالی فقال: هذا أیضا لا یجوز أن اطلعکم علیه، قیل: فحدّثنا عن ریاضه نفسک فی بدایتک، فقال: نعم دعوت نفسی إلی اللّه فجمحت علیّ فعزمت علیها أن لا أشرب الماء سنه و لا أذوق النّوم سنه فوفت لی بذلک.

قال: و یحکی عن یحیی بن معاذ أنّه رأی أبا یزید فی بعض مشاهداته من بعد صلاه العشاء الی طلوع الفجر مستوفزا علی صدور قدمیه، رافعا أخمصیه مع عقبیه عن الأرض، ضاربا بذقنه علی صدره، شاخصه بعینیه لا یطرف.

قال: ثمّ سجد عند السّحر فأطاله، ثمّ قعد فقال: اللّهم إنّ قوما طلبوک فأعطیتهم طیّ الأرض فرضوا بذلک و إنّی أعوذ بک من ذلک، و إنّ قوما طلبوک فأعطیتهم المشی فی الماء و المشی فی الهواء فرضوا بذلک و إنی أعوذ بک من ذلک و انّ قوما طلبوک فأعطیتهم کنوز الأرض فرضوا بذلک و انّی أعوذ من ذلک حتّی عدّ نیفا و عشرین مقاما من کرامات الأولیاء، ثمّ. التفت فرآنی فقال:

یحیی؟ فقلت: نعم یا سیّدی، فقال: مذ متی أنت ههنا؟ قلت: منذ حین، فسکت فقلت: یا سیّدی حدّثنی بشیء فقال: أحدّثک بما یصلح لک.

أدخلنی فی الفلک الأسفل فدوّرنی فی الملکوت السّفلی و أرانی الأرضین و ما تحتها إلی الثری ثمّ أدخلنی فی الفلک العلوی فطوف بی فی السماوات و أرانی ما فیها من الجنان إلی العرش، ثمّ أوقفنی بین یدیه فقال: سلنی أیّ شیء رأیت حتّی أهبه لک، فقلت: یا سیدی ما رأیت شیئا أستحسنه فأسألک ایّاه، فقال: أنت عبدی حقّا تعبدنی لأجلی صدقا لأفعلنّ بک و لأفعلنّ، فذکر أشیاء.

قال یحیی: فهالنی ذلک و امتلأت به و عجبت منه فقلت: یا سیّدی لم لا سألته

المعرفه به و قد قال لک ملک الملوک: سلنی ما شئت، قال: فصاح بی صیحه و قال: اسکت ویلک غرت علیه منّی حتّی لا احبّ أن یعرفه سواه.

قال الغزالی: و حکی أنّ أبا تراب الخشبی کان معجبا ببعض المریدین فکان یدنیه و یقوم بمصالحه و المرید مشغول بعبادته و مواجدته، فقال له أبو تراب یوما:

لو رأیت أبا یزید فقال: إنّی عنه مشغول، فلمّا أکثر علیه أبو تراب من قوله لو رأیت أبا یزید هاج و جد المرید. فقال: ویحک ما أصنع بأبی یزید قد رأیت اللّه فأغنانی عن أبی یزید.

قال أبو تراب: فهاج طبعی و لم أملک نفسی فقلت ویلک تغترّ باللّه عزّ و جلّ لو رأیت أبا یزید مرّه واحده کان أنفع لک من أن تری اللّه سبعین مرّه قال: فبهت الفتی من قوله و أنکره فقال: و کیف ذلک؟ قال له: ویلک أما تری اللّه عندک فیظهر لک علی مقدارک و تری أبا یزید عند اللّه قد ظهر له علی مقداره، فعرف ما قلت فقال:

احملنی إلیه فذکر قصّه قال فی آخرها فقال:

فوقفناه علی تلّ نتظره لیخرج الینا من الغیضه و کان یأوی إلی غیضه فیها سباع، قال: فمرّ بنا و قد قلب فروه علی ظهره. فقلت للفتی: هذا أبو یزید فانظر إلیه، فنظر إلیه الفتی، فصعق فحرّکناه فاذا هو میّت، فتعاونا علی دفنه فقلت لأبی یزید: یا سیّدی نظره إلیک قتله، قال: لا و لکن صاحبکم صادقا و استکنّ فی قلبه سرّ لم ینکشف له بوصفه، فلمّا رآنا انکشف له سرّ قلبه فضاق عن حمله لأنّه فی مقام الضّعفاء المریدین فقتله ذلک.

قال الغزالی: و لمّا دخل الزّنج البصره فقتلوا الأنفس و نهبوا الأموال اجتمع إلی سهل إخوانه فقالوا: لو سألت اللّه دفعهم، فسکت ثمّ قال: إنّ للّه عبادا فی هذه البلده لو دعوا علی الظالمین لم یصبح علی وجه الأرض ظالم إلاّ مات فی لیله واحده و لکن لا یفعلون، قیل: لم؟ قال: لأنّهم لا یحبّون ما لا یحبّ، ثمّ ذکر من إجابه اللّه أشیاء لا یستطاع ذکرها حتّی قال و لو سألوه أن لا یقیم السّاعه لم یقمها، و هذه امور ممکنه فی أنفسها فمن لم یحظ بشیء منها فلا ینبغی أن یخلو

عن التّصديق و الايمان بامكانها، فانّ القدره واسطه و الفضل عميم، و عجايب الملك و الملكوت كثيره، و مقدورات اللّه تعالى لا نهايه لها، و فضله على عباده الّذين اصطفى لا غايه له.

و لذلك كان أبو يزيد يقول: إن أعطاك مناجاه موسى و روحانيه عيسى و خلّه إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك أضعافا مضاعفه فان سكنت إلى ذلك حجبت به، و هذا بلاء مثلهم و من هو فى مثل حالهم لأنّهم الأمثل فالأمثل.

و قد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهنّ يتساعين فى الهواء عليهنّ ثياب من ذهب و فضّه و جوهر يتخشخش و يتثنى معهنّ، فنظرت إليهنّ نظره فعوقبت أربعين يوما، ثمّ كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهنّ فى الحسن و الجمال، و قيل لى: انظر إليهنّ قال فسجدت و غمضت عينى فى سجودى لئلّا أنظر إليهنّ و قلت: أعوذ بك ممّا سواك لا حاجه لى بهذا، فلم أزل حتّى صرفهنّ اللّه عنّى.

و فى كتاب قوائم الأنوار تأليف قطب السّلسله الذّهبيّه المسمّى بميرزا أبو القاسم الشّهير ميرزا بابا الذّهبى ألّفه بالفارسيّه قال فى الشّطر الثالث فى بيان حقيقه العشق الالهى ما ترجمته مخاطبا لابنه محمّد و هو رئيس السّلسله الّذهبيّه و قطبهم فى زماننا هذا:

يا بنيّ إن شئت أن تطّلع على سير السّلّاك و المجذوبين و العشاق الالهيّين فاستمع قصّه سلطان العارفين الشيخ أبى يزيد البسطامى فى سير معراجه قال الشيخ: إنّى بعد ما خدمت مأئه و ثلاثين شيخا من المشايخ الكملين، و لازمت الرّياضه و المجاهده ثمانين عاما آتانى اللّه تعالى عينا من نور وحدانيته و جناحين من آثار قدرته، فطرت ثلاثين ألف عام فى عالم الواحدانيّه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الفردانيّه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الصّمديّه، فشاهدت قد بقيت بقيّه من الانيّه فاهتزنى غيره شوق الوحده فطرت أربعين ألف عام آخر فى الوحده فبلغت غايه ما يمكننى من السّير فشاهدت أنّ وجودى المتوّهم لم ينعدم بعد، فعجزت و قلت: إلهى أعلم أنّ

وجودی بوجودک شرک و أنا لا أقدر الوصول الیک بوجودی فکیف لی فی فناء وجودی قال سبحانه: ضع رأسک علی عتبه باب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

قال أبو یزید: فغلبنی شوقه فقلت أحالنی سبحانه إلی بابه فطرت بجناحی الهمه و العشق حتّی وصلت أرواح الأنبیاء علیهم السّلام فسلّمت علی کلّ واحد منهم و سلّموا علیّ حتی جاوزت من الأنبیاء و سعیت فی الطّیران إلی أن وصلت فناء حضرت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فرأیت مأئه آلاف ألف بحر من نار لا بدّ من العبور منها، ثمّ نظرت فرأیت آلاف ألف حجاب من حجب النور و علمت أنّه ما لم أعبر من بحار النار لا یمکن لی الوصول إلی حجب النّور، و لو أضع قدمی علی أوّل بحر منها لاحترقت و هلکت، ثمّ أمعنت النظر فرأیت أطناب سرادق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مضروبه فی منتهی حجب النّور، فقلت: هذا هو الّذی قاله رؤساء الدّین: إنّ الوصول إلی اللّه سهل و إلی الرّسول صعب فلمّا یئست من الوصول إلی حضرته، فقلت: باب الرّسول فی هذا العصر هو ابنه جعفر الصّادق علیه السّلام، فقدمت إلی حضرته فقلت: یا مولای جعلت فداک إنّ اللّه تعالی بعد ثمانین عاما من المجاهدات و الرّیاضات فی سلوک طریقه و خدمه مأئه و ثلاثین من الأولیاء أحالنی إلی بابک و إنّی بعد طول الرّیاضه فی هذه المدّه و المواظبه علی العباده و الانقطاع من الخلق و العزله و التفرید و التجرید جئت إلی بابک غیر معجب بشیء من ذلک، فهب أنّی مجوسیّ أو یهودیّ أو نصرانیّ جئت إلی حضرتک لطلب دین الحقّ فأدخلنی فی الاسلام، فقال علیه السّلام: قل لا إله إلاّ اللّه.

قال أبو یزید: فلمّا قلت لا إله کلمه النّفی فشاهدت المحو و الفناء فی جمیع العالم حتّی فی وجودی، فلمّا قلت: إلاّ اللّه کلمه الاثبات فظهرت صوره الصّادق علیه السّلام فقلت: سبحان اللّه الفناء و البقاء و المحو و الاثبات الّذی کنت أطلبه فی تسعین عاما مع طول الرّیاضات و المجاهدات و خدمه مأئه و ثلاثین من الأولیاء و سیر مأئه و ثلاثین ألف عام فی الوحده قد حصل لی فی دقیقه واحده بتلقینه علیه السّلام کلمه لا إله إلاّ اللّه.

فلزمت حضره الصادق علیه السّلام و سألت أن یفوّض إلیّ بعض خدماته ففوّض سقایه

ص:۳۳۶

بیته الشریف إلیّ فکنت سقاء فی بیته سبع سنین، فقال الصّادق علیه السّلام لی یوما من الأیام:

یا طیفور هات الکتاب من الرّف، فقلت: جعلت فداک و أین الرّف؟ فقال: فوق رأسک و قد کنت منذ سنین عندنا فی هذه الدّار و البیت و ما رأیت الرّف فوق رأسک؟ فقلت: باللّه الّذی أجلسک فی مسند الخلافه شغلی بک و بأنوارک منعتنی عن هذا، فقال علیه السّلام: قد تمّ لک الأمر امض إلی بسطام و ادع النّاس إلی اللّه سبحانه و إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أولیائه، و أرسل معه بعض ولده فقدما متّفقین إلی بسطام و دعی أهله إلی الصّادق علیه السّلام، و کان یوم الجمعه مشغولا بارشاد الخلق و هدایتهم إلی السّیر و السلوک و سایر أیّام الاسبوع مشغولا بالفتاوی و الأحکام، انتهی ما نقله بطوله.

أقول: هذه القصّه لم أجدها فی مؤلّفات أحد من المتصدّین لنقل کرامات الصّوفیّه حتّی فی کتاب تذکره الأولیاء لهم أیضا مع أنّ أصل مقصود صاحب التذکره من تألیفه لیس إلاّ ذکر أمثال ذلک، و العهده فی ذلک علی ناقله، نعم کون أبی یزید سقاء فی دار الصادق علیه السّلام قد ذکره صاحب التذکره و غیره.

لکن ردّه الشیخ نور الدین المحدّث کما حکاه القاضی نور اللّه فی مجالس المؤمنین عنه، فانّه بعد ما حکی کونه سقّاء فی داره عن جماعه قال:

و قال الشیخ نور الدین أبو الفتوح المحدّث إنّه صحّ عن علماء التاریخ أنّ وفاه مولینا الصّادق علیه السّلام کانت فی سنه ثمان و أربعین و مأئه و أنّ وفاه السلطان أبی یزید المذکور فی سنه احدی و ستّین و مأتین، و لم یختلف أحد من العلماء فی هذین التاریخین مع أنّ التفاوت ما بینهما مأئه و ثلاثه عشر سنه، و لم یذکروا أیضا عمر أبی یزید أکثر من الثمانین، فاحتمل أن یکون ملازمته فی الخدمه لباب مولینا علیّ بن موسی بن جعفر الرّضا علیهم السّلام و وافقه علی ذلک المحقّق الشریف فی شرح المواقف حیث قال: و أما أبو یزید فلم یدرک جعفرا علیه السّلام بل هو متأخّر، و لکنّه استفاض من روحانیّه جعفر و لذا اشتهر انتسابه الیه انتهی.

و کیف کان فقد نسبت إلی أبی یزید ذلک کرامات کثیره و قد أطروا فی حقّه

حتّى قال جنيدهم البغدادى: إنّه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكه.

و لكن هذا كلّه ينافى ما رواه غير واحد من العامّه و الخاصّه منه من قوله:

سبحانى ما أعظم شانى فانّه تنزيه يليق بالخالق و يختصّ به دون المخلوق.

و أعظم من ذلك ما رواه بعضهم عنه من قوله: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و روى بعضهم ذلک من حسين بن منصور الحلاج، و الظاهر صدور هذا الهذيان من خبيث لسان كلا الرّجلين بلا اختصاص له بأحدهما، لأنّه مقتضى القول بوحده الوجود و من لوازمه، و العجب من بعض المتصوّفه أنّه بعد نقل هذه الخرافات عن الرّجلين الجلفين جاء إلى مقام الاعتذار.

قال أبو حامد الغزالى فى محكىّ كلامه من كتاب مشكاه الأنوار بعد ما ذكر فصلا طويلا فى حال الحلاج: إنّ قوله: أنا الحق و ما فى الجبّه إلاّ اللّه من فرط المحبّه و شدّه الوجد، و هذا مثل قول القائل:

أنا من أهوى و من أهوى أنا فاذا أبصرتنى أبصرتنا

و تبعه على ذلك قطب الذّهبيّه فى كتابه قوائم الأنوار، قال فى ذكر الشرط الخامس من شرايط السلوك بعد جمله كلام له ما ترجمته: إنّ السالک بعد ترقّيه إلى غايه مقام القرب من الحضره الأحديّه لا يبقى له طريق التّرقى إلى ما فوق ذلك و هو باب الولايه الالهيّه، و لا يمكن له دخول ذلك الباب بالرّياضات و المجاهدات إلاّ بجذبه عنايه إلهيّه تفوح من مكمن الغيب الّذى هو باطن باب الولايه و تجذب السالك حتّى تدخله فى ذلك الباب و تجعله عارفا بأسرار الولايه العلويّه روح العالمين فداه، و هذه الأسرار هى الّتى برزت من أولياء أهل العصمه كما أنّ السلطان با يزيد البسطامى الّذى كان سقاء الصّادق عليه السّلام قال فى خلساته و عند استغراقه فى نور الولايه من غير اختيار منه: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و كان الحسين بن منصور الحلاج يسجد تراب عتبته عليه السّلام و يقول من غير شعور: أنا الحقّ، و بعد ما قتلوه و أحرقوا جسده و صار رمادا ألقوا رماده فى دجله فكانت حبا باب الدّجله متشكل بشكل: اللّه اللّه، و كانت دماؤه المتقاطره على وجه الأرض تنقّش بنقش: أنا الحقّ

و ذلک لأنّهم لمّا لم یسمعوا کلام موالیهم المعصومین علیهم السّلام فی عدم إذاعه أسرارهم فأذاعوها من غیر اختیار منهم فی الاذاعه ذاقوا ألم الحدید و نالوا بالشهاده و لا یعلم أسرار ولایتهم علیهم السّلام الّتی هی ولایه اللّه إلّا اللّه سبحانه و الّذین تنصّوا فمن جری علی لسانه اختیارا هذه کلمات الکفر فهو کافر بلا ریب، و أمّا هؤلاء فقد جری علی لسانهم من غیر اختیار، و الدّلیل علی عدم الاختیار انتقاش الدّم و الرّماد بنقش أنا الحقّ و اللّه اللّه و قد رأی بعضهم الحلّاج فی المنام فسأل عنه کیف عومل معک؟ قال:

عاتبنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال لی: لم ثلمت ثلمه فی شریعتی؟ فقلت: جعلت فداک و إن ثلمت و لکن جعلت رأسی موضع الثلمه حتّی لا یجتری علی ذلک أحد من بعدی فعفا عنّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انتهی کلامه.

أقول: و یتوجّه علی المعتذرین لا سیّما علی الثّانی منهما وجوه من الکلام و ضروب من الملام.

أمّا أوّلا فلأنّ کون هذه الکلمات من کلمات الکفر کما اعترفا به أیضا لیس علیه غبار، و الاعتذار بأنّ صدورها من الرّجلین لم یکن بالاختیار باطل لمنع عدم الاختیار، و علی تقدیر تسلیمه فأقول:

افّ و تفّ علی مذهب و طریقه یکون أعلی أعلی مقام ترقّیاتها و غایه غایات جذباتها و وجدها أن یخرج سالکها عن حدّ التمیز و العقل و الشعور و الاختیار و یتکلّم بالهجر و الهذیان، أ بهذا أمرهم صاحب الشریعه؟ معاذ اللّه ثمّ معاذ اللّه من الضّلال و الخذلان و إغواء الشیطان.

ثمّ العجب کلّ العجب ممّا ذکره الثانی فی تعلیل عدم الاختیار من انتقاش الدّم و الرّماد، و قد ذکره غیره أیضا من أولیاء هذا المقتول الملحد المرتدّ و أتباعه تعالی اللّه عمّا یقول الظالمون علوا کبیرا و کیف یذهب و هم العاقل إلی صدق ذلک فضلا عن الاعتقاد به.

و الذی یدلّ علی بطلانه ضروره و أنه افک محض أنّ ثانی سیدی شباب أهل الجنه و درّه صدف الطهاره و العصمه و سبط رسول الامه الموصوف و المخصوص بالکرامه

صاحب الولايه المطلقه سابق مضمار المعرفه و المحبه القائل فى مناجاته:

تركت الخلق طرّا فى هواكا و أيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطّعتنى فى الحبّ إربا لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

سلام اللّه عليه و على جدّه و أبيه و امّه و أخيه و ذريّته و بنيه مع كونه مجاهدا فى دين اللّه مقتولا فى سبيل اللّه و كون دمه الطاهر المطهّر ثار اللّه و كون ثائره هو اللّه عزّ و جلّ، لم ير و لم يرو احد فى دمه الانتقاش، و لو جاز فى حقّ أحد ذلك لكان هو أحرى بذلك بمقتضى معرفته الكامله و محبّته التّامه البالغه لا الدّم النجس للرّجس السّاحر الكافر الملحد المشعبد حسبما تعرف كفره و الحاده و شعبدته تفصيلا إنشاء اللّه.

و أمّا ثانيا فلأنّ ارتكاب التأويل فى كلمات هذه الكفره قد ورد فيه النهى الصريح من الأئمّه عليهم السلام.

مثل ما رواه مولينا الأردبيلى فى كتاب حديقه الشيعه عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى قال: قال رجل للصّادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام: قد ظهر فى هذا الزّمان قوم يقال لهم الصّوفيّه فما تقول فيهم؟ قال عليه السّلام إنّهم أعداؤنا فمن مال اليهم فهو منهم و يحشر معهم و سيكون أقوام يدّعون حبّنا و يميلون إليهم و يتشبّهون بهم و يلقّبون أنفسهم بلقبهم و يؤوّلون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منّا و إنّا منهم برءاء، و من أنكرهم و ردّ عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، هذا.

مضافا إلى أنّ فتح باب التّأويل كما قيل أوّل مراتب الالحاد و بدء الضّلال عن السّداد، إذ بانفتاح تلك الأبواب و قبول الاحتمالات السخيفه فى التكلّم و الخطاب و مقام السّؤال و الجواب ينهدم أساس الدّين و ينثلم أحكام الشرع المبين و يبطل إقامه التعزيرات و الحدود على المستحقّين لها من أهل الفسق و الارتداد و الجحود كما يبطل تكفير المتشرّعين لسائر الكفّار إذا تكلّموا بكلمات الكفر ثمّ اعتذروا بعدم الاختيار أو ادّعوا الخذف و الاضمار.

و ظاهر أنّ بناء علماء الاسلام بل ساير المليّين على خلاف ذلك فى جميع الأعصار

فانّهم لا يقبلون تأويلا من غير دليل و بمجرد سماع كلمه الكفر يحكمون بالتكفير و التّضليل.

و قد ورد فى الحديث المعتبر المتين عن أولياء اليقين و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين إنّ لنا فى كلّ خلف عدولا ينفون عن الدّين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

فالى اللّه نشكو من فقد نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و غيبه وليّنا و كثره عدوّنا و شدّه الفتن بنا و تظاهر الزّمان علينا.

إذ بغيبه الامام عليه و على آبائه آلاف التحيّه و السلام و الاكرام و بموت نوّابه الكرام و نقصان خلفائه العظام من العلماء الأعيان و المشايخ و المجتهدين الأعلام فى الأصقاع و البلدان، ثلم ثلمه عظيمه فى الاسلام، و اشتدّت البليّه و عظمت الرّزيّه و عاد الزمان زمان الجاهليّه فتفرّق أهلها أيادى سبا و أيدى سبا باتّباع الأهواء و اختلاف الاراء و اقتداء الاباء، فسلك كلّ منهم مسلكا و سبيلا، و اتّخذوا الشيطان لهم ملاكا و دليلا.

فتاه بعضهم فى باديه البابيّه و ركب آخرون مركب المغيريّه(۱) و الخطابيه، و مال ثالث إلى الحلاجيّه، و شرب راجع من قدح الشيخيه، و ارتوى خامس من كأس التّصلّف و الكشفيّه، كلّ ذلك لقصورهم عن العروج إلى معارج العلم و اليقين، و فتورهم عن نهج مناهج المجتهدين، و جهلهم بقوانين الاجتهاد و التقليد فى الاصول و فروع الدّين.

و العجب من بعض رؤساء هذه الفرق حيث إنّه على جهله و بلادته و عدم تميزه بين(۲) الهرّ و البرّ، و تفرقته بين الشعير و البرّ، يؤلف كتابا و رسائل و يودع

۱- (۱) - المغيريه طائفه منسوبه إلى مغيره بن سعيد، خرج على أبى جعفر (عليه السلام) و قال:انه كان يكذب علينا، و كان يدعو الى محمد بن عبد اللّه بن الحسن (عليه السلام) و الخطابيه طائفه منسوبه الى الخطاب محمد بن وهب الاسدى، و كانوا يدينون بشهاده الزور على من خالفهم مجمع البحرين.

۲- (۲) - فلان لا يعرف هرا من بر ما يهره مما يبره، أو القط من الفار أو دعاء الغنم من سوقها أو العقوق من اللطف، أو الكراهيه من الاكرام، ق

فیها ما ألقاه الشیطان فی روعه من الضّلال، و أجراه علی لسانه من مقالات الجهّال و ترّهات الأقوال الّتی تضحک من سخافتها الثّکلی، و تسقط الطیر من السّماء، ثمّ یذیعها علی سخافتها بین أتباعه الجهله العوام الّذین هم کالأنعام، و ینشره بین الهمج الرّعاع الّذین یصغون إلی کلّ ناعق و یتبعون علی کلّ حمار ناهق، فهم الأخسرون أعمالا الّذین ضلّ سعیهم فی الحیاه الدّنیا و هم یحسبون أنّهم یحسنون صنعا.

و نسأل اللّه سبحانه من فضله الواسع و کرمه العمیم السابغ بمقتضی ما جرت عادته علیه فی البلاد و العباد عند غلبه الضّلال و الفساد و إشراف آثار الشریعه من الاندراس، و قرب شموس العلوم الحقّه من الانطماس:

أن یرسل شهابا ثاقبا من کبراء المجتهدین و الفقهاء المجدّدین علی الضالین و المضلّین من أولیاء الشیاطین الّذین یکاد أن یهدم أساس الشریعه بکیفیّات خیالهم و یسقط أعلام الشیعه بکشفیّات مقالهم لیقذفهم من کلّ جانب دحورا حتّی لا یدعوا ثبورا واحدا بل یدعون ثبورا کثیرا، و لیکون حامیا لبیضه الدین، ماحیا لاثار المفترین ناشرا لناموس الهدایه، کاسرا لناقوس الغوایه، متمّما للقوانین العقلیه متقنا للفنون النقلیه مجدّدا لماثر الشریعه المصطفویه، محدّدا لجهات الطریقه المرتضویّه، فانّ فقیها واحدا کما قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أشدّ علی ابلیس من ألف عابد إذ به ارغام(۱) کلّ شیطان مارد، و ادغام کلّ ملحد معاند.

و أمّا ثالثا فلأنّ ما یستفاد من کلام ثانی المتعذرین من کون أبی یزید و الحلاج من أولیاء أهل العصمه علیهم السلام و حامل أسرارهم، فیه منع ظاهر.

أما أبو یزید فانّه و ان اختلف فی کونه من أهل زمن الصادق علیه السّلام و فی کونه سقاء فی داره کما هو المشهور أو من أهل زمن الرضا أو الجواد علیهما السّلام کما قاله بعضهم و اشتهر أنه شیعی المذهب، أمّا أنّه من الکاملین من ولایه الأئمه علیهم السّلام و من جمله حمله الأسرار فلا، إذ الکامل فی مقام الولایه لا بدّ أن یکون فی أقواله و أفعاله و حرکاته

۱- (۱) - أرغمه اللّه أسخطه و أدغمه سوّده، ق

و سكناته تابعا لمولاه.

و هذا الرّجل و إن نقل منه ما يفيد متابعته لهم عليهم السلام و مواظبته على الوظايف الشرعيه.

مثل ما نقله أبو القاسم القشيرى عنه أنّه قال: لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتّى تربع فى الهواء فلا تغترّوا به حتّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر و النهى و حفظ الحدود و آداب الشريعه.

و قال القشيرى أنّه سئل بأىّ شيء وجدت هذه المعرفه؟ قال ببطن جايع أو بدن عارى.

قال: و قيل: لم يخرج أبو يزيد من الدّنيا حتّى استظهر القرآن بمعنى حفظه من ظهر القلب.

قال: أخبرنا أبو حاتم السجستانى قال: أنبانا أبو نصر السّراج قال: سمعت طيفور البسطامى يقول: سمعت المعروف بعمىّ البسطامى - بفتح العين المهمله و كسر الميم و تشديد الياء - يقول: سمعت أبى يقول قال أبو يزيد: قم نبا حتّى ننظر إلى هذا الرّجل الذى قد شهر نفسه بالولايه و كان رجلا مقصورا مشهورا بالزهد، فمضينا فلما خرج من بيته و دخل المسجد رمى ببزاقه تجاه قبله فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه، و قال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكيف يكون مأمونا على ما يدّعيه.

و بهذا الاسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل اللّه أن يكفينى مؤنه الاكل و مؤنه النساء ثمّ قلت: كيف يجوز لى أن أسأل اللّه هذا و لم يسأله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم أسأله، ثمّ إنّ اللّه سبحانه كفانى مؤنه النساء حتّى لا ابالى استقبلنى امرأه أو حايط.

و فى تذكره الأولياء نقل أنّه كان بين داره و بين المسجد أربعون قدما و لم ير منه أن يرمى ببزاقه إلى الأرض رعايه لحرمه المسجد، إلى غير ذلك ممّا رووه عنه من مواظبته بحدود الشريعه و آدابها.

لكنه كلّه ينافى ما قدّمنا نقله عنه من معراجه و ساير صلائفه، و من قوله:

ليس فى جبّتى سوى اللّه، و قوله: سبحانى ما أعظم شأنى كما نقله غير واحد.

و ما نقله فى تـذكره الأولياء من أنّه عزم الحجّ و سار منازل عديـده ثمّ رجع فقيل له ما رأينا منك فسخ العزم فما بدا لك؟ قال: رأيت فى الطريق امرأه سلّت سيفها و قالت لى: ارجع و إلاّ ضربت عنقك تركت اللّه ببسطام و قصدت البيت الحرام؟ و فى التذكره أيضا انه رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليله فى المنام فقال: يا رسول اللّه خدمت مأئه و ثلاثه عشر شيخا و ما وجدت ما طلبته من الكمال، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اذهب إلى أهل بيتى و اخدمهم حتى تكمل، فاستيقظ من منامه و ذهب إلى المدينه فرأى الصادق عليه السّلام و هو ابن سبع سنين مع أطفال يتلاعبون و هو ينظر اليهم قال ابو يزيد:

فتردّدت بين السلام عليه من حيث كونه ابن رسول اللّه و بين عدم السلام من حيث كونه طفلا صغيرا ثمّ سلّمت عليه فرّد علىّ السلام ثمّ قال: يا أبا يزيد طب نفسا تعال نلعب معك، فقال: يا ابن رسول اللّه أىّ لعب نلعب؟ فقال: غب أنت فأنا أجدك ثمّ أغيب أنا فأنت تجدنى، فغاب أبو يزيد أوّلا فدار الامام عليه السّلام تمام وجه الأرض فلم يجده، ثمّ ذهب إلى السّماوات فطلبه فى السماء الاولى و الثانيه و الثالثه فلم يجده فيها، و وجده فى السماء الرابعه فى عين الشمس و أخذ بيده و جاء به إلى الأرض فقال له: ها أغيب الان فلتجدنى، فغاب عليه السّلام فطلبه أبو يزيد فلم يجده فى تمام الأرض ثمّ طلبه فى السماوات السبع و لم يجده فيها، ثمّ رجع إلى الأرض و عجز عن طلبه، فقال: يا ابن رسول اللّه إنى عجزت عن وجدانك فأظهر لى نفسك بعميم كرمك، فخرج الصادق عليه السّلام من قلب أبى يزيد، فقال: أنا معك فاين تدور و كان هذا إشاره منه عليه السّلام و ارشادا له فهداه إلى ما طلب و فتح له بابا انغلق.

إلى غير ذلك مما نقلوه عنه من هذا النمط و الاسلوب المخالف للاصول الشرعيه و المنافى لطريقه صاحب الشريعه.

و لا يكاد ينقضى عجبى منه حيث إنه لاحظ رمى البزاق فى المسجد و فى طريق المسجد مع أنه إما مكروه أو مباح، و لم يلاحظ كلمه الكفر الجاريه على لسانه من قوله:

ليس فى جبّتى سوى اللّه، و نحو ذلك، و ليت شعرى فى أىّ مقام و أىّ حديث رخّص

صاحب الشّريعه بالتفوّه بهذه الهذيانات.

هذا كلّه بناء على التّنزل و المماشاه و إلاّ فأقول: يكفى فى كفره و الحاده و كونه سنّيا شهاده مثل مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» على ذلك.

قال فى حديقه الشّيعه: إنّ هذه الطايفه أى الصوفيّه كانوا يؤدّون فى المجالس بعض أسرارهم الكفريّه بالرّمزوا لاشاره إلاّ أبا يزيد، فانّه يقول مكررا غير هائب و لا محتشم: ليس فى جبّتى سوى اللّه و سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى، و رأيت اللّه فى المنام فى صوره شيخ هرم، و كان هو فى الاصول ظاهرا علىّ التّشبيه و الحلول و فى الفروع عاملا بمذهب مالك، و كان فى الباطن زنديقا ملحدا و كونه سقّاء فى بيت الصادق عليه السّلام من مفتريات العامّه بل كان ذلك الشّقى معاصرا للحسن العسكرى عليه السّلام و خدم عدّه أيّام للجعفر الكذّاب، انتهى كلامه رفع مقامه.

و اما الحلاج فلا خفاء فى كفره و الحاده و بعده عن طريقه الموحّدين و قربه من أهواء الملحدين، و يظهر ذلك بشرح حاله فأقول:

قال فى روضات الجنّات: إنّه كان جدّه مجوسيّا كما فى الوفيات و يا ليته كان على دين جدّه، و أصله فارسيّا بيضاويّا لم يصل البياض إلى صفحه قلبه و خدّه و توجّه فى حداثه سنّه إلى ديار الأهواز فاشتغل بها على الشيخ أبى محمّد سهل بن عبد اللّه التسترى زمانا، ثمّ إلى العراق و هو ابن ثمانى عشره سنه و خالط بها الصوفيه و صحب الجنيد البغدادى و أبا الحسين الثورى و غيرهما.

ثمّ رجع إلى تستر و تأهل، فخرج منها بعد زمان فى جمع من خلطائه إلى بغداد، و منها إلى مكّه المشرّفه ثمّ لما رجع منها إلى بغداد بقصد زياره الجنيد و دخل عليه سأله عن مسأله فلم يجبه، و قال له: أنت مدّع فى سؤلك، فتكدّر منه الحلاجّ و عاود إلى تستر و حصل له وقع عظيم فى هذه المرّه عند أهلها بحيث قد خاف على نفسه فاستتر عنهم نحوا من خمس سنين، و كان فى هذه المدّه يتردّد إلى بلاد خراسان و ما وراء النّهر و سجستان و فارس، و يظهر لهم الدّعوه و يصنّف فيهم الكتب حسبما يريد، و كان يدعا عندهم بأبى عبد اللّه الزاهد.

ثمّ لمّا رجع فی هذه الکرّه إلی الأهواز نطقوا عنه بحلاج الأسرار لکثره ما کان یخبر عن ضمائرهم إلی أن جعل له الحلاج لقبا علی التدریج، فسافر منها إلی البصره و منها إلی مکّه ثانیا و هکذا إلی تمام أربعه أسفار إلیها بینهنّ سفر منه إلی طرف الهند و الصّین و بلاد التّرک، و تشنیع شدید من الشیخ أبی یعقوب النهر جوری علیه.

ثمّ رجع إلی بغداد و کان قد توّفی الجنید فتوطن هناک فی هذه الکرّه إلی أن تغیّر علیه وجوه الفقهاء و القضاه و آل أمره إلی ما آل إلی أن قال:

و العجب أنّ کلّ من کان له أدنی فائحه من نسیم الجنّه و رایحه من شمیم الکتاب و السّنه لم یذکره إلّا لسوء الرّأی و فساد العقیده و نهایه التّزویر و المهاره فی فنون التّسخیر و التقریر إمامیا کان أو سنّیا و ظاهریا کان أم صوفیا و کأن ذلک لأنّه اختصّ بقبایح امور فی هذه الشریعه لم یعهد مثلها لأحد من المتصوّفه الاسلامیّین.

منها أنّه أظهر الدّعاوی الشدیده من عند نفسه و أیّه دعاو.

ففی بعض المواضع أنّه ادّعی الرّبوبیه و العیاذ باللّه العظیم مرارا کثیره، و فی بعضها أنّه ادّعی قطبیّه الأرض و علوم الغیب و الاتحاد مع اللّه تعالی شأنه العزیز، و فی بعضها أنّه لمّا ورد قم کان مدّعیا لرؤیه صاحب الزّمان و النّیابه عنه و البابیه له، فلم یتهنّأ له فیها العیش فخرج منها إلی مکّه المشرّفه و هو یدّعی الامامه لنفسه و قطبیّه الأرض ثمّ لمّا دخل مکّه زاد فی طنبور ملعنته نغمه إلی داعیه الرّبوبیه، قاتلهم اللّه أنّی یؤفکون.

و منها أنّه لم یمت إلاّ و قد ظهر منه خلافات و انکشف منه خرافات بحیث لم یبق لأحد من العقلاء شکّ فی فساد عقیدته و بطلان طریقته.

و ذلک أنّ شیخنا الأقدم المفید رضوان اللّه تعالی علیه قد عمل فی الرّد علی الحلاجیّه کتابا، و فتح الصدوق ابن بابویه القمی فی کتاب اعتقاداته الحقّه إلی کفر اولئک بابا، و رفع شیخنا الطوسی أیضا فی کتاب الغیبه و الاقتصاد عن وجه هذا المرام حجابا و نقابا، حیث عدّه فی الأخیر من السحره الکافرین، و قال فی الأول:

و منهم يعنی و من الكذّابين الملعونين بلسان أهل البيت لادّعائهم الرّؤيه و البابيه بعد الغيبه الكبرى و وفاه خاتمه السفراء و المقرّبين، هو الحسين بن منصور الحلاج.

أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبى العباس أحمد بن علىّ بن نوح عن أبى نصر هبه اللّه بن محمّد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى قال: لمّا أراد اللّه أن يكشف أمر الحلاج و يظهر فضيحته و يخزيه وقع له أنّ أبا سهل إسماعيل ابن على النوبختی رضی اللّه عنه ممّن تجوز عليه مخرفته و تتمّ عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه و ظنّ أنّ أبا سهل كغيره من الضّعفاء فی هذا الأمر بفرط جهله و قدر أن يستجره إليه فيتمخرق و يتسوّف بانقياده على غيره فيتطيب له ما قصد إليه من الحيله و البهرجه على الضّعفه لقدر أبى سهل فی أنفس الناس و محلّه من العلم و الأدب أيضا عندهم و يقول له فی مراسلته إيّاه: إنّی وكيل صاحب الزّمان عليه السّلام و بهذا أوّلا كان يستجرّ ثمّ يعلو منه إلى غيره و قد أمرت بمراسلتک و إظهار ما تريده من النّصره لک لتقوّى نفسک و لا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل رضی اللّه عنه يقول لک إنّی أسألک أمرا يخفّ مثله عليک فی جنب ما ظهر على يديک من الدلائل و البراهين و هو: إنّی رجل احبّ الجوارى و أصبوا اليهنّ و لی منهنّ عدّه أتخطاهنّ و الشّيب يبعدنی منهنّ و أحتاج إلى أن أخضبه فی كلّ جمعه و أتحمّل منه مشقّه شديده لأستر عنهنّ ذلک و إلّا انكشف أمری عندهنّ فصار القرب بعدا و الوصال هجرا، و اريد أن تغنينی عن الخضاب و تكفينی مؤنته و تجعل لحيتی سوداء فانّنی طوع يديک و صائر إليک و داع إلى مذهبک مع مالی فی ذلک من البصيره و لک من المعونه فلمّا سمع ذلک الحلاج من قوله و جوابه علم أنّه قد أخطأ فی مراسلته و جهل فی الخروج إليه بمذهبه و أمسک عنه فلم يرد إليه جوابا و لم يرسل إليه رسولا.

و صيّره أبو سهل رضی اللّه عنه احدوثه و ضحكه و تطرءه عند كل أحد

ص:٣٤٧

و شهّر أمره عند الصّغير و الكبير، و كان هذا الفعل سببا لكشف أمره و تنفير الجماعه عنه.

و أخبرنى جماعه عن أبى عبد اللّه الحسين بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه: أنّ الحلاج صار إلى قم و كاتب قرابه أبى الحسن يستدعيه و يستدعى أبا الحسن أيضا و يقول: أنا رسول الامام و وكيله.

قال: فلمّا وقعت المكاتبه فى يد أبى رضى اللّه عنه خرقها و قال لموصلها اليه:

ما أفرغك للجهالات، فقال له الرجل و أظنّ انّه قال أنّه ابن عمّته أو ابن عمّه:

فانّ الرّجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته و ضحكوا منه و هزئوا به، ثمّ نهض الى دكانه و معه جماعه من أصحابه و غلمانه.

قال: فلمّا دخل الى الدّار الّتى كان فيها و كأنّه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا فى الموضع فلم ينهض له و لم يعرفه أبى، فلمّا جلس و اخرج حسابه و دوائه كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا فسأله عنه فأخبره فسمعه الرّجل يسأل عنّى فأقبل عليه و قال له: تسأل عنّى و أنا حاضر، فقال له أبى: أكبرتك أيّها الرّجل و أعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتى و أنا اشاهدك تخرقها فقال له أبى: فأنت الرّجل اذا ثمّ قال: يا غلام برجله و بقفاه، فخرج من الدّار العدوّ للّه و لرسوله، ثمّ قال له: أتدّعى المعجزات عليك لعنه اللّه أو كما قال فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم، انتهى.

أقول: المراد بأبى الحسن هو علىّ بن موسى والد الصدوق و انّما كنّى به لمكان ابنه الأوسط الذى كان مشتغلا بالعباده و الزّهد لا يختلط بالناس و لا فقه له بخلاف الأخويين الباقيين أبى جعفر محمّد و أبى عبد اللّه الحسين راوى هذا الحديث، فانهما كانا فقيهين ماهرين فى الحفظ يحفظان ما لا يحفظه غيرهما من أهل قم، لأنهما ولدا بدعاء الامام عليه السّلام على ما فى كتاب الغيبه للصدوقين القمّى و الطوسى «فهما» و غيرهما بل هذا أمر مستفيض عند أهل قم.

و قال العلامه «قد» الحلّى فى محكى كلامه من خلاصته: الحسين الحلاج ابن

المنصور ظهر ببغداد و كان أعجميّا و ادّعى أنّه الباب و ظفر به الوزير علىّ بن عيسى فضربه ألف عصا و فصّل أعضاءه و لم يتأوّه و كان كلّما قطع منه عضو قال:

و حرمه الودّ الّذى لم يكن يطمع فى إفساده الدّهر

ما قدّ لى عضو و لا مفصل إلّا و فيه لكم ذكر

و قال فى فوائد الخلاصه: إنّه من الكذّابين، و ذكر الشيخ له أقاصيص و مراده بالأقاصيص ما نقلناه آنفا.

و قال مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» فى كتابه حديقه الشّيعه: أما حسين بن منصور الحلاج فقد أفرط و جاوز الحدّ فى الفضاحه و أظهر الكفر و الالحاد بلا حجاب و خرج التّوقيع بلعنه و من جمله من أفتى بقتله و كتب خطه فى وجوب قتله هو الحسين بن روح رضى اللّه عنه وكيل صاحب الزّمان عليه السّلام.

و قال أبو ريحان البيرونى السّندى من أكابر المنجمين فى تاريخه حين ذكر تاريخ المتنبّين و اممهم المخدوعين عليهم لعنه ربّ العالمين: ثمّ ظهر رجل متصوّف من أهل فارس يعرف بالحسين بن منصور الحلاج، فدعى إلى المهدى أوّلا و زعم أنّه يخرج من الطالقان الّذى بالدّيلم فاخذوا دخل مدينه السّلام، و حبس شهرا فاحتال حتّى تخلّص من السّجن، و كان رجلا مشعبدا متصنعا مازجا نفسه بكل انسان على حسب اعتقاده و مذهبه، ثمّ ادّعى حلول روح القدس فيه و تسمّى بالاله، و صارت له رقاع إلى أصحابه معنونه بهذه الألفاظ.

من الهوهو الأزلىّ الأوّل النّور السّاطع اللامع و الأصل الأصلى و حجّه الحجج و ربّ الأرباب و منشىء السّحاب و مشكاه النّور و ربّ الطّور و المتصوّر فى كلّ صوره إلى عبده فلان.

و كان أصحابه يفتتحون كتبهم إليه بسبحانك يا ذات الذّوات و منتهى غايه اللّذات يا عظيم يا كبير أشهد أنّك البارى القديم المنير المتصوّر فى كلّ زمان و أوان و فى زماننا بصوره الحسين بن منصور عبيدك و مسكينك و فقيرك و المستجير بك و المنيب إليك و الرّاجى رحمتك يا علاّم الغيوب يقول كذا و كذا.

و صنّف كتابا فى دعواه مثل كتاب نور الأصل و كتاب جمّ الأكبر و كتاب جمّ الأصغر، فعثر عليه المقتدر باللّه فى سنه إحدى و ثلاثمأه للهجره و ضربه ألف سوط و قطع يديه و رجليه و ضرب عنقه، ثمّ زرقه بالنّفط حتّى احترقت جثته و رمى برماده فى دجله و لم يتكلّم بحرف فيما فعل به و لم يقطب وجهه و لم يحرّك شفته و بقيت بقيّه من أتباعه منسوبون إليه يدعون إلى المهدى و أنه يخرج بالطالقان انتهى و قال الشّيخ محمّد الشّهير بحاجى مؤمن الخراسانى: و الّذى اعتقد فيه يعنى الحلاج الرّد عليه و على أصحابه، لأنّ كلّ حقيقه ردّته الشريعه فهى مردوده كما حقّقناه و قد ردّ عليه كبار المشايخ المتقدّمين و المتأخّرين كالجنيد، و الشيخ أبى جعفر محمّد ابن علىّ بن الحسين بن بابويه القمّى رئيس المحدّثين المتألّهين، و شيخ الطائفه أبى جعفر محمّد بن الحسن الطّوسى، و الشّيخ الطّبرسى، و الشّيخ المفيد، و السيّد المرتضى علم الهدى، و الشّيخ جمال الدّين المطهّر الحلّى، و السيّد ابن طاوس صاحب المقامات و الكرامات، و الشّيخ أحمد بن فهد الحلّى المتألّه شيخ المتأخرين رضى اللّه عنهم، و كلهم اتّفقوا على أنّه من المذمومين و بعضهم على أنّه خرج من النّاحيه توقيع بلعنه و أنت إذا تأمّلت أدنى تأمّل وجدت أكثر من ينتمى إلى الحلاّج و يعتقد رأيه قائلين بالحلول و التّجسيم و التّشبيه و الزندقه و ترک الشرائع و الأحكام و الأمر و النّهى، و يدّعى الوصول إلى أعلى مرتبه العرفان و التّوحيد و الاباحه و ينفى الحلال و الحرام كالفرقه المردفيه المشركه المجوسيّه، انتهى.

أقول: و يؤيّد ما ذكره أخيرا من المتصوّفه الحلاجيّه ما قاله الصّدوق فى اعتقاداته: علامه الحلاجيّه من الغلاه دعوى التجلّى بالعباده مع تديّنهم بترك الصّلاه و جميع الفرائض، و دعوى المعرفه بأسماء اللّه العظام، و دعوى انطباع الحق(۱) لهم و أنّ الولى إذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء عليهم السّلام، و من علامتهم أيضا دعوى علم الكيميا و لا يعلمون منه إلاّ الدّغل و التلفيق بالشّبه و الرّصاص على المسلمين، اللهمّ لا تجعلنا منهم و العنهم جميعا. انتهى كلامه

۱- (۱) - الجن خ ل.

رفع مقامه.

و فی کتاب روضات الجنّات من کتاب روض المناظر فی علم الأوائل و الأواخر تألیف الشّیخ محبّ الدّین الحنفی ألّفه فی بیان سوانح کلّ سنه من لدن زمن أنبیاء بنی إسرائیل إلی سنه ثلاث و ثمانمائه قال:

إنّ فی سنه تسع و ثلاثمأه قتل حسین بن منصور الحلاج کان یخرج فاکهه الشّتاء فی الصّیف و بالعکس و یمدّ یده فی الهواء و یعیدها و فیها دراهم و علیها مکتوب قل هو اللّه أحد، یسمّیها دراهم القدره و یخبر النّاس بما صنعوا فی بیوتهم و یتکلّم بما فی ضمائرهم، و فتن به خلق کثیر و اختلفوا فیه اختلاف النّصاری بالمسیح، و کان یصوم الدّهر و یفطر علی ماء و ثلاث عضاه من قرص.

قدم من خراسان إلی العراق و صار إلی مکّه و جاور بها سنه ثمّ عاد إلی بغداد فالتمس حامد الوزیر من المقتدر أن یسلمه إلیه، و جدّ الوزیر فی قتله و استنطقه عدّه مجالس بحضره العلماء آخرها أنّه ظهر منه بخطه کتاب یتضمّن أنّ من لم یمکنه الحجّ إذا أفرد فی داره بیتا نظیفا و لم یدخله أحدا فطاف حوله أیام الحجّ و فعل ما یفعله الحاج ثمّ جمع ثلاثین یتیما و أطعمهم أجود الطعام فی ذلک البیت و کساهم و أعطی کلّ واحد منهم سبعه دراهم کان کمن حجّ.

فقال القاضی أبو عمرو الحجاج من أین لک هذا؟ فقال: من کتاب الاخلاص للحسن البصری، فقال القاضی: کذبت یا حلال الدّم قد سمعناه بمکه و لیس فیه هذا، فطالبه الوزیر بکتابه خطه أنه حلال الدّم أیاما ثمّ أجابه و کتب باباحه دمه و وافقه جماعه من العلماء، فقال الحلاج: ما یحلّ لکم دمی و دینی الاسلام و مذهبی السنه و لی فیها کتب موجوده یکون عند الوراقین، فاللّه اللّه فی دمی و لم یزل یردّد هذا.

و عن تاریخ حبیب السیر أنه قال بعد ذکره لهذه الواقعه بالفارسیه إلی قوله و مذهبی السنه: و تفضیل الخلفاء و العشره المبشره، و لی فی السنه کتب موجوده یکون عند الوراقین، فاللّه اللّه فی دمی، و لم یزل یردّد هذا و هم یکتبون خطوطهم حتی استکملوا ما أرادوا، و نهضوا من المجلس.

فحمل الحلاج إلى السجن و كتب الوزير إلى المقتدر باللّه الخليفه فهرست الوقايع، فصدر منه الجواب بعيد ساعه بأنّ قضاه البلد إذا كانوا قد أفتوا بقتل الرجل فليسلم إلى صاحب الشرطه و ليتقدم إليه يضربه ألف سوط فان هلك و إلاّ يضربه ألفا آخر و يضرب عنقه.

فسلّمه إلى الشرطى و أخبره بما رسم به المقتدر و قال: فان لم يتلف بالضرب فاقطع يده ثمّ رجلاه ثمّ نحر رقبته و تحرق جثته، و إن خدعك و قال أنا أجرى لك الفرات و دجله ذهبا و فضه فلا تقبل ذلك منه، و لا ترفع العقوبه عنه.

فتسلّمه الشرطى ليلا فأصبح يوم الثلثا لسبع بقين من ذى القعده سنه تسع و ثلاثمأه فأخرجه الى باب الطاق و كان يتبختر فى قيوده و اجتمع عليه من العامه خلق كثير لا يحصون.

فضربه الجلّاد ألف سوط فلم يتأوّه شيئا بل قال للشرطى لما استوفى ستّ مأئه:

ادع بى إليك فانّ لك عندى نصيحه تعدل فتح قسطنطنيه الروم فقال له: قد قيل لى: إنك تقول هذا الكلام و أكثر منه و ليس الى رفع السياط عنك سبيل، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعه ثمّ جزّ رأسه و أحرق جثته بالنار، و لما صارت رمادا ألقاها فى دجله و نصب رأسه على الجسر و اتفق أن ارتفع ماء دجله فى تلك السنه فادّعى بعض أصحابه أن ذلك ببركه ما القى فيها من الرماد، و تواعدوا فى أنفسهم أيضا على السرّ أنه سيعود إليهم بعد أربعين يوما من ذلك التاريخ، و ادّعى بعضهم أنه لم يقتل و إنما ألقى شبهه على عدوّ له فقتل.

ثمّ إن فى تاريخ روض المناظر أنه قتل و حرق و نصب رأسه ببغداد قال: و قد ترجمه الذّهبى فى عدّه أماكن من كتبه و كذا الخطيب و غيره ترجمه قبيحه و أنّه كان ساحرا مشعبدا محلولا و اللّه أعلم، انتهى.

و فى وفيات الأعيان نقلا عن أبى بكر بن ثوابه القصرى انه قال: سمعت الحسين ابن منصور و هو على الخشبه يقول:

طلبت المستقرّ بكلّ أرض فلم أر لى بأرض مستقرّا

أطعت مطامعى فاستعبدتنى و لو أنّى قنعت لكنت حرّا

فقـد علم بـذلك كله أنّ الرّجل من أهل الغلوّ و الالحاد، و الحلول و الاتحاد فكيف يكون من أولياء أئمه الدّين سـلام اللّه عليهم أجمعين، و لو كـان من أهل الولايه لورد فيه منهم عليهم السّلام ما يـدلّ على مـدحه و فضـله و علوّ شأنه، لا ما يـدلّ على لعنه و طعنه قال فى روضات الجنّات: لو شـئت زياده بصـيره بأحوال و أباطيل الملاحـده من هـذه الطايفه فعليك بمراجعه رساله الشـيخ الحرّ العاملى الموضوعه للتشـنيع عليهم و تحذير أهل الاسلام من اتباعهم، و بيان جمله من قبايح أفعالهم، فانّها البالغه حدّ الكمال فى هذا الباب، و كذلك كتاب مولينا محمّد طاهر القمى المعاصـر له المشـنع على المولى محسن الفيض الكاشى صاحب الوافى فى ميله إلى هـذه الطايفه، بل المكفّر إياه من هـذه الجهه، و رسالتى الشـيخ علىّ بن الشـيخ محمّد الشـهيدى و المولى إسـماعيل الخـاجوئى بـالعربيه و الفارسـيّه، فى تخطئتهم و تنفير قلوب عوام الناس عنهم، و غير ذلك من تضاعيف مصـنّفات الشـيعه و أهل السـنّه و الجمـاعه، فـانّهم فى الحقيقه مصـداق قوله تعـالى «مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ » و منكرون لأساس الشّريعه الغرّاء، أعاذنا اللّه و جميع المؤمنين و المؤمنات من متابعه أهوائهم و سلوك سبيلهم آمين ربّ العالمين.

المقام السادس – فى منشا الكرامات و خوارق

اشاره

العادات الصادره من هذه الطائفه

كالإخبـار عن المغيبـات و اسـتجابه الـدعوات و تـأثير الأنفاس و طىّ الأرض و نحوها، ممّا رويت عنهم و نسبت اليهم فى كتبهم المدوّنه لهذا الغرض مثل كتاب تذكره الأولياء و غيره فأقول و باللّه التّوفيق:

إنّ ظهور الكرامات من أولياء اللّه الجامعين بين مرتبتى العلم و العمل على اصـطلاح المتشرّعه و بين الشريعه و الطريقه و الحقيقه و المعرفه

و بعباره اخرى علم اليقين و عين اليقين و حقّ اليقين و برد اليقين على اصطلاح المتصوّفه، غير قابل للانكار و ليس عليه غبار، لأنّ العبوديه جوهره كنهها الربوبيّه.

و قد نقل من أصحاب النّبى و اتباع الأئمه عليهم السّلام الكاملين فى مقام المعرفه و الولايه، و من العلماء الرّاسخين و غيرهم من عباد اللّه الصالحين المتّقين المتصفين بالصّفات المتقدّمه فى الخطبه المأه و الثانيه و التّسعين فى حديث همام و غيرها كرامات متجاوزه عن حدّ الاحصاء، و ظهورها منهم عنايه خاصّه من اللّه عزّ و جلّ بهم، و لطف مخصوص فى حقّهم إكراما لهم و إظهارا لشرفهم لديه و قربهم إليه.

و أمّا غير هؤلاء من أهل التّصنع و التّكلف و التصوّف و التصلّف، فظهور بعض خوارق العاده منهم مستند إلى أحد امور:

منها الشعبده

و هى حركات سريعه تترتّب عليها أفعال عجيبه بحيث يخفى على الحسّ الفرق بين الشىء و شبهه لسرعه الانتقال منه إلى شبهه فيحكم الرائى له بخلاف الواقع.

فالمشعبد الحاذق يظهر عمل شىء يشغل أذهان الناظرين و يأخذ عيونهم إليه حتّى إذا اطمأنّ باستغراق نظرهم إليه عمل شيئا آخر بسرعه شديده، و بذلك يحصل عند الناظر أمر عجيب، و سببه الاشتغال بما أظهره أوّلا و السرعه المزبوره.

و هذا هو المراد بقولهم: إنّ المشعبد يأخذ بالعيون، لأنّه فى الحقيقه يأخذ بالعيون إلى غير الجهه الّتى يحتال، و كلّما كان أخذه للعيون و جذبه للخواطر إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق فى عمله.

و لها أقسام اخر معروفه بين المشعبدين من الافرنج و غيرهم

و منها التنجيم

و هو الاستدلال بحركات النّجوم على بعض الحوادث الواقعه فقد أخبر آذر بطريق النجوم على إبراهيم.

قال الصادق عليه السّلام فى المروىّ عنه فى تفسير علىّ بن إبراهيم: إنّ آذر أبا إبراهيم كان منجّما لنمرود بن كنعان فقال له: إنّى أرى فى حساب النّجوم أنّ هذا الزّمان يحدث رجلا فينسخ هذا الدين و يدعو الى دين آخر، فقال نمرود: فى أىّ

بلاد يكون؟ قال: فى هذه البلاد، الحديث.

و عن صاحب كتاب التجمل أنّ آذر كان منجّما لنمرود فقال: له يوما:

رأيت فى النّجوم أمرا عجيبا، قال: و ما هو؟ قال: رأيت مولودا يولد فى زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلّا قليلا حتّى يحمل به، قال: فتعجّب من ذلك ثمّ قال: هل حملت النّساء؟ قال: لا، فحجب الرّجال عن النساء و لم يدع امرأه إلّا جعلها فى المدينه قال: فوقع آذر على أهله فحملت بابراهيم فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزّمان و كنّ أعلم الناس بالجنين فنظرن فالزم ما فى الرحم الظهر فقلن ما نرى فى بطنها شيئا، قال: و كان ممّا اوتى من العلم أنّ المولود سيحرق بالنّار و لم يؤت أنّ اللّه سينجيه منها.

و قد تضمّنت كتب التّواريخ و غيرها الأخبار بنبوّه موسى و رسالته من النّجوم، و كذا نبوّه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ظهور العرب على الفرس كما لا يخفى على من لاحظها.

و الاخبار النّجوميّه للمنجّمين من الوقايع المستقبله فوق حدّ الاحصاء، و قد مرّ فى شرح الكلام الثامن و السّبعين مطالب نافعه فى هذا المقام.

و منها الكهانه

و هى عمل تقتضى طاعه بعض الجانّ.

قال العلامه «قد» فى محكى القواعد: الكاهن هو الّذى له رائد من الجنّ يأتيه بالأخبار.

و عن النهايه الكهانه هى تعاطى الأخبار عن الكائنات فى مستقبل الزّمان، و قد كان فى العرب كهنه فمنهم من كان يزعم أنّ له تابعا من الجنّ يلقى إليه الأخبار، و منهم من كان يزعم أنّه يعرف الامور بمقدّمات أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله.

و منها السحر

قال فخر المحقّقين فى المحكى عن الايضاح: إنّه استحداث الحوادث و الخوارق، إما بمجرّد التّأثيرات النفسانيه و هو السّحر، أو بالاستعانه بالفلكيّات فقط و هو دعوه الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماويه بالقوى

الأرضيّه و هو الطلسمات أو على سبيل الاستعانه بالأرواح السّاذجه و هو العزائم، و يدخل فيه النّيرنجات و الكلّ حرام فى شريعه سيد المرسلين.

و فى الجواهر أنّه عباره عن ايجاد شىء تترتّب عليه آثار غريبه و أحوال عجيبه بالنسبه إلى العاده بحيث تشبه الكرامات و توهم أنّها من المعجزات المثبته للنّبوات من غير استناد إلى الشّرعيات بحروز أو دعوات أو نحوها من المأثورات.

و منها استخدام الجن و الشياطين

و عن المسالك دخوله فى الكهانه و فى الدّروس دخوله فى السّحر قال: يحرم الكهانه و السحر بالكلام و الكتابه و الرقعه و الدّخنه بعقاقير الكواكب و تصفيه النفس و التصوير و العقد و النّفث و الأقسام و العزائم بما لا يفهم معناه و يضرّ بالغير فعله.

و من السّحر الاستخدام للملائكه و الجنّ و الاستنزال للشّياطين فى كشف الغايب و علاج المصاب.

و منه الاستحضار بتلبس الرّوح ببدن منفعل كالصّبى و المرأه و كشف الغائب على لسانه.

و منه النّيرنجات، و هى اظهار غرايب خواص الامتزاجات و اسرار النّيرين و يلحق به الطلسمات و هى تمزيج القوى العاليه الفاعله بالقوى السافله المنفعله ليحدث عنها فعل الغرائب، فعمل هذا كلّه و التّكسب به حرام أمّا علمه ليترقى أو لئلا يعتريه فلا، و ربّما وجب على الكفايه لدفع المتنبّى بالسّحر و يقتل مستحلّه، انتهى.

و عن الصادق عليه السّلام أنّه لمّا سأله الزّنديق عن السحر ما أصله و كيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجايبه و ما يفعل؟ قال: إنّ السحر على أقسام وجوه شتّى، منها بمنزله الطب كما أنّ الأطباء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علماء السحر احتالوا لكلّ صحه آفه و لكّ عافيه سقما و كلّ معنى حيله و نوع منه آخر خطفه و سرعه و مخاريق و خفه و نوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين منهم.

و ذكر بعضهم أنه على أقسام:

الاول سحر الكذابين

و هم قوم يعبدون الكواكب و يزعمون أنّها المدبّره لهذا العالم إلّا أنهم فرق ثلاث:

الاولى

زعمت أنّ الأفلاك و الكواكب واجبه الوجود لذاتها، و هى المدبّره لهذا العالم و الخالقه له.

و الثانيه

أنّها مخلوقه إلّا أنها قديمه لقدم العلّه التّامه المؤثره فى وجودها فالساحر عند الفرقتين هو الذى يعرف قوى العاليه الفعاله بسايطها و مركباتها، و يعرف ما يليق بكلّ واحد من العوالم السفليه، و يعرف المعدّات ليعدّها، و يعرف العوائق لينحيها معرفه بحسب الطاقه البشريه، و بذلك يكون متمكنا من استجذاب ما يخرق العاده.

الفرقه الثالثه

أنها حادثه مسبوقه بالعدم إلّا أنّ خالقها خلقها عاقله مختاره، و فوّض تدبير العالم إليها و الساحر حينئذ من عرفته بالتقريب السابق

القسم الثانى سحر أصحاب الأوهام و النفوس القوّيه

، و هو يكون بتجريد النفس عن الشواغل البدنيه و عن مخالطه الخلق و امورهم، و به يحصل تأثيرها فى جميع ما تريده من الأشياء، و توجد صورته فى ذهنها و يقتدر بذلك على الاتيان بما هو خارق للعاده، نعم النفوس فى ذلك مختلفه.

فمنها القويه المستعليه على البدن الشديده الانجذاب إلى عالم السماوات، بل كأنّها من الأرواح السّماويه، و هذه لا تحتاج التّاثير إلى هذا العالم إلى آله و أداه.

و منها ما لا يكون كذلك، فيحتاج إلى تصفيه و تجربه، و ربّما استعانت على ذلك بالرّقى المعلومه ألفاظها بل و غير المعلومه باعتبار حصول دهشه للنّفس و حيره، و ربّما حصل فى أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات و إقبال على ذلك الفعل و جدّ عظيم، و يقوّى التاثير النّفسانى و ربّما استعانت على ذلك أيضا بالدّخنه على الوجه الّذى سمعته فى الرّقى.

الثالث الاستعانه بالأرواح الأرضيّه و هی الجنّ

، فانّ اتّصال النّفوس

ص:۳۵۷

النّاطقه بها أسهل من اتّصالها بالأرواح السّماويّه، لشدّه المشابهه و المشاكله و إن كان التأثير مع الاتّصال بتلك الأرواح أعظم بل هو كالقطره بالنّسبه إلى البحر، و قد قالوا: إنّ الاتّصال بها يحصل بأعمال سهله قليله من الرّقى و الدّخن و التجريد، و هذا النّوع هو المسمّى بالعزائم و عمل تسخير الجنّ، انتهى.

أقول: و هذا كلّه من فروعات علم السّيميا الّذى قيل فى تعريفه: هو علم بامور يتمكّن به الانسان من إظهار ما هو مخالف للعاده أو منع ما هو موافق للعاده، بعضه متعلّق بالطّلسمات، و بعضه بدعوه الكواكب و تسخير السيارات، و بعضه بتسخير الوحوش و الطيور، و بعضه بالتعظيم و التنجيم و استخدام الجنّ و الانس و الشّياطين بأعمال و شرايط مقرّره عند أهل هذا الفنّ و هو علم طويل عريض عميق و الوصول إليه و القيام بشرايطه فى غايه الصعوبه و عجايبه لا تحصى.

فقد نقل عن بعض التفاسير أنّ سبب تمرّد نمرود اللّعين عن طاعه اللّه تعالى أنّ الحكماء قد عملوا فى مقرّ سلطنته أرض بابل طلسمات ستّه تحار فيها العقول:

أوّلها بطه من نحاس إذا دخل فى البلد سارق أو جاسوس كانت هذه البطّه تصوّت بأعلى صوت يسمعه كلّ من بالبلد، و يعرفون علّه تصويته فيطلبون الداخل و يدركونه.

الثانى طبل إذا ضلّل أحدهم شيئا يجىء إلى ذلك الطبل و يضربه بعود فيخرج منه صوت و يعرّفه مكان الضّاله.

الثالث مرآه كلّ من كان أهل البلد له غايب لا يعرف خبره و أراد أن يطلع عليه جاء إلى هذه المرآه فينظر فيها و يشاهد فيها الغايب بحالته الّتى هو عليها و العمل الّذى هو مشتغل به و بالمكان الّذى هو فيه.

الرّابع حوض كان نمرود فى كلّ سنه يجلس يوما عنده للعيش و يجتمع إليه بطانته من الامراء و الوزراء و الأشراف، و يأتى كلّ منهم بأشربه مختلفه و يصبّونها جميعا فى الحوض، فاذا امتلاء أمر نمرود سقايته فيسقونهم منه و يشرب كلّ

منهم ما جاء به من الشّراب.

الخامس غدير ماء إذا ورد فيه المتخاصمان كان الماء يعلو المبطل منهما، فان أناب إلى الحقّ و الاّ غرق.

السّادس شجره فى بابه يستظل بها تمام جيشه و جنوده.

و نقل عن أرسطاطاليس أنّه كان بين برهماطوس و بيداغوش منازعه فى أرض بابل، قال بيداغوش: كيف تقاومنى و مرّيخ و زحل عاجزان من مقاومتى؟ فلمّا سمعه برهماطوس دخن اترجه و استعان بروح المرّيخ و أحرق بيداغوش و استراح النّاس من شرّه بدون حاجه إلى المحاربه.

و نقل عن أبى معشر البلخى أنّه قال: كان فى بلاد الهند ملك عالم بأسرار النّجوم و قد سخّر المرّيخ فقصده ملك آخر للحرب فلم يهتم به، و كلّما قال له وزراؤه و أتباعه: قد وصل الخصم لم يلتفت إليهم حتّى إذا دنا من بلده و كان الملك مشغولا مع ندمائه فى مجلس العيش فرجع إلى المريخ و استعان منه على دفع الخصم، فما مضت هنيئه إلاّ و رأوا شيئا هابطا من السّماء، فاذا هو مرآه من نحاس مثلّث الشّكل و معه رأس مذبوح، فلمّا رأوه هابوا منه و هربوا، فضحك الملك ثمّ أحضرهم و قال لهم: ابشروا هذا رأس من كان قاصدا لبلادكم، فقد دفعت شرّه بعلم كنتم تلوموننى فى تحصيله و تنسبوننى إلى الحمق و السّفه و الجنون.

و فى نفايس الفنون أنّ بهذا العلم يتمكّن من رؤيه الأشياء المتباعده غايه البعد و لو بمقدار ألف فرسخ و يتمكّن من التّصرف فيها.

قال ثابت بن قرّه: كان من أهل هذا العلم من صنع كحلا إذا اكتحل به يرى الأشياء من الأماكن البعيده و كنت أنا و قسطاء بن لوقا أردنا امتحانه فجلسنا فى بيت و كتبنا فيه خطّا بغايه الخفاء لا يكاد يقرأ، و كان ذلک الرّجل جالسا فى بيت اخر فكان يقرأ كلّما نكتب حرفا حرفا، و لو رام غيره أن يقرأه لا يمكن له ذلک لخفائه، و سأله قسطاء من حال أخيه و كان غايبا منه فقال: انّه مريض و قد

تولّد له ولد و طالعه الثّور بثلاث درجات فاستخبرنا منه و كان كما قال: الى غير هذه ممّا نقل من عجايب هذا العلم.

و هـذه المنقولات و ان لم تكن محلّ اعتماد يصلح التّعويل عليها، و لكنّها مثل العجايب المنقوله من مشايخ المتصوفه لا تفاوت بينهما فى الصحّه و البطلان و الرّد و القبول.

فقد علم بما ذكرنا أنّ ظهور بعض الامور الخارقه للعاده من أحد من هؤلاء الطّايفه أو من غيرهم لا يدلّ على كونه عارفا باللّه كاملا فى معرفه اللّه و من أهل الزّلفى و الكرامه لديه، لما عرفت من أنّ جلّ مدارك الخوارق و عمده أسبابها امور غير شرعيّه.

فانّ الشّعبده و السّحر و الكهانه و علم السّيميا و النّيرنجات كلّها محرّمه بالأدّله الشّرعيّه المحكمه، كما فصلها فقهاؤنا رضوان اللّه عليهم فى أبواب المكاسب من الفقه.

و أعظم أسباب ظهور الخوارق من هذه الطايفه من جانب وليّهم ابليس، فانهم لأخذهم فى الاصول و الفروع خلاف مسلك أهل الشّرع كان للشيطان بهم مزيد عنايه، و فى اعداد معدات ضلالهم و خذلانهم زياده اهتمام، فيوحى اليهم زخرف القول غرورا حسبما عرفت سابقا، و ينطق على لسانهم و يريهم العجائب و يبّهجهم بالغرائب ليطيب بذلك أنفسهم و ليقرّوا به عينا، و يفرحوا به ليثبتوهم على ما دانوا به من الدّين الفاسد، و لتصغى اليه أفئده الذين لا يؤمنون بالاخره و ليقترفوا ما هم مقترفون و لئن سلّمنا أنّ صدور العجائب و الغرائب منهم مستند الى اللّه سبحانه كاستجابه دعواتهم و تأثير أنفاسهم فهو أيضا لا يدلّ على القرب و الزّلفى مع زيغهم عن نهج الهدى و ضلالهم عن الحنيفيه البيضاء، لجواز كون ذلك من قبيل الاستدراج.

بيان ذلك أنهم لما تحملوا المشاق و ارتاضوا بالرّياضات الشاقه نيلا إلى ما طلبوه من الارباب الدنيويه، فلا يبعد أن يؤتيهم اللّه ما طلبوه بمقتضى رحمته الرحمانيه فانه تعالى لا يضيع عمل عامل برا كان أو فاجرا كما ورد فى الأخبار، و قال فى كتابه

الکریم: من کان یریـد حرث الدنیا نزد له فی حرثه و ما له فی الآخره من خلاق و قال: «فَمِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَـنَهً وَ فِی الْآخِرَهِ حَسَـنَهً وَ قِنا عَذابَ النّارِ أُولئِکَ لَهُمْ نَصِیبٌ مِمّا کَسَبُوا ».

و یقرب ما ذکرناه أنّ الشیطان بعد ما عبد اللّه تعالی فی السماوات سته آلاف سنه، ثمّ صار رجیما بإبائه عن السجود لادم أعطاه اللّه النظره جزاء لعمله، و سلّطه علی ابن آدم و أعطاه سایر ما سأل حسبما عرفته فی شرح الخطبه الاولی.

و مثله أنّ فرعون اللعین مع قوله: أنـا ربکم الأعلی، أمهله اللّه أربعمائه عام لحسن خلقه و کونه سهل الحجاب، و استجاب دعاءه فی إجراء النّیـل، فـانّه لمّا غار النّیل و أتاه أهل مملکته و سألوه إجراءه فخرج معهم إلی الصّـعید و تنحّی عنهم حیث لا یرونه و لا یسمعون کلامه، فألصق خدّه بالأرض و أشار بالسّـبابه و قال: اللهمّ إنّی خرجت الیک خروج العبد الذّلیل إلی سیّده و إنّی أعلم أنّک تعلم أنّه لا یقدر علی إجرائه أحد غیرک فأجره، قال: فجری النّیل جریا لم یجر مثله، فأتاهم و قال لهم: إنّی قد أجریت لکم النّیل فخرّوا له سجّدا، رواه فی البحار من علل الشرائع و أوضح من ذلک کلّه أنّ کفّار الهند مع ما هم علیه من الکفر و الجحود ربما یخبرون بالمغیبات إذا تکلّفوا بالمشاق و الرّیاضات.

قال السّـید المحدّث الجزائری فی الأنوار النّعمانیّه: و ربّما جرت علی أیدیهم الأفعال العجیبه و الامور الغریبه و لیس هذا إلاّ جزاء لأفعالهم و ریاضاتهم الّتی زعموا أنّها عباده، و قـد شاهـدت فی اصـفهان فی عشـر السّـبعین بعد الألف رجلا من کفّار الهند رافعا یدیه إلی السّـماء و قد یبستا و صارت أظفاره کالمناجل فرأیت الکفّار یعظّمونه و یسـجدون له فسألتهم عن أحواله فقالوا له سبع سنین علی هذه الحاله و بقی له خمس سنین حتّی یکون المجموع اثنا عشر سنه فاذا بلغ إلی هذا العدد و هو علی هذا الحال صار شیخا فی العباده یخبر بالأخبار الغایبه و تنکشف له الامور، و رأیت انسانا جالسا إلی جانبه و الکفّار تعظّمه أیضا فقیل لی: إنّ هذا وقف

على رجليه اثنى عشر سنه لم يجلس على الأرض إلى غير ذلك من الرّياضات، انتهى فقد تحصل ممّا ذكرنا كلّه أنّ ظهور العجايب و الغرايب تاره يكون مستندا إلى أسباب صحيحه و اخرى إلى مقدّمات فاسده و أنّ المدار فى الكرامات على صحّه الاعتقاد و مواظبه الرّياضات الشّرعيّه.

و على ذلك فاذا رأيت من أحد امورا خارقه للعادات أو إخبارا عن الغايبات أو استجابه للدّعوات، فلا تحكم بمجرّد رؤيه ذلك على أنّه من أهل الزهد و الصلاح و الفوز و الفلاح و أنّ ذلك من فضل اللّه عليه، بل انظر إلى عقيدته و عمله.

فان كان موافقا للاصول الشرعيّه و القواعد لمذهب الحقّه الاماميّه، فاعلم أنّ ما ظهر منه كرامه و تفضّل من اللّه الكريم إليه و لطف ربّانى فى حقّه و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و ان لم يكن كذلك سواء كان كافرا أو مسلما سنّيا أو اماميّا آخذا فى سلوك طريق العبوديّه غير ما قرّره صاحب الشّريعه، فليس ما يظهر منه بكرامه و إنّما هو وزر و وبال، معقّب لويل و نكال لاستناده إمّا إلى مقدّمات فاسده و أسباب محرّمه أو إلى إضلال شيطانى أو إلى استدراج رحمانى كما قال تعالى: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ »

المقام السابع – فى مطاعن الصوفيه

اشاره

و ذكر ما ذكره أساطين علمائنا الأعلام و مشايخنا العظام قدّس اللّه ضرايحهم و طيّب اللّه أرماسهم، و ما صدر من غيرهم من علمائنا الأبرار و فقهائنا الأخيار من الفرقه النّاجيه الاماميه رضوان اللّه عليهم، و من علماء العامّه العمياء أيضا من الطّعن و الازراء على هذه الطايفه و كشف سوءاتهم و فضايحهم بعناوين مختلفه بعضها بعنوان العموم و بعضها بعنوان الاختصاص بطايفه خاصّه منهم، و بعضها على صوفيه زمانه، و بعضها على شخص معيّن منهم خذلهم اللّه جميعا، فأقول و باللّه التوفيق:

منهم رئيس المحدّثين و المتألهين الشّيخ الصّدوق أبو جعفر محمّد بن علىّ بن

الحسين بن بابويه القمّى قدّس اللّه روحه فقد قال فى اعتقاداته حسبما نقلنا عنه فى المقام الخامس:

علامه الحلاجيّه من الغلاه دعوى التجلّى بالعباده مع تدينهم بترك الصّلاه و جميع الفرائض، و دعوى المعرفه بأسماء اللّه العظام، و دعوى انطباع الحقّ لهم فانّ الولىّ اذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء، و من علامتهم أيضا دعوى علم الكيميا و لا يعلمون إلّا الدّغل و تلفيق الشّبه و الرّصاص على المسلمين اللهمّ لا تجعلنا منهم و العنهم جميعا.

و منهم الحبر المتبحّر الفريد الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام رفع اللّه فى علّيين له المقام.

فقد ألف فى الرّد على الحلاجيّه كتابا مخصوصا كما ذكره النّجاشى و ساير علماء الرّجال فى تضاعيف تعداد كتبه، و لم أظفر بعد على أصل نسخه الكتاب و نقلنا عنه فى أوائل المقام الثّالث من شرح عقايده للصّدوق كلاما متضمّنا للطعن عليهم.

و منهم شيخ الطائفه الحقّه و رئيس الفرقه المحقّه الشيخ المطلق محمّد بن الحسن الطّوسى قدّس سرّه القدّوسى.

فقد نقلنا عنه من كتاب الغيبه له فى المقام الخامس من الطّعن و الازراء على الحلاج ما عرفت.

و قال فى ذلک الكتاب أيضا قال الصّفوانى: سمعت أبا علىّ بن همام يقول:

سمعت محمّد بن علىّ العزاقرى الشلمغانى يقول. إنّ الحقّ واحد و إنّما تختلف قمصه، فيوم يكون فى أبيض، و يوم يكون فى أحمر، و يوم يكون فى أزرق، قال ابن همام: فهذا أوّل ما انكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول.

أقول: و هذا مثل ما قاله بعض متأخّرى الصّوفيّه فى كتابه المسمّى بمنهاج الولايه: تفطّن للذّه أهل العشق الانسانى من رؤيه معشوقهم، فانّ اللّه تجلّى فى صوره العاشق بالعاشقيّه، و فى صوره المعشوق بالمعشوقيّه بحيث يتصوّر العاشق معشوقه غيره تصوّرا صحيحا، لأنّهما غيران فى تعيّنهما و إن كان الحقّ المتجلّى

فيهما واحدا ليحصل اللّذه الأتمّ الأكمل، يسمّى أهل المحبّه ذلك التجلّى الثنوى تجلّى المكر و الخديعه، لأنّه يتجلّى لنفسه بنفسه فى مظهرين بحث لا يعلمان اتّحاد المتجلّى و المتجلّى له.

عاشق خود كه بود معشوق خود بهر لذّت در دو پيكر سرزند

انتهى و هذا كفر عظيم و الحاد قبيح لا يتصوّر فوقه كفر، لعن اللّه القائل به و المعتقد له ملاء السماوات و الأرضين و عذّبه عذابا اليما لا يعذّبه أحدا من العالمين.

و عن شرح كتاب التّوحيد للشّيخ أبى منصور الماتريدى شيخ الطايفه الماتريديّه قال:

قال قوم من الصّوفيّه: إذا رأيت غلاما أمرد حسنا فانّه ربّك، و قال بعضهم:

و يسمّون بالحلوليّه إنّ الغلام الّذى هو حسن الوجه قد حلّه بعض صفات اللّه تعالى فمن ثمّ ظهر فيه آثار القدره و يسمّونه شاهدا و يقولون: إنا نشاهد فيه بعض الصفات و يحبّونه و يعانقونه و يقبّلونه و يقولون: إنّ محبتنا إياه لهذا المعنى، انتهى.

و فى وصف حالهم و الفرق بين الأمرد و الملتحى قال بعض الشعراء:

إذا ما التحى الانسان طار جماله فلحيته ريش يطير به الحسن

و منهم آيه اللّه فى العالمين جمال الملّه و الدّين العلامه الحلّى أعلى اللّه مقامه فى محكى كلامه من رسالته التى سماها بالسعديه:

إنّ اللّه تعالى لا يحلّ فى غيره و لا يتّحد بغيره، هذا مذهب طوايف المسلمين إلاّ ما نقل خواجه نصير المله و الحقّ و الدّين قدّس اللّه روحه عن الصوفيه أنهم يذهبون إلى أنّ اللّه يحلّ أبدان العارفين و يتّحد بهم، و هذا مذهب ردىّ، لأنّ الضروره قاضيه ببطلان الاتحاد، فانه لا يعقل صيروره شيئين شيئا واحدا بغير ممازجه و لا انفعال و لا زياده فى مقدار أو كمّ، و الحلول غير معقول فى حقّ واجب الوجود، فانّ المجرّد لذاته لا يمكن أن يحلّ الماديات و لا غيرها، و لأنّ الحالّ مفتقر فى قيامه إلى المحلّ فكلّ مفتقر ممكن و واجب الوجود ليس بممكن فلا يكون حالاّ،

و إذا بطل هذا المذهب ثبت الأول.

و قال أيضا فى كتاب نهج الحقّ: إنّ اللّه لا يتّحد بغيره، و الضروره قاضيه ببطلان الاتحاد، فانه لا يعقل صيروره الشيئين شيئا واحدا، و خالف فى ذلك جماعه من الصوفيه من الجمهور، فحكموا أنّ اللّه تعالى يتّحد بأبدان العارفين حتى تمادى بعضهم و قال: انه تعالى نفس الوجود، فكلّ موجود هو اللّه تعالى، و هذا عين الكفر و الالحاد، الحمد للّه الذى فضلنا باتباع أهل البيت عليهم السّلام دون أهل الأهواء الباطله.

ثمّ قال رضى اللّه عنه: و انه تعالى لا يحلّ فى غيره لأنه من المعلوم القطعى أنّ الحالّ مفتقر إلى المحلّ، و الضروره قاضيه بأنّ كلّ مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان اللّه تعالى حالاّ فى غيره لزم امكانه فلا يكون واجبا هذا خلف.

و خالفت الصوفيه من الجمهور فى ذلك، و جوّزوا عليه الحلول فى أبدان العارفين تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

فانظر إلى هؤلاء المشايخ الّذين يتبرّكون بمشاهدهم كيف اعتقادهم فى ربّهم و تجويزهم عليه تاره الحلول و اخرى الاتحاد، و عبادتهم الرّقص و التصفيق و الغناء، و قد عاب اللّه تعالى على أهل الجاهليه الكفار فى ذلك فقال عزّ من قائل: «وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً » أى تغفيل أبلغ من تغفيل من يتبرّك بمن يتعبّد اللّه بما عاب به الكفار، فانها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

و منهم الشيخ السعيد و القطب المجيد الفقيه المتبحّر الاكمل المعروف بالشهيد الأوّل شمس المله و الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن جمال الدّين المكى رفع اللّه درجته كما شرف خاتمته، فى الدّروس فى كتاب الوقف منه فى بيان مصارف الوقف:

و الصوفيه المشتغلون بالعباده و المعرضون عن الدّنيا و الأقرب اشتراط الفقر و العداله فيهم لتحقّق المعنى المقتضيه للفضيله و أولى منه اشتراط أن لا يخرجوا عن الشريعه المحقّه، و فى اشتراط ترك الحرفه تردّد، و يحتمل استثناء التوريق و الخياطه و ما يمكن فعلها فى الرّباط، و لا يشترط سكنى الرّباط و لا لبس الخرقه من الشيخ و لا زىّ مخصوص، انتهى.

ص:۳۶۵

فانّ اشتراطه للعداله و عدم الخروج من الشريعه المحقّه صريح فى أنّ الفاقد.

للوصفين ليس له من التّصوف إلّا الاسم و لا فضيله له أصلا.

و قد أفصح عن ذلك فى أشعاره الرّاتقه الفاتقه المحكيّه عنه فى روضات الجنات بروايه السيّد محمّد العاملى رحمه اللّه عليه قال:

بالشوق و الذّوق نالوا عزّه الشرف لا بالدّلوف و لا بالعجب و الصّلف

و مذهب القوم أخلاق مطهّره بها تخلّقت الأجساد فى النّطف

صبر و شكر و ايثار و مخمصه و أنفس تقطع الانفاس باللّهف

و الزّهد فى كلّ فان لا بقاء له كما مضت سنّه الأخيار و السلف

قوم لتصفيه الأرواح قد عملوا و أسلموا عرض الأشباح للتّلف

ما ضرّهم رثّ أطمار و لا خلق كالدّر ما ضرّه مخلولق الصّدف

لا بالتخلّق بالمعروف تعرفهم و لا التّكلّف فى شىء من الكلف

يا شقوتا قد تولّت امّه سلفت حتّى تخلفت فى خلف من الخلف

ينمّقون تزاوير الغرور لنا بالزّور و البهت و البهتان و السرف

ليس التّصوف عكّازا و مسبحه كلّا و لا الفقر رؤيا ذلك الشرف

و ان تروح و تغدو فى مرقّعه و تحتها موبقات الكبر و السرف

و تظهر الزّهد فى الدّنيا و أنت على عكوفها كعكوف الكلب فى الجيف

الفقر سرّ و عنك النفس تحجبه فارفع حجابك تجلو ظلمه التّلف

و فارق الجنس و اقر النفس فى نفس و غب عن الحسّ و اجلب دمعه الأسف

و اتل المثانى و وحّد إن عزمت على ذكر الحبيب وصف ما شئت و اتّصف

و اخضع له و تذلّل إذ دعيت له و اعرف محلّك من اباك و اعترف

وقف على عرفات الذّل منكسرا و حول كعبه عرفان الصفا فطف

و ادخل إلى خلوه الأفكار مبتكرا وعد إلى حانه الأذكار بالصحف

و إن سقاك مدير الرّاح من يده كأس التجلّى فخذ بالكأس و اغترف

و اشرب و اسق و لا تبخل على ظماء فان رجعت بلا ريّ فوا أسفى

ص:۳۶۶

أقول ما ذكره «قد» فى مطلع القصيده و ذيلها هو الزّهد الحقيقى و روح الفقر و حقيقه العرفان الّذى حثّ عليه الرّسل و الأنبياء و ندب إليه الحجج و الأولياء، و لأجله انزال الصّحف و الكتب من السّماء فان كان التّصوّف عباره عن ذلك فنفسى للمتّصفين به الفداء و أجزل اللّه لهم الجزاء.

و إن كان عباره عن التصنّع و التكلف و الرّياء و التّصلّف و التّطريب بالغزليات و الاشعار و التّرنّم بمخترعات الأذكار بخفيّها و جليّها آناء الليل و أطراف النّهار، مثل النّهيق و الشّهيق للحمار فويل لمن حاله ذلك من النار، ثمّ ويل له من سخط القهّار.

ثمّ أقول: للّه درّ الشهيد فانّه مع كونه من العلماء الأعيان و الفقهاء الأركان انظر إلى غايه ارتفاعه فى مراتب الذوق و العرفان، و أخذه لقصب السّبق فى مضمار القريض و البيان، و تدبّر فى لطايف نظمه من بديع الاسلوب و محاسن البلاغه و حسن الانسجام و الرّقه و السلاسه و النّظام، و لعمرى أنّه أرقّ و أروح من نسيم السّحر، و آخذ لقلوب العارفين من سحر السّاحر إذا سحر، و أحلى عند أهل الذّوق من الشّهد و الشكر.

و منهم الشيخ الامام و العلم العلّام و قدوه علماء الاسلام الغائص فى بحار المعالى و المعانى المشتهر بالشهيد الثانى زين الدّين ابن علىّ بن أحمد بن محمّد بن علىّ العاملى الشّامى أفاض اللّه على تربته سجال رحمته، و أسكنه فى بحبوحه جنّته قال فى محكى كلامه من شرح رسالته الّتى كتبها فى علم درايه الحديث عند ذكر أصناف الواصفين «الواضعين ظ» للأحاديث الكاذبه:

و أعظمهم ضررا من انتسب منهم إلى الزّهد و الصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبه للّه و تقرّبا اليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى اللّه بالتّرهيب و التّرغيب، فقبل النّاس موضوعاتهم ثقه منهم بهم، و ركونا اليهم لظاهر حالهم بالصّلاح و الزّهد، و يظهر لك ذلك من أحوال النّاس الّتى وضعها هؤلاء فى الوعظ

و الزّهد، و ضمّنوها أخبار عنهم و نسبوا اليهم أفعالا و أحوالا خارقه للعاده، و كرامات لم يتّفق مثلها لاولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعه و ان كانت كرامات الأولياء ممكنه فى نفسها - إلى آخر ما يأتى نقله فى شرح المختار الاتى إنشاء اللّه تعالى، و فى آخر كلامه حسبما يأتى تصريح بأنّ مراده بهذه الطايفه هو الصوفيه.

و قال فى كتاب منيه المريد: عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: إذا مررتم فى رياض الجنّه فارتعوا، قالوا: يا رسول اللّه و ما رياض الجنّه؟ قال: حلق الذّكر،(۱) فانّ للّه سيّارات من الملائكه يطلبون حلق الذّكر، فاذا أتوا عليهم حفّوا بهم.

قال بعض العلماء: حلق الذّكر هى مجالس الحلال و الحرام كيف يشترى و يبيع و يصلّى و يصوم و ينكح و يطلق، انتهى.

فانه صريح فى الطعن على الصوفيه القائلين بأنّ المراد بحلق الذكر مجالس الذّكر الجلىّ لهم.

و قد صرّح بذلك فى البحار حيث قال: حلق الذكر المجالس التى يذكر فيها اللّه على قانون الشرع و يذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السّلام و فضايلهم و مجالس الوعظ الذى يذكر فيها وعده و وعيده، لا المجالس المبتدعه المخترعه التى يعصى اللّه فيها، فانها مجالس الغفله لا حلق الذكر، انتهى.

و العجب من المتصوّفه الذهبيه يزعمون أنّ الشهيد «قد» منهم و يذكرون فى تأليفاتهم أنه من طبقاتهم قصدا بذلك رواج بدعاتهم و إن هذه النسبه إلّا اختلاق و افتراء، و أين الثرى من الثرياء، و أعيان العلماء من الجاهليه الجهلاء، و الظلام من الضياء، و أىّ نسبه بين الزّبد و السيل، و النهار و الليل، و السهل و السهيل.

و كيف يكون مثل الشهيد الذى عقمت النساء أن يلدن مثل هذا الدّر اليتيم

۱- (۱) - قوله: حلق الذكر و هو بكسر الحاء و فتح اللام جمع حلقه كقصعه و قصع و هو الجماعه من الناس يستديرون كحلقه الباب و غيره، هكذا فى النهايه، و قال الجوهرى: جمع الحلقه حلق بفتح الحاء، منه.

الفريد المتقلّب فى فنون العلوم الدّائر فى أدوار الفروع و الاصول، و السائر فى أطوار المعقول و المنقول، الصّاعد مصاعد الدّقايق، و العارج معارج الحقائق، الموزع أوقاته فى اصلاح أمر المعاش و المعاد، الموظف نهاره فى التّصنيف و التّأليف و التدريس و البحث و الاجتهاد، و ليله فى الاحتطاب لقوت عياله و الصّلاه و الدّعاء و مناجاه ربّ العباد، من الصّوفيه الّذين لا يعرفون من الشريعه إلّا الاسم، و من الطريقه إلّا الرّسم، و بين مذاق المجتهدين و الصّوفيّين بون بعيد بعد المشرقين.

فانّ مدار الأولين فى مقام العلم على الاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط، و الأخذ بظواهر المحكمات من الايات و الرّوايات، و فى مقام العمل على العبادات الموظفات و الأذكار المأثورات.

و مدار الاخرين فى مقام العلم على دعوى الكشف و الشهود و الأخذ بالمتشابهات فى ترويج بضاعتهم المزجاه، و فى مقام العمل على بدعات العادات و الرّياضات، و مخترعات الأذكار و العبادات.

و بالجمله فالمدار على الحقيقه دون الاسم، و على المعنى دون اللفظ.

فمن كان سالكا مسالك الشريعه آخذا بحدودها و قوانينها المتقنه فى الاصول و الفروع، مواظبا على الحلال و الحرام، و التكاليف و الأحكام، فنعم الرّجل هو.

و من كان بخلاف ذلك فبئس الرّجل، فان كان المسمّى بلفظ الصوفى و المراد به حيثما يطلق هو الأوّل فلا مشاحه فى التّسميه، و إن أرادوا به الثانى فويل لمن حاله ذلك، ثمّ ويل له من وقوعه فى المهاوى و المهالك.

و منهم عمده العلماء المتّقين، و نخبه الأتقياء المرتقين محمّد تقىّ بن مقصود علىّ المشتهر بالمجلسىّ الأوّل أفاض اللّه على روحه من شابيب الرّحمه، قال فى محكى كلامه من شرح الفقيه عند شرح ما رواه الصّدوق عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله:

بادروا إلى رياض الجنّه قالوا: يا رسول اللّه و ما رياض الجنّه؟ قال: حلق الذّكر:

قوله: حلق الذّكر، أى المجامع الّتى يطلب فيها العلوم الدّينيّه، فانّ الحلق الّتى وصلت إلينا من طرق الأصحاب إلى النّبىّ و الأئمّه صلوات اللّه عليهم هى

هذه أو مجامع الوعظ کما روی عنهم علیهم السّلام أنّهم کانوا یعظون.

و أمّا الّتی اشتهرت من الاجتماع للّذکر الجلی فلم یصل علینا عنهم صلوات اللّه علیهم و هذه بطرق العامّه أشبه، کما رواه الکلینی فی القوی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: من ذکر اللّه فی السّر فقد ذکر اللّه کثیرا إنّ المنافقین کانوا یذکرون اللّه علانیه و لا یذکرونه فی السّر، فقال عزّ و جلّ: «یُراؤُنَ النّاسَ وَ لا یَذْکُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِیلًا » إلی آخر ما أورده رضی اللّه عنه فیه من الأحادیث الدّاله علی نفاقهم و فساد طریقتهم و مناقضتها لطریقه أصحاب الأئمّه صلوات اللّه علیهم، و ا شوقاه إلی تلک الأشباح، سلام اللّه علی تلک الأرواح، رحل اولئک السّاده، و بقی قرناء الوساده، انتهی کلامه رفع مقامه.

أقول: و هذا الرّجل کان أفضل أهل عصره فی فهم الحدیث، و أحرسهم علی إحیائه، و أعلمهم برجاله، و أعملهم بموجبه، و أعدلهم فی الدّین، و أقواهم فی النفس، و أجلّهم فی القدر، و أزهدهم فی الدّنیا، و أکملهم فی التّقوی، و أوقفهم لدی الشّبهات، و أجهدهم فی العبادات.

و قد کتب حاشیه نافعه علی الفقیه و شرحا جامعا علی الخطبه المأه و الثّانیه و التسعین المسوقه لوصف حال المتّقین، بل قیل: إنّه أوّل من نشر حدیث الشیعه بعد انتهاء السّلطنه إلی سلاطین الصّفویّه.

و مع ذلک کلّه فالعجب أنّه اشتهر بین الصّوفیه نسبته إلی التّصوف، و ربّما ینسب إلیه کتاب صغیر مؤلّف علی مذاق المتصوّفه، و هو بعید منه غایه البعد، بل الظّاهر أنّه افتراء فی حقّه.

و یشهد بذلک ما قاله ابنه المحدّث العلامه المجلسی الثانی قدّس اللّه رمسه فی آخر رساله اعتقاداته ما صریح عبارته:

و ایّاک أن تظنّ بالوالد العلامه نور اللّه ضریحه أنّه کان من الصوفیّه و یعتقد مسالکهم و مذاهبهم، حاشاه عن ذلک، و کیف یکون کذلک؟ و هو کان آنس أهل زمانه بأخبار أهل البیت، و أعلمهم و أعملهم بها، بل کان مالک الزّهد و الورع، و کان

فی بدو أمره یتسمّی باسم التصوّف لیرغب الیه هذه الطایفه و لا یستوحشوا منه فیردعهم عن تلک الاقاویل الفاسده و الأعمال المبتدعه، و قد هدی کثیرا منهم إلی الحقّ بهذه المجادله الحسنه، و لما رأی فی آخر عمره أنّ تلک المصلحه قد ضاعت و رفعت أعلام الضلال و الطغیان و غلبت أحزاب الشیطان و علم أنهم أعداء اللّه صریحا تبرّء منهم، و کان یکفرهم فی عقایدهم الباطله، و أنا أعرف بطریقته و عندی خطوطه فی ذلک، انتهی کلامه رفع اللّه مقامه.

و شهاده مثل العلامه المجلسی علی براءه ساحه رجل أجنبی من دنس نسبه ردیه کافیه فی تزکیته و طهارته، فکیف فی حقّ والده مع خبرویته بسرّه و علانیته، فانّ الولد سرّ أبیه، و أهل البیت أدری بما فیه.

و منهم غوّاص بحار أنوار الأخبار، ناشر ماثر الأطهار الأخیار، مروّج مذهب الشیعه فی الأصقاع و الأقطار، محیی شریعه سید المرسلین، راغم انوف المخالفین و المعتدین، دامغ صولات أضالیل المبطلین، و أباطیل المبدعین، سیما الصوفیه المبتدعین محمّد باقر بن محمّد تقی المتقدّم الذکر المشهور بالعلامه المجلسی أفاض اللّه علی روحه نور القدوسی.

فانّه قد بثّ فی تصانیه من مطاعن الصوفیّه ما هو فوق حدّ الاحصاء، متجاوز عن طور الاستقصاء و لا بأس بالاشاره إلی بعضها، فأقول:

منها ما ذکره فی رساله اعتقاداته تصریحا و تلویحا بل یفهم من دیباجتها أنّ أصل غرضه من وضع تلک الرّساله إبطال مذهب هذه الفئه الضالّه حیث قال بعد حمد اللّه و ثنائه و الصلاه عن رسول اللّه و آله:

أمّا بعد فیقول المفتاق إلی ربّه الغافر ابن محمّد تقی محمّد باقر اوتیا کتابهما یمینا و حوسبا حسابا یسیرا: إنّه قد سألنی بعض من هداه اللّه إلی طلب مسالک الحقّ و الرّشاد، و أودع قلبه خوف المعاد أن ابیّن له ما هدانی اللّه الیه من طریق النّجاه فی هذا الزّمان الّذی اشتبه علی النّاس الطرق، و أظلم علیهم المسالک، و استحوذ الشّیطان علی أولیائه فأوردهم المهالک، فنصب الشّیطان و أحزابه من الجنّ و الانس

على طريق السّـالكين فخوخهم و مصائـدهم يمينا و شـمالا، و مشوا لهم على مثال الحقّ بـدعه و ضـلالا، فوجب علىّ أن ابيّن لهم مناهج الحقّ و النجاه بأعلام نيّره و دلائل واضحه و إن كنت على وجل من فراعنه أهل البدع و طغاتهم.

فـاعلموا يـا اخـوانى أنّى لاـ الوكم نصـحا و لاـ أطوى عنكم كشـحا فى بيـان مـا ظهر لى من الحقّ و ان ارغمت منه المراغم، و لا أخاف فى اللّه لومه لائم.

و سـاق الكلاـم فى فضـل النّبى و أهل بيته سـلام اللّه عليه و عليهم و كونهم المقصودين من ايجاد عالم الوجود و المخصوصـين بالشـفاعه الكبرى و المقام المحمود و انّهم وسايط الفيوضات النّازله و النّعم الواصـله من اللّه سـبحانه إلى عباده فى هـذه النّشأه و النّشـأه الاـخره، إلى أن ذكر وجوب متابعه النّبى بنصّ قوله تعالى: «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فى اصول الدّين و فروعه و امور المعاش و المعاد ثمّ ذكر أنّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أودع حكمه و معارفه و أحكامه و آثاره و ما نزل عليه من الايـات القرآنيه و المعجزات الرّبّـانيّه فى أهـل بيته، ثمّ إنّهم تركوا بيننـا أخبـارهم فليس لنا فى هـذا الزّمان إلاّ التّمسـک بأخبارهم و التّدبّر فى آثارهم، فترک النّاس فى زماننا آثار أهل بيت نبيّهم و اسـتبدّوا بارائهم، فمنهم من سـلک مسلک الحكماء الّذين ضـلّوا و أضـلّوا و لم يقرّوا بنبىّ و لم يؤمنوا بكتاب، و اعتمـدوا على عقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده فاتخذوهم أئمّه و قاده، و معاذا اللّه أن يتكل النّاس على عقولهم فى اصول العقائد فيتحيّرون فى مراتع الحيوانات إلى أن قال:

و طائفه من أهل دهرنا اتّخـذوا البدع دينا يعبدون اللّه به و سـموه بالتصوّف فاتّخذوا الرّهبانيه عباده مع أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قد نهى عنها و أمر بالتزويج و معاشره الخلق و الحضور فى الجماعات و الاجتماع من المؤمنين فى مجالسهم و هدايه بعضـهم بعضـا و تعلّم أحكامهـا و تعليمهـا، و عيـاده المرضـى و تشـييع الجنـائز و زيـاره المؤمنين و السّـعى فى حوائجهم و الأـمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامه حدود اللّه و نشر

أحكامه، و الرّهبانيّه الّتی ابتدعوها تستلزم ترک جمیع الفرائض و السّنن ثمّ انّهم فی تلک الرّهبانیه أحدثوا عبادات مخترعه.

فمنها الـذّکر الّذی هو عمل خاصّ علی هیئه خاصّه لم یرد به نصّ و لا خبر و لم یوجد فی کتاب و لا أثر، و مثل بدعه محرّمه بلا شکّ و لا ریب قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلّ بدعه ضلاله و کلّ ضلاله سبیلها إلی النّار.

و منها الذّکر الجلیّ الّذی یتغنّون فیه بالاشعار و یشهقون شهیق الحمار، یعبدون اللّه تعالی بالمکاء و التّصدیه، و یزعمون أن لیس عباده إلّا هـذین الـذّکرین المبتدعین، و یترکون جمیع السّـنن و النّوافل و یقنعون من الصّـلاه الفریضه بنقره کنقره الغراب و لو لا خوف العلماء لکانوا یترکونها رأسا.

ثمّ إنّهم امّه لاـ یقنعون بالبـدع، بـل یحرّفـون اصول الـدّین و یقولون بوحـده الوجود، و المعنی المشـهور فی هـذا المسـموع من مشایخهم کفر باللّه العظیم، و یقولون بالجبر و سقوط العبادات و غیرها من الاصول الفاسده السخیفه.

فاحـذروا یـا اخوانی و احفظوا ایمانکم و أدیانکم من وساوس هؤلاء الشّـیاطین و تسویلاتهم، و ایّاکم أن تنخـدعوا عن أطوارهم المتّصفه الّتی تعلّقت بقلوب الجاهلین.

فهـا أنـا ذا احرّر مجملا ما تبیّن لی من الأخبار المتواتره من اصول المـذهب لئلا تضـلّوا بخـدعهم و غرورهم، و اتمّ حجّه ربکم علیکم و اؤدّی ما وصل إلیّ من موالیکم إلیکم لیهلک من هلک عن بیّنه و یحیی من حی عن بیّنه، و أتلو علیکم ما أردت ایراده فی بابین:

الباب الأوّل فیما یتعلّق باصول العقائد، و ساق الکلام فیه علی اصول المتشرّعه، و قال فی تضاعیفه و القول بحلوله تعالی فی غیره کما قال بعض الصوفیه و الغلاه أو اتّحاده مع غیره کما قاله بعض الصّوفیّه کفر إلی أن قال:

البـاب الثّانی فیمـا یتعلّق بکیفیّه العمـل، قـد علمت یا خلیلی ما أثبتناه أوّلا من لزوم متابعه أهل بیت العصـمه سـلام اللّه علیهم فی أقوالهم و أفعالهم و التّدبّر

ص:۳۷۳

فی أخبارهم و آثارهم.

فاعلم انّ الخیر کلّ الخیر وجدنا فی أخبارهم إذ ما من حکمه من الحکم الالهیّه إلاّ و هی فیها مصرحه مشروحه لمن أتاها بقلب سلیم و عقل مستقیم، لم یعوج عقله بسلوک طریق الضّلال، و لم یأنس فهمه بأطوار أهل الزّیغ و الرّدی.

و طریق الوصول إلی النّجاه و الفوز بالسّعادات ظاهره بینه فیها لمن رفع غشاوه الهوی عن بصیرته، و توسل إلی ربّه فی تصحیح نیته، و قد قال اللّه تعالی:

«وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا » و محال أن یخلف اللّه وعده إذا أتی اللّه من الأبواب التی أمر اللّه أن یؤتی منها.

فالذی یجب أوّلا للسالک إلی اللّه أن یصحّح نیته، لأنّ مدار الأعمال فی قبولها و کمالها علی مراتب النیات و لا یتأتی ذلک إلاّ بالتوسل التام بجنابه تعالی و الاستعاذه من شرّ الشیاطین و غلبه الأهواء إلی أن قال: فاذا توسل السالک بجنابه تعالی و صحّ نیته بقدر الجهد فی بدو الأمر یطلب ما یعلم أنّ خیر آخرته فیه و لا یبالی بأن یعدّه أهل الزّمان و جهله الدّوران حشویا أو قشریا أو زاهدا خشکا أو ینسبونه إلی الجهل.

و إذا کان بهذه المنزله یظهر له الحقّ عیانا فینبغی أن یبتغی بعد ذلک معلما مستأنسا بکلام أهل البیت و أخبارهم مصدّقه إلیها لا من یؤوّل الأخبار بالاراء بل من صحّ عقایده عن الأخبار و یشرع فی طلب العلم ابتغاء وجه اللّه و طلب مرضاته و یتدبر فی أخبار أهل البیت علیهم السّلام و یکون مقصده التحصیل، فلا العمل ینفع بدون العلم کما ورد عن الصادق علیه السّلام أنّ العامل علی غیر بصیره کالسائر علی غیر الطریق لا یزیده سرعه السیر إلاّ بعدا، و لا العلم ینفع بدون العمل کما روی من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم یعلم.

ثمّ ساق الکلام فی المواظبه علی العلم و العمل من الصلاه و الأدعیات المأثورات و المناجاه المعروفه بالانجیلیه و دعاء کمیل النخعی و غیرها و الصحیفه الکامله جلّها بل کلّها إلی أن قال:

ص:۳۷۴

ثمّ انّ أعظم سعادات النفس الأخلال الحسنه الزكيه من المصافاه و الجود و السخاوه و الاخلاص و المسكنه و غيرها من الأخلاق الحسنه التى استحسنها الشرع و العقل.

و أقوى مهلكات النفس الأخلاق الذميمه الرديه من البخل و الجبن و الكبر و العجب و الرّياء و الغضب و الحقد و غيرها من الملكات الرّديه التى استقبحها العقل و الشرع، فيجب على الانسان التخلّى عن الأخلاق السيئه و التحلّى بالأطوار المرضيه.

و زعمت الصّوفيّه أنّها يحصلان بترك المألوفات، و الاعتزال عن الخلق و ارتكاب المشاق، و ملازمه الجوع المنهمك و السّهر الدّايم و ساير ما هو طورهم و دأبهم.

و إنّى وجدت من يقاس تلك الشّدايد منهم تزيد أخلاقها الرّديه و تقل أخلاقها الحسنه إذ يغلب عليه السّوداء فلا يمكن لأحد أن يتكلّم معهم بكلمه لسوء خلقهم و يقوى تكبّرهم و عجبهم بحيث يظنّون أنّهم تجاوزوا عن درجه الأنبياء و يبغضون جميع الخلق و يستوحشون منهم و كذا ساير صفاتهم لكن لا يظهر ذلك للخلق لعدم معاشرتهم و معاملتهم معهم.

و منها ما قاله فى ديباجه مرآت العقول فى شرح أخبار آل الرّسول:

إنّى لمّا ألفيت أهل دهرنا على آراء مشتّته و أهواء مختلفه قد طارت بهم الجهالات إلى أركانها، و قاصت بهم الفتن فى غمارها، و جذبتهم الدّواعى المتنوّعه إلى أقطارها و حيّرتهم الضّلاله فى فيافيها و قفارها.

فمنهم من سمّى جهاله أخذها من حثاله من أهل الكفر و الضّلاله لشرايع النّبوّه و قواعد الرّساله حكمه، و اتّخذ من سبقه فى تلك الحيره و العمى أئمه يوالى من والاهم، و يعادى من عاداهم، و يفدى بنفسه من اقتفى آثارهم، و يبذل نفسه فى إنكار من أنكر آراءهم و أفكارهم، و يسعى بكلّ جهد فى إخفاء أخبار الأئمّه الهاديه صلوات اللّه عليهم و إطفاء أنوارهم، و يأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره و لو

كره المشركون.

و منهم من يسلك مسلك أهل البدع و الأهواء المنتهمين إلى الفقر و الفناء فليس لهم فى دنياهم و آخرتهم إلاّ الشّقاء و العناء، فضحهم اللّه عند أهل الأرض كما خذلهم عند أهل السّماء، فهم اتّخذوا الطعن على أهل الشرائع و الأديان بضاعتهم و جعلوا تحريف العقائد الحقّه و صرف النّواميس الشرعيّه من سماتها بضمّ البدع إليها صناعتهم.

و منهم من تحيّر فى جهالته يخطفهم شياطين الجنّ و الانس يمينا و شمالا، فهم فى ريبهم يتردّدون عميانا و ضلالا فبصر اللّه نفسى بحمده تعالى هداها فألهمها فجورها و تقويها، فاخترت طريق الحقّ إلى آخر ما قال.

و منها ما ذكره فى أواخر كتاب عين الحياه الّذى ألّفه بالفارسيّه فى شرح قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأبى ذرّ رضى اللّه عنه: يا با ذر يكون فى آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف فى صيفهم و شتائهم يرون أنّ لهم الفضل بذلك على غيرهم اولئك يلعنهم ملائكه السّماوات و الأرض، يا با ذر ألا اخبرك بأهل الجنّه؟ قلت: بلى يا رسول اللّه قال: كلّ أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به(1) لو أقسم على اللّه لأبرّه قال (ره) ما ترجمته:

اعلم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا كان عالما بالوحى الالهى بجميع العلوم، و مطلعا بالامور الغيبيّه فمدح الفقر و التواضع لعلمه بأنه يأتى بعده قوم من أهل البدعه و الضلاله يلبسون هذا اللّباس أى لباس الصوف مكرا و تذويرا ليخدعون الناس فذكر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم علامتهم و أنهم ملعونون لئلا يغترّ الناس بهم، و هذه العلامه مخصوصه بالفرقه الضاله المبتدعه الصوفيه.

و هذا الكلام من جمله معجزاته حيث أخبر بهم قبل وجودهم فلا ريب فى حقيّه هذا الكلام المتضمّن للاعجاز فمن أنكره فعليه لعنه اللّه تعالى و رسوله.

و ليس منشاء استحقاقهم للّعن هو لبس الصوف بل لما كان يعلم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالوحى

۱- (۱) - أى لا يلتفت إليه م

الالـهى أنّ هـذه الفرقه يبطلون شـرعه و يهـدمون أسـاس دينه و يعتقـدون فى العقائـد بالكفر و الزّنـدقه و يتركون فى مقام العمل الموظفات الشـرعيه و يعملون البـدعات و المخترعات و يصـرفون الناس عن العبادات، لعنهم لذلك و وصـفهم بعلامتهم ليعرفهم الناس و يحذروا منهم.

فاكشف أيها العزيز عصابه العصبيّه من عينك، و انظر بنظر الانصاف و الاعتبار إلى كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فانّه كاف فى ظهور بطلان مذهب هذه الطّايفه فضلا عن الأحاديث الكثيره الوارده تصـريحا و تلويحا فى بطلان أطوارهم و أعمالهم، و ذمّ مشايخهم و أكابرهم.

و قد ذمّهم أكثر علماء الشيعه من المتقدّمين منهم و المتأخرين و صنّف بعضهم كتابا فى الرّدّ عليهم.

مثل علىّ بن بـابويه «قـد» الّـذى كـان بينه و بين صـاحب الأمر عليه السّلام مكاتبات، و ولـده الصّدوق محمّد بن بابويه رئيس المحدّثين الّذى كانت ولادته ببركه دعاء صاحب الأمر عليه السّلام و هذا الدّعاء متضمّن لمدحه أيضا.

و مثل شيخ المفيـد عماد مـذهب الشّيعه الّذى كـان أكثر الفضـلاء و المحـدّثين من تلامـذته و خرج التّوقيع من صاحب الأمر صلوات اللّه عليه و هذا التّوقيع أيضا متضمّن لمدحه.

و مثل الشيخ الطوسى «قد» الّذى هو شيخ الطايفه المحقّه و أكثر أحاديث الشيعه إليه منسوبه.

و مثل العلامه الحلّى «قد» المشهور علما و فضلا فى الافاق.

و مثل الشيـخ الشـهيد، و الشيخ على فى كتاب مطاعن المجرميّه، و ابنه الشيخ حسن فى كتاب عمده المقام، و الشيخ العالى القدر جعفر بن محمّد الدوريستى فى كتاب الاعتقاد، و ابن حمزه فى كتب عديده، و السيّد مرتضـى الرازى فى كتب متعدّده، و زبده العلماء و المتورّعين مولينا المقـدّس أحمد الأردبيلى قدّس اللّه أرواحهم و شـكر اللّه مساعيهم و غيرهم من علماء الشّيعه رضوان اللّه عليهم

و نقل كلام هؤلاء الأفاضل و الأعيان و ما أوردوه من الأخبار فى ذلك الباب موجب لتطويل المقال، و أكتب إنشاء اللّه كتابا مستقلا فى ذلك.

فان كنت معتقدا بيوم الدّين فأعد حجّتك لغدك حتّى يكون لك جواب صحيح و عذر مقبول إذا احتجّ اللّه سبحانه و تعالى عليك.

و ما أدرى بعد ورود الأخبار الصحيحه الصّريحه من أهل بيت الرّساله عليهم السّلام و شهاده هؤلاء الأعاظم و الأجلّه من علماء الشيعه على بطلان طريقه هذه الطائفه بأىّ عذر تعتذر عند اللّه سبحانه فى متابعتهم.

أ فتقول: كنت تابعا للحسن البصرى الّذى قد وردت أحاديث عديده فى لعنه؟ أو تابعا لسفيان الثّورى المعلن بعداوه الصّادق عليه السّلام و المعارض له دائما؟ أو تابعا لأبى حامد الغزالى النّاصب يقينا الّذى كان يقول فى كتبه بالمعنى الّذى كان علىّ إماما أنا أيضا إمام؟ و يقول: اللّاعن على يزيد لعنه اللّه مذنب، و كتب كتبا فى اللّعن و الرّد على الشيعه مثل كتاب المنقذ من الضّلال و غيره.

أو تابعا لأخيه الملعون أحمد الغزالى الّذى كان يقول: إنّ الشّيطان من أكابر أولياء اللّه؟ أو متشفعا بالملا الرّومى الّذى يقول: إنّ أمير المؤمنين يشفع لابن ملجم المرادى عليه اللعنه و العذاب و يدخله الجنّه و كان عليه السّلام يقول له: لم يكن لك ذنب و إنّما كان المقدّر ذلك و كنت مجبورا فى هذا العمل يعنى قتله عليه السّلام، و ليست صفحه من صفحات المثنوى إلّا مشعره بالجبر أو وحده الوجود أو سقوط العبادات أو غيرها من العقائد الفاسده، و كما هو المشهور بين أتباعه و تلقوه منه بالقبول: أنّ الدّفّ و الطنبور و المزمار من جمله العبادات.

أو كنت ملتجئا بمحيى الدّين الملعون الّذى سمعت سابقا خرافاته و فضايحه و كان يقول: إنّ جماعه من أولياء اللّه يرون الرّفضه على صوره الخنزير، و يقول:

رأيت فى المعراج درجه علىّ أسفل من درجه أبى بكر و عمر و عثمان، و رأيت أبا بكر فى العرش، فلمّا رجعت قلت لعلىّ كيف كنت تدّعى فى الدّنيا أنّك أفضل من

هؤلاء و قد رايت انّک أسفل درجه منهم؟ و هذا الملعون و غيره کم لهم من هذه الکلمات الزّيفه ذکرها موجب للاطناب، فلو خدعت من دعاويهم العظيمه فلم لا تفکّر فی أنّ منشاتها لعلّه حبّ الدنيا الدّنيّه.

و إن شئت اختبار من ادّعی أنّه يعلم جميع الأسرار الغيبيّه بالکشف و أنّه يعرج کلّ ليله عشر مرّات إلی العرش فاسأل عنه مسأله من شکوک الصلاه أو من المواريث أو حديثا مشکلا من الأحاديث فان کان صادقا فيما ادّعاه فيجيبک عن هذه المسائل أيضا.

و قد روی عن الصّادق عليه السّلام بسند صحيح أنّه قال: علامه الکذّاب أنّه يخبرک بأخبار السّماء و الأرض و المشرق و المغرب، و لئن سألته عن الحلال و الحرام لا يعلم.

و العجب أنّ هذا الرّجل الّذی يدّعی أنّه يعرف وحده الوجود علی غموضها مع قصور عقول جميع الفضلاء الأذکياء من فهمها کيف لا يعرف معنی سهلا و لو لقن عليه خمسين مرّه، و کيف لا يفهم أولو الأفهام الثّاقبه ما ادّعی ذلک الرّجل فهمه.

و أيضا فانّهم مع اعترافهم باجتماع الکشف مع الکفر کما فی کفّار الهند فعلی فرض صحّه ما ادّعوه من الکشف و أنّ له حقيقه فأیّ منقبه فی هذا الکشف و أیّ دلاله فيه علی فضل صاحبه و کماله.

و لمّا کان مجال الکلام فی هذا المرام واسعا اقتصرت فی هذا المقام علی ذلک و اوردت فی أوّل الکتاب و فی مواضع عديده منه ما فيه کفايه لطالب الهدايه.

ثمّ ختم المقام «قد» بذکر أحاديث متضمّنه للطّعن و الازراء عليهم و سنشير إلی بعضها إنشاء اللّه فی المقام الاتی فانتظر.

و ذکر قدّس اللّه روحه أيضا فی هذا الکتاب فی شرح قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: يا با ذر جعل اللّه جلّ ثناؤه قرّه عينی فی الصلاه آه لمعات عشر متضمّنه للطعن و الملام علی هذه الطائفه، و قال فی اللّمعه العاشره المتضمّنه لبيان معنی الذکر بعد جمله من الکلام ما ترجمته:

و اعلم أنه قد شاع بين الصّوفيّه نوعان من الذّكر و كلاهما بدعه و هم يزعمون أنّهما من أفضل العبادات و يصرفون أوقاتهم فيهما و يضلّون النّاس بالمداومه عليهما الاول الذّكر الجليّ و هو مشتمل على امور.

الأوّل أنّ هذا النوع من العباده لم يتلقّ من الشّارع بل الأدلّه من الايات و الأخبار فى كيفيّه الذّكر الجليّ قائمه على خلافه قال سبحانه: «اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » و قال: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ » و نقل جمله من الأخبار ثمّ قال:

الثانى أنّهم يتغنّون فيه و يترنّمون فى خلاله بالأشعار و الغزليّات العشقيّه بالنغمات الموسيقيّه و هو حرام باجماعنا فضلا عن أعمالهم الشّنيعه الّتى يظهرونها فى أثناء الذّكر من التّصفيق و الرّقص و نحوهما، و قد ذمّ اللّه كفار المشركين على ذلك.

الثالث أنّهم يأتون بذلك فى المساجد مع أنّ إنشاد الأشعار فى المساجد مذموم شرعا و قد روى بسند معتبر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أنّه قال: من سمعتموه ينشد الشعر فى المساجد فقولوا له فضّ اللّه فاك إنّما نصبت المساجد للقرآن و قد ورد النّهى أيضا من رفع الصّوت فيها و هم يعملون غالب تلك الأعمال فى ليله الجمعه و يومها مع أنّ إنشاد الشّعر فيهما مكروه.

و لو قيل لهم: إنّ هذه الأعمال تشريع و بدعه يقولون: يحصل لنا منها قرب معنوى و يسمّونه بالحال، و ساق الكلام فيه إلى أن قال:

و لا دليل أعظم و أحكم على كون ذلك كلّه بدعه أنّه لم ينقل أحد من الشيعى و السّنى و الصّوفى و غير الصّوفى أنّ رسول اللّه و الأئمّه عليهم السّلام أو أصحابهم أو رواة أخبارهم و علماء ملّتهم كان لهم مطرب يطربهم و يترنّم لهم أو كان لهم حلق الذّكر عقدوها، أو أمروا أصحابهم بعقدها، و لو كانت هذه عباده لها وقع فلم لم يأمروا أصحابهم بها.

ص:٣٨٠

نعم البدعات أحلى و ألذّ و العبادات ثقيله على النّفس.

ألاـ ترى أنّه لو قال لهم خمسون من العلماء العـدول: إنّه قـد تواتر عن الصادق عليه السّـلام أنّه قال: من صـلّى ليله الجمعه صـلاه جعفر غفر اللّه له ذنوبه مضافا إلى ما فيها من الفضايل الغير المتناهيه لم يرغب إليها واحـد من عشـره آلاف من النّاس؟ و أمّا إذا مرّوا ببقعه اجتمع فيها جماعه من الأجلاف و يصيحون يا ربّى يا ربّى، فيدخلون فى حلقتهم بتمام الميل و الرّغبه و يثبون و ثوبهم من أوّل الليل إلى الصباح.

فهلا تفكّر فى أنّه أىّ يوم كانت لک هذه الرّغبه و الاقبال على الخيرات؟ و لم لا تهتمّ بساير الخيرات مثل اهتمامک بها؟ فعليک بالانصـاف إذا كـان قـد ورد من أهـل بيت النّبوه عليهم السّـلام زهاء ألف حـديث فى أعمال ليله الجمعه و يومها و علّموک فيها الوفـا من طرق العبوديّه و القربى فلاـ تعبأ بشـىء منهـا أصـلا بل تصـرّف تمام تلک الليله و اليوم فى عمل يحكمون جميع علماء زمانک بحرمته مضافا إلى اعترافک بأنّه لم يرد به نصّ.

فأىّ عذر لک فى ذلک عند اللّه تعالى؟ و بأىّ جهه ترجو الثواب من اللّه؟ و أنت إذا أردت تعقيب صلاه مندوب شرعا تضمّ إليه بدعات عديده أ بهذا تسـتحقّ الثواب أم بترکک الأوراد و الأذكار و الأدعيات و المناجاه المأثوره من أهل بيت الرّساله سلام اللّه عليهم البـالغه إلى مـأئه ألف بيت؟ و باقبالک على قراءه الأوراد الفتحيه الّتى جمعها جماعه من أهل السـنه على معان غير مرتّبه و ألفاظ مغلوطه خاليه من قواعد الأدبيّه.

أفهولاـء الجهّـال من العـامّه العميـاء كـانوا أعرف بمناجاه الرّب المتعال و ذكره من قاده الـدّين و أصـفياء ربّ العالمين و أفصـح فصـحاء أهل الأرضـين.؟ و قـد كان الأنبياء و الرّسل يتمنّون متابعتهم و الدّخول فى زمره شـيعتهم و أنت تسـتنكف عن اتباعهم و تقبل على تلک الأذكار المخترعه و تترنّم بقراءتها، و تضيف معصيه الغناء إلى معصيه البدعه.

و قد روى انّه جاء رجل إلى الصادق عليه السّلام فقال له: اخترعت دعاء، فقال عليه السّلام

دع ما اخترعت و اقرء ما نقول.

الثانی الذّكر الخفی، و هو بالمعنی الّذی قدّمناه سابقا من أفضل العبادات، و هو أن يكون متذكر اللّه سبحانه دائما فی مقام المصيبه فيصبر عنها، و فی مقام الطاعه فيقوی علی مشاقها، و فی مقام المعصيه فيكفّ نفسه عنها.

و أمّا بالوجه الّذی اخترعه هذه الطائفه علی هيئه مخصوصه فممّا لم يثبت له سند صحيح من الشّارع، فالاتيان بهذه الهيئه بقصد العباده بدعه محرّمه كما علمت فی تعريف البدعه، و لم يرد تلك الهيئه فی حديث من أحاديث الشيعه بل لم أجده فی كتب أخبار العامّه أيضا.

و هؤلاء يقولون: رواه المعروف الكرخی عن الرّضا عليه السّلام، و هو باطل من وجوه:

الأوّل أنّه لم يثبت وصول المعروف الكرخی إلی خدمه الرّضا عليه السّلام و ما يقولون من أنّه كان بوّابا له عليه السّلام غلط البتّه لضبط أصحابنا علماء الرّجال فی كتبهم جميع خدّامه عليه السّلام و ملازمی حضرته شيعيّا كان أم سنّيا حتّی ذكروا فی تلك الكتب المتردّدين إلی حضرته من متعصّبی العامّه الّذين رووا عنه الحديث، فلو كان هذا الرّجل بوّابا له لنقلوه البتّه.

الثانی أنّ داود الطائی قد ذكر فی تذكراته مشايخ طريقته، و المعلوم من أحواله أنّه كان من متعصبه العامه و لم يكن له أصلا توسل بالأئمه عليهم السّلام.

الثالث أنّ السّند الّذی يسندون باعتقادهم إليه فيه جماعه لا يعجبنی ذكر قبايح اعتقاداتهم و أعمالهم، مثل السّيد محمّد نور بخش و هو كما فی الكتب الصوفيّه قال:

إنّی المهدیّ صاحب الزّمان، و قال: اتّفق اولو الألباب علی ذلك، و كغيره ممّن هو معروف بالعصبيّه و البدعه.

الرّابع أنا قد سمعنا من مشايخهم أنّ الذّكر الخفیّ أنواع مختلفه أخذه أهل كلّ طريقه بنحو مخصوص من مشايخهم يغاير ما أخذه أهل الطريقه الاخری من شيخهم، فلو كانت صحيحه النّقل عن الأئمه عليهم السّلام لكان المنقول واحدا لا متعدّدا.

ص:۳۸۲

الخامس أنّه إذا كان هذه الاذكار من أفضل العبادات على ما يزعمون و يقولون إنّه يحصل بها مزيد قرب ليس فى الصلاه فكيف يمكن أن يضنّ بها الأئمه عليهم السّلام و يخصّون المعروف الكرخى فقط بها و لا يعلّمونها لغيره؟ فان قلتم: غيره لم يكن قابلا بذلك و إنّما كان المعروف بين جميع أصحاب الرّضا عليه السّلام قابلا لذلك المقام لعلوّ درجته.

قلت: إذا كان كذلك فلم تعلّمونها أنتم كلّ بليد أحمق؟ السادس لو كان معروف قابلا لهذا السرّ و لم يكن سلمان و لا أبو ذر رضى اللّه عنهما قابلين له، لزم أن يردّ من الأحاديث الكثيره البالغه إلى خمسمائه بل إلى ألف حديث وارد فى شأن سلمان و أبى ذرّ حديث أو حديثان فى شأن ذلك الرّجل، و لزم أن يعده واحد من العلماء من خواصّ أصحاب الرّضا عليه السّلام و ليس فليس.

السابع أنّه على فرض تسليم وروده فهو حديث مجهول، و ليس وظيفه الحزم و الاحتياط فى الدّين أن يرفع اليد من الأعمال المتواتره الثبوت من الأئمه عليهم السّلام و يواظب على عمل رواه رجال مجهوله الحال فنقتصر فى المقام على ذلك لأنّ التّطويل موجب للملال. انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه زاد اللّه فى إكرامه و قد ذكر فى أوائل الكتاب المذكور أيضا فصلا وافيا فى هذا الباب طوينا عن نقله حذرا من الاطناب، و فيما نقلناه كفايه لمن اهتدى و ابتغى الرّشد و الصواب، ثبّتنا اللّه و إيّاكم على الصلاح و السداد، فى القول و الاعتقاد بمحمد و آله الأمجاد.

و منهم وحيد العصر فى الزّهد و الورع و الأمانه، و فريد الدّهر فى الفضل و التقدّس و الدّيانه، صاحب الملكات القدسيّه و الصّفات الملكيّه، و مظهر المقامات الزّاهره و الكرامات الباهره، الواصل إلى حضره ولىّ الرّحمن سيّد الانس و الجان إمام العصر و الزّمان سلام اللّه عليه و على آبائه، العالم العلم الفقيه المتكلّم الأوحد مولينا أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلى أفاض اللّه على تربته أنوار رحمته فقد ذكر فصلا مفصّلا فى المجلّد الثانى من كتاب حديقه الشيعه عند ذكر أحوال

الصادق عليه السّلام فى مطاعن الصوفيّه و شرح أحوالهم و تفصيل فرقهم المختلفه من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه، و لا باس بالاشاره إلى بعض ما أورده «قد» هناك بغايه تلخيص و اختصار منّا فأقول:

إنّه ذكر أنّ أصل مذهب الصوفيّه من مخترعات العامّه و إنّ أوّل من تسمّى بهذا الاسم أى بالصوفى هو أبو هاشم الكوفى، من أجل لبسه بالصوف و كان قائلا بالحلول و الاتّحاد مثل النصارى لكن النصارى قالوا بالحلول فى عيسى عليه السّلام و هذا الملعون ادّعى الحلول فى حقّ نفسه، و كان فى الظاهر امويّا جبريّا و فى الباطن ملحدا دهريّا و كان غرضه من وضع هذا المذهب هدم مذهب الاسلام و قد ورد من الأئمه عليهم السّلام أحاديث عديده فى الطعن عليه فنسب إليه التّابعون له و قيل لهم صوفيه ثمّ ساق الكلام فى ساير اسمائهم حسبما حكينا عنه «ره» فى المقام الثانى إلى أن قال:

و أكثر هذه الطايفه فى الظاهر على مذهب أحمد بن حنبل و مالك يعملون فى الفروع بعملهم، و كان الشبلى مالكيا و ذو النون تلميذا لمالك و كثير منهم فى الباطن كافر ملحد إلى أن قال:

و قد ورد من الأئمه عليهم السّلام أحاديث كثيره فى الردّ على هذه الطائفه المبتدعه.

و أكثرها من الصادق عليه السّلام، و قد ورد اللّعن عليهم فى أخبار كثيره مرويّه عن الأئمه عليهم السّلام بل عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا، و قد أخبروا بأنّ اللّه سبحانه يلعنهم و الملائكه أيضا يلعنون ثمّ نقل بعض الأخبار ثمّ عقد بابا فى بيان مذاهبهم و قال فيه:

اعلم أنّ مذاهب الصوفيّه كثيره فقيل: إنّ أصل تلك المذاهب أربعه و الباقيه متفرّعه عليها اول تلك الأربعه مذهب الحلوليه و الثانى مذهب الاتّحاديه و الثالث مذهب الواصليّه و الرابع مذهب العشّاقيّه.

و قيل: إنّ اصول مذهبهم ستّه و أضافوا إلى الأربعه التلقيه و الزراقيه و قيل: سبعه و أضافوا إليها الوحدتيه المأخوذه من القول بوحده الوجود ثمّ قال:

و الحقّ أنّ أصل مذهبهم اثنان: القول بالحلول، و القول بالاتّحاد، و البواقى متفرّعه عليهما فالكلام فى فصلين الفصل الأوّل فى بيان المذهبين.

الأوّل فى مذهب الحلوليّه، فانّهم يقولون: إنّ اللّه سبحانه قد حلّ فينا و حلّ أيضا فى أبدان جميع العارفين، و بطلان مذهبهم ظاهر لأنّ كلّ عاقل يعلم علما قطعيّا بأنّ الحالّ محتاج إلى المحلّ، و الضّروره قاضيه بأنّ كلّ محتاج ممكن فلو كان سبحانه حالاّ فى غيره لزم أن يكون ممكنا لا واجبا نعوذ باللّه من هذا الاعتقاد.

الثانى مذهب الاتّحاديه، و هم يقولون: إنّا قد اتّحدنا مع اللّه سبحانه و كذا اتّحد اللّه تعالى بنا، و العقل أيضا قاض ببطلان هذا المذهب، و هم يشبهون اللّه سبحانه بالنّار و أنفسهم بالحديده المحماه بملاقاه النّار.

و هذا محض الكفر و الزّندقه إذ من له أدنى مسكه من العقل يعلم قطعا أنّ تبدّل طبيعه ممكن بممكن آخر أو صورته بصورته لا يستلزم تبدّل الوجوب بالامكان و الامكان بالوجوب و كون الواجب ممكنا و الممكن واجبا، و كيف يقاس الواجب بالممكن و الممكن بالواجب؟ و صاحب هذا الاعتقاد كالمعتقد بالحلول كافر خارج من الدّين، ملحد زنديق لعين، و على اعتقاد كلتا الطائفتين يلزم تعدّد الاله و تكثّره، لجواز أن يكون فى كلّ عصر ألف عارف و زياده.

و قال صاحب كتاب بيان الأديان: إنّ القول بالحلول و الاتّحاد بعد الجرمانيّه من الصائبه قد نشأ من النصارى فأخذه منهم غلاه الشيعه يعنى الذين يقولون فى الأئمه الاثنى عشر بالالوهيّه، و غلاه أهل السنه يعنى الصوفيّه الّذين يقولون فى مشايخهم بالالوهيّه، و ليس مذهب من المذاهب أقرب إلى مذهب النصارى من هذين المذهبين، انتهى كلام صاحب بيان الأديان.

ص:٣٨٥

و اعلم أنّ متقدّمی الصوفیّه کأبی یزید البسطامی و حسین بن منصور الحلاج کانوا علی أحد هذین المذهبین، و لاعتقادهم هذا الاعتقاد الفاسد یعنی الغلوّ عدّهم أکثر علماء الشیعه کالمفید و ابن قولویه و ابن بابویه قدّس سرّهم من الغلاه، سواء قالوا بالحلول أو بالاتّحاد، و هم غلاه النّواصب و أکثر طوایف الغلاه.

و تجاوز بعض متأخّری الاتّحادیه کمحیی الدّین الأعرابی و الشیخ عزیز النسفی و عبد الرّزاق الکاشی عن الحدّ فی الکفر و الالحاد، و قالوا بوحده الوجود و أنّ کلّ موجود هو اللّه، تعالی اللّه عمّا یقول الملحدون علوّا کبیرا.

و عله تمادی هذه الطایفه فی الکفر و الطغیان أنّهم لمّا طالعوا کتب الفلاسفه و اطلعوا علی قول أفلاطن القبطی و أتباعه فاختاروا بغایه الضّلال مقالهم، وکیلا یتفطّن أحد بأنّهم لصوص مقالات الفلاسفه و اعتقاداتهم الفاضحه الفاسده غیّروا لباس ما قالوا، و لبّسوه بلباس آخر و سمّوه بوحده الوجود، و لمّا سئلوا عن معنی هذه الکلمه قالوا تلبیسا و خدیعه إنّ هذا المعنی لا یمکن الافصاح عنه بالبیان، و لا یحوم حوم تقریره اللّسان، و إنّما یدرک بالرّیاضات و المجاهدات الکامله و خدمه الکملین من مشایخ الطریقه، فحیّروا بذلک الحمقاء من النّاس، و ضیّع السفهاء منهم أوقاتهم فی فهمه و تأویله و أوّلوا هذا الکفر العظیم بتأویلات مختلفه.

ثمّ أشار إلی سایر سرقات الصّوفیّه من مزخرفات الفلاسفه إلی أن قال:

و أمّا ما قاله افلاطن القبطی و متابعوه و تصرّف فیه هذه الطّایفه و سمّوه بوحده الوجود، فهو أنّهم قالوا إنّ العله الأوّل خلق الخلق من نفسه فکلّ موجود خالق و مخلوق خذلهم اللّه تعالی.

الفصل الثّانی فی ذکر بعض فروع مذهبی الصّوفیّه یعنی مذهب الحلول و مذهب الاتحاد و بیان قلیل من عقایدهم.

فاعلم أنّ فروع المذهبین کثیره فلنقتصر بذکر قلیل من عقاید فرقهم البالغه إلی إحدی و عشرین، ثمّ ساق الکلام فیها.

أقول: و لا حاجه بنا إلی نقل تمام ما قاله فیها و إنّما ینبغی نقل ما ذکره «قد» فی

عقاید الفرق الخمس الّتی تقدّمت إلیه الاشاره.

الفرقه الاولی الوحدتیّه

و هم قالوا بوحده الوجود و اعتقادهم أنّ کلّ إنسان بل کلّ شیء هو اللّه تعالی شأنه کما اشیر الیه، و هم أشدّ کفرا و أعظم خزیا من نمرود و شدّاد و فرعون لاعتقادهم بالهیه جمیع الأشیاء الغیر الطاهره فضلا عن غیرها، فلو سمّیت تلک الفرقه بالکثرتیه کان أبلغ لمبالغتهم فی کثره الطاهره فضلا عن غیرها، فلو سمّیت تلک الفرقه بالکثرتیه کان أبلغ لمبالغتهم فی کثره الاله بحیث لا یبقی شیء مما سوی اللّه تعالی إلّا و یقولون إنه اللّه و ان زعموا أنّ الجمیع واحد.

و قد ذکر محیی الدّین فی کتبه من ذلک کثیرا لا ـ سیما فی الفصوص فقال فی الفصّ اللقمانی منه: إنّ الاختلاف بیننا و بین الأشاعره فی العباره، و قال فی الفصوص:

إنّ اللّه لطیف فمن لطافته و لطفه أنه فی الشیء المسمّی بکذا المحدود بکذا عین ذلک الشیء حتی لا یقال فیه إلّا ما یدلّ علیه اسمه بالتواطوء و الاصطلاح فیقال هذا سماء و هذا أرض و صخره و شجره و حیوان و ملک و رزق و طعام و الحال أنّ العین واحده من کلّ شیء کما تقول الأشاعره إنّ العالم کلّه متماثل بالجوهر فهو جوهر واحد فهو عین قولنا العین واحده، ثمّ قالت أی الاشاعره و یختلف بالأعراض و هو قولنا و یختلف و یکثر بالصور و النسب، انتهی.

و قال فی الفصّ الموسوی: إنّ فرعون عین الحق قد ظهر بهذه الصوره و صریح عبارته هکذا: فصحّ قوله أنا ربّکم الأعلی و إن کان عین الحقّ فالصّوره لفرعون، و قد عرف العطّار فی کتاب الجوهر الذّات و قال أنت أیضا قل مثل أنا الحقّ و ادعی صریحا الالهیّه فی الکتاب المذکور.

و قال محیی الدّین فی أوّل الفتوحات: سبحان من أظهر الأشیاء و هو عینها، و طعن علیه علاء الدّوله السّمنانی و هو من مشایخ هذه الطایفه بهذا القول.

أقول: أراد «قد» به ما کتبه علاء الدّوله فی حاشیه الفتوحات فی قوله سبحان من أظهراه ما لفظه: انّ اللّه لا یستحی من الحقّ أیّها الشیخ لو سمعت من أحد أنّه یقول:

فضله الشیخ هو عین وجود الشیخ لا تسامحه البته بل تغضب علیه فکیف یسوغ لک أن تنسب هذا الهذیان إلی الملک الدّیان؟ تب إلی اللّه توبه نصوحا لتنجو من هذه

الورطه الوعره التی یستنکف منها الدّهریون و الطبیعیون و الیونانیون، و السلام علی من اتبع الهدی، انتهی.

قال ره: و استحسن محیی الدّین و الشیخ عزیز النسفی و عبد الرّزاق الکاشی و العطار و ملا الرّومی و جمع کثیر من متأخری الصوفیه و صرّحوا به فی کلامهم نظما و نثرا، و قد شبه هؤلاء الحقّ سبحانه و تعالی بالبحر و الخلق بأمواجه و یقولون: إنّ موج البحر عین البحر، و هم یحبون کلّ من ادّعی الالوهیه کنایه کالقائلین بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود، أو صراحتا کفرعون و شدّاد و نمرود، و ما أدری من الذی اشتبه من متأخری الشیعه فی حقّ هولاء حتی اعتقد فیهم الخیر و الصلاح فقلده غیره من متصوّفی الشیعه؟ نعم اعلم أنّ متقدّمی علماء الامامیه قد ذموهم کثیرا و ألفوا کتبا فی مطاعنهم و رووا أحادیث کثیره من الأئمه علیهم السّلام فی کفرهم و الحادهم و بطلان مذهبهم و الرّد علیهم مع أنه لم یکن فی زمانهم قائل بوحده الوجود أصلا.

و العاقل المنصف إن راجع الکافی و لاحظ فیه باب دخول الصوفیه علی أبی عبد اللّه علیه السّلام و احتجاجهم علیه یعرف البته أنّ هذه الطایفه من المخالفین.

و إن لاحظ کتاب الاعتقادات للصّدوق و قوله: إنّ تدیّنهم بترک الصلاه و جمیع الفرائض، و لاحظ قول المفید دینهم ترک الفرائض و المستحبّات و ارتکاب المناهی و المحرّمات، یعلم أنّهم من الزّنادقه و الملحدین.

و الدّلیل علی أنّهم من المخالفین وجوه کثیره.

الأوّل أنّ علماء الشیعه الّذین صنّفوا الکتب فی بیان الفرق الاسلامیّه عدّوهم من المخالفین.

و الثانی أنّ قدماء علماء الشیعه لم یوجد من أحدهم تصنیف فی التّصوف، بخلاف قدماء علماء العامّه فانّ لهم فیه تصانیف کثیره إلی غیر ذلک من الوجوه.

و مع الغضّ عنها نقول: إنّ المعصومین علیهم السّلام لمّا حکموا ببطلان مذهبهم کما یعلم ذلک بالرّجوع إلی روایاتهم المرویّه فی کتب الثقات، لزم أن یتبرّی

الشيعه من هذا القوم الزّائغين عن الحقّ و يتجنّب من عقايدهم.

فان قال قائل: إنى ما عثرت بعد على تلك الكتب و تلك الأخبار.

فالجواب إنّ شرط الاحتياط فى الدّين و وظيفه العبوديّه و التقوى هو التوقّف فى محبّه تلك الطائفه و التّسميه باسمهم و الامساك عن تأويل كلماتهم الكفريّه حتّى يظهر له الأمر الواضح.

و الظاهر أنّ جمعا من غفله الشيعه لمّا رأوا مدح أمير المؤمنين عليه السّلام فى كلامهم انخدعوا من أجل ذلك و لم يعلموا أنّ مذهبهم لو لم يكن الالحاد هو الجبر.

و لازم القول به استحسان كلّشىء و إظهارهم لمحبّته عليه السّلام و مدحهم له من جهه أنّه لما قال: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، و أدله هؤلاء الملاحده على وفق مدّعاهم كما قال محيى الدّين فى الفصّ الشعيبى: من عرف نفسه بهذه المعرفه فقد عرف ربّه فانّه على صورته خلقه بل هو عين هويّته و حقيقته فأحبّوه عليه السّلام لذلك و أكثروا من مدحه و ربّما يكون مدحهم من أجل تفتين الشيعه و قد ورد فى الحديث أن لا تفتروا «لا تغتروا ظ» بمدحهم كما هو ظاهر لمن تتبع الأخبار، و لم يعلم الغافلون المفترون «المغترون ظ» أنّ شرايط محبته عليه السّلام كثيره و ليس طايفه من النصارى و اليهود و ساير أهل الملل الباطله إلاّ و لهم مع فساد مذهبهم كلمات حسنه، و لم يفهموا أنّ هذه الطائفه الضاله لهم مع الطايفه المحقه مخالفه كثيره فى الاصول الخمسه كما هو غير خفىّ على المنصف البعيد عن الهوى و العصبيه.

و لو فرضنا اعتقادهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلا فصل و أنّه امام مفترض الطاعه، و لكن قولهم بالهيّه الحسين بن منصور الحلاج السّاحر الكافر، بل الهيّه جميع الموجودات له كمال المنافاه و المباينه بالايمان و الاسلام.

و أيضا فانّهم لمّا كانوا أهل مكر و خديعه يخدعون النّاس عن أديانهم و تقرّب جمع منهم إلى كلّ طائفه باظهار ما هوى تلك الطائفه فيه، كما أنّ الحلاج قبل الافتضاح كان يتقرّب إلى أهل السنّه باظهار السّنيه، و إلى الشيعه باظهار النيابه من

صاحب الزّمان عليه صلوات اللّه الملك المنّان، و إلى السفهاء من النّاس بادّعاء الالوهيّه، و سمّى بعض المفتونين به بأسماء الأنبياء و فرّقهم فى البلدان يدعون النّاس إلى عبوديّته إلى أن قال:

و من جمله مطاعنهم تأويلهم للأخبار و الايات مثل الملاحده على مذاهبهم الباطله و قولهم بالجبر و التشبيه و التجسيم و الرّؤيه و الصّوره.

و من جمله مطاعنهم دعويهم علم الغيب و تسميتهم له بالكشف، و تمادى بعضهم و نسب العلم به إلى براهمه الهند أيضا إلى أن قال:

و ينبغى أن يعلم أنّ هذه الملاحده و المعتقدين بهم كما ورد فى الحديث ثلاث طوايف: الضّالّون، و الخادعون، و الغافلون، و فى روايه بدل الغافلون: الأحمقون، و فى روايه اخرى بدله: الجاهلون.

و ذلك لأنّ من كان عارفا بعقايدهم الباطله و كان مع ذلك معتقدا أيضا بعقيدتهم فهو ضالّ كافر بالأدله العقليّه و النقليّه، و من كان عارفا ببطلان عقايدهم غير معتقد به باطنا إلاّ أنّه يتجاهل ظاهرا و يتسمّى بسمتهم صوره و يسلك مسلكهم تزويرا فهو الخادع المحتال، و غرضه أن يخدع السّفهاء و الجهّال فيخدعوا به و يكونوا مريدا لهم، و من سلك مسلكهم و أخذ بطريقتهم و مال اليهم سفها و حمقا و غفله و جهاله فهو الجاهل الأحمق الغافل فغير العارف ببطلان عقايدهم و المعترف بحقيّه مذهبهم وقع بسبب جهالته فى الضّلاله، فلو ادّعى مع وجود هذا الجهل للعلم كان جاهلا مركبا تاه فى متاه الضّلال، و ربّما يغترّ به العوام و يزيغ عن طريق الحقّ و يتيه فى وادى الخذلان.

و العارف بسوء اعتقادهم، و المعتقد على بطلان مذهبهم، و المطلع على سوء سريرتهم، و المذعن بفساده باطنا إن مدح مشايخهم ظاهرا لخداع الخلق و باطنا و وصفهم بالزّهد و الصّلاح و المعرفه و الكمال توسّلا بذلك إلى ملاذ الدّنيا، فقد باع دينه بدنياه، و باء بسخط من اللّه حيث أضلّ الخلق بالدّنيا الدّنيّه و فوّت على نفسه السعادات الأبديّه.

و ان كـان العـارف بسوء اعتقـاداتهم مظهرا لحقيّه مـذهبهم و طريقتهم فقـد زاغ عن طريق الحق و أعرض عن دين الامـاميّه و هو أسوء حالا من السابقين.

فلو ادّعى الصوفى التشيع مع التصوّف لا بدّ أن لا تقبله الشيعه منه و أن لا يعدّوه منهم، لأنّه مضطرّ بسبب القول بالحلول و الاتّحاد و وحـده الوجود من القول بـالجبر و الحبّ لليهود و النصـارى و المجوس و التّولى لأبى بكر و عمر و عثمان و ليزيـد و معاويه و أبى سفيان لعنهم اللّه جميعا، بل حبّ جميع الفساق و الفجار و المشركين و الكفار لأنهم جميعا مجالى الحقّ، بل إن أعلن بعداوه هؤلاء فلا بدّ أن لا يغترّ به الشيعه، بل إن لعنهم أيضا، لأنّ اللعنه عندهم عين الرّحمه، فلعنه اللّه عليهم و على مشايخهم الزّنديقين.

الفرقه الثانيه الواصليه

و هم يقولون: إنـا وصـلنا إلى اللّه تعـالى و اتّصـلنا به، قيـل إنّ هـذا المـذهب أيضـا من اصول مـذاهب الصوفيه كما تقـدّمت إليه الاشاره، و الحقّ أنه من فروع مذهب الاتحاديه لكنهم اختصّوا بأقوال شنيعه و أفعال قبيحه امتازوا بها عن ساير الاتحاديه.

فمن جملتها أنهم يقولون: إنّ الصوم و الصـلاه و الحجّ و ساير التكاليف إنما وضـعها الشارع لتهذيب الأخلاق و تكميل النفوس، و الوصول إلى الحقّ، و نحن قـد هـذّبنا الأخلـاق و حصـل لنا العلم بالأشـياء و المعرفه بالحقّ و الوصول اليه فسـقط عنا التكاليف الشرعيه، فليس شيء بواجب علينا، و جميع المحرّمات حلال فى حقنا.

و منهـا قولهم: بأنّ من وصل إلى هـذا المقام العالى فكلّ ما يصـدر منه من شـرب الخمر و الزّنا و اللواط و السـرقه و غيرها فليس لأحـد الاـعتراض عليه، و لاـ يجوز ردعه عن شـيء من ذلـك، لأنه مسـتحسن منه، و لو أراد الزّنا بامه و اخته و بنته و اللواط بابنه كان حلالا له، و لو وطى بنات غيره و أبنائهم و أزواجهم وصل منه الفيض إليهم، و لو كان ملوطا لغيره كان جائزا.

نعم إذا كان المفتى لهم ملا ميرزا جان الشيرازى القائل بأنّ ذلك لا يضرّ

بالنفس الناطقه يصدر عنهم هذه الأقوال و الأفعال الشنيعه.

قال ملاّ الرّومی فی خطبه من خطب المثنوی: إذا حصلت الحقیقه بطلت الشریعه، و قصه ملاقاته للشمس التبریزی و عرضه لابنه و بنته علیه و شرائه للشراب له و حمله الشراب علی عاتقه کما ذکره الجامی فی کتاب نفحات الانس من القصص المشهوره.

و أورد الخواجه نصیر الدّین عبد اللّه بن حمزه الطوسی ره فی کتاب نهج الحق ما رآه بعینه و سمعه باذنه فی باب ترکهم للصلاه و اعتذارهم منه من أراد الاطلاع فلیراجع الیه و ینبغی أن یعلم أنّ ترک الصلاه و سایر الفرائض و استحلال جمیع المعاصی مذهب جمیع فرق الصوفیه کما صرّح به المفید و غیره من علماء الشیعه و ورد به النصّ أیضا إلاّ أنّ بعض الفرق یظهرون ذلک و بعضها یخفونه و أکثرهم یخدعون السفهاء و الجهال باقامه الصلاه و مواظبه الفرائض و السنن و اظهار العباده و الزّهاده، و بعضهم یستحسنون التظاهر بالمحرّمات و بعضهم یستقبحونه.

و منها قولهم: بانه إذا غلب الشهوه علی واحد منا و أراد المجامعه بالغیر فامتنع هو منه فلم یبلغ الممتنع بعد إلی مقام الوصول بل هو کافر، و من مکّن المجامع له من نفسه و أجابه إلی ما یرید سواء کان ذکرا أو انثی فاز بدرجه الولایه و صار من الأولیاء الکمّلین.

قالوا: إنّ رابعه و جمع من النسوه وصلن إلی مرتبه الولایه لقضاء أوطار النّاس، و مزخرفات هذه الفرقه کثیره و دلائل کفرهم و الحادهم خارجه عن حدّ الاحصاء، و ذکرها موجب للملال و تطویل المقال.

الفرقه الثالثه العشاقیه

و هم جماعه یسمّون أنفسهم بالعشاق و محبّه اللّه سبحانه عشقا و فی هذا المعنی قال بعضهم:

العشق نور الّذی بالفقر یفتخر و کلّ نور بتلک الشمس ینسفر

العشق شدّه حبّ اللّه لیس سوی معناه مقصدنا و القصد معتبر

و شدّه الحبّ فی القرآن وارده و فی الحدیث بلفظ العشق تذّکر

ص:۳۹۲

طاعات أعداء أهل العشق احتبطت و لو بزمزم بل بالكوثر اطّهروا

لأنّها من لباب الحبّ خاويه و هى القشور له و اللّب يدّخروا

طوبى لقوم علت فى الكون همّتهم فأولجوا فى طريق العشق و ابتكروا

أما تغيّر حالات يهيّجهم عند السماع فلسنا عنه نعتذر

لأنّ احوال أهل العشق عارضه بلا اختياراتهم و العشق يعتذر

و هم غافلون من أنّ العشق اسم مرض من الامراض الدّماغيّه، و يقولون:

إنّ الاشتغال بغير الحقّ قصور فى معرفته تعالى و مع هذا الحال و تلك الدّعوى يتعشقون أبناء النّاس و بناتهم و يقولون: إنّ المجاز قنطره الحقيقه، و أكثرهم من غايه عدم المبالات فى الدّين و الخوف من ربّ العالمين يتعمّدون الكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يأفكون و يقولون: إنّ ذلك حديث مأثور عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نعوذ باللّه من ذلك.

و لأكثرهم مبالغه عظيمه فى تكلّف العشق بالمرد الحسان و ذوات الحسن من النّسوان زعما منهم أنّ ذلك عشق مجازىّ و العشق المجازى موصل إلى الحقيقه الّتى هو حبّ اللّه تعالى.

و هذه الفرقه لهم عداوه عظيمه مع الأنبياء يقولون: إنّ الأنبياء قد قيّدونا بقيد التكاليف الشرعيّه فحجبونا من الوصول إلى الحقّ فلا ينبغى للمرء أن يعبأ بقولهم عليهم السّلام، و مع هذا الحال يظهرون المحبّه لأبى بكر و عمر و عثمان، و يمدحونهم تطيبا لنفوس أهل السنه و ترضيه لخواطرهم، و إذا لقوا الشيعه يظهرون ولايه الأئمه و محبّتهم و لا يبرزون عداوه الأنبياء و الأوصياء عند العموم ملاحظه للتقيّه، و مزخرفاتهم كثيره و نقلها موجب للاطناب.

الفرقه الرّابعه التلقيّه

و يقال لهم النظريّه أيضا، و مذهبهم أنّ النظر فى الكتب العلميّه حرام إلاّ الكتب المدوّنه فى علم التّصوف بشرط قراءتها عند الشيخ الكامل، و زعموا أنّ المعرفه لا تحصل إلاّ بتلقين الشيخ و أنّ قراءه العلوم الشرعيّه مطلقا حرام

و أنّ ما يحصل للعلماء بالتعلم و التحصيل و المطالعه و التدريس فى مدّه سبعين سنه و أزيد يحصل بارشاد المرشد و تلقينه فى ساعه واحده، و أنّ ما وجده السالكون للطريقه الكاملون فى المعرفه فانّما وجدوه بارشاد الشيخ الكامل الّذى هو من علماء الباطن لا بالتعلّم من العلماء الظاهريه.

و زعموا أيضا أنّ ما اشتغل به علماء الشريعه علم رسمىّ ظاهرى و ليس لهم حظّ من علم الباطن، و إنّما العلم فى الحقيقه هو علم الباطن و أمّا علم الظاهر فلا خير فيه و لا منفعه و العارف الكامل المحقّق من علم علم الباطن.

ثمّ انّهم يزعمون أنّ الايمان ليس بمخلوق و أنّ الولايه أمر كسبىّ يحصل بالرّياضه و أكثرهم يزعمون أنّ النّبوه أيضا كسبيّه، و عاده هذا الفرقه كأكثر فرقهم على إعطاء الشيخ الخرقه و البرنس للمريد و أمره له بالجلوس فى الخلوه أربعين يوما و بترك أكل الحيوانى و يسمّونه بالچلّه، و هؤلاء أعداء الدّين قد وضعوا ذلك فى قبال الاعتكاف خرّب اللّه بنيانهم و دفع شرّهم و طغيانهم.

الفرقه الخامسه الزّراقيّه

و هم طايفه متّصفه بالخسه و الدّناءه يعاشرون النّاس بالمكر و الحيله، و يأتونهم من باب الخديعه لتحصيل الدّنيا و امتلاء البطون من الغذاء، و يميلون إلى السّماع و الرّقص، و أكثرهم يخلطون مذاهب أكثر فرق الصوفيّه و يجعلونه مذهبا واحدا و يدينون به.

و من عادتهم ترويج مشايخهم و تشهيرهم بين الناس تحبيبا للجهال إليهم و انكار العلماء و السادات و معاداتهم لا سيما من كان منهم غير مداهن للصوفيّه.

نعم من كان له حظّ من العلم و داهنهم و مدح مشايخهم إمّا حبّا للدّنيا أو غفله و جهلا عن إلحادهم و انحرافهم عن نهج الهدى فهم يهدون اليه و يحبونه و يبالغون فى تعظيمه و يسطرون مدحه و كما أنه يثنى عليهم و يروّج مذهبهم الفاسد فهم أيضا يثنون عليه و يروجون متاعه الكاسد.

و قد شاهدت مرارا جلاليس له نصيب من العلوم الشرعيه بل من مطلق العلم

إلّا أنه يترجم معانى أشعار كتاب گلشن راز لشيخهم الشبسترى و هم يقولون: إنه أعلم العلماء و أفضلهم إلى أن قال:

فاللازم على من تابع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آله عليهم السّلام أنه إذا رأى أحدا يدّعى التصوّف سواء كان عالما أو جاهلا أن يعرض عنه و لا يعتقد عليه، و إذا رأى من سلك مسلك الزّراقيه فيجب عليه انكاره، و إن ظهر منه القول بالحلول أو الاتحاد أو وحده الوجود فهو خارج من دائره الاسلام و الحال أنه لا يخلو أحد من الصوفيه من القول بأحدها و من القول بالجبر إلّا أن ينتحل التصوّف و يسمّى نفسه بهذا الاسم من أجل الحمق و الجهاله أو من باب المكر و الخديعه انتهى ما أهمنا نقله من كلامه زاد اللّه فى اكرامه بغايه تلخيص منا.

و طوينا عن نقل باقى ما أورده فى هذا الباب حذرا من الاطناب، و ربّما كان ما طوينا عنه يزيد على ما حكيناه أضعافا مضاعفه كما يظهر على من راجع إليه، و مع ذلك فما اقتصرنا بنقله أيضا غير خال من الاطناب.

كما أنّ ما نقلنا قبله من كلام المحدّث العلامه المجلسى روح اللّه روحه أيضا كذلك، و إنّما أطنبت بنقل كلاميهما تنبيها لسفهاء الشّيعه من نومه الغفله و الجهاله و انفاذا لهم من ورطه الضلاله.

فانّ شهاده مثل هذين الوحيدين الفريدين العادلين الأعدلين العالمين العلمين الأعلمين الخبيرين بالأخبار و آثار الأئمه الأطهار مع كونهما من أساطين الشيعه و أركان الشّريعه على فساد هذه الطريقه طريقه الصّوفيّه و كشفهما عن سوآتها و فضايحها و قبايحها و شنايعها كافيه فى رداءتها و شناعتها، و كفى بهما شهيدا فضلا عن غيرهما ممّن تقدّم حكايه كلامه و نذكره بعد ذلك إنشاء اللّه.

فهلكا لمن دان بمذهب و سلك مسلكا يكون مروّجه ماحى الدّين الاندلسى و مزيفه العلامه المجلسى، و مادحه الرّجس الغزالى و قادحه المقدّس الأردبيلى، و مزكّيه أبو يزيد و جارحه الشيخ المفيد، و المتدّينون به الملاحده اللئام و أتباعهم من سفهاء الأحلام، و الطاعنون عليه أئمّه الأنام و حجج الملك العلام.

و بعد ذلك فلا يجوز للعاقل أن يشتبه و يغترّ بما يذكرونه فى مطاوى مقالاتهم من الكلمات المزخرفه و الأقوال المستطرفه و المواعظ الحسنه و النّصايح المستحسنه و الكمالات المرغوبه الغير المخالفه للاصول الشّرعيّه بل الموافقه لموظّفات الشّريعه.

لأنّ هذه كلّها من حبائلهم و حيلهم و فخوخهم و مصائدهم إنّما نصبوها لتصيد العوام و صيد الجهله كالأنعام و أكثر كلامهم الّذى من هذا النّمط فانّما هو مقتبس من كلام الأنبياء و الحجج عليهم السّلام انتحلوه و نسبوه إلى أنفسهم و على فرض كونه منهم أيضا فلا يجوز الاغترار و الافتتان به، لأنّ جميع الفرق من الكفار و المشركين الملاحده و المعاندين مع ما هم عليه من الكفر و الالحاد و الزّيغ عن نهج الرّشاد ترى فى ضمن كلماتهم الكفريّه كلامات مقبوله عند ذوى العقول من مدح العدل و الاحسان و الصدق و الامانه و قلّه الأكل و قلّه النّوم و ذمّ الحرص و الحسد و البخل و الخيانه إلى غير ذلك.

و الحاصل انّهم قد خلطوا الجيّد بالرّدى و الطيب بالخبيث و مزجوا الحقّ بالباطل لاصطياد العوام.

و الى ذلك ينظر كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و هو الخمسون من المختار فى باب الخطب: إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحكام تبتدع يخالف فيها كتاب اللّه و يتولى عليها رجال رجالا على غير دين، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى.

و منهم السّيد السّند و المتبحّر المعتمد السّيد نعمه اللّه المحدّث الجزائرى قدّس سرّه، فقد أورد فى الأنوار النّعمانيّه فصلا مبسوطا فى ذكر عقايدهم الفاسده و أعمالهم الباطله و قال فى جمله كلامه هنا ما نقلناه سابقا فى المقام الثانى و هو قوله:

ص:۳۹۶

و أمّا الدّواعى لهم على اختراع هذا المذهب و شهرته فامور:

الأوّل أنّ خلفاء بنى اميّه و بنى العباس لعنهم اللّه كانوا يحبّون أن يحصّلوا رجالا من أهل العباده و الزّهاده و التّكلّم ببعض المغيبات و ان لم يقع لأجل معارضات الأئمه الطاهرين عليهم السّلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتّى يصغر فى أعين الناس أهل البيت و أطوارهم، فلم يجدوا أحدا يقدم على هذا سوى هذه الفرقه الضّاله، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم اللّه و بنوا لهم البقاع و حملوا إليهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء فى مطالب دنياهم و قاسوهم بأهل البيت عليهم صلوات اللّه الملك الحىّ المتعال و أين الثريّا من يد المتناول.

الثانى سهوله هذا المسلك و صعوبه طريقه العلم، فانّ العامى منهم قد يجلس فى بيت ضيق مظلم أربعين يوما و ربّما ترائى له إخوانه من الجنّ و الشياطين، فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصّل درجه العالم الّذى يحصّلها فى خمسين سنه و أكثر، بل ربّما كان اعتبار هذا بين رعاع الناس أزيد من اعتبار ذلك العالم الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أيضا: و العجب من بعض الشيعه كيف مال إلى هذه الطريقه مع اطلاعه على أنّها مخالفه لطريقه أهل البيت عليهم السّلام اعتقادا و عملا.

أمّا الاعتقاد فقد قالوا بالحلول و هو أنّ اللّه سبحانه قد حلّ بكلّ مخلوقاته حتّى بالقاذورات، تعالى اللّه عمّا يقول الكافرون علوّا كبيرا، و قد مثّلوا حلول اللّه بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب أمواجه، فانّ الأمواج و إن كان متعدّدا إلاّ أنّ كلّه ماء واحد فى بحر واحد قد كثره التّموّج، فهى واحده بالحقيقه متعدّده بالاعتبار، و المخلوقات كلّها عين اللّه سبحانه و هو عينها و التّعدّد إنّما جاء من هذه العوارض الخارجيّه و التشخصات العارضه للمادّه.

و كان من أعظم مشايخهم عندهم الشيخ العطار، لمّا سمع سلطان ذلك الزّمان بكفره و إغوائه المسلمين أرسل إليه جلادا يأخذ رأسه، فلمّا أتى إليه

ص:٣٩٧

الجلاد و أخبره بما أتى به فقال له الشيخ العطار: أنت ربّى بأىّ صوره شئت فتصوّر فان أردت قتلى فأنا هذا ثمّ قتله.

و قال: و من اعتقاداتهم الباطله و أعمالهم الفاسده أنّهم تركوا العبادات المأثوره عن أهل البيت عليهم السّلام و دوّنها الشيعه فى كتبهم، و أقبلوا على اختراع عبادات و أذكار لم تذكر فى الشريعه، و ليس هذا إلّا لقصد الخلاف على علماء أهل البيت حتّى يكونوا فى طرف النّقيض فلا يقال لهم إنّهم مقلّدو العلماء فيزدا دون بذلك اعتبارا من عوام النّاس و غثائهم.

و ما علموا أنّ اللّه سبحانه لا يقبل من العبادات إلّا ما أرسل حججه و قاله على ألسنتهم، و إلّا فقد مرّ سابقا أنّ الشيطان لم يتكبّر على السّجود للّه تعالى لكنّه قال: أنا أسجد لك يا ربّ و لا أسجد لادم و ذلك أنّ اللّه سبحانه يجب أن يطاع من حيث أمركما قال: و أتوا البيوت من أبوابها و قد كان فى زماننا رجل من الصّوفيّه و يزعم أنّه من علماء الشيعه و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على المنبر: إنى كتبت الاصول الأربعه يعنى الكافى و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها، و لمّا رأيتها عديم الفايده بعتها بدرهم واحد و رميت ذلك الدّرهم بالماء.

فانظر إلى إيمان ذلك الرّجل عليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين، و قد كان مع أصحابه فى حضره مولينا الرّضا عليه السّلام مشغولين بذكرهم الجلى و هو ما اشتمل على الغناء و الرّقص و الترنّم و الوجد، فهوى بعضهم على محجر القبر الشريف فشجّ رأسه و سال دمه و بلغ إلى المحجر، فاحتال الخدمه إلى إزاله تلك الدّم فقال شيخ الصوفيّه: لا تحتالوا بهذه الحيل لازاله هذا الدّم لأنّ هذا من دم العشّاق و دم العشّاق طاهر.

ثمّ لمّا لم يسمع الناس هذا منه موّه على الناس كلاما آخر و قال: إنّ الشمس ذكروا أنّها من المطهرات فكيف لا يكون شمس الرّضا مطهره لهذا الدّم، فقبل منه هذا الكلام بعض البهايم من أتباعه ثمّ بعد زمان قليل خذله اللّه سبحانه

و سقط عن درجه و اعتبار و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

و رأيت فى شيراز رجلا- صوفيّا عليه لعنه اللّه، و كان صاحب ذكر و حلقه و أتباع، و كان كلّ ليله جمعه يأتى إلى قبّه السّيد الأجلّ السّيد أحمد بن الامام موسى الكاظم عليه السّلام فيصنع الذّكر المعهود و قد كان عزبا لم يتزوّج نعم كان عنده ولد مقبول من أولاد شيراز و كان ذلك الرّجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا، و كلّما يحصل فى نهاره يعطيه لذلك الولد و يبقى لنفسه شيئا يسع قوت الشّعير، و كان إذا خرج من البلاد ثمّ دخل إليها يسأله بعض خواصّه أين كنت؟ فيقول: كنت أذرع الادميين.

و قد استمرّ على هذا الحال برهه من الزّمان فظهر عليه و على أصحابه أنّهم أرادوا الخروج و ادّعى واحد منهم أنّه الرّب، و آخر أنّه النّبى، و ثالث أنّه الامام إلى غير ذلك، فأخذهم حاكم تلك البلاد و أمر بقتلهم و كنت مع الحاضرين فى ذلك الوقت.

فلمّا أتوا لشيخهم إلى الميدان ليقتلوه كانت اخته فوق سطح جدار تنتظر إلى ما يصنع بأخيها و تضحك، فقيل لها: لم تضحكين؟ فقالت: إنّ أخى هذا رجل شائب فاذا قتلوه يجىء بعد أربعين يوما بصوره شاب حسن الوجه قوىّ البدن، فظهر أنّهم كانوا قائلين بالتّناسخ أيضا، و قد رأينا منهم فى شيراز وقايع غريبه و أطوار عجيبه لا توافق إلّا مذهب الملاحده و الزّنادقه.

و منهم المحدّث الفاضل ملا- محسن الفيض القاسانى فى محكى كلامه من المجلّد الخامس من الوافى فى صدر أبواب صفه الصّلاه و أذكارها و تعقيبها و آدابها و عللها بعد ذكر الايات الوارده فيها من قوله تعالى: «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ » الايه، و قوله: «اُدْعُوا رَبَّکُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً » إلى آخره، و قوله: «وَ اذْكُرْ رَبَّکَ فِي نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ » الايه قال:

المساجد فسّرت تاره بالأعضاء السّبعه، و أخرى بالمساجد المعروفه، و أخرى ببقاع الأرض كلّها، و على التقديرات أنّها خلقت لأن يعبد اللّه بها أو فيها، فلا تشركوا معه غيره فى سجودكم و عبادتكم، و الأمر بالدّعاء و الذّكر

تضرّعا و خفيه و خيفه يشمل ساير أذكار الصّلاه و غير الصلاه، و دون الجهر من القول يدلّ على لزوم الاقتصاد فيها جميعا و كراهه الاعتداء، فما يفعله المتصوّفه فى حلقهم من الجهر بالذكر و الاعتداء بالنداء ممنوع منه بمقتضى هذه الايات، و يأتى تمام الكلام فيه فى صدر أبواب الذّكر إنشاء اللّه تعالى.

و قال فى أبواب الذّكر و الدّعاء و فضايلهما من المجلد المذكور بعد ذكر الايات الّتى وردت فيها كقوله تعالى: «اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ».

فى هذه الايه دلاله على كراهه ما يفعله المتصوّفه من رفعهم الأصوات بكلمه التوحيد و إظهارهم المواجيد، فانّه اعتداء و مجاوزه عن حدّ ما و سمه الشرع فى الذّكر و العباده، هذا إن اقتصروا على الاجهار بالذّكر، و أمّا ساير ما يفعلونه من التّغنّى بالأشعار فى أثناء الأذكار و التواجد بالسّماع و استماله الأبصار و الأسماع بالشهيق و النهيق و الرّقص و التصفيق و الهبوط و السقوط فلا شكّ أنّه بدع فى الدّين، بل كاد يكون استهزاء بالشرع المبين، أعاذنا اللّه من شرّ الشياطين.

و قال فى كتابه المسمّى بمنهاج النّجاه: لا تحضر فى الجامع الحلق و لا مجالس القصّاص، بل مجلس العلم النافع، و هو الّذى يزيد فى خوفك من اللّه و ينقص من رغبتك فى الدّنيا.

و قال فى المقاله الرابعه و السّتين من الكلمات الطريفه:

«داهيه» و من الناس من يدّعى علم المعرفه و مشاهده المعبود، و مجاوزه المقام المحمود، و الملازمه فى عين الشهود، و لا يعرف من هذه الامور إلاّ الأسماء و لكنّه تلقّف من المطامات كلّما يردّدها لدى الأغنياء كأنّه يتكلّم عن الوحى و يخبر عن السّماء، ينظر إلى أصناف العباد و العلماء بعين الازدراء يقول فى العباد:

إنّهم اجراء متعبون، و فى العلماء: إنّهم بالحديث عن اللّه محجوبون، و يدّعى

لنفسه من الكرامات ما لا يدّعيه نبىّ مقرّب، و لا علما أحكم و لا عملا هذّب، يأتى إليه الرّعاع الهمج من كلّ فجّ أكثر من إتيانهم مكّه للحجّ، يزدحم عليه الجمع و يلقون إليه السّمع و ربّما يخرّون له سجدا كأنّهم اتّخذوه معبودا، يقبلون يديه و يتهافتون على قدميه، يأذن لهم فى الشهوات، و يرخّص لهم فى الشبهات، يأكل و يأكلون كما تأكل الأنعام، و لا يبالون أمن حلال أصابوا أم حرام، و هو لحلوائهم هاضم و لدينه و أديانهم حاطم «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ ». «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ ». «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ لا يُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ » «أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ ».

و قال فى المقاله الخامسه و الستّين منها:

و من هؤلاء من طوى بساط الأحكام، و رفض الفضل بين الحلال و الحرام، و حلّ قيود الشرع من عنقه و أطلق، لا يحرّمون ما حرّم اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يدينون دين الحقّ، متعلّلين تاره بأنّ اللّه غنىّ عن الأعمال، و اخرى بأنّ التكليف إنّما هو لتطهير القلب من الشهوات و هو أمر محال، و اخرى بأنّ أعمال الجوارح لا وزن لها عند اللّه و إنّما النظر إلى القلوب و قلوبنا والهه إلى حبّ اللّه، واصله إلى معرفه اللّه، و إنّما نخوض فى الدنيا بأبداننا، فلا يصدّنا عن سبيل اللّه عصياننا، كلاّ سيعلمون ثمّ كلاّ سيعلمون، إنّ أعمالك لنفسك احتسبت، لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت، و ليس التكليف بقلع الشهوات، بل بانقيادها لحكم العقل و الشرع بالرّياضات، و الأبدان تابعه للقلوب، و الشهادات شايعه للغيوب، أيّها المغرور.

ف «اِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً ».

و قال فى المقاله الثانيه و السّتين:

ص:۴۰۱

و من النـاس من يزعم أنّه بلغ فى التصوّف و التأله حدّا يقـدر معه أن يفعل ما يريـد بالتوجّه، و أنّه يسـمع دعاؤه فى الملكوت، و يستجاب نداؤه فى الجبروت تسـمّى بالشيـخ و الدرويش، و أوقع الناس بذلك فى التشويش، فيفرطون فيه أو يفرّطون فمنهم من يتجـاوز به حـدّ البشـر، و آخر يقع فيه بـالسوء و الشـرّ، يحكى من وقايعه و مناماته ما يوقع الناس فى الرّيب، و يأتى فى اخباره بما ينزل منزله الغيب، و ربّمـا تسـمعه يقول: قتلت البارحه ملك الروم، و نصـرت فئه العراق، و هزمت سـلطان الهنـد، و قلبت عسـكر النّفاق، أو صـرعت فلانا يعنى به شـيخا آخر نظيره، أو أفنيت بهمانا يريـد به من لا يعتقد فيه إنّه لكبيره، و ربّما تراه يقعد فى بيت مظلم يسـرج فيه أربعين يومـا، يزعم أنّه يصوم صوما، و لا يأكل فيه حيوانا و لا ينام نوما، و قـد يلازم مقاما، يردّد فيه تلاوه سوره أيّاما، يحسب أنّه يؤدّى بذلك دين أحد من معتقديه، أو يقضـى حاجه من حوائج أخيه، و ربّما يدّعى أنه سـخر طايفه من الجنّه، و وقى نفسه أو غيره بهذه الجنّه «أَفْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّهٌ » انتهى كلامه.

أقول: هذه الكلمات كما ترى تنادى بأعلا صوتها على طهاره ذيل هذا الفاضل البارع من دنس التصنّع و التصوّف، و براءه ساحته من الانحراف و التصلّف، و مثلها كلمات له اخرى تركنا حكايتها حذرا من الاطناب.

إلاّـ أنّه فى أكـثر كتبه سـلك مسـلك الصـوفيه و جرى على قواعـدهم لاـ سـيّما فى كتـابه المسـمّى باللّئـالى، و ذكر فيه تفصـيل الحضـرات الخمسه الّتى هى من مصـطلحات الصوفيّه و مخترعـاتهم، و أوّل بعض الأخبـار و الأـدعيه إلى مـا أوردها هناك، و لا حاجه بنا إلى ايرادها.

و من أجل كون كلامه و حـديثه ذا فنون و شـجون اختلف العلماء المعاصـرون له و المتأخّرون عنه فى مدحه و قدحه و تعديله و جرحه، حتّى أفرط بعضهم فنسبه إلى الكفر أو ما يشارف الكفر.

منهم الشيخ علىّ المعاصر له سبط الشهيد الثانى «قد» فقد نسب إليه فى ذيل

رسالته فی تحریم الغناء کثیرا من الأقاویل الفاسده و الاراء الباطله الّتی تفوح منها رائحه الکفر المضادّه بضروریات الدّین.

قال فی روضات الجنات: و لو أردنا تأویل جمله منها بمحامل وجیهه صحیحه لما أمکننا ذلک بالنسبه إلی ما یدّل علیه ألفاظه الظاهره بل الصریحه من منافیات اصول هذه الشریعه و فروع مذهب الشیعه، مثل قوله بوحده الوجود، و بعدم خلود الکفار فی عذاب النار، و عدم نجاه أهل الاجتهاد من النار و إن کانوا من أجلائنا الکبار، و قوله بعدم منجّسیه المتنجّس لغیره مثل الجنس، و بعدم انفعال الماء القلیل بمحض ملاقاته للنجس، و ان وافقه فی هذه المسأله العمانی.

و منهم صاحب لؤلؤه البحرین الشیخ یوسف البحرانی قال فی ترجمته:

و هذا الشیخ کان فاضلا محدّثا أخباریّا صلبا کثیر الطعن علی المجتهدین و لا سیّما فی رسالته سفینه النجاه حتّی أنه یفهم منه نسبه جمله من العلماء إلی الکفر فضلا عن الفسق، مثل ایراده الایه: «یا بُنَیَّ ارْکَبْ مَعَنا »، أی و لا تکن مع الکافرین و هو تفریط و غلوّ بحت، مع أنّ له من المقالات التی جری فیها علی مذهب الصوفیّه و الفلاسفه ما یکاد یوجب الکفر و العیاذ باللّه، مثل ما یدلّ فی کلامه علی القول بوحده الوجود.

و قد وقفت له علی رساله قبیحه صریحه فی القول بذلک، و قد جری فیها علی عقاید ابن عربی الزّندیق و أکثر فیها من النقل عنه و إن عبّر عنه ببعض العارفین و قد نقلنا جمله من کلامه فی تلک الرّساله و غیرها فی رسالتنا الّتی فی الرّد علی الصوفیه المسمّاه بالنفحات الملکوتیّه، نعوذ باللّه من طغیان الأفهام و زلل الأقدام.

و قد تلمذ فی الحدیث علی السّید ماجد البحرانی فی بلاد شیراز، و فی الحکمه و الاصول علی صدر الدین محمّد بن إبراهیم الشیرازی الشهیر بصدرا، و کان صهره علی ابنته و لذا تری أنّ کتبه فی الاصول کلّها علی قواعد الصوفیّه و الفلاسفه، و لاشتهار مذهب التصوّف فی دیار العجم و میلهم إلیه بل غلوّهم فیه صارت له المرتبه العلیا فی

زمانه، و الغايه القصوى فى أوانه، وفاق عند الناس جمله أقرانه، حتى جاء على أثره شيخنا المجلسى «قد» فسعى غايه السعى فى سدّ تلك الشقاشق الفاغره، و إطفاء نائره تلك البدع البائره انتهى.

و العجب من صاحب روضات الجنات حيث أراد تزكيه الرّجل فجرحه، و تطهيره فدّنسه، و تبرئته فلوّثه، قال بعد تفصيل كلام له فيه:

ثمّ ليعلم أنّ ظنّى فى نسبه التصوّف الباطل إليه أنّها فريه بلا مريه، و الباعث عليه اقتداؤه بهذه الطريقه فى الموالاه مع الغلاه و الملحدين، و إظهار البراءه من أجلائنا المجتهدين، و عدم اعتنائه بالمخالفه لاجماع المسلمين، و الانكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين، و إلّا فبين ما يقوله و يقولونه مع قطع النظر عن هذا القدر المشترك بون بعيد، و إنكاره على أطوار هذه الطايفه فى حدود ذواتها انكار بليغ شديد، ثمّ نقل عنه ما قدّمنا نقله من المقالات.

و أنت خبير بأنّه إذا كان موافقا للصوفيه فى أصل مذهبهم الفاسد و هو القول بوحده الوجود على ما عزّاه إليه غير واحد من العلماء، فكلّ الصّيد فى جوف الفراء، فضلا عما نسب إليه من انكاره لبعض ضروريات الدين و خلافاته لاجماع المسلمين، و احتذائه حذو الغلاه و الملحدين، و هذا مقام ما قيل و يقال:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه و كلّ قرين بالمقارن يقتدى

و اللّه العالم بالسّرائر و الخبير بالضّماير من كلّ برّ و فاجر.

و منهم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزّمخشرى المعروف بجار اللّه المجاور فى حرم اللّه، قال فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى » ما لفظه:

و عن الحسن زعم أقوام على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّهم يحبّون اللّه فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فمن ادّعى محبّته و خالف سنّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو كذّاب، و كتاب اللّه يكذّبه، و إذا رأيت من يذكر محبّه اللّه و يصفق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق فلا شكّ فى أنّه لا يعرف اللّه و لا يدرى ما محبّه اللّه

و ما تصفيقه و نعرته و صعقته إلاّ أنّه تصوّر فى نفسه الخبيثه صوره مستملحه معشقه، فسمّيها اللّه بجهله و ذعارته ثمّ صفق و طرب و نعر و صعق على تصوّرها و ربّما رأيت المنى قد ملاء إزار ذلك المحبّ عند صعقته، و حمقى العامّه حواليه قد ملاؤا أردانهم بالدّموع لما رقّقهم من حاله.

و قال فى كتابه المسمّى بأطواق الذهب:

يا رافع اليد بالدّعاء، و يا داعى الحقّ بالنّداء، إنّه لا يسمع بالصّماخ فاقصر من الصراخ، أتنادى باعدا، أم توقظ راقدا تعالى اللّه الملك لا تأخذه السّنه و لا تغلّطه الألسنه، يعلم رموز البكم و الخرس، كما يعرف لغه التّرك و الفرس، يسمع دبيب النمله الخرساء على الصّخره الملساء، كما يسمع بغام الظبيه(۱) الجيداء على صحن البيداء، ألا إنّ رفع اليد بالدّعاء سمعه، و رفع الصّوت بالشكايه شنعه، ما هذه الشهقه و النّداء، و ما هذه الصّيحه الشنعاء، أمن الضرب تتألّم؟ أم مع أكفائك تتكلّم؟ أ تحسبه قسّاما نسى قسمك؟ أم رزّاقا جهل اسمك؟ أنام من خلق الأنام؟ أرقد من أنشأ الذئب و النقد(۲) معاشر الضعفه أتظنّون أن لا تأكلوا أقواتكم دون أن ترفعوا أصواتكم لا تدعوا اليوم ثبورا لقد ظننتم باللّه ظنّ السوء و كنتم قوما بورا.

و منهم الفاضل البارع المحقّق السيد علىّ بن محمّد الحسينى الجرجانىّ المشتهر بالسيد الشريف شارح المواقف، قال فى حاشيته على شرح التجريد للاصفهانى فى المسأله الثالثه فى أنّ الوجود زايد على المهيّه و ليس نفسها عند ما يعنون قول الشّارح: فيلزم أن يكون المهيّات متّحده و ليس كذلك قيل عليه ذهب جماعه من الصوفيّه إلى أن ليس فى الواقع إلاّ ذات واحده لا تركيب فيها أصلا بل لها صفات هى عينها و حقيقه الوجود المنتزعه فى حدّ ذاتها عن شوائب العدم و سمات نقصان الامكان، و لها تقيّدات بقيود اعتباريّه بحسب ذلك يتراءى موجودات متمايزه فيتوهّم من ذلك تعدّد حقيقىّ، فما لم يقم برهان على بطلان ذلك لم

ص:۴۰۵

۱- (۱) - اى صوتها، م.

۲- (۲) - النقد من الغنم قصار الأرجل، كذا فى الصحاح.

يتمّ ما ذكروه من عدم اتّحاد المهيّات، و لا يتمّ أيضا اشتراك الوجود بل لا يثبت وجود ممكن أصلا:

أقول: هذا خروج عن طور العقل، فانّ بداهته شاهده بتعدّد الموجودات تعدّدا حقيقيا و أنّها ذوات و حقايق مختلفه بالحقيقه دون الاعتبار فقط و الذّاهبون إلى تلك المقاله يدّعون استنادها إلى مكاشفاتهم و مشاهداتهم و أنّه لا يمكن الوصول إليها بمباحث العقل و دلالته، بل هو معزول هناك كالحسّ فى إدراك المعقولات.

و أمّا المتقيّدون بدرجات العقل و القائلون بأنّ ما يشهد به العقل فمقبول و ما شهد عليه فمردود و أنّه لا طور وراءه، فيزعمون أنّ تلك المكاشفات و المشاهدات على تقدير صحّتها مؤوّله بما يوافق العقل، فهم بشهاده بديهته عندهم مستغنون من إقامه برهان على إبطال أمثال ذلك، و يعدّون تجويزها مكابره لا يلتفت إليها.

و قال فى شرح المواقف فى المقصد الخامس من المرصد الثانى من الموقف الخامس منه:

اعلم أنّ المخالف فى هذين الأصلين يعنى عدم الاتّحاد و عدم الحلول طوايف ثلاثه: الاولى النّصارى، الطايفه الثّانيه النصيريه و الاسحاقيّه من غلاه الشّيعه الطايفه الثالثه بعض المتصوّفه، و كلامهم مخبط بين الحلول و الاتّحاد و الضبط ما ذكرناه فى قول النصارى، و الكلّ باطل سوى أنّه تعالى خصّ أولياءه بخوارق عادات كرامه لهم.

و رأيت من الصوفيّه الوجوديّه من ينكره و يقول لا ـ حلول و لا ـ اتّحاد إذ كلّ ذلك يشعر بالغيريّه و نحن لا نقول بها بل نقول: ليس فى الدّار الوجود غيره ديّار، و هذا العذر أشدّ قبحا و بطلانا من ذلك الجرم. إذ يلزم تلك المخالطه التى لا يجترى على القول بها عاقل و لا مميّز أدنى تمييز و قال فى المقصد الثالث من المرصد الأوّل من الموقف السادس:

لبعض الصوفيّه من أهل الاباحه أنّ التّكليف بالأفعال الشاقّه البدنيّه يشغل الباطن عن التفكر فى معرفه اللّه و ما يجب له من الصفات و يجوز و يمتنع عليه من الأفعال، و لا شكّ أنّ المصلحه المتوّقعه من هذا الغايب و هو النظر فيما ذكر تربى أى تزيد و تفضل على ما يتوّقع ممّا كلّف به فكان ممتنعا عقلا.

و الجواب أنّ ذلك أى التفكر فى معرفه اللّه و صفاته و أفعاله أحد أغراض التّكليف بل هو العمده الكبرى منها و ساير التّكاليف معينه عليه داعيه إليه و وسيله إلى اصلاح المعاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوّشات الّتى تربى شغلها عن شغل التكاليف و قال فى المقصد السادس من المرصد الخامس من الموقف الأوّل منه:

ان قلت: لا نسلّم أنّ المعرفه لا تتمّ إلّا بالنظر كما ادّعيتم بل قد تحصل بالتصفيه فانّ رياضه النفس بالمجاهدات و تجريدها عن الكدورات البشريّه و العوائق الجسديه و التوجّه إلى الحضره الصّمديه و التزام الخلوه و المواظبه على الذّكر و الطاعه تفيد العقائد الحقّه الّتى لا يحوم حولها شائبه رائبه، و أما أصحاب النظر فيعرض لهم فى عقايدهم الشّكوك و الشّبهات النّاشئه من أدلّه الخصم.

قلنا: هى يحتاج إلى معونه النظر ألا ترى أنّ رياضه المبطلين من اليهود و النصارى يؤدّيهم إلى عقايد باطله، فلابدّ من الاستعانه بالنظر أو قلنا المراد أنّه لا مقدور لنا من طرق المعرفه إلّا النظر فانّ التّصفيه كما هو حقّها تحتاج إلى مجاهدات شاقّه و مخاطرات كثيره قلّما يفى من المزاج فهى فى حكم ما لا يكون مقدورا.

و منهم الفخر الرازى فى المسأله الحاديه و الثلاثين فى النّبوّه من كتابه المسمّى بالأربعين قال:

اعلم أنّ الّذين ينكرون نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طوايف، ثمّ تعرّض لذكرها إلى أن قال: الطايفه السادسه جمع من الصوفيّه يقولون: الاشتغال بغير اللّه حجاب عن

معرفه اللّه تعالى، و الأنبياء يدعون الخلق إلى الطاعات و التكاليف، فهم يشتغلون الخلق بغير اللّه و يمنعونهم عن الاشتغال باللّه فوجب أن لا يكون حقا و صدقا.

و منهم الدّميرى فى كتاب حياه الحيوان فى باب العين المهمله عند ذكر العجل قال:

«فايده» نقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى أنّه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ثمّ ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون و يطربون و يضربون بالدّف و الشبابه هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فقال: مذهب الصوفيه بطاله و جهاله و ضلاله، و ما الاسلام إلّا كتاب اللّه و سنّه رسول اللّه، و أما الرّقص و التواجد فأوّل من أحدثه أصحاب السامرى لما اتّخذ لهم عجلا جسدا له خوار، قاموا يرقصون حوله و يتواجدون، فهو دين الكفار و عبّاد العجل، و إنما كان مجلس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان و نوّابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد و غيرها و لا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الاخر أن يحضر معهم و لا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك و الشافعى و أبى حنيفه و أحمد و غيرهم من أئمه المسلمين.

و منهم محمّد بن محمّد المحدّث البخارى المعروف فى كتابه الذى سماه فاضحه الملحدين و ناصحه الموحّدين، قال:

ثمّ إن اولئك الملحدين الّذين هم إخوان الشياطين يخدعون الجاهلين بتمسّكهم فى ذلك الضلال المبين بقوله تعالى: «وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ »، و بقوله تعالى: «وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ ».

و يلحدون فى الايه الأولى بتفسيرهم وجه اللّه ههنا بذات اللّه موافقا لرأيهم لا بالجهه الّتى امر بها و رضيها على ما هو الحقّ المبين و المطابق لقواعد الدّين و لاجماع علماء الاسلام و المسلمين، و لما يدلّ صدر هذه الايه أيضا و هو قوله تعالى:

«وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ » فانّه يدلّ على أنّ جهات المشرق و المغرب للّه تعالى، لا أنّها هو اللّه تعالى و إلّا يوجب أن يكون النظم و اللّه المشرق و المغرب لا و للّه المشرق و المغرب

و أنت خبير بأنّ ثمه للمكان و أنّ اللّه تعالى منزّه عن الجهه و المكان و أنّ كون الشىء الواحد فى آن واحد فى أمكنه مختلفه بديهىّ البطلان. و أنّ تفسير هذه الايه بما فسّره الملاحده مستلزم لكون اللّه تعالى فى مكان و جهه بل كونه فى آن واحد فى أمكنه الجهات المختلفه عند اختلاف أماكن المتوجهين و ذلك محال على محال و مع ذلك كفر صريح و ضلال.

و يلحدون فى الايه الثانيه حيث يفسّرون قضى بحكم و قدّر مخالفا لقواعد الدّين و لاجماع المفسّرين لا بأوجب و أمر على ما هو مطابق لقواعد الاسلام و لاجماع الرّسل و الأنبياء عليهم السّلام و منهم الشيخ المتبحرّ البصير و المتتبع الخبير الشيخ علىّ ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدّين الشهيد الثانى «قد»، فقد ألف رساله مستقلّه فى الرّد على الصّوفيّه و سمّاها: السّهام المارقه من أغراض الزّنادقه، و قد حكينا عنه فى المقام الثالث من كتابه المسمّى بالدّر المنثور من المأثور و غير المأثور كلاما مبسوطا متضمّنا لمطاعنهم فليراجع هناك.

و منهم الشيخ المحدّث محمّد بن الحسن بن علىّ بن محمّد الحرّ العاملى صاحب كتاب وسايل الشّيعه، فقد ألّف فى الرّد عليهم رساله كما صرّح به فى خاتمه الكتاب المذكور عند تعداد كتبه.

و منهم السّيد الأعظم قدوه اولى الألباب أبو تراب مرتضى ابن الدّاعى الحسن الرّازى «قد» فقد جمع فى بيان مذاهب الصّوفيّه و ما يتضمّن من مطاعنهم كتابا بالعجميّه و سمّاه: تبصره العوام، و آخر بالعربيّه و سمّاه: الفصول التّامّه فى هدايه العامّه.

و منهم الشّيخ نصير الدّين علىّ بن حمزه بن الحسن الطوسى، فقد ألف كتاب ايجاز المطالب فى ابراز المذاهب و ضمّنه جمله من مطاعن الصوفيّه حسبما نقل عنه مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» فى كتاب حديقه الشّيعه.

إلى غير ذلك ممّا صدر من علماء الاسلام من الخاصّه و العامّه من مطاعن

ص:۴۰۹

هـذه الطايفه تصـريحا و تعريضا إجمالا و تفصـيلا، و لنقتصـر فى المقام بذلك و لنعقّبه بما يجب التّنبيه عليه دفعا لبعض تلبيسات هؤلاء، و ابطالا لتمويهاتهم، فأقول مستعينا باللّه و متوكلا عليه:

تنبيه و هدايه

قد رأيت فى بعض كتب المتصوّفه ممّن يدّعى التشيّع نسبه التّصوف إلى جماعه من علماء الاماميّه مثل السيّد علىّ بن طاوس، و ابن فهد الحلّى، و الشهيد الثانى، و المجلسىّ الأوّل بل الثانى أيضا، و شيخنا البهائى و نظرائهم، و هى فريه بيّنه و بهتان عظيم، و غرضهم من هـذا الاختلاق تكثير السواد و اصلاح ما ذهبوا اليه من مـذهب الفساد، و لعا بترويج متاعهم الكاسد، و شعفا بتلفيق سلعتهم الفاسد، فانّ العاده جاريه و الطبيعه مايله إلى أنّ كلّ من عمل عملا حقّا أو باطلا يطلب له فيه مشاركا، و كلّ من سلك سبيلا برّا أو فاجرا يشعف بمن كان معه فيه سالكا، لا سيّما إذا كان من أهل البدعه و الضلاله يكون سعيه فى تحصيل الموافق له أشدّ و آكد، و فرحه و انبساطه اليها بوجدانه أعظم و أكثر.

و هؤلاء لزيغهم عن قصد السبيل، و شعفهم بكلام بدعه و دعاء ضلاله، و كونهم فتنه لمن افتتن بهم، ضالّين عن هدى من كان قبلهم، مضلّين لمن اقتدى بهم فى حياتهم و بعد وفاتهم، نسبوا تلك الطريقه الفاسده إلى أساطين العلماء تفتينا للهمج الرّعاع، و خداعا للجاهليّه الجهلاء، و العوام الّذين هم كالأنعام.

و قد علمت تفصيلا عند نقل كلام الشهيدين و المجلسيين طهاره لوح خواطرهم من هذا الدّنس و الرّين، و ظهر لك هناك أنّ تلك النسبه اليهم افك فاحش و بين.

و منه يعلم أيضا نزاهه ساحه ابنى فهد و طاوس من ذلك الرّجس و قد أشار إليه المحدّث العلامه المجلسى «قد» أيضا فى كتاب عين الحياه حيث قال ما ترجمته:

قد كان بين أهل الحقّ دائما عبّاد و زهّاد ثابته على الصّراط المستقيم، مواظبه على سلوك طريق القرب و الزّلفى و المباحات و العباده و العبوديه خارجه،

من سلسله الصوفيّه لم يعدهم أحد منهم مثل سلطان العلماء و المحقّقين الشيخ صفى الدّين، و سيّد الافاضل ابن طاوس، و زبده المتعبّدين ابن فهد الحلّى، و الشهيد السعيد الشيخ زين الدّين رضوان اللّه عليهم أجمعين و غيرهم من الزّهاد الّذين أخذوا طريقه الرّياضه و العباده و العبوديه بقانون الشريعه المقدّسه.

و بعد فراغهم من العلوم الشرعيه توجّهوا إلى العباده و الرّياضه، و هدايه الخلق و تدريس العلوم الحقّه، و لم يؤثر عن أحد منهم بدعه و ضلاله.

و لأجل ذلك لم يعدّ المتصوّف الجامى فى النّفحات أحدا منهم من الصّوفيه، و لم يدخلهم فى زمرتهم مع غايه اشتهارهم و صيتهم شهره الشمس فى رابعه النهار.

و قد أشرق وجه الأرض بأنوارهم و تصانيفهم و آثارهم، و صارت الدّنيا معموره بميامن بركاتهم، و راج دين الاماميّه و الشيعه الاثنى عشريه بمساعيهم الجميله حتى بذلوا فى طريق الشريعه مهجهم الزّكيه و أنفسهم القدسيه.

بخلاف أهل الباطل من الصوفيه، فقد بالغوا فى تخريب الدّين و هدم أساس الشّرع المبين، و قد سمعت معارضات السفيان الثورى و عباد البصرى و أضرابهما من الصوفيه مع أئمه اليقين و تعارضهم دائما مع علماء الشيعه بعد زمن الأئمه عليهم السّلام، هدانا اللّه و اياكم إلى الحقّ المبين بمحمد و آله الطاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين، انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد ظهر منه و مما قدّمنا نقله عنه من اعتقاداته أنّ نسبه تلك الطريقه الباطله إلى هؤلاء العلماء العظام و الأساطين الأعيان بيّنه الفساد و البطلان.

و أما الشيخ البهائى فربما عزى إليه القول بالتصوّف و طعن عليه بذلك لما يتراءى من بعض كلماته و أشعاره، إلّا أنّ الظاهر أنّ صدور تلك الكلمات منه مداراه للخلق، و منازله إلى أذواقهم، و معاشره معهم.

كما أفاده السّيد المحدّث نعمه اللّه الجزائرى حيث قال فى ما حكى عنه فى لؤلؤه البحرين: إنّ الشّيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقه و ملّه بمقتضى طريقتهم و دينهم و ملتهم و ما هم عليه، حتّى أنّ بعض علماء العامّه ادّعى أنّه منهم،

قال السّيد: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح و كان معی فتعجّب من ذلک و ذکر جمله من المؤيّدات لما ذكره، ثمّ استدلّ بقوله قدّس سرّه فی قصيدته الّتی فی مدح القائم عليه السّلام:

و إنّی امرء لا يدرک الدهر غايتی و لا تصل الأيدی إلی سير أغواری

اخالط أبناء الزّمان بمقتضی عقولهم كيلا تفوهوا بانكاری

و اظهر أنّی مثلهم يستفزّنی صروف الليالی باختلاء و امرار

. انتهی و قال السّيد أيضا فی محكی كلامه فی روضات الجنّات: كانت كلّ طائفه من طوائف المسلمين ينسبه إليها، و سمعت الشّيخ الفاضل الشّيخ عمر من علماء البصره يقول: إنّ بهاء الدّين محمّدا من أهل السّنه و الجماعه إلّا انّه كان يتّقی من سلطان الرّافضه، و كذلک الملاحده و الصّوفيّه و العشّاق سمعت كلّ هؤلاء يقولون:

إنّه من أهل نحلتنا، و من هذا كان شيخنا المعاصر يعنی به العلامه المجلسی يزدری عليه بهذا و أمثاله، و فيض اللّه التفريشی لم يوثقه فی كتاب الرّجال و إن أثنی عليه فی العلم و الحفظ و غير ذلک، و الحقّ أنّه ثقه معتمد عليه فی النقل و الفتوی انتهی.

فقد ظهر بذلک عدم ثبوت تصوّف هذا العالم البارع النحرير، كثبوت عدم تصوّف من تقدّم ذكره من العلماء.

و بعد الغضّ عن ذلک و تسليم اتّصافهم به و قبول أنّهم من الصوفيه فأقول:

إنّ التصوّف الذی لهم ليس علی حذو ما عليه ساير الصوفيه علی ما توهّمه هؤلاء الجهله الذين نسبوه اليهم ابتهاجا بمشاركتهم معهم فی المذاق و موافقتهم لهم فی المذهب.

و ذلک لأنّ تصوّف هؤلاء الأجلّه عباره عن العمل بالأوامر و النواهی الشرعيه، و ترک الشبهات و الزهد و القشف و الرّياضه، و التحلّی بالفضائل و التخلّی عن الرذائل و ملازمه المروّه و التقوی، و الاعراض عن ملاذ الدّنيا و اخلاص العبادات و مواظبه التضرّع و الابتهال و المناجاه و إقامه الصلوات المكتوبات و التعقيبات المأثورات و الاذكار و الأدعيات الموظفات فی الأوقات المرسومات، و الاشتغال بالتعليم

و التدريس و تأليف كتب الفقه و الأخبار و الروايات و ساير العلوم الشرعيه.

و تصوّف تلك الجهله عباره عن المداومه على العبادات المبتدعه و الأذكار المخترعه، و دعوى الكرامات الكاذبه و الصّلائف الباطله، و ترك أحكام الشريعه و أخذ مراسم الطريقه على زعمهم، و الوصول إلى معارج الحقيقه على حسبانهم و إن لم يقع، و ادّعاء الكشف و الشهود و القول بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود إلى غير هذه من أطوار الفريقين الّتى بينهما بعد المشرقين.

نعم قد وجدت من علماء الشيعه رجلا واحدا لا ريب فى تصوّفه و موافقته للصّوفيّه فى أكثر أقوالهم الفاسده، و لذلك اهبط قدره عن درجه الاعتبار، و اسقط قوله عن نظر علمائنا الأبرار، و هذا الرّجل هو محمّد بن الحسن بن علىّ بن أبى جمهور الاحسائى صاحب كتاب غوالى اللّئالى.

قال الشيخ يوسف البحرانى فى لؤلؤه البحرين: و الشيخ محمّد بن أبى جمهور كان فاضلا مجتهدا متكلّما له كتاب غوالى اللئالى جمع فيه جمله من الأحاديث إلاّ أنّه خلط الغثّ فيه بالسّمين و أكثر فيه من أحاديث العامّه، و لهذا أنّ بعض مشايخنا لم يعتمد عليه، و له كتاب شرح زاد المسافرين و كتاب المجلى على مذاق الصّوفيّه.

و قال المحدّث النّيسابورى فى ترجمته: متكلّم فقيه صوفىّ له كتب: منها كتاب المجلى جمع فيه بين الكلام و التصوّف، و نقل فى روضات الجنات من أواخر كتاب وسائل الشيعه كون كتابى حديثه و هو كتاب غوالى اللئالى و نثر اللئالى خارجين عن درجه الاعتماد و الاعتبار، مع أنّ صاحب الوسائل من جمله مشاهير الأخباريه و الأخباريه لا يعتنون بشىء من التصحيحات الاجتهاديه و التنويعات الاصطلاحيه.

و قال المحدّث العلامه المجلسىّ فى مقدّمات البحار: كتاب غوالى اللئالى و ان كان مشهورا و مؤلفه فى الفضل معروفا لكنه لم يميّز القشر من اللباب و أدخل أخبار متعصّبى المخالفين فى روايات الأصحاب، فلذا اقتصرنا على نقل بعضها، و مثله كتاب نثر اللئالى، انتهى.

ص:۴۱۳

أقول: و من جمله الأخبار العاميه التى رواها فى الغوالى ما رواه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: صلّوا خلف كلّ برّ و فاجر، و من جمله أحاديث الصوفيه التى نقلها فيه ما رواه فيه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قيل له: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء.

و هذا الحديث من موضوعات الصوفيه حسبما أشرنا اليه فيما تقدّم، و قد رواه أكثر الصوفيه فى كتبهم حتى محيى الدّين فى الفصوص و أكثر شرّاح الفصوص أيضا.

و من جمله ما رواه أيضا فيه ما نقله عن علىّ عليه السّلام قال: و روى عنه و قد سئل عن معنى التصوّف و التصوّف مشتقّ من الصوف و هو ثلاثه أحرف: ص، و، ف. فالصاد صبر و صدق و صفاء، و الواو ودّ و ردّو و وفاء، و الفاء فقر و فرد و فناء.

و آثار الوضع على هذا الحديث غير خفيه كما يعرف ذلك مما ذكرناه فى المقام الثانى، فانّ بدو ظهور الصوفيه و استعمال هذا الاسم فيهم و تسميتهم بها كان فى زمان أبى هاشم الكوفى فى عصر الصادق عليه السّلام و لم يكن فى عصر أمير المؤمنين عليه السّلام أحد يسمّى بهذا الاسم.

و كم له فى كتبه من أخبار الصوفيه و أحاديثهم الموضوعه و أقوالهم الرديه حسبما نقلها عنه أصحابنا فى كتبهم إزراء عليه بذلك.

قال بعض تلامذه العلامه المجلسى فى كتابه الذى ألفه فى الرّد على الصوفيه فى تفصيل خرقه هذه الطايفه ما هذه عبارته:

فمرّه قال شيخ شيوخ الصوفى اعنى ابن أبى جمهور الاحسائى فى كتاب مجلى مرآت المنجى أنّ شيخ طائفتهم الشيخ الجنيد لبس الخرقه من يد خاله الشيخ السرى السقطى، و السّرى لبسها من معروف الكرخى، و المعروف الكرخى لبسها من الامام علىّ بن موسى الرّضا عليه السّلام.

و مرّه قال: إنّ معروف لبس من داود الطائى و أخذ هذه الطريقه منه، و هو من حبيب الأعجمى، و هو من الحسن البصرى، و هو من أمير المؤمنين عليه السّلام.

و تاره اخرى ذكر أنّ الامام أبا علىّ شقيق البلخى أخذها عن الامام أبى عمرو

موسى بن زهد الفراعى عن اويس القرنى ره عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام.

و كتب فى الحاشيه أنّ سلسلتهم تنتهى إلى ذى النون المصرى، و شيخ ذو النون كان من تلامذه مولينا و سيدنا الحسن الأخير العسكرى عليه و على ابنه الحجّه و آبائه السلام، انتهى.

أقول: فانظروا إلى هذا الاحسائى الشيعى باعتقاده كيف هبت به ريح الهوى إلى قبّه هذه الفئه، فضلّ و جار عن قصد السبيل، و قال غير الجميل، و سار بغير دليل، و تاه متاه بنى اسرائيل، و لم يفهم مضادّه الحسن البصرى السامرى مع أئمّتنا لا سيّما مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام، و لم يعلم أنّ هذه الاختلافات فى الرّوايات العاميه الملاحده من أعظم القوادح فيها كيف و لم يذكر ما دونه هذا الرّجل فى كتابه شيخ الطايفه المحقّه فمن دونه، و لو كان له أصل لذكروه و ليس فليس إلى أن قال:

نعم ذكر الجامى فى ترجمه الشيخ محيى الدين المغربى من كتاب النفحات أنّ نسبه خرقته فى التصوّف تصل إلى الشيخ محيى الدّين عبد القادر الجيلانى بواسطه واحده.

و بالجمله للجامى فى الكتاب المذكور، و السهروردى فى كتاب العوارف، و هبه اللّه الاصفهانى فى كتاب الخمسين، و شمس الدين محمّد بن محمّد ابن الجزرى الشافعى فى خاتمه عواليه، و غيرهم من علماء العامّه المتصوّفه هذيان طويل فى أمر الخرقه و أحكامها.

و الفاضل الاحسائى سرقه منها و أسرف فى تزيينه و تشهيره و لا جناح عليهم فى هذا الاجماع منهم، فانّ من الأمثال المشتهره: عند الخنازير تنفق العذره.

قال ذكر السيّد نظام أحمد فى خاتمه أربعينه عند ذكره الأسانيد الّتى كانت له فى المصافحه و المصاحبه و لبس الخرقه ما هذه عبارته:

لبس الشيخ حاتم الأصم من الشيخ شقيق البلخى، و هو من الشيخ ابراهيم بن أدهم، و هو من موسى بن يزيد الرّاعى، و هو من مقدم التابعين اويس القرنى، و هو

من أمير المؤمنين أبى حفص عمرو أبى الحسن رضى اللّه عنهما، و هما من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قال فى موضع آخر منه: قال الشيخ العارف الربّانى أبو بكر الهوارا: رأيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المنام و طلبت لبس الخرقه منه، فأشار صلوات اللّه و سلامه عليه إلى أبى بكر الصديق، فألبسنيها.

و فى موضع آخر منه قال شيخ الاسلام أبو البيان الدّمشقى القرشى الشافعى لبستها من سيدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من الخضر المعمّر عليه السّلام و ذلك فى اليقظه الّتى لا شكّ فيها و لا ريب عند أهل الايمان بالغيب.

قال: أقول: و لكن ليس هذا بأعجب من ساير ما يقوله فى ذلك الكتاب بلا شك و لا ارتياب مثل أنّه كتب فى مبحث السّلوك منه أنه قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ للّه تعالى شرابا إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصلوا، و إذا وصلوا اتّصلوا، و إذا اتّصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم انتهى.

قال: أقول: جاء هذا الخبر من طريقنا معاشر الشيعه الاماميّه الموحّده هكذا و فى شرح مختصر العضدى للحاجبى قال علىّ عليه السّلام: إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افترى، فارى عليه حدّ المفترى، انتهى.

و ممّا يضحك منه العبوس القمطرير أنّ الطبيب الجيلانى المدعوّ بالمؤمن ذكر فى رساله الملعونه أنّ هذا الحديث مذكور فى كتاب صحيفه الرّضا عليه السّلام و كتب فى مبحث الكشف منه أنه نقل أنّه عليه السّلام قال: رأيت ربّى ليله المعراج فى أحسن صوره فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت علوم الأولين و الاخرين(۱) انتهى كلامه رفع مقامه.

۱- (۱) هذا الحديث من مجعولات العامه كما يشعر به ما نقله القيصرى فى الفصل السابع من ديباجه شرح الفصوص هكذا، عبد الرحمن بن عوف عن عايشه قالت قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله): رأيت ربّى تبارك و تعالى فى أحسن صوره، فقال: فيما يختصم الملاء الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أى ربّى مرّتين قال: فوضع اللّه كفّه بين كتفى فوجدت بردها بين ثدبى فعلمت ما فى السماوات و ما فى الأرض، ثمّ تلى هذه الايه: «وَ كَذٰلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»، انتهى، منه.

و قد أطنبت بنقله تنبيها لك على اعتماد الاحسائى على أحاديث المخالفين و ركونه إلى أخبار الناصبين، و ليته قنع بذلك و لم يسع فى تخريب قواعد الدّين حيث انحرف عن مناهج المتشرّعين، و ولع بترويج طريقه المتصوّفين، و تشهير مزخرفات المبتدعين جزاه اللّه ما يستحقّه يوم حشر الأولين و الاخرين.

هنا آخر المجلد الثالث عشر من هذه الطبعه النفيسه و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى - ٢٢ - من شهر محرم الحرام - ١٣٨٣ - و يليه انشاء اللّه المجلد الرابع عشر و أوله: «المقام الثامن فى الاخبار الوارده فى ذمّ الصوفيه» و الحمد للّه رب العالمين.

استدراک تقدم حديث شريف فى ص ٣٢ نقلا عن عقاب الأعمال مضطرب الألفاظ غير مستقيم المعنى و لم يحضرنى العقاب عند الطبع حتى اراجعه فأثبتناه بعينه على ما فى الطبعه الاولى حفظا للأمانه فى النقل، و بعد الطبع راجعنا العقاب فوجدنا الحديث فيه ص ٢٠٧ هكذا: محوت المحكم من كتاب اللّه. و فيه: محيط لو طلع منه. و فيه: أهل ذلك الوادى من حرّ ذلك الوادى و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلك الوادى لجبلا يتعوّذون أهل ذلك الوادى من حرّ ذلك الجبل.

و فيه: لقليبا يتعوّذ أهل ذلك الشعب. و فيه: بولس.

أيضا ص ٢٩١ س ٩ و من مواعظ عيسى عليه السّلام «إلخ» هذا الحديث مذكور فى تحف العقول إلّا أنّه زاد فيه بعد قوله: فى حيره كلمه: لفعل. و ذكر بدل قوله:

تنفع و لا يؤكل: ينفع و يؤكل.

أيضا ص ٣٠٦ س ۴ قول المصنف: و أمّا الأخبار فمنها «إلخ» هذا الحديث مذكور فى الكافى إلّا أنّ فيه: ولىّ الضلاله، بدل اولى الضلاله و سأل، بدل سئل.

فليكن على ذكر منك المصحح.

ص:۴۱۷

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


قائمیه
مرکز تحقیقات رایانه ای
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹